جوامع التفسير

المجلد الثاني

موقع الأوحد
Awhad.com

جوامع التفسير

تأليف

الحكيم الإلهي الشيخ

أبو الحسن بن إبراهيم اليزدي

تحقيق

الشيخ حسين بن علي المطوع

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحیم

[تفسير قوله تعالى:
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾]

[تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾]

قوله عز وجل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

في المعاني وفي تفسير الإمام عن الصادق عليه السلام: (يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ إلى جنتك المانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك)[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (يعني أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا)[٢].

وفي المعاني عن المفضل بن عمر قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط؟.

فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما صراطان، صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهذه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم)[٣].

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٤٤.

(٢) تفسير الصافي ج١ ص٨٥.

(٣) معاني الأخبار، ص١٢٦.

وفيه عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل إهدنا الصراط المستقيم قال: (هو أمير المؤمنين ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله: إهدنا الصراط المستقيم)[1].

وفيه أيضًا عن سيد العابدين علي بن الحسين صلى الله عليه قال: (ليس بين الله وبين حجته حجاب، ولا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيده ونحن موضع سره)[2].

والقمي عن الصادق عليه السلام: (الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف فمنهم من يمر عليه مثل البرق ومنهم من يمر عليه مثل عدو الفرس ومنهم من يمر عليه ماشيًا ومنهم من يمر عليه حبوًا ومنهم من يمر عليه متعلقًا فتأخذ النار منه شيئًا وتترك شيئًا)[3].

وفي رواية أخرى: (أنه مظلم يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم)[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة)[5].

---

(١) معاني الأخبار، ص١٢٦.
(٢) معاني الأخبار ص٣٥.
(٣) تفسير القمي ج١ ص٢٩.
(٤) تفسير الصافي ج١ ص٨٥.
(٥) تفسير الصافي ج١ ص٨٥.

وفي المعاني عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِي إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَقْعُدُ أَنَا وَأَنْتَ وَجبْرَئِيلُ عَلَى الصراطِ فَلَمْ يَجُزْ أَحَدٌ إِلا مَنْ كَانَ مَعَهُ كِتَابٌ فِيهِ بَرَاءَةٌ بِوَلَايَتِكَ)(١).

وفي كتاب الغرر والدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام: (الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الصراط(٢) المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار)(٣) انتهى.

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ * وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٥).

وفي الاحتجاج عن النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير: (مَعَاشِرَ الناسِ إِنَ اللهَ قَدْ أَمَرَنِي وَنَهَانِي وَقَدْ أَمَرْتُ عَلِيًا وَنَهَيْتُهُ فَعَلِمَ الْأَمْرَ وَالنهْيَ مِنْ ربهِ عَز وَجَل فَاسْمَعُوا لِأَمْرِهِ تَسْلَمُوا وَأَطِيعُوا تَهْتَدُوا وَانْتَهُوا لِنَهْيِهِ تَرْشُدُوا وَصَيرُوا إِلَى مُرَادِهِ وَلَا تتفرقْ بِكُمُ السبلُ عَنْ سَبِيلِهِ مَعَاشِرَ الناسِ أَنَا

---

(١) معاني الأخبار ص٣٥.
(٢) في المصدر: الطريق.
(٣) التعليقة على الفوائد الرضوية للقمي، ص٥٣. الحقائق، ص٣٤٩.
(٤) يس ٦٠ ـ ٦١.
(٥) الأنعام ١٥٣.

الصراط المستقيم الذِي أَمَرَكُمْ بِاتبَاعِهِ ثُم عَلِي مِنْ بَعْدِي ثُم وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمةٌ يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ)[(١)].

والعياشي عن الباقر عليه السلام أنه قال لبريد العجلي: (تدري ما يعني بـ ﴿صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا﴾؟

قال: قلت لا.

قال: ولاية علي والأوصياء عليهم السلام، قال: وتدري ما يعني ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾.

قال: قلت: لا.

قال: يعني علي بن أبي طالب، قال: وتدري ما يعني ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾.

قال: قلت: لا.

قال: ولاية فلان وفلان والله، قال: وتدري ما يعني ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾.

قال: قلت لا.

قال: يعني سبيل علي عليه السلام)[(٢)]. انتهى.

قال تعالى ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[(٣)].

اعلم أن الله سبحانه لما عرّف عباده كيف يحمدونه على ما أنعم

(١) الإحتجاج، ج١ ص٦٢.
(٢) تفسير العياشي؛ ج١؛ ص٣٨٤.
(٣) آل عمران ١٠١.

عليهم من النعم الجسام، وأحسن إليهم مرة بعد أخرى بربوبيته وتربيته لهم على الدوام، وعلمهم كيف يعبدونه شكرًا لذلك الإحسان والإنعام، وكيف يستعينون به على عبادته وأداء حق ربوبيته، أمرهم بالدعاء الذي هو أفضل العبادة ومفتاح السعادة، ولما لم يكن دعاء كان أتم عائدة وأكمل فائدة وأشمل نفعًا وأدفع ضرًا للعبد المحتاج الذي لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا من طلب الهداية من ربه الكريم، أعني قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ اختار سبحانه ذلك الدعاء الكامل الجامع لعباده الذين لا يستكبرون عن عبادته وهم بأمره يعملون، فقال لهم قولوا بعد قولكم: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

ولعمري إن هذا الدعاء المعبر عنه بهذه العبارة الشريفة الكاملة كلمة جامعة وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين للداعين، وتوصل ثمرتها إليهم أبد الآبدين، وليس من دعاء نافع في المطالب والمهمات ودافع لجميع المكاره والبليات في الدنيا والآخرة والأولى، صدر من ملك مقرب أو نبي مرسل أو صديق أو شهيد أو مؤمن صالح أو عالم فاضل أو عارف كامل أو فقير محتاج صابر أو غني شاكر من أول الدهر إلى آخره إلّا وهو مندرج تحت هذه الدعوة الحسنى وغصن من أغصانها وورقة من أوراقها.

[معاني الصراط المستقيم]

ثم اعلم أن للصراط المستقيم معانٍ كثيرة على ما يستفاد من الآيات والروايات، لأنه قد فسر فيها مرة بالطريق المؤدي إلى محبة الله، والمبلغ إلى الجنة، المانع من اتباع الأهواء والآراء المهلكة.

ومرة بالطريق إلى معرفة الله تعالى.

ومرة برسول الله صلى الله عليه وآله.

ومرة بأمير المؤمنين عليه السلام.

ومرة بالأئمة عليهم السلام.

ومرة بمعرفة أمير المؤمنين، ومرة بمعرفة الإمام المفروض الطاعة، ومرة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ومرة بولاية الأوصياء عليهم السلام، ومرة بالصورة الإنسانية، ومرة بالطريقة الوسطى أعني ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، ومرة بالصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومرة بطريق المؤمنين إلى الجنة في الآخرة، ومرة بالاعتصام بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وبآيات الله، ومرة بطاعة الله وعبادته سبحانه، فهذه خمسة عشر معنى للصراط المستقيم، ترجع تلك المعاني كلها حقيقة إلى معنى واحد عند أولي الأبصار الذين هم بهداية الله على صراط مستقيم، والمعنى الواحد هو الصراط المستقيم الذي أشار إليه بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾(١).

ولا بد من الإشارة إلى تلك المعاني وبعض بيانها ليُعلم أن مرجع تلك المعاني كلها إلى ذلك المعنى الواحد، ونحن نشير أولًا إلى معنى الهداية، ثم إلى تلك المعاني التي تتعلق الهداية بها.

فنقول: الهداية هي الإرشاد والدلالة، وهداه أرشده ودله، قال الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا﴾ (أي أرشدنا).

وقيل أنها تستعمل مرة بمعنى إراءة الطريق الموصل إلى المطلوب

---

(١) الزخرف ٤.

كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[(١)] لأن العمى أي الضلالة لا يتصور بعد الوصول إلى المطلوب، فالهداية هنا بمعنى الإراءة.

ومرة بمعنى الإيصال إلى المطلوب كقوله تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[(٢)] لأن النبي ﷺ شأنه إراءة الطريق، فكيف يصح أن يقال في حقه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي﴾، فالهداية هنا بمعنى الإيصال.

وقيل بالتفصيل بأن الهداية إن عديت بنفسها فهي الإيصال وإلا فهي الإراءة، ونقل عن صاحب الكشاف[(٣)]: (إن هداه لكذا أو إلى كذا إنما يقال إذا لم يكن في ذلك فيصل بالهداية إليه، وهداه كذا لمن يكون فيه فيزداد أو يثبت، ولمن لا يكون فيصل، وربما يظهر من بعضهم أن الهداية بمعنى الإيصال وهو الذي يتعدى بنفسه لا يكون إلّا فعل الله، فلا يستند إلّا إليه، لأن الإيصال إلى المطلوب إنما هو فعله تعالى لا فعل غيره، فلا يسند إلى غيره كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[(٤)]، وإن الهداية بمعنى الإراءة والإرشاد والدلالة على ما يوصل إليه وهي التي تتعدى بحرف الجر، فتسند تارة إلى القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[(٥)]، وأخرى للنبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[(٦)].

---

(١) فصلت ١٧.
(٢) القصص ٥٦.
(٣) حاشية الشهاب، ج١، أحمد بن محمد الخفاجي، ص٢٠٠
(٤) العنكبوت ٦٩.
(٥) الإسراء ٩.
(٦) الشورى ٥٢.

أقول: لا نزاع في الاستعمالات الثلاث، ولا في أن الهداية تستعمل تارة بمعنى الإراءة كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾(١)، وأخرى بمعنى الإيصال كقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٢)، ولا نزاع أيضًا في أن يقال هداه لكذا أو إلى كذا لمن لم يكن في ذلك فيصل بالهداية إليه، كمن كان ضالًا عن الطريق فاهتدى بنور القرآن للتي هي أقوم، أو كان خارجًا عن طريق الحق فوصل إليه بدلالة النبي ﷺ، ولا في أن يقال هداه كذا لمن يكون فيه فيزداد فيه أو يثبت، أو لمن لا يكون فيه فيصل كما فسر أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ بإدامة التوفيق للطاعة، وفسره الصادق عليه السلام بالإرشاد إلى الطريق المؤدي إلى المحبة والمبلغ إلى الجنة، وإنما النزاع في أن الهداية هل تكون بمعنى الإراءة فقط؟ فإذا استعملت في الإيصال تكون مجازًا كما يظهر هذا من بعضهم، أو تكون بالعكس كما يظهر من آخر، أو أنها إن عديت بنفسها فهي الإيصال وإلا فالإراءة، فلفظ الهداية مشترك في المعنيين والقرينة الفارقة تعديتها بنفسها وبحرف الجر، كما يظهر هذا من ثالث، وكذا النزاع في قوله هداه لكذا أو إلى كذا هل هي مختصة بمعنى كان خارجًا عنه فيصل بالهداية إليه، ولا يقال لمن كان داخلًا فيه كما هو ظاهر كلام صاحب الكشاف على ما نقل عنه، أو غير مختصة به بل يقال لمن كان داخلًا فيه أيضًا كما أن هداه كذا يقال للخارج والداخل.

إذا عرفت محل النزاع فاعلم أن تلك الأقوال على التفصيل الذي ذكروه ليس لها مستند في اللغة ولا في الكتاب والسنة، والذي يظهر

---

(١) فصلت ١٧.

(٢) العنكبوت ٦٩.

من الكتاب والسنة واستعمال أهل اللغة أن الهداية حقيقة في الإرشاد والدلالة في ظاهر اللغة، ويتعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسها وأخرى بحرف الجر، فإذا عديت بنفسها لا يلزم أن تكون بمعنى الإيصال، وأن يقال لمن كان داخلًا في الطريق مثلًا فيزداد فيه البصيرة أو يثبت، أو كان خارجًا عنه فيصل بالهداية إليه، كما إذا استعملت بحرف الجر لا يجب أن تكون بمعنى الإراءة وأن يقال لمن كان خارجًا عن الطريق فيصل بالهداية إليه، ولكن ربما يلاحظ أهل الفصاحة والبلاغة في الكلام تلك المناسبات فيستعملونها على حسب ما يقتضيه المقام، فقول صاحب الكشاف (وإن هداه لكذا أو إلى كذا....إلخ) لعله إشارة إلى وجه المناسبة، وهو أن الفعل إذا عدي بنفسه كان متصلًا بالمفعول بلا موصل، وهذا يدل على حصول المطلوب له، وإنما الفائدة الزيادة من المطلوب أو الثبات عليه، بخلاف المتعدي بغيره فإنه دال على عدم الاتصال والحصول حين الإسناد، ثم لما كانت زيادة المباني تدل على زيادة المعاني كان (هدى) إذا عدي باللام أقل وساطة منه إذا عدي بـ (إلى)، فيستعمل باللام إذا نسب إلى القرآن، لأن القرآن كانت نفسه أقرب وساطة في الإيصال إلى المطلوب من غيره، فيتناسب استعمال الهداية باللام لبساطة لفظها بالنسبة إلى (إلى) فيقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾(١)، ولما كان محمد ﷺ إنما يهدي بالقرآن، وكان القرآن واسطة بينه ﷺ وبين الله تعالى ناسب أن تستعمل الهداية المنسوبة إليه ﷺ في الإيصال إلى المطلوب بـ(إلى) فيقال في حقه ﷺ :

---

(١) الإسراء ٩.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

وأما ما يظهر من بعضهم أن الهداية بمعنى الإيصال لا يكون إلّا فعل الله تعالى فلا يستند إلّا إليه، إن أراد بقوله هذا أن غيره تعالى لا يقدر على الإيصال إلى المطلوب وإن كان الله سبحانه أقدره على الإيصال إلى ما يوصل إلى المطلوب، لجواز أن يحول هو سبحانه بينه ما أراد من إتمام فعله وهو الإيصال، لأنه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت، فقوله هذا صحيح، إلّا أن غيره تعالى لا يقدر على شيء من أفعاله قبل فعله، كما لا يقدر على إتمام شيء منها قبل تمامه، فما وجه اختصاص من الإيصال إلى المطلوب بالله تعالى دون الإراءة والإرشاد والإيصال إلى ما يوصل إليه، فكما أن غيره تعالى لا يقدر على الإيصال إلى المطلوب، كذلك لا يقدر على الإيصال إلى ما يوصل إليه، فما وجه الجواز في إسناد الثاني إلى غيره تعالى دون الأول.

فإن قلت: إن الربوبية تقتضي أن يكون مثل الإيصال إلى المطلوب فعله تعالى لا فعل غيره كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾(٢).

قلت: إن الربوبية تقتضي أيضًا ألا يكون لغيره من الأمر شيء لا قليل ولا كثير، كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾(٣)، فليس الأمر مقسومًا بينه وبين غيره ـ تعالى عن ذلك علوًا

---

(١) الشورى ٥٢.

(٢) القصص ٥٦.

(٣) الأنفال ١٧.

كبيرًا ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـًٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ * وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾(١).

وإن أريد بقوله ذلك أن غيره تعالى لا يقدر على الإيصال إلى المطلوب إلّا بمشيئة الله ومعونته سبحانه.

فنقول: إن غيره تعالى لا يقدر على الإيصال إلى ما يوصل إلى المطلوب إلّا بمشيئته ومعونته أيضًا، فلا وجه للاختصاص، نعم الهداية بمعنى الإيصال في حقه تعالى أكثر استعمالًا منه في حق غيره، كما أن المتعدي بنفسه بمعنى الإيصال أكثر منه بمعنى الإراءة، وقد استندت الهداية في الاستعمالات الثلاث وبمعنى الإيصال والإراءة إلى الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾(٤)، هذا في ظاهر اللغة وفي لسان أهل الظاهر.

وأما في باطن اللغة وفي مذاق أهل الباطن، فالهداية لأهل الضلالة والإنحراف الذين كانت صراطاتهم منحرفة إراءة ودلالة كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾(٥)، أما ثمود في

---

(١) الحج ٧٣ ـ ٧٤.
(٢) فصلت ١٧.
(٣) العنكبوت ٦٩.
(٤) البقرة ٢١٣.
(٥) فصلت ١٧.

الظاهر فظاهر، وأما في الباطن فهم ثمود هذه الأمة، والعمى ولاية الأول والثاني، والهدى هو الولاية لله الحق.

ولأهل السكون والغفلة الذين كانت صراطاتهم واقفة تحريك وتنبيه كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾(١).

ولأهل السلوك والمجاهدة الذين كانت صراطاتهم مستقيمة ولكنها بطيئة غير واصلة إيصال وتخفيف وتوفيق لطي المسافة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٢).

ولأهل الشهود والبصيرة والتشمير الذين كانت صراطاتهم مستقيمة سريعة قريبة إلى الوصول تثبيت وزيادة في البصيرة قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(٤).

ولأهل الورود والمعرفة الذين كانت صراطاتهم أشد سيرًا وأقرب وصولًا، إلى لما من الصحو بعد المحو وإكمال التجريد وجذب الأحدية لصفة التوحيد قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٥).

ولأهل الوصول والمحبة الذين كانت صراطاتهم سابقة واصلة إلى الوطن الذي من دخله كان آمنًا، وحبه من الإيمان وبغضه هو الكفر،

---

(١) طه ١٢٨.
(٢) العنكبوت ٦٩.
(٣) الكهف ١٣ ـ ١٤.
(٤) مريم ٧٦
(٥) الأنعام ٩٠.

التجلي بعد التجلي، والظهور بعد الظهور، والسكر في الصحو والصحو في السكر، والسقي من رحيق مختوم، ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾(٢) وقال عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(٣).

ولأهل العناد والشقاق والنفاق والإنكار والجحود وهم الذين كانت صراطاتهم منكوسة، تهكم واستهزاء قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾(٤) يعني عن النعمة التي عرفوها ثم أنكروها، وعن آيات الله التي ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾(٥)، وهم الذين كانت الهداية في حقهم ممتنعة عادة، لأنهم ذكروا بآيات الله مرة بعد أخرى فأعرضوا عنها واستهزأوا بها، فحقت عليهم الضلالة قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ﴾(٦).

وقال صاحب الكشاف فيه: (هدى أصله أن يتعدى باللام أو بـ (إلى) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٧) ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ

---

(١) المطففين ٢٦.
(٢) الأعراف ٤٣.
(٣) مريم ٥٨.
(٤) الصافات ٢٣ ـ ٢٤.
(٥) النمل ١٤.
(٦) الكهف ٥٦ ـ ٥٧.
(٧) الإسراء ٩.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، فعومل معاملة اختار في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾[2]، ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمعنى الألطاف كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾[3] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[4])[5] انتهى.

أقول: يريد أن كونه بنفسه على خلاف الأصل فعلى هذا لا يكون استعماله بدون حرف الجر لله في هدايته، ولا عبارة موضوعة على ما يوصل إلى المطلوب، ولا إلى ما يوصل إلى المطلوب، وإنما الاستعمال والتخصيص لغرض آخر، وقوله هذا مؤيد لما قلنا سابقًا، ومضعف لما قيل من أن الهداية المنسوبة إلى الله تعالى التي هي بمعنى الإيصال إلى المطلوب وجب أن تكون متعديًا بنفسها.

[أنواع هداية الله تعالى]

قيل وهداية الله تعالى تتنوع أنواعًا لا يحصيها عده لكنها تنحصر في أجناس مرتبة.

الأول: إفاضة القوى التي يتمكن بها العبد من الاهتداء إلى مصالحه كالقوى العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة.

والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد.

---

(١) الشورى ٥٢.

(٢) الأعراف ١٥٥.

(٣) محمد ١٧.

(٤) العنكبوت ٦٩.

(٥) الكشاف، ج١ص ٦٧.

والثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

الرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة، وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء.

وطلب الهداية وغيرها من المطالب قد يكون بلسان القول وقد يكون بلسان الاستعداد، فما يكون بلسان الاستعداد لا يتخلف عنه المطلوب، وما يكون بلسان القول ووافقه الاستعداد استجيب وإلا فلا.

فإن قلت: فعلى هذا لا حاجة إلى لسان القول.

قلت: يمكن أن يحصل في بعض استعداد المطلوب من الطلب بلسان القول، فالاحتياط أن لا يترك الطالب الطلب بلسان القول، فبالنسبة إلى بعض المراتب يطلب بلسان الاستعداد، وفي بعضها بلسان القول، انتهى.

أقول: هذا الكلام نقل عن صاحب الكشاف ولكن لم أجده في تفسيره وهو كلام جيد صحيح إلّا أن فيه شيئًا يجب التنبيه عليه، وهو قوله: (فما يكون بلسان الاستعداد لا يتخلف عنه المطلوب)، إن أريد به أن الاستعداد إذا تم فهو مقتضٍ لعدم التخلف بما جعله الله كذلك، بمعنى أن مطلق اقتضائه ولعدم التخلف مع عدمه، ولعدمه مع التخلف، كل هذه بمشيئته تعالى وإرادته، فإن شاء اقتضاءه يقتضي، وإن شاء عدم اقتضائه لا يقتضي، وإن شاء أن يقتضي عدم التخلف يقتضي عدمه، وإن شاء أن يقتضي عدم التخلف ثم بدا له تعالى فشاء أن يتخلف عنه المطلوب مع بقاء اقتضائه لعدم التخلف عنه كما شاء، فإنه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وإن كان سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهو كلام صحيح.

وإن أراد أن الاستعداد إذا تم لا يتخلف عنه المطلوب لأن المعلول

لا يتخلف عن علته التامة كما هو مذهبهم، فهو كلام قشري واعتقاد فاسد وظن باطل لا يغني من الحق شيئًا، كيف وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[2] وقال: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3] فطلب الهداية إذا كان بلسان الاستعداد لا يتخلف عنه المطلوب إن أذن له تعالى، وإلا فالأشياء واقفة وجودًا وعدمًا ببابه منتظرة لإذنه تعالى، قال عليه السلام: (إلهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجانبك) وهذه المسألة مما لا يهتدي إليها إلّا من هداه الله تعالى إليه بنور الأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين.

إذا عرفت معنى الهداية في الجملة، فاعلم أنه لما كان الصراط المستقيم في الظاهر هو الطريق المستوي الذي من سلكه أمن الضلالة والهلاك وأوصله إلى مقصده ومطلبه، ولم يكن للسالكين من أهل البصيرة مقصد ومطلب إلّا الوصول إلى محبة الله عز وجل التي هي غاية آمال العارفين ونهاية سير السالكين، وإن لم تكن لمحبته تعالى غاية ولا نهاية، والدخول في جنته التي هي دار كرامته ورضوانه ومظهر رحمته الخاصة لأهل محبته من المؤمنين، والنجاة من النار التي هي دار إهانته وسخطه ومحل غضبه، الذي من حل عليه فقد هوى وصار من الهالكين، فسر مولانا الصادق عليه السلام الصراط المستقيم بالطريق المؤدي إلى المحبة والمبلغ إلى الجنة المانع من متابعة

---

(١) الفرقان ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) الإسراء ٨٦.

(٣) الأنبياء ٦٩.

الأهواء والآراء المهلكة، والمراد بمتابعة الهوى أن تتبع نفسك في ما تهواه، مما قد ثبت في العقل والشرع خلافه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(١) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢).

أقول: يعني عن الصراط المستقيم الذي هو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير.

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾(٣) والمراد بأخذ الرأي أن تعتقد ما استحسنه رأيك مما ليس فيما أجمع العقول السليمة عليه حجة له ولا في الكتاب والسنة دليل عليه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٤) وهاتان الخصلتان من المهلكات التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه)(٥) وقال صلى الله عليه وآله: (إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك)(٦).

---

(١) النازعات ٤٠ ـ ٤١.

(٢) المائدة ٧٧.

(٣) القصص ٥٠.

(٤) الحج ٨.

(٥) الحديث بطوله هو هذا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنِ الثُّمَالِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُنْجِيَاتُ قَالَ خَوْفُ اللَّهِ فِي السِّرِّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا الْمُهْلِكَاتُ قَالَ هَوًى مُتَّبَعٌ وَشُحٌّ مُطَاعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ) الزهد؛ ص٦٨.

(٦) بحار الأنوار، ج٩٧ص ٨٥.

وفي الكافي عن مفضل بن مزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال، أنهاك أن تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم)(١).

وفيه عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قال لي أبو عبد الله: (إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك إياك أن تفتي الناس برأيك أو تدين بما لا تعلم)(٢).

ومن اتباع الهوى والأخذ بالرأي أن ينظر المرء إلى آية من آيات الكتاب، أو حديث من أحاديثهم عليهم السلام فيعمل بظاهر تلك الآية ومنطوق ذلك الحديث على ما يفهم منهما برأيه الفاسد ونظره الكاسد، بدون ملاحظة باقي الآيات وسائر الروايات وفهم العقول السليمة منهما، غافلًا من أن الآيات والروايات يفسر بعضها بعضًا ويظهر معنى بعضها من بعض، كما في تفسير الإمام عن الصادق عليه السلام قال: (فَإِن مَنِ اتبعَ هَوَاهُ، وَأُعْجِبَ بِرَأْيِهِ كَانَ كَرَجُلٍ سَمِعْتُ غُثَاءَ الْعَامةِ تُعَظمُهُ وَتَصِفُهُ، فَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْرِفُنِي لِأَنْظُرَ مِقْدَارَهُ وَمَحَلهُ فَرَأَيْتُهُ فِي مَوْضِعٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهِ خَلْقٌ مِنْ غُثَاءِ الْعَامةِ، فَوَقَفْتُ مُنْتَبِذًا عَنْهُمْ، مُتَغَشيًا بِلِثَامٍ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وإِلَيْهِ، فَمَا زَالَ يُرَاوِغُهُمْ حتى خَالَفَ طَرِيقَهُمْ فَفَارَقَهُمْ، وَلَمْ يَعُدْ فَتَفَرقَتِ الْعَامةُ عَنْهُ لِحَوَائِجِهِمْ.

وَتَبِعْتُهُ أَقْتَفِي أَثَرَهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَر بِخَبازٍ فَتَغَفلَهُ، فَأَخَذَ مِنْ دُكانِهِ رَغِيفَيْنِ مُسَارَقَةً، فَتَعَجبْتُ مِنْهُ، ثُم قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلهُ مُعَامَلَةٌ.

ثُم مَر بَعْدَهُ بِصَاحِبِ رُمانٍ، فَمَا زَالَ بِهِ حَتى تَغَفلَهُ فَأَخَذَ مِنْ عِنْدِهِ

---

(١) الكافي، ج١ ص٣٤٤.

(٢) المصدر السابق.

رُمانَتَيْنِ مُسَارَقَةً فَتَعَجبْتُ مِنْهُ، ثُم قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلهُ مُعَامَلَةٌ، ثُم أَقُولُ: وَمَا حَاجَتُهُ إِلَى الْمُسَارَقَةِ! ثُم لَمْ أَزَلْ أَتْبَعُهُ حَتى مَر بِمَرِيضٍ، فَوَضَعَ إليه الرغِيفَيْنِ وَالرمانَتَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَضَى، وَتَبِعْتُهُ حَتى اسْتَقَر فِي بُقْعَةٍ مِنْ صَحْرَاءَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ بِكَ وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ، فَلَقِيتُكَ، لَكِني رَأَيْتُ [مِنْكَ] مَا شَغَلَ قَلْبِي، [وَإِني سَائِلُكَ عَنْهُ، لِيَزُولَ بِهِ شُغُلُ قَلْبِي].

قَالَ: مَا هُوَ؟.

قُلْتُ: رَأَيْتُكَ مَرَرْتَ بِخَبازٍ فَسَرَقْتَ مِنْهُ رَغِيفَيْنِ، ثُم [مَرَرْتَ] بِصَاحِبِ الرمانِ فَسَرَقْتَ مِنْهُ رُمانَتَيْنِ!

قَالَ: فَقَالَ لِي: قَبْلَ كُل شَيْءٍ حَدثْنِي مَنْ أَنْتَ.

قُلْتُ [لَهُ]: رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ آدَمَ مِنْ أُمةِ مُحَمدٍ ﷺ.

[قَالَ: حَدثْنِي مِمنْ أَنْتَ].

[قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ].

قَالَ: أَيْنَ بَلَدُكَ؟.

قُلْتُ: الْمَدِينَةُ.

قَالَ: لَعَلكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمدِ بْنِ عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام.

قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ [لِي]: فَمَا يَنْفَعُكَ شَرَفُ أَصْلكَ مَعَ جَهْلِكَ بِمَا شُرفْتَ بِهِ، وَتَرْكِكَ عِلْمَ جَدكَ وَأَبِيكَ لِئَلا تُنْكِرَ مَا يَجِبُ أَنْ تَحْمَدَ وَتَمْدَحَ فَاعِلَهُ!.

قُلْتُ: وَمَا هُوَ.

قَالَ: الْقُرْآنُ كِتَابُ اللهِ.

قُلْتُ: وَمَا الذِي جَهِلْتُ مِنْهُ.

قَالَ: قَوْلُ اللهِ عز وَجَل: «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسيئَةِ فَلا يُجْزى إِلا مِثْلَها» وَإِني لَما سَرَقْتُ الرغِيفَيْنِ كَانَتْ سَيئَتَيْنِ، وَلَما سَرَقْتُ الرمانَتَيْنِ كَانَتْ سَيئَتَيْنِ فَهَذِهِ أَرْبَعُ سَيئَاتٍ، فَلَما تَصَدقْتُ بِكُل وَاحِدَةٍ مِنْهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ حَسَنَةً، فَانْتَقَصَ مِنْ أَرْبَعِينَ حَسَنَةً أَرْبَعُ سَيئَاتٍ بَقِيَ لِي سِت وَثَلاثُونَ حَسَنَةً.

قُلْتُ: ثَكِلَتْكَ أُمكَ أَنْتَ الْجَاهِلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: «إِنما يَتَقَبلُ اللهُ مِنَ الْمُتقِينَ» إِنكَ لَما سَرَقْتَ الرغِيفَيْنِ كَانَتْ سَيئَتَيْنِ وَلَما سَرَقْتَ الرمانَتَيْنِ كَانَتْ سَيئَتَيْنِ، وَلَما دَفَعْتَهُمَا إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِمَا، بِغَيْرِ أَمْرِ صَاحِبِهِمَا، كُنْتَ إِنمَا أَضَفْتَ أَرْبَعَ سَيئَاتٍ إِلَى أَرْبَعِ سَيئَاتٍ، وَلَمْ تُضِفْ أَرْبَعِينَ حَسَنَةً إِلَى أَرْبَعِ سَيئَاتٍ.

فَجَعَلَ يُلَاحِظُنِي، فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

قَالَ الصادِقُ عليه السلام: بِمِثْلِ هَذَا التأْوِيلِ الْقَبِيحِ [الْمُسْتَنْكَرِ] يَضِلونَ وَيُضِلونَ.

وَهَذَا نَحْوُ تَأْوِيلِ مُعَاوِيَةَ [عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِق] لَما قُتِلَ عمارُ بْنُ يَاسِرٍ رضوان الله عليه فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ خَلْقٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: إن رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قال: عمارٌ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ.

فَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَقَالَ: قَدْ هَاجَ الناسُ وَاضْطَرَبُوا.

قَالَ معاوية: لِمَاذَا؟.

قَالَ: لِقَتْلِ عمارِ بْنِ يَاسِرٍ، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: عمارٌ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: دُحِضْتَ حجتك فِي قَوْلِكَ، أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ إِنما قَتَلَهُ عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لِمَا أَلْقَاهُ بَيْنَ رِمَاحِنَا.

فَاتصَلَ ذَلِكَ بِعَلِي عليه السلام، فَقَالَ عليه السلام: إِذًا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الذِي قَتَلَ حَمْزَةَ رضوان الله عليه لِمَا أَلْقَاهُ بَيْنَ رِمَاحِ الْمُشْرِكِينَ.

ثُمَ قَالَ الصادِقُ عليه السلام: طُوبَى لِلذِينَ هُمْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُل خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)[1] انتهى.

وقوله عليه السلام: (المؤدي إلى محبتك) يعني محبتك لي أو محبتي لك، وكلاهما مقصودان مطلوبان متلازمان، ولا يتحقق الثاني إلّا بالأول، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2]، ولا يتحقق الأول إلّا بمتابعة النبي وآله صلوات الله عليهم قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[3] ومتابعتهم صلى الله عليهم لا تكون إلّا بترك متابعة الأهواء والآراء، الذي هو الطريق المؤدي إلى محبة الله والمبلغ إلى جنته، لأن من خاف مقامهم واتبع رضوانهم عليهم السلام واقتدى بهديهم، ونهى النفس عن الهوى ولم يتخذ إلهه هواه، يهدونه سبل السلام الذي هو الجنة، فالصراط المستقيم أي الطريق المؤدي إلى محبة الله المبلغ إلى جنته هي متابعة أهل العصمة عليهم السلام في جميع اعتقاداتهم وآرائهم وأحوالهم وأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم وأحكامهم وسننهم

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٤٤، وما بين المعكوفتين موجود في الأصل ولا يوجد في المخطوط.

(٢) المائدة ٥٤.

(٣) آل عمران ٣١.

قال تعالى: (مازال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به) الحديث.

ثم متابعة من استمسك بعروتهم واستعصم بشعاع نور عصمتهم وتمسك بظاهر شريعتهم وباطنها، واستقام على طريقتهم، وسلك فيها حتى وصل إلى حقيقة الأمر فعرف أحكامهم وتبين له حلالهم وحرامهم، ومص طعم أقوالهم، وذاق حلاوة أفعالهم، حتى صار موضع أسرارهم، وعيبة علومهم من الأسرار والعلوم التي يمكن أن يتجاوز عنهم إلى غيرهم، حتى رضوا بأن يكون حاكمًا على رعيتهم، وواسطة بينهم وبين شيعتهم ومحبيهم، فإن متابعة مثل هذا عين متابعتهم التي هي الصراط المستقيم، لأن من وصل إلى هذه الرتبة صار من إحدى القرى الظاهرة التي أشار إليهم سبحانه في باطن كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾(١) فمن ترك متابعة مثل هذا فقد ترك متابعة أهل العصمة عليهم السلام، وهو من الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

[الصراط ظاهرًا وباطنًا]

فالصراط في ظاهر اللغة هو الطريق إلى الشيء وهو أمر كلي ومفهوم واحد جنسي، يتعدد ويتعين أفراده بتعيين جهات المقاصد والأمكنة، وربما يكون لمقصد واحد طرق متعددة، يقال لكل واحد

---

(١) سبأ ١٨.

(٢) سبأ ١٨ ـ ١٩.

منها أنه طريق ذلك المقصد، إلّا إذا انحرف عن جهة المقصد بحيث خرج عن كونه طريقًا لذلك، سواء بلغ الانحراف إلى حد المعاكسة كما لو كان المقصد في جهة المشرق والسير في جهة المغرب وبالعكس، أو لا كما لو كان السير في جهة الجنوب أو الشمال، وكلما كان السير إلى جهة المقصد بالطريق المعين له يوصف ذلك الطريق بالاستواء والاستقامة، وكان ذلك السير جائزًا ممدوحًا، وإذا كان السير لا إلى جهة المقصد أو في غير الطريق المعين له ههنا يوصف ذلك الطريق المسلوك فيه بالانحراف والانعكاس وعدم الاستقامة، وكان ذلك السير مذموما غير جائز.

وتلزم كل طريق مسافة لها طرفان طرف منهما عند السائر والآخر ينتهي إلى المقصد، كما بين البصرة والكوفة، مثلًا تقول سرت من البصرة إلى الكوفة، ولا يمكن الوصول إلى ذلك المقصد إلّا بطي تلك المسافة وقطعها، ولا تقطع إلّا بمتحرك يقطعها بحركته كالمشي على رجليه، ولا بد لكل حركة من محرك، والحركة إما سريعة وإما بطيئة، وذلك على حسب قوة المحرك وضعفه، والسالكون متفاوتون في سرعة الحركة وبطئها مختلفون في الوصول إلى المقصد وعدمه، فمنهم من يسبق إلى المقصد قبل الآخرين، ومنهم من يصل إليه بعد السابقين، ومنهم من يلحق بمن لحق بالسابقين، ومنهم من يصل إليه بعد جميع السالكين، ومنهم من يضعف عن السير فكان من القاعدين، ومنهم من يموت في الطريق فلم يكن من الواصلين، ومنهم من ضل عن الطريق فكان من الهالكين.

فالصراط هو الطريق المتوسط بين السالك وبين مقصده، وكل من سلك في غير طريق المقصد لم يصل إليه أبدًا، ولا يزيده سرعة السير

إلّا بعدًا، فلا بد لكل سالك إذا قصد مقصدا أن يطلب أولًا طريق ذلك المقصد ويعرف أنه مستقيم يوصله إلى مقصده، أو منحرف لا يوصله، أو منكوس يبعده عنه، فإذا عرف الطريق فعليه أن يطلب الرفيق ثم يسلك في ذلك الطريق.

فإذا عرفت الطريق المحسوس المتعارف والمقاصد الظاهرة التي هي الأماكن المعروفة، فاعلم أن لكل مقصد ومطلب من مقاصد الدنيا ومطالبها، وكذا لكل مقصد ومطلب من مقاصد الآخرة ومطالبها أيضًا طريقا معنويا، لا يمكن الوصول إلى تلك المقاصد والمطالب إلّا بالسلوك في ذلك الطريق المعنوي وطي المسافات اللازمة له بحركة خاصة مناسبة لها، وهي حركات أفعالية أعمالية سواء كانت عقلانية أو نفسانية أو جسمانية.

أما في الدنيا فكالميل والعزم إلى التجارة التي هي الطريق إلى تحصيل المنافع المالية التي هي مقصود أهل الدنيا ومطلوبهم، بحركة خاصة مناسبة لها كبيع الأمتعة والأقمشة وشرائها وجمعها وضبطها ونقلها من بلد إلى بلد، والتفكر فيها والتعقل لنافِعها وضارها، أو إلى الزراعة التي هي الطريق إلى تحصيل الغلات مثلًا بحركة خاصة مناسبة لها كتعمير الأرض وتفريغ البذر وسقي الزرع وتنفير الطيور وحفظها من أهل الشرور، وغير ذلك من المقاصد والمطالب الدنيوية التي لا يمكن الوصول إليها إلّا بالسلوك في طرقها بالحركات المناسبة لها.

وأما المقاصد والمطالب الأخروية التي لا يمكن تحصيلها إلّا في الدنيا فكذلك، لأن الدنيا مزرعة الآخرة ومحل التجارة ودار هدنة، أي دار بلاغ وانقطاع ودار ممر لا دار مقر، والناس على ظهر سفر متوجهين إلى مقاصدهم ومطالبهم ومبادئهم ومنازلهم وأوطانهم،

سائرين بقدم أعمالهم وأفعالهم وأحوالهم وعقائدهم إلى الآخرة التي هي يوم الحصاد ودار القرار، وهم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة، تسيّرهم إلى منازلهم وأوطانهم، وتقربهم إلى مقاصدهم ومطالبهم، وتصل بهم إلى مبادئهم وكل ميسر لما خلق له، وكل عامل بعمله، وكل سالك في طريقه مصاحب لرفيقه مار على صراطه.

فمنهم من تجافى عن دار الغرور، وأناب إلى دار السرور، ويرجو تجارة لن تبور، ومنهم من اشترى الضلالة بالهدى فما ربحت تجارته، ومنهم من يزرع في الدنيا خيرًا فيوشك أن يحصد في الآخرة خيرًا، ومنهم من يزرع في الدنيا شرًا فيوشك أن يحصد في الآخرة ندامة وحسرة، ولكل زارع ما زرع، ولكل عامل ما عمل، وليس للإنسان إلّا ما سعى، وإن سعيه سوف يرى، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وليست الجنة بالأماني، قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[1] وذلك حيث قالوا لن يدخل الجنة إلّا من كان هودًا أو نصارى، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾[2]، ثم قال لهذه الأمة: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ﴾ الآية.

ولو كشف لك عن الحقائق ونظرت نظر أهل الدقائق لرأيت الناس في الدنيا كلهم سائرين على الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر، يمرون عليه على قدر أنوارهم وقوة أبصارهم، ويسلكون فيه بقدم أعمالهم وأفعالهم، ولرأيت بعضهم يمر على الصراط كالبرق الخاطف لكمال استقامة صراطه، وتمام نور بصره، وشدة سرعة

---

(١) النساء ١٢٣.
(٢) البقرة ١١١.

سيره، وبعضهم يمر عليه كعدو الفرس لخفة ظهره ودقة نظره وسرعة جواده، وبعضهم يمر عليه ماشيًا لاقتصاده في نظره وتوسطه في سيره، وبعضهم يمر عليه حبوًا لثقل ظهره وتصادم دواعيه وضعف بصره وبطء سيره، وبعضهم يمر عليه متعلقًا تأخذ النار منه شيئًا وتترك شيئًا لعدم بصيرته واضطراب قدمه وانحراف صراطه، ولرأيت بعضهم وهم الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون، وفي طرق ضلالاتهم لسائرون، فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على أربع، يقولون بألسنة أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾[1] لأن أعمالهم كلها كانت للدنيا، وهمتهم كانت مصروفة فيها، فهداهم الله العدل الحكيم بمقتضى قوابلهم وأعمالهم إلى صراط الجحيم فكانت صراطاتهم منكوسة.

وذلك لأن النفس الإنسانية سواء كانت ملكوتية إلهية كما هي في المعصومين ﷺ، أو ناطقة قدسية كما هي في المؤمنين، أو حيوانية بهيمية شبيهة بالناطقة، أو شيطانية كما هي في غير المؤمنين من سائر أشباه الناس الذين وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين من مبدأ حدوثها إلى منتهى عمرها، ميولات ذاتية وحركات أعمالية وانتقالات صعودية أو نزولية، تميل بذاتها إلى جهة مبدئها ومقصدها، وتنتقل إليها صاعدة بمدد أعمالها الصالحة التي ترفعه إليها، أو نازلة بمدد أعمالها الطالحة التي تنزله فيها، ولا تزال تسير على صراط ممدود على متن طبيعتها الذي هو نفسها صاعدة أو نازلة إلى جهة مبدئها بلا نهاية، فهي تنتقل بنفسها في أطوارها، وتقطع منازلها ومراتبها بتحريك محركها الذي هو مدد أعمالها، فالمتحرك والمسافة

---

(١) البقرة ٢٠٠.

شيء واحد بالذات مغاير بالاعتبار، فباعتبار أنها تقطع المسافة سالكة سائرة، وباعتبار أن كل جزء من أجزاء تلك المسافة درجة من درجات نفسها صراط ومسافة، فالنفوس صراطات إلى الآخرة، بعضها مستقيمة وبعضها منحرفة وبعضها منكوسة، والمستقيمة بعضها واصلة وبعضها واقفة، والواصلة بعضها سريعة وبعضها بطيئة، والمستقيمة منها هي التي تسير بقدم أعمالها الصالحة المحركة لها ومدد أفعالها الكريمة التي عرف العقل حسنها وكان رضا الله سبحانه فيها، لأن الأعمال الصالحة والأفعال الكريمة المرضية كانت مستقيمة، لكونها مطابقة لأمر الله ونهيه اللذين هما مستقيمان لمطابقتهما لفعل الله الذي عليه قصد السبيل، فإذا حركت الأعمال الصالحة المستقيمة العبد السالك السائر إلى الله حرّكته إلى جهة الاستقامة فكان صراطه مستقيمًا.

والمنحرفة منها هي التي تسير بأعمالها التي كانت منحرفة لكونها غير مطابقة لأمر الله ونهيه.

والمنكوسة منها هي التي تسير على عكس ما أمر الله ونهيه، لأن أعمالها المحركة لها منكوسة، وأظلة معاكسة لأوامر الله ونواهيه، فتحركت النفوس العاملة بحركة أعمالها المخالفة للشريعة المغيرة للخلقة المبدلة للفطرة التي فطر الناس عليها، فكانت صراطاتها منكوسة، ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾(١) قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ﴾(٢).

والواقفة منها هي التي تسير بقدم مضطرب غير ثابت، فصعدت

---

(١) السجدة ١٢.

(٢) الملك ٢٢.

بعمل صالح درجة، وانحطت بعمل طالح درجة، وصعدت بصالح آخر درجة، وانحطت بطالح آخر درجة، وهكذا يتردد ما بين الصعود والنزول ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾(١)، ومثل هؤلاء كمثل بني إسرائيل حيث كانوا في التيه لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه، هذا معنى كونها واقفة لا أنها واقفة أي ساكنة لا تتحرك لا تصعد ولا تنزل، فإن الوقف بهذا المعنى لا يكون لشيء من الممكنات لاحتياجها وفقرها إلى المدد دائمًا فافهم.

والواصلة منها هي التي تسير إلى الله تعالى في الطريق الذي أمرهم بسلوكه، وليس لذلك الطريق نهاية فهي واصلة وغير واصلة، على حد قوله تعالى كما في حديث الأسرار حيث يقول تعالى في شأنهم في محل قربه ودار كرامته: (كلما وضعت لهم علمًا رفعت لهم حلمًا وليس لمحبتي غاية ولا نهاية).

والسريعة منها هي التي تخففت فلحقت، واجتمعت قلوبها فأسرعت، وتجمعت شئونها على مرضاة الله تعالى فسبقت، حتى بلغت درجة المقربين الذين بسط لهم بساط القرب في دار رضوانه فهم ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ * فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ﴾(٢).

والبطيئة منها هي التي ثقلت بشوائب من أحوال الخلق في مخالطة أهل الدنيا، ففرقت قلوبها وتفرقت شئونها، فقعدت بها تصادم الدواعي فصارت بطيئة في سيرها.

---

(١) التوبة ١٠٢.

(٢) القمر ٥٤ ـ ٥٥.

وأكمل الصراطات المستقيمة وأشدها استقامة وأسرعها سيرًا وأقربها وصولًا نفس محمد ﷺ ، لأن الله سبحانه أمره ﷺ بالاستقامة بقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾(١) فأطاع أمره فاستقام حتى قال تعالى في حقه: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(٢) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾(٣).

ثم أتم الصراطات المستقيمة بعد رسول الله ﷺ نفس أمير المؤمنين عليه السلام ثم نفوس أولاده الطيبين الطاهرين صلوات الله عليه أجمعين، خلق الله سبحانه تلك الصراطات التي هي نفوسهم الملكوتية الكلية الإلهية على كمال الاستقامة وتمام العدالة، بحيث لا يسع ظرف الإمكان ودائرة الأكوان صراطًا أكمل استقامة وأتم عدالة منها، وهي في الحقيقة صراط واحد منسوب إليه سبحانه وهو صراط الله العزيز الحميد، الذي له ملك السماوات والأرض، ثم خلق سبحانه من شعاع نورها صراطات الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر المؤمنين، فالصورة الإنسانية هي الصراط المستقيم وهو الصراط الممدود بين الجنة والنار.

ومما ذكرنا ظهر أن استكمال النفس الإنسانية واستقامتها بحيث تكون صراطًا مستقيمًا إنما هو بالعلم والعمل، والمراد بالعلم هو العلم النافع وهو منحصر في ثلاثة أنواع من العلوم كما أشار إليها النبي ﷺ ، ففي الكافي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: (دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُلٍ فَقَالَ مَا هَذَا فَقِيلَ

(١) هود ١١٢.
(٢) الزخرف ٤٣.
(٣) الأنعام ١٥٣.

عَلامَةٌ فَقَالَ وَمَا الْعَلامَةُ فَقَالُوا لَهُ أَعْلَمُ الناسِ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا وَأَيامِ الْجَاهِلِيةِ وَالْأَشْعَارِ الْعَرَبِيةِ قَالَ فَقَالَ النبي ﷺ : ذَاكَ عِلْمٌ لَا يَضُر مَنْ جَهِلَهُ وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ، ثُم قَالَ النبي ﷺ : إِنمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنةٌ قَائِمَةٌ وَمَا خَلَاهُن فَهُوَ فَضْل)[1] فأشار ﷺ إلى أن العلم الذي ينفع من علمه هو منحصر في هذه العلوم الثلاثة.

والمراد بالآية المحكمة هنا: معرفة الله ومعرفة توحيده في مراتبه الأربع، ومعرفة أفعاله وأسمائه الحسنى وأمثاله العليا، كما سنذكر لك بعض البيان إن شاء الله تعالى.

والمراد بالفريضة العادلة هي: علم اليقين والتقوى، وهو العلم بكيفية تهذيب الأخلاق وتحصيل العدالة، وملكة التوسط بين الإفراط والتفريط في القوى الثلاثة الشهوية والغضبية والوهمية، والقوى الشهوية اعتدالها واستقامتها وحسنها أن يكون فعلها بالعقل الذي هو شرع باطن داخل، وبالشرع الذي هو عقل ظاهر خارج، بأن تكون جارية على طبقهما، ويكون صاحبها عفيفا متقيا لله سبحانه، وللنفس الأمارة وميولاتها وللخلق وعاداتها المخالفة للعقل والشرع، وهذه العدالة والملكة تحصل بالتدريج ومداومة الأحوال الطيبة حتى تثبت وتكون ملكة وصارت كالطبيعة الثانية، بل تكون طبيعة ثانية، وهي حينئذ فطرة مطابقة لفطرة الصنع التي فطر الله عليها عباده، وهي بين الإفراط الذي يكون صاحبه فاجرًا مثلًا وبين التفريط الذي يكون خاملًا، والخامل هو الساقط الذي لا باهة له.

(١) الكافي، ج١ ص٣٢ باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء.

واعتدال القوى الغضبية واستقامتها وحسنها أن يقصر انبساطها وانبقاضها على موجب العقل والشرع، بأن تكون مطابقة لمقتضاها، بأن يكون صاحبها شجاعًا مثلًا وهي ملكة مطابقة للفطرة الإيجادية، قال تعالى في وصف من اتصف بهذه الصفة: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ وهي بين الإفراط الذي يكون صاحبه متهورًا وهو من لا يبالي ولا ينظر العواقب، وبين التفريط الذي يكون صاحبه جبانًا، قال تعالى في ذم من اتصف بهذه الصفة: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾(١).

واعتدال القوة الوهمية واستقامتها وحسنها أن يكون بحيث يدرك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحسن والقبح في الأفعال، وبين الضار والنافع في الآراء والأعمال، وهذه الملكة هي الحكمة العملية وهي علة ثبات الحكمة العلمية النظرية وبقاؤها، وهي بين الإفراط الذي هو الجربزة من جربز إذا ذهب أو انقبض أو سقط معرب كربز، وهذا الإفراط يحصل منه آثار قبيحة كالدهاء والمكر والخداع والحيلة والغواية والشيطنة، لأن قوة الإدراك إذا لم تعتدل ولم تستقم بتأديبات العقل والشرع تحصل منه هذه الصفات القبيحة وأمثالها، وإذا اعتدل بتأديبات العقل والشرع حصل منه التفرقة بين الحق فيأخذ به وبين الباطل فيترك، فيحصل منه جودة الذهن والفهم والتفطن لدقائق الأعمال وآفات النفس الأمارة، والظن الصحيح والرأي المصيب ولطافة الحس وذكاء الفهم، وبين التفريط الذي يكون

---

(١) الأحزاب ١٩.

صاحبه أبله أي الغافل والأحمق الذي لا تمييز له، والقليل الفطنة لدقائق الأمور، والمتحير والمنخدع.

وإذا استقامت النفس على الطريقة الوسطى بين الإفراط والتفريط من هذه القوى الثلاثة حصلت لها هيئة انكسارية أي خاضعة ذليلة للشرع، مطيعة منقادة للعقل، وهيئة إذعانية أي سريعة في طاعتهما وامتثال أمرهما.

والمراد بالسنة القائمة هي العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المستفادة من الكتاب والسنة الذي يسمى بعلم الفقه وعلم الشريعة، كما أن الثاني يسمى بعلم الطريقة وتهذيب الأخلاق، والأول بعلم الحقيقة التي سأل عنها كميل بن زياد النخعي أمير المؤمنين عليه السلام فأجابه عليه السلام بأنها (كشف سبحات الجلال من غير إشارة) الحديث.

وطريق تحصيل هذه العلوم الثلاثة واكتسابها الزهد في الدنيا والخروج عن شهواتها ولذاتها، وترك متابعة أهواء النفس الأمارة وميولاتها وآرائها، والتوجه إلى الله تعالى وإلى الآخرة بالموت الاختياري، ومداومة الأعمال الصالحة، والتفكر في آيات الله سبحانه التي أراها عباده في الآفاق والأنفس، والتدبر في آيات القرآن الذي فيه شفاء ورحمة للمؤمنين، والنظر في أخبار الأئمة المعصومين الهادين، لا بكثرة التعليم والتعلم ومطالعة كتب الفلاسفة، والنظر في الأصول المستحدثة التي صدرت عن الآراء الباطلة والعقول الضعيفة، وظهرت من العيون الكدرة التي يفرغ بعضها في بعض كما قال النبي صلى الله عليه وآله : (ليس العلم بكثرة التعلم وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء فينفسح فيشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء، قيل وهل

لذلك من علامة، فقال ﷺ: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله)[١].

وكما روي عن النبي عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال للحواريين: (ليس العلم في السماء فينزل عليكم، ولا في الأرض فيصعد إليكم ولكنه مجبول في قلوبكم تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم).

وكما قال الصادق عليه السلام: (بالحكمة يستخرج غور العقل وبالعقل يستخرج غور الحكمة) يعني بالعمل يستخرج غور العلم وبالعلم يستخرج غور العمل، والعمل الصالح الذي تستقيم النفس وتستكمل بمداومته هو ما أمر الله تعالى به عباده من الفرائض والسنن، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[٢] وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾[٣] وقال تعالى: (ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها) الحديث.

والحاصل أن الصورة الإنسانية التي هي الصراط المستقيم لها حدود مضبوطة وخطوط مستقيمة، وهي حد المعرفة، وحد التوحيد، وحد الإيمان، وحد التصديق، وحد العلم، وحد الفهم، وحد العقل، وحد الحلم، وحد التوكل، وحد اليقين، وحد الرضا، وحد التسليم، وحد الخوف، وحد الرجاء، وحد الزهد، وحد القناعة، وحد العفة، وحد التقوى، وحد التواضع، وحد الصبر، وحد الشكر، وحد

---

(١) التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية، ص٢٢. شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٣ شرح فقرة: (محقق لما حققتم).

(٢) البقرة ٤٥.

(٣) طه ١٣٢.

العدل، وحد الإحسان، وحد التعطف، وحد المواساة، وحد الصدق، وحد الأمانة، وحد الإخلاص، وحد المحبة، وحد الإنصاف، وحد الوقار، وحد الذكر، وحد الفكر، وحد التوبة، وحد الاستغفار، وحد الدعاء، وحد الكرم، وحد السخاوة، وحد الشجاعة، وحد الانقياد، وحد الاقتصاد، أي السلوك في الطريقة الوسطى في كل شيء، فهذه وأشباهها من الخصال المحمودة من حدود الصورة الإنسانية.

وأما الخطوط فهي خط الصلاة، وخط الزكاة، وخط الصوم، وخط الحج، وخط الجهاد، وخط الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وخط المحافظة على الصلوات، وخط السبق إلى الخيرات، وخط إجراء الصدقات والمبرات، وخط الطهارة، وخط النظافة، وخط التلاوة، وخط الطاعة، وخط العبادة، فهذه وأمثالها من الخطوط المستقيمة خطوط الصورة الإنسانية.

وهذه الحدود والخطوط يعبر عنها تارة بمواقف الصراط، وتارة بالعقبات الكؤود، ومن ثبّت الله سبحانه قدمه على تلك الحدود ومرَّ على متن هذه الخطوط التي هي الصراط المستقيم في الدنيا، واقتحم عقبات تكليفه، وجاوز مواقف صراطه بالعلم والعمل النافعين المجاوزين للعبد عن المهالك، الرافعين له إلى درجته في الجنة، فقد مر على الصراط الممدود بين الجنة والنار في الآخرة، ومن زل قدمه عنها وتكاسل عن الاقتحام والتجاوز في الدنيا فهو من الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم عن الصراط لناكبون.

فالصراط المستقيم الذي إذا سلكته في الدنيا أوصلك إلى معرفة الله التي لا تحصل إلّا بسبيل معرفتهم عليهم السلام، وإلى محبته عز وجل التي

لا تتحقق إلّا بمحبتهم ومتابعتهم في جميع الأقوال والأعمال والاعتقادات، ويبلغك إلى الجنة التي هي عين تلك المعرفة والمحبة، وثمرة تلك الأقوال والأعمال والاعتقادات، وهي في الدنيا غائبة عن الأبصار وتظهر في الآخرة للأخيار والأبرار، هو بعينه نفسك وصورة إنسانيتك التي هي الجسر الممدود على متن طبيعتك، التي هي مبدأ أعمالك وأفعالك وأقوالك، وأنت تسير فيه إلى باب الرضوان، وتمر عليه متوجهًا إلى منازلك في الجنان، بقدم أعمالك الصالحة وأفعالك الكريمة وأقوالك الحكيمة وأحوالك الطيبة المستقيمة، ونور معرفتك الحقة وعلومك النافعة، وهو في هذه الدار أي الدنيا كسائر الحقائق الغائبة عن الأبصار، لا تشاهد أنت ولا من هو مثلك في المرتبة أو هو دونك في الرتبة له صورة معينة، أي صورة صراطية معروفة قبل موتك الاختياري أو الاضطراري.

والأول هو الموت الإرادي الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: (موتوا قبل أن تموتوا) وقد عرفت معناه مما أشرنا إليه سابقًا في باب المعاملة مع الآخرة فراجع.

والثاني هو الموت الطبيعي الذي يدركك عند انقضاء أجلك ولو كنت في بروج مشيدة، ولا بد لكل ذي روح أن تذوقه.

وأما إذا انكشف غطاؤك بالموت الاختياري، وخرجت من قبر طبيعتك الجسمانية التي غطت بصيرتك، وقامت قيامتك، وخرجت من ظلمات إنيتك وشهواتك التي هي البرزخ والحاجز بينك وبين بصيرتك، إلى فضاء أنوار المعارف الإلهية وعرصة بروز الحقائق الأخروية، أو مت بالموت الطبيعي ودخلت في البرزخ وأقمت فيه إلى أن ينفخ في الصور، وخرجت إذا نفخ فيه أخرى مع أصحاب القبور

إلى عرصة القيامة الذي هو يوم البعث والنشور، يكشف لك في ذلك اليوم عن الحقائق التي من جملتها حقيقة الصراط، فتراه حينئذ جسرًا محسوسًا ممدودًا على متن جهنم، وترى صراطك المخصوص بك أيضًا جسرًا ممدودًا على متن جهنمك ونارك، التي كانت في الدنيا كامنة في قعر طبيعتك، غائبة في ظلمات شهواتك وغواشي إنياتك وبطون أعمالك وأقوالك الباطلة وأخلاقك السيئة واعتقاداتك الفاسدة، وتعرف أن ذلك الجسر الممدود الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر صنعك وبناؤك، فيقال لك: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾[(١)] هذا إذا لم يكن صراطك في الدنيا مستقيمًا بل كان منحرفًا أو منكوسًا، وكنت تمشي مكبًا على وجهك، وتمر على صراطك بقدم أعمالك الطالحة بمقتضى شهواتك ودواعي إنياتك، وكنت في مسيرك متوجهًا إلى مقاصدك الباطلة وأغراضك الفاسدة.

وأما إذا كان صراطك مستقيمًا في الدنيا، ومشيت عليه سويًا بقدم أعمالك الصالحة، ونور معرفتك وعلومك النافعة، تراه يوم القيامة طريقًا واسعًا أوسع مما بين الأرض والسماء، وصراطًا مستقيمًا هو طريقك إلى الجنة، فتمر عليه ماشيًا، أو كعدو الفرس، أو كالبرق الخاطف، على قدر نورك وسرعة سيرك بقدم علمك وعملك في الدنيا، وتعلم أن ذلك الجسر الممدود صنعك وبناؤك، وأنك كنت قبل ذلك تقطع مسافته وتمر عليه بالعلم والعمل، وكان هو طريقك إلى الجنة، وكان فيه مواقف وعقبات كؤود، وأنت قد جاوزت تلك المواقف بفضل الله ورحمته، واقتحمت تلك العقبات بحوله وقوته،

---

(١) ق ٢٢.

وحينئذ تذكر قولك في الدنيا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[1] وهدايته تعالى وتقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[2].

هذا إذا فسر الصراط المستقيم بالطريق المؤدي إلى محبة الله والمبلغ إلى جنته، أو فسر بالصورة الإنسانية أو بالصراط الذي هو جسر جهنم، أو بطريق المؤمنين إلى الجنة في الآخرة، أو بالطريق إلى معرفة الله الظاهرة على مذاق أهل الظاهر، وأما إذا فسر بالطريق إلى معرفة الله تعالى على مذاق أهل الباطن وهم أهل المعرفة الحقيقية، فالمراد به هو معرفة النفس العليا التي من عرفها فقد عرف ربه، فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)[3] وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[4]، ولا يكاد يختلف في هذا أي المراد من الروايتين اثنان من الحكماء المتقدمين والمتأخرين والعلماء من أهل المعرفة أجمعين، والكتاب والسنة والعقل شاهدة بهذا، وإنما اختلف العلماء والحكماء في المعنى المراد منه.

[شرح قوله عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)]

فقيل إن قوله عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) من باب التعليق على المحال، فإن معرفة النفس محال فكذا معرفة كنه ذات الحق عز وجل.

---

(١) الفاتحة ٦.

(٢) الأعراف ٤٣.

(٣) الجواهر السنية، ص١١٦.

(٤) بحار الأنوار، ج٢ص ٣٤.

وقيل معناه أن من عرف نفسه بصفة العلم مثلًا فقد عرف ربه بأنه عالم، ومن عرف نفسه بصفة القدرة فقد عرف ربه بأنه قادر، ومن عرف نفسه بصفة السمع فقد عرف ربه بأنه سميع وهكذا، وقيل بالعكس كما نقل عن داوود النبي عليه السلام أنه قال ما معناه أن من عرف نفسه بالجهل فقد عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالعجز فقد عرف ربه بالقدرة وهكذا.

وقيل من عرف نفسه الحيوانية الحسية الفلكية بأنها ليست في مكان من الجسد ولا يخلو منها مكان منه، وليست داخلة فيه على جهة الممازجة والحلول، ولا خارجة عنه على جهة البينونة والعزلة، بل هي مدبرة للبدن بغير مباشرة ولا مشاركة له في شيء من أحوال الأجساد، فمن عرف نفسه كذلك فقد عرف ربه تعالى بأنه لا يخلو منه مكان ولا يحويه مكان، داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء، خارج عن الأشياء لا كخروج شيء عن شيء، وأنه مدبر للعالم جارٍ فيه أمره نافذ فيه حكمه.

وقيل من عرف نفسه الناطقة القدسية فيما أضاف إليها في قوله: عقلي وروحي ونفسي وطبيعتي وجسمي وجسدي ورأسي وسمعي وبصري ولساني ويدي ورجلي وملكي وداري وبيتي وثوبي وما أشبه ذلك، بأن المضاف إليه هذه الأشياء وهو المعبر عنه بضمير المتكلم غيرها وهي غيره، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه فقد عرف ربه في قوله تعالى عرشي وسمائي وأرضي وملكي وبيتي وعبدي وجنتي وناري وما أشبه ذلك، بأنه سبحانه غير هذه الأشياء وهي غيره تعالى، وإن كان جميعها في قبضة قدرته وملكه.

وقيل معناه من عرف نفسه بأنه مصنوع فقد عرف أن له صانعا،

ومن عرف نفسه بأنه أثر فقد عرف أن له مؤثرًا، ومن عرف نفسه بأنه ممكن فقد عرف أنه يحتاج إلى واجب وهكذا.

أقول: أول هذه الأقوال وهو قول من جعل معنى قوله عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) من باب التعليق على المحال ليس بسديد، وإن كانت معرفة كنه ذاته تعالى محالا، لأن المراد بمعرفة الرب عز وجل معرفته بما وصف به نفسه لا معرفة كنه ذاته سبحانه التي لا يمكن حصولها للممكن، ومعرفة النفس ليست بمحال حتى يصح تعليق معرفة كنه ذات الحق عز وجل عليها، كيف وقد قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾(١) فقد دل مفهوم الآية والصفة على أن الله سبحانه أشهد الهادين عليهم السلام خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم واتخذهم أعضادًا، يعني أعضادًا لخلقه تعالى كما ذكره الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب في قوله: (أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلّا أنت)(٢) الدعاء، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾(٣)، وقال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٤) فإذا عرفوا أنفسهم عرفوا ربهم فأين التعليق على المحال، على أن إحدى الروايتين وهي قول النبي صلى الله عليه وآله: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) تدل على أن بعض العارفين يكون أشد معرفة وأكثر بصيرة بنفسه من بعض، فكيف تكون معرفة النفس محالًا.

---

(١) الكهف ٥١.
(٢) فصلت ٥٣.
(٣) فصلت ٥٣.
(٤) الذاريات ٢٠ ـ ٢١.

وأما باقي الأقوال المذكورة صحيحة لا بأس بها، إلّا أنها ترجع إلى معرفة أصحاب الأنظار من المتكلمين، وأهل الآثار من المستدلين، لا معرفة أصحاب الأفئدة وأهل الشهود والمحبة، الذين سلكوا في طريق معرفتهم مسلك إمامهم سيد الشهداء عليه السلام، وعرفوا مراده عليه السلام بقوله: (أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَزَالُ [تَرَاكَ] عَلَيْهَا رَقِيبًا وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا)(١).

وقد أشار الصادق عليه السلام إلى صحة تلك الأقوال وكيفية الاستدلال، أي الاستدلال بالأثر على المؤثر على مذاق أهل الظاهر بقوله عليه السلام: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢) يعني موجود في غيبتك وفي حضرتك)(٣) كذا في مصباح الشريعة.

والمراد بالعبودية هنا الأثر وبالربوبية المؤثر له، والمراد بالربوبية هنا الربوبية إذ مربوب التي هي فعله تعالى ومشيئته، لا الربوبية إذ لا مربوب التي هي ذاته القديم عز وجل، والربوبية إذ مربوب كحركة يد الكاتب، والعبودية كهيئة الكتابة أي المكتوب، والكتابة تدل على حركة يد الكاتب، فإذا رأينا الكتابة حسنة عرفنا أن حركة يد الكاتب

---

(١) إقبال الأعمال، ج١ ص٣٤٩.

(٢) فصلت ٥٣.

(٣) مصباح الشريعة، ص٤٥٣.

مستقيمة وبالعكس، لأن حركة اليد هي ربوبية الكتابة يعني المؤثر القريب ولا تدل على المؤثر البعيد، كالكاتب الذي هذه الربوبية صفته، أي لا تدل هيئة الكتابة على هيئة الكاتب ولا حسنها على حسنه ولا قبحها على قبحه، وإنما يدل على حركة يد الكاتب واستقامتها وعدم استقامتها، نعم تدل الكتابة باللزوم على وجود كاتب كتبها، كدلالة كل مصنوع على صانع صنعه، فالكتابة صفة الكاتب صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له، وأثر فعله الذي يستدل به على وجوده ويعرف به كمال صنعه واستقامة حركة يده، وكل أثر يشابه صفة مؤثره التي بها التأثير، كأثر قدم زيد فإنه يشابه هيئة قدم الإنسان، وكأثر قدم الفرس فإنه يشابه هيئة قدم الحيوان، وكهيئات الحروف فإنها تشابه هيئات حركة يد الكاتب، كل حرف تشابه هيئته هيئة حركة خاصة به صدر ذلك الحرف عنها، فقوله عليه السلام: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية) يعني أن جوهر النفس الإنسانية أثر يشابه صفة الربوبية التي هي كنه ذلك الجوهر والمؤثر له، خلق الله سبحانه ذلك الجوهر على هيئة معرفته، وأجرى فيه من صفات ربوبيته، وهو الكتاب الذي كتبه الله تعالى بيده قال عليه السلام:

دواؤك فيك ولا تبصر ... وداؤك منك ولا تشعر
وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

فمن قرأ كتابه ونظر في حروف نفسه وعرف صفاتها وهيئاتها فقد عرف ربه الذي كتب ذلك الكتاب بيده، وأجرى فيه من صفات ربوبيته وهيئات فعله ومشيئته، فمن عرف نفسه بصفة العلم مثلا فقد عرف ربه بأنه عالم ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[1] ومن عرف نفسه بصفة

---

(١) الملك ١٤.

القدرة فقد عرف ربه بأنه قادر، ومن عرف نفسه بأنه يسمع ويرى فقد عرف ربه في قوله ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[١] لأن العبودية جوهرة كنهها الربوبية، وكل أثر يشابه صفة مؤثره.

وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: (وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية) يعني أن كل صفة كمال كامنة في الربوبية، وهي مما يمكن أن يظهر أثرها في العبودية ويصل إليها أصيب فيها، بخلاف ما لا يمكن وصولها إلى العبودية كالصفات التي هي من خصائص الربوبية فإنها مختصة بها مستقرة في ظلها لا تخرج منها إلى غيرها فلا تصل إلى العبودية.

مثال ما ذكرنا أنت وصورتك، فإن صورتك المتصلة بك هي الربوبية، وصورتك المنفصلة عنك في المرآة هي العبودية، فكل ما يمكن أن يصل إلى صورتك في المرآة ويظهر فيها من آثار صورتك المتصلة بك وصفاتها وهيآتها يصل إليها ويظهر فيها، وما لا يمكن أن يصل إليها ويظهر فيها منها لم يصل إليها ولم يتجاوز عنها، مثلًا صورتك المتصلة بك ذات مستقلة بنفسها مستغنية عن غيرها قديمة فيك دائمة بدوامك باقية ببقائك سميعة بنفسها بصيرة بذاتها، وصورتك المنفصلة في المرآة صفة غير مستقلة بنفسها فقيرة إلى غيرها محتاجة إلى موصوفها حادثة في المرآة حين تجلت بصورتك المتصلة لها بها، تفنى كلما أردت فناءها فأعرضت عنها، وتبقى بإبقائك لها فيما شئت بقاءها لا تسمع ولا تبصر إلّا بك، فهذه الصفات وأمثالها من خصائص الربوبية ولا يمكن وصولها إلى العبودية، وهذا معنى

---

(١) طه ٤٦.

قوله عليه السلام (فما فقد في العبودية وجد في الربوبية) وعلى ما أشرنا إليه يجري تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾(١).

وما نقل عن داود النبي عليه السلام من أن من عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغناء وهكذا، فهو إشارة إلى نحو ما أشرنا إليه، فإن من عرف نفسه بالجهل الذي هو من لوازم الإمكان وبفقدان العلم المطلق الذاتي الذي هو من خصائص الوجوب، وأن كل عالم فمن بعد جهل تعلم، وعرف نفسه بالعجز الذي هو سمة الممكن، وبفقدان القدرة القاهرة الذاتية التي هي من صفات الواجب، وعرف نفسه بالفقر الشامل للخلق أجمعين الذي هو شعار وفخر العارفين، وكاد أن يكون كفرا للجاهلين وهو سواد الوجه في الدارين لقوم آخرين، وبفقدان الغناء المطلق الذي هو لله رب العالمين، فقد عرف ربه بالعلم الذي لا جهل فيه، والقدرة القاهرة التي لا عجز فيها، والغناء المطلق الذي لا يعتريه الفقر أبدًا، لأن العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية، فافهم فإن المسلك دقيق.

فالعبودية آية معرفة الله التي يعرف بها الأنبياء والمرسلون والأولياء ما يراد منهم من المعارف، إلّا أن معرفتهم بها على النحو الذي ذكره العلماء، ونحن قد بينا مرادهم فيما ذكروه هي طريق معرفتهم عليهم السلام في الظاهر.

وأما طريق معرفتهم في الباطن التي هي المعرفة الحقيقية، فهو

---

(١) الكهف ١٨.

طريق معرفة النفس العليا التي هي كنه الشيء من ربه، لأنه تعالى لما خلق الإنسان وكونه فانخلق وتكوّن وقبل الكون، كانت له حقيقتان، حقيقة من ربه وهي التي نسميها بالنفس العليا التي من عرفها فقد عرف ربه، وحقيقة من نفسه وهي التي نسميها بالماهية والصورة، كما أن تلك الحقيقة تسمى بالوجود والمادة الأولى، فحقيقة الشيء من ربه هو وجوده المعبر عنه تارة بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، وتارة بنور الله، قال عليه السلام: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[١]، وقال الصادق عليه السلام: (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته، فالمؤمن أخو المؤمن، أبوه النور وأمه الرحمة) ثم استشهد عليه السلام بكلام جده أمير المؤمنين عليه السلام: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ثم قال عليه السلام: (يعني بنوره الذي خلق منه)[٢] انتهى.

وتارة يعبر عنها بالفؤاد كما قال الصادق عليه السلام: (إذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة)[٣] الحديث.

وتارة يعبر عنها بالآية أي آية معرفة الله تعالى وبالحق المخلوق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٤].

وتارة يعبر عنه بمقام الرب كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٥]، وقال الحجة عليه السلام في دعاء

---

(١) الكافي، ج١ ص٢١٨.

(٢) المحاسن، ج١ ص١٣١.

(٣) مصباح الشريعة، ص١١٩ ٤٣.

(٤) فصلت ٥٣.

(٥) النازعات ٣٩ ـ ٤٠.

شهر رجب: (ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك)[١] الدعاء.

وتارة يعبر عنه بكلمة الله العليا وبالكلمة الطيبة.

وتارة يعبر عنه بالحقيقة وبالجلال وبالمعلوم وبالسر الإلهي وبالأحدية وبالنور المشرق من صبح الأزل، كما في حديث كميل حين سأل أمير لمؤمنين عليه السلام عن الحقيقة فقال عليه السلام: (ما لك والحقيقة) إلى أن قال: (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة)[٢] الحديث.

وربما يعبر عنه في لسان أهل المعرفة بالأنموذج الفهواني[٣] والخطاب الشفاهي[٤] والمادة الأولى[٥] والنفس العليا كما تقدم.

---

(١) دعاء الإمام الحجة عليه السلام في كل يوم من رجب.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٨١.

(٣) قال شيخنا الأجل الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره الشريف في شرحه على المشاعر: (ومعنى الأنموذج معرَّب (نمونه) أي مختصرًا من صفة معالمه ومقاماته التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفه بها مَن عرفه، ومعنى الفهواني خطاب الله سبحانه لعبده في سلوكه إليه بطريق المكافحة، أي بطريق كشف الغطاء عنه وجذبه إليه ومُشَافَهته به، فيكون هذا النقش الأنموذجي هو حقيقة عبده من ربّه، يعني أنَّ وجوده الذي هو نور الله سبحانه وأثره آيةُ معرفتِهِ وصفة ظهوره به له، وهي صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له كما قال أمير المؤمنين عليه السلام).
وقال طيب الله ثراه في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة في شرح قوله عليه السلام: (والمخلصين في توحيد الله): (النقش الفهواني التعريفي الذي هو الوصف والتعريف والتعرف من الله سبحانه لعبده وهو حقيقته من ربه وهو نور الله الذي يرى به المتوسم المتفرس وهو الفؤاد وهو الصحو وهو الأحدية وهو المعلوم وهو الجلال وهو أول فائض عن المشيئة مما يختص به وهو الوجود الراجح فيما لك من الوجود الراجح المطلق وما أشبه ذلك).

(٤) الخطاب الشفاهي: خطاب الحق للخلق على نحو المشافهة والمكاشفة، والتصوير بصورة المعرفة، أي إرائة الفؤاد والآية ليرى ذا الآية.

(٥) ذكر الشيخ سعيد القريشي تحقيقًا لطيفًا حول المادة الأولى عن تحقيقه على كتاب=

=الهداية في البيان والمعاني من تأليفات الشيخ أبو تراب القزويني، أحببت أن أورد هذا التحقيق هنا لما فيه من عظيم المنفعة وكثير الفائدة (المادة الأولى للخلق:
أ) المادة الأولى للخلق في تعبير الحكمي:
قال الشيخ في شرح المشاعر: (فالموجود هو الطينة التي خلق منها كل شيء وقد اصطلحوا على تسميتها باعتبار أحوالها تسهيلا لإدراك المعنى واختصارا للتعبير فباعتبار كونها جزءا للمركب تسمى ركنا وباعتبار ابتداء التركيب مهنا تسمى عنصرا وباعتبار انتهاء التحلل إليه يسمى استقصا وباعتبار كونها قابلة للصور الغير المعينة تسمى هيولى وباعتبار قبولها للصورة المعينة تسمى مادة وباعتبار كون المركب مأخوذا منها تسمى أصلا وباعتبار كونها محلا للصور المعينة بالفعل تسمى موضوعا وهي في الحقيقة شيء واحد وهي الطينة وهي الماء وهي الوجود والمراد منها هو الوجود الذي أحدثه الله لامن شيء وهو أثر فعله التكويني ومتعلقه ولم يكون سبحانه بفعله التكويني ابتداء غيره ثم قسمه على أربعة عشر قسما فبقى نازلا في مراتب إجابته وطاعته يسبحه ويحمده ويهلله ويكبره ألف دهر كل دهر فيما ظهر لي مائة ألف سنة ثم كون من شعاع ذاته جميع الذوات المجردة التي هي أرواح أنبيائه عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة ثم كون من شعاع الذوات ذوات من دونها وهكذا كما ذكر وخلق من هيئات الوجود الأول الذي هو الذوات الأربعة عشر صفات الذوات المجردات التي هي مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وأعراضها ومن شعاع هيئاتها هيئات من دونها وهكذا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت).
ب) المادة الأولى للخلق في التعبير العلمي:
تختلف الحصة المادية للإنسان عن الحصة المادية للحيوان وحصة الإنسان المادية أخذت من تحت فلك القمر وهي تتكون من عشر قبضات يقول الشيخ: (ثم اعلم أن الحيوانية التي يعبرون عنها بالتحريك (بالتحرك خ ل) بالإرادة كانوا قد جعلوا الحيوان جنسا لكل متحرك بالإرادة فيأخذون منه أي من هذه الحقيقة حصة فيضمون إليها الناطق ويقولون هذه حقيقة الإنسان من نبي ومؤمن وجاهل وكافر ويأخذون من تلك الحقيقة بعينها حصة ويضمون إليها الصاهل ويقولون هذه حقيقة الفرس عتيقها وهجينها ومقرفها ويأخذون منها أيضًاحصة ويضمون إليها النابح ويقولون هذه حقيقة الكلاب بجميع أصنافها ويأخذون منها حصة ويضمون إليها الناعق ويقولون هذه حقيقة الغراب بجميع أنواعه وهكذا ويلزم من هذا تساويها في الحيوانية التي هي الوجود أو المادة أو كالمادة=

فهذه ثمانية عشر عبارة تطلق على حقيقة الشيء من ربه، فأي لفظ وعبارة سمعت منا من هذه العبارات المذكورة فإنا نريد بها ما أشرنا إليه من تلك الحقيقة، وكأني بك تطلب مني زيادة وتوضيح وبيان لمعرفة حقيقة النفس، وبيان كيفية الوصول إلى ذلك الأنموذج الفهواني والخطاب الشفاهي.

=على قولهم لا تمايز بينها إلّا بالفصول التي هي الصور أو كالصور عندهم ويلزمهم أن حيوانية الأنبياء عليهم السلام من طينة الحيوانات والحشرات تجمعها رتبة واحدة من الوجود فطينة أول الخلق من طينة الحشرات والعياذ بالله أو أنهم انتزعوا مفهوما كليا من مدلول لفظ متحرك بالإرادة وعلى هذا إن صدق على الحيوانية الخارجية ولو في أفرادها رجع عوده على بدئه وإن لم يصدق فتلك الأنواع لم يخلق مما في أذهانهم وإنما خلقت مما هو في الخارج وإلا لخلقوا وخلقت أذهانهم مما في أذهانهم وأما على قول ساداتنا عليهم السلام فكل جنس من رتبته وأنواعه حوله وأفراده كل حول نوعها فقد خلقت حيوانية محمد وآله صلى الله عليه وآله قبل خلق حيوانية أنبياء الله عليهم السلام بألف دهر كل دهر مائة ألف سنة أو ثمانون ألف سنة ثم خلقت حيوانية الأنبياء عليهم السلام من شعاع الأولى قبل خلق حيوانية الناس بألف دهر ثم خلقت حيوانية الملائكة ثم الحيوانات فكل متأخرة حقيقة بعد حقيقة ما قبلها أو مجاز بالنسبة إليها ولا يصدق الاسم عليها بالاشتراك اللفظي ولا المعنوي إلّا بلحاظ المفاهيم كما مر نعم الاشتراك في التسمية خاصة ولو قيل بالاشتراك اللفظي أمكن تصحيحه على تأويل والكلام في فصولها كالكلام فيها هكذا ما هو المعلوم عندنا من مذهبهم عليهم السلام ولو قيل بأن الحصص لا وجود لها ولا تحقق إلّا بانضمام الفصول قلنا يمكن توجيهه بأن نقول أن الحصة المقبولة التي هي حصة الحيوان وحصة الوجود كحصته في زيد يتوقف وجودها على وجود قابلها التي هي الماهية الأولى أعني الانفعال كالانكسار للكسر وهي الصورة وهي الفصل إلّا أنا نقول إن توقف وجود المقبول على وجود القابل توقف ظهور وتوقف وجود القابل على وجود المقبول توقف تحقق فافهم إن شاء الله تعالى راشدًا موفقًا).

[زيادة بيان لمعرفة حقيقة النفس وبيان كيفية الوصول إلى ذلك الأنموذج الفهواني والخطاب الشفاهي]

فأقول: اعلم أن الله سبحانه لما كان في الأزل الذي هو ذاته تعالى كان وكل ما سواه في الإمكان، ولا يمكن أن يصل شيء من الإمكان إلى الأزل فيدرك ما هناك في رتبة الأزل، ولا يجوز أن ينتقل الأزل عز وجل إلى الإمكان فيجده من في الإمكان في رتبة الإمكان، وكان أحب أن يعرف، أي أراد بجوده وكرمه أن يعرفه عباده وخلقه، وكان لا يمكن أن يعرفه أحد من نحو ذاته تعالى لما ذكرنا، وصف نفسه لمن أراد أن يعرّفه نفسه وخاطبه في ذلك التوصيف بلسانه ولغته، وألبسه صورة قبوله، وأنزله من غيب الإمكان إلى رتبته في الأكوان، فظهر ذلك الوصف التعريفي والخطاب الشفاهي بنفس من أراد أن يعرّفه نفسه، وأنت من ذلك الوصف التعريفي والخطاب الشفاهي الذي وصف نفسه لك بك، وخاطبك بلسانك ولغتك مشافهة حين قال لك في عالم الذر بعد أن أشهدك على نفسك ألست بربك ومحمد نبيك وعلي وليك والأئمة من ولده أئمتك فقلت: بلى.

فقولك بلى هو حقيقتك من نفسك، وخطابه تعالى أي الخطاب الشفاهي والوصف التعريفي هو حقيقتك من ربك، وهي نفسك العليا التي إذا عرفتها عرفت ربك، ومثال حقيقتك من ربك التي هي وصف الله الذي وصف به نفسه لك، وحقيقتك من نفسك التي هي قبولك لتلك الحقيقة وانفعالك لفعل التجلي حين تجلى ربك لك بك، كصورة السراج التي ظهرت في المرآة، فإن للصورة في المرآة حقيقتان، حقيقة من ربها وهي هيئة شعلة السراج المشرقة على المرآة، وهي الهيئة المنفصلة، أعني الهيئة التي أشرقت على المرآة لا

الهيئة التي قامت بالشعلة قيام عروض، لأنها متصلة بها لا تنفصل عنها، وإنما ينفصل عنها شبحها وهو الواقع على المرآة، وهو حقيقة الصورة من الشعلة.

وحقيقة من نفسها وهي هيئة المرآة التي تختلف بها الصورة على حسب كبرها وصغرها وبياضها وسوادها وصفائها وكدورتها واستقامتها واعوجاجها وغير ذلك من الصفات المتممة للقابلية، فحقيقتها من ربها هي مادة الصورة في المرآة، وحقيقتها من نفسها هي صورة الصورة فيها، وبهما معا تحققت الصورة السراجية وظهرت في المرآة، فإذا عرَفَت الصورة نفسها وحقيقتها من ربها التي هي نفسها العليا وهي هيئة الشعلة المنفصلة التي أشرقت على المرآة عرفت الشعلة التي هي ربها، فالنار الغائبة في السراج هي آية ذات الله عز وجل التي كانت في الأزل ولا يخرج منها شيء إلى الإمكان ولا يصل إليها شيء من الممكن فيخبر عما هناك، فلا يلحق أحد وصفه من معاينة ولا يجد أحد كيف هو من سر وعلانية إلّا بما وصف به نفسه، والنار الظاهرة بأثرها في السراج هي آية المشيئة التي خلقت بنفسها، أي خلقها الله سبحانه بنفسها وأمسكها بظلها، والدهن الذي يستمد منه الدخان الذي هو أحد ركني الشعلة هو آية الإمكان، والمستحيل من الدهن بحرارة النار دخانا هو آية الحقيقة المحمدية ﷺ، والدخان المستنير بمس النار الذي حصل منه أي من مجموعها الشعلة هو آية المقامات التي لا فرق بين الله سبحانه وبينها في المعرفة إلّا أنها عباده وخلقه، وهي العنوان والمثال الملقى في هوية الخلائق، وهي بالنسبة إلى الواجب الحق تعالى كالقائم بالنسبة إلى زيد، والشعلة المرئية هي آية عقل الكل المعبر عنه تارة بباب الله وجنابه، وأخرى بروح القدس

الأعلى، وهو الاسم الذي أشرقت به السموات والأرض، وهو المصباح في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾[(١)] أي نار المشيئة، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ﴾ أي مصباح بعد مصباح وإمام بعد إمام، قال علي عليه السلام: (أنا من محمد كالضوء من الضوء)[(٢)] وأشعة السراج المحتاجة في وجوداتها وبقائها إلى النار الواقفة ببابها اللائذة بجنابها الذي هو الشعلة المرئية آية جميع الخلائق الفقراء إلى الله الغني، الواقفين بذلك الباب واللائذين بذلك الجناب، قال عليه السلام: (إلهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجنابك).

ثم اعلم أن السراج نسبته إلى الأشعة نسبة واحدة لا قرب فيها ولا بعد، وأما الأشعة فهي تقرب وتبعد باعتبار قابلياتها ومراتب وجوداتها، ولا يجوز أن يتولى السراج أبعد الأشعة بدون واسطة أقربها إليه، لعجز الأبعد عن ذلك بدون الواسطة، فلا يتأهل لذلك باختياره مما يحتمله لذاته إلّا أن يكون مقسورًا، إذ لو تولاه بدون الواسطة لم يكن الأبعد أبعد، ولا الأقرب أقرب، بل يتساوى لتساوي نسبته إلى جميع الأشعة، ويكون ضياؤها سواء، ولزم منه عدم ظهور السراج بالأشعة، ويلزم من ذلك عدم وجودها، وذلك لأن ظهور السراج بالأشعة ليس بشيء منه بل يتجلى جماله، وجماله له جمال، وجمال جماله له جمال وهكذا، وإلا لم يكن جمالًا، إذ الجمال ماله صفة حسنة يزيد على ما لا جمال له، وتلك الصفة إن كانت حسنة

---

(١) النور ٣٥.

(٢) الأمالي، ص٥١٤ المجلس السابع والسبعون. معاني الأخبار ص٣٥١.

كان لها حسن هو صفة لها وهو جمالها، وإلا لم تكن حسنة وهكذا، فإذا ظهر السراج مثلًا بنفسه لا بجماله لزم المحال، إذ الظهور صفة وهو نفس الأشعة، فإذا لم يظهر بنفسه بل ظهر بجماله لم يكن جماله مساويا لجمال جماله، وجمال جماله ليس مساويًا بجمال جمال جماله وهكذا، ولهذا ترى الأشعة متفاوتة في النورية فتكون أقربها إلى السراج أقوى نورًا وأشد حرارة ويبوسة من أبعدها إليه، فوجب أن يصدر عن السراج جماله، ويصدر جمال جماله عن جماله بفعل السراج، فلولا توسط الموصوف بين الفاعل والصفة لم تكن الصفة صفة للموصوف، بل تكون ذاتا لا صفة وهكذا، وحينئذ يلزم عدم ظهور السراج بالأشعة، ويلزم عدم وجودها، وقد عرفت أن الأشعة هي آية ومثال للمخلوقين المحتاجين الواقفين بباب الكرم والجود، اللائذين بجناب المعبود، فيلزم مما ذكرنا خفاء الممكنات وبقاءها في مكان من غيب الإمكان وعدم بروز شيء منها إلى الأكوان، لأن الصنع إذا لم يجر على مقتضى الحكمة لم يحس الإيجاد أصلًا ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾(١) ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾(٢) فمحمد ﷺ هو السراج المنير، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾(٣) وهو المصباح، ثم من بعده علي عليه السلام هو السراج المنير وهو المصباح الثاني، لأنه عليه السلام منه ﷺ كالضوء من الضوء، ثم الحسن عليه السلام منه عليه السلام كالضوء من الضوء، ثم الحسين عليه السلام ثم القائم ثم الأئمة

---

(١) المؤمنون ٧١.

(٢) المؤمنون ٧١.

(٣) الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦.

الثمانية ثم فاطمة عليها السلام، كل واحد منهم من الآخر كالضوء من الضوء، فهم صلى الله عليهم السرج الوهاجة والمصابيح المضيئة، وعقل الكل عقلهم، واسم الله الذي أشرقت به السموات والأرضون سمتهم، وروح القدس الأعلى معهم لا يفارقهم، وهو أول من ذاق باكورة الوجود من حدائقهم التي غرسوا عليهم السلام أشجارها بأيديهم، ولم يلبس أحد من الأنبياء والمرسلين حلة الاصطفاء والاجتباء إلّا إذا وفى بعهدهم وميثاق ولايتهم، ففي الدرة الباهرة من أصداف الطاهرة من كلام أبي محمد العسكري عليه السلام (وأسباطنا خلفاء الدين وخلفاء اليقين ومصابيح الأمم ومفاتيح الكرم والكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة)[١] انتهى.

فتترامى الأسباب والمسببات مترتبة على نحو ما أشرنا إليه، ولا فصل بين الوجود ولا وصل إلّا على نحو ما أشرنا إليه من اتصال التدبير ولصوق المسببات بأسبابها في جهة التأثر والتأثير، وظهور الموصوف بصفته والمؤثر بأثره، فكل شيء جوهر لما هو تحته وعرض لمن هو فوقه، وذات لما بعده وصفة لمن كان قبله، ولا شك أن وجود الجوهر من تمام قابلية العرض، وإن كان وجود العرض من متممات ظهور صفات الجوهر أيضًا.

فمراتب الوجود متناسبة صعودًا ونزولًا، بعضها حقيقة بعد حقيقة، وبعضها مجاز بعد مجاز، وبعضها مجاز بعد حقيقة، وبعضها حقيقة بعد مجاز، وبعضها حقيقة حقيقية، وبعضها إضافية، وبعضها ذات

---

(١) الدرة الباهرة، ص٤٨. بحار الأنوار، ج٢٦ص ٢٦٧.

وبعضها صفة، وبعضها جوهر وبعضها عرض، حتى تنتهي إلى حقيقة الحقائق وذات الذوات وجوهر الجواهر، قال أمير المؤمنين عليه السلام (أنا ذات الذوات والذات في الذوات للذات)[١] ونعم ما قال في نعته عليه السلام من قال:

يا جوهرًا قام الوجود به والناس بعدك كلهم عرض

وأحسن من هذا ما أجاد عبد الحميد بن أبي الحديد في هذا المعنى بنسبة معرفته حيث قال في مدحه عليه السلام في قصيدته الرائية:

صفاتك أسماء وذاتك جوهر بريء المعاني عن صفات الجواهر
يجل عن الأعراض والأين والمتى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

يعني أن صفاتك أسماء الله تعالى، وذاتك جوهر منزه عن صفات الجواهر من الأعراض والوقت والمكان والمواد، وقال بعض الجاهلين من أعداء الدين أن الشيخ عبدالحميد غلا في علي عليه السلام في هذين البيتين، وأنا أقول كما قال شيخي وأستاذي أعلى الله مقامه في شرح الزيارة أنه قصّر في هذين البيتين وفي غيرهما في حقه عليه السلام لأنه تعالى يقول: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[٢] وقال عز وجل: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾[٣] وقال ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[٤] وقال سبحانه وبيّن ما في المقام وإن كان أجمل في الكلام ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٤٦.
(٢) الكهف ١٠٩.
(٣) لقمان ٢٧.
(٤) الأنعام ٩١.

رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] فافهم المرام ولا تكن من الجاهلين المقصرين أو الغالين.

فإذا عرفت أن محمدًا وآله ﷺ هم السراج المنير، وأن حقائق الموجودات بمنزلة صورة السراج في المرايا التي هي القابليات، فقد عرفت أن كل موجود إذا عرف حقيقته من ربه التي هي نفسه فقد عرف ربه، إلّا أن مراتب تلك المعرفة مختلفة متفاوتة على حسب اختلاف مراتب الموجودات وتفاوتها.

ولهذا اختلفت الأقوال في المعنى المراد من قوله عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) على وجوه كثيرة كما عرفت بعضها مما أشرنا إليه، فكل موجود يعرف ربه بما وصف به نفسه له على حسب مقامه ورتبته من الوجود، حتى أنه ورد أن النملة لتزعم أن لله سبحانه زبانيتين[٢] أي قرنين، لأن فيهما كمال نوعها، ولا يخلو شيء من معرفة ربه بما أعطاه من معرفة نفسه، وفي الدعاء: (تعرفت لكل موجود فما جهلك موجود)[٣].

وحقيقة المعرفة لا توجد إلّا في بني النوع الإنساني، لأنه أجمع مظاهر صفات الحق تعالى، ومرآة قابليته أوسع مرايا القابليات، ولهذا صار أشرف الموجودات، وأتم حقيقة المعرفة للأنبياء والأولياء وأكملها، بحيث لا يمكن أن يوجد في الإمكان أعلى منها وأكمل

---

(١) الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢.

(٢) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، ولعل النمل الصغار يتوهم أن لله زبانيين فإن ذلك كمالها ويتوهم أن عدمهما نقصان لمن لم يتصف بهما) الوافي؛ ج١؛ ص٤٠٨.

(٣) دعاء عرفة لسيد الشهداء الحسين عليه السلام.

لمحمد وآله الطيبين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، حتى أن كل من سواهم من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع المؤمنين العارفين وسائر الخلق أجمعين لا يعرفون الله عز وجل إلّا بسبيل معرفتهم عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا)[1] وقالوا عليهم السلام: (بنا عرف الله)[2] (ولولانا ما عرف الله)[3].

فالنفس الإنسانية التي هي الصراط المستقيم الذي فسره عليه السلام بالطريق إلى معرفة الله عز وجل، هي السبيل إلى معرفتهم عليهم السلام، فمن عرف نفسه التي هي حقيقته من ربه فقد عرفهم عليهم السلام، ومن عرفهم فقد عرف ربه، وإن شئت قلت فقد عرف الله لأنهم عليهم السلام هم الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتهم.

هذا بيان معرفة حقيقة النفس التي هي النفس الفهواني والخطاب الشفاهي.

[شرح حديث كميل مع أمير المؤمنين عليه السلام في الحقيقة]

أما بيان كيفية الوصول إلى ذلك الأنموذج التعريفي والوصف التنبيهي فعليك بمعرفة الحقيقة التي سأل عنها كميل بن زياد النخعي أمير المؤمنين عليه السلام فأجابه عليه السلام، وذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام أَردَفَ كميل بن زياد يوما على ناقته التي ركب، فقال كميل: ما الحقيقة؟.

---

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج١ ص٤٩٧.

(٢) التوحيد، ص١٥٢.

(٣) قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (لَوْ لَا اللَّهُ مَا عُرِفْنَا وَلَوْ لَا نَحْنُ مَا عُرِفَ اللَّهُ)، وقَالَ عليه السلام: (الأَوْصِيَاءُ هُمْ أَبْوَابُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا ولَوْلَاهُمْ مَا عُرِفَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ) التوحيد، ص٢٩٠، الكافي، ج١ص ٢٤١.

قال عليه السلام: مالك والحقيقة؟

فقال: أولست صاحب سرك؟

قال: بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني.

فقال كميل: أو مثلك يخيب سائلًا.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

فقال كميل: زدني بيانًا.

قال عليه السلام: محو الموهوم وصحو المعلوم.

فقال كميل: زدني بيانًا.

قال عليه السلام: هتك الستر وغلبة السر

فقال: زدني بيانًا.

قال عليه السلام: جذب الأحدية لصفة التوحيد.

فقال: زدني بيانًا.

قال عليه السلام: نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.

قال: زدني بيانًا.

فقال عليه السلام: أطفئ السراج فقد طلع الصبح)[1] انتهى.

أقول: إنما سأل كميل بن زياد رحمه الله تعالى عن حقيقة معرفة الله الممكنة في حق الممكن، لا عن حقيقة ذات الله المقدسة الممتنعة معرفتها لغير الواجب الحق جل وعلا، التي ليس للمسألة عنها جواب، فإن سأل عنها جاهل وكانت فائدة في جوابه أجيب بما يمكن

---

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٨١.

معرفته من وصفه تعالى بما وصف به نفسه من آيات معرفته وعلامات قدرته وإتقان صنعه، وأرى عباده تلك الآيات والعلامات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته التي رواها الكليني رحمه الله في الكافي، عن أبي إسحاق عن الحارث بن الأعور قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام يومًا خطبته بعد العصر فعجب الناس من حسن صفته وما ذكر من تعظيم الله جل وعز إلى أن قال حاكيًا لقوله عليه السلام في تلك الخطبة: (الذِي بَطَنَ مِنْ خَفِياتِ الْأُمُورِ وَظَهَرَ فِي الْعُقُولِ بِمَا يُرَى فِي خَلْقِهِ مِنْ عَلَامَاتِ التدْبِيرِ الذِي سُئِلَتِ الْأَنْبِيَاءُ عَنْهُ فَلَمْ تَصِفْهُ بِحَد وَلَا بِبَعْضٍ بَلْ وَصَفَتْهُ بِفِعَالِهِ وَدَلتْ عَلَيْهِ بِآيَاتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ عُقُولُ الْمُتَفكرِينَ جَحْدَهُ لِأَن مَنْ كَانَتِ السمَاوَاتُ وَالْأَرض فِطْرَتَهُ وَمَا فِيهِن وَمَا بَيْنَهُن وَهُوَ الصانِعُ لَهُن فَلَا مَدْفَعَ لِقُدْرَتِهِ الذِي نَأَى مِنَ الْخَلْقِ فَلَا شيء كَمِثْلِهِ الذِي خَلَق خَلْقَهُ لِعِبَادَتِهِ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ بِمَا جَعَلَ فِيهِمْ وَقَطَعَ عُذْرَهُمْ بِالْحُجَجِ فَعَنْ بَينَةٍ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَبِمَنهِ نَجا مَنْ نَجا)[1] الخطبة.

أقول: قوله عليه السلام: (الذي سألت الأنبياء عنه....إلخ) إشارة إلى نحو ما حكى الله سبحانه عن سؤال إمام الجاهلين ورئيس المستكبرين فرعون موسى بن عمران عليه السلام وجوابه عليه السلام له بقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] سأل الجاهل بصفات الحق جل وعلا عن حقيقة ذاته وكيفية صفاته الذاتية ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[3] أجابه عليه السلام بأظهر خواصه وأبين علامات قدرته وأكمل آثار

(١) الكافي، ج١ ص١٤١ باب جوامع التوحيد.
(٢) الشعراء ٢٣
(٣) الشعراء ٢٤.

فعله وربوبيته التي يمكن معرفتها، ولم يجبه على ما سأله الجاهل لأنه ليس للمسألة عنه وهو حقيقة ذات الله تعالى جواب، فلما أعرض عن محال القول وأجاب بما أجاب (قَالَ) فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾(١) جوابه إني سألته عن حقيقة ربه وكيفية ذات إلهه وهو يذكر أفعاله وآثار صنعه ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٢).

أقول: لما أجاب عليه السلام في الأول بما هو أدل على وجوده تعالى وأشد علامات قدرته، وهو خلق السموات والأرض وما بينهما كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾(٣) ولم يتنبه فرعون ومن حوله بهذا الجواب ولم يستيقظوا من نومة غفلتهم، وعلم أنهم شاكون في حدوث السموات والأرض وما بينهما وفي وجود صانع حكيم صنعهما، لأنهم ما شهدوا خلقهما، ولم يكونوا في ابتداء بنائهما وحدوثهما، ولم يعرفوا أنفسهم ليستدلوا بها على ربهم، ولم تكن لهم أعين يبصرون بها الآيات والعلامات، ولا قلوب يفقهون بها ما يدلهم على خالق الأرضين والسموات، لتغييرهم خلقتهم وتبديلهم فطرتهم قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(٤) أجابهم ثانيًا بما لا يشك في افتقاره إلى صانع حكيم وخالق عليم، ويكون أقرب إلى الناظر المتأمل الجاهل المستبصر وهو خلق

---

(١) الشعراء ٢٥.

(٢) الشعراء ٢٦.

(٣) النازعات ٢٧ ـ ٣٢.

(٤) الكهف ٥١.

أنفسهم، لأن كل أحد لا يشك في أنه مخلوق مصنوع لم يكن شيئًا ثم كان، وكل مخلوق مصنوع فلا بد له من خالق صانع ليس بمخلوق ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾[1] لأنه لا يعرف كيفية السؤال والجواب، ولم يفهم التعريض حيث قلت لكم: (ألا تسمعون) جوابه الذي لا يطابق السؤال، ولو كان عاقلا لتفطن من قولي لكم: (ألا تسمعون) أنه تعريض له بأن جوابه الأول ليس مطابقًا لسؤالي، فلم يعد إلى مثل جوابه الأول في الثاني: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[2].

أقول: لما علم موسى عليه السلام أنهم لفرط غفلتهم وطول هجعتهم وشدة سكرتهم نسوا خلقهم أيضًا كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾[3] أجابهم ثالثًا بما يشاهدونه من علامات سلطانه الظاهرة وآيات قدرته القاهرة، واتصال تدبيره وحسن تقديره، التي تدل على وجوده تعالى ووحدانيته في أمره، بحيث لا مجال للإنكار فيه، وهو ما يظهر لهم في كل يوم من آثار ربوبيته وآيات مقدرته، بأنه تعالى يأتي بالشمس من المشرق ويذهب بها إلى المغرب على وجه صحيح ينتظم به أمور عباده، ويتم به معايش خلقه، فأتم عليه السلام بهذه الأجوبة التي لا ينكرها إلّا كافر مكابر ﴿يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾[4] الحجة عليهم، ونسبهم إلى حقيقة الجنون على طريق الكناية والتلويح الذي هو أبلغ من التصريح بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[5]، كما

---

(١) الشعراء ٢٧
(٢) الشعراء ٢٨.
(٣) يس ٧٨.
(٤) الحج ٨
(٥) آل عمران ١١٨.

نسبوه إليه، يعني إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم غير ذلك الجواب الذي هو فوق كل جواب، ولكنكم لا تعقلون جوابي فأنتم أحق بنسبة الجنون الذي نسبتموه إلي، فلما عجزوا عن معارضته عليه السلام وبهت الكافر المكابر عدل من طريق المحاجة إلى التهديد عليها، وقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[(١)]، وهكذا ديدن كل معاند محجوج، والجواب الأخير نظير قول إبراهيم عليه السلام لفرعونه نمرود حين قال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾[(٢)] ولم يكن له جواب.

والحاصل أن كميل رحمه الله سأل عن حقيقة معرفة الله الممكنة، لا عن حقيقة ذاته المقدسة الممتنعة معرفتها في حق الممكن، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أولًا: (ما لك والحقيقة)، قوله عليه السلام هذا يحتمل وجوهًا.

الأول: أن الله تعالى معروف بآياته وبما أظهر من آثار صنعه، معلوم بعلامات قدرته، لأنه تعالى تعرف لكل شيء فما جهله شيء، فمالك تطلب أزيد مما ظهر لك بآياته وعلاماته، وهذا تقرير منه عليه السلام على الاكتفاء بأدنى المعرفة بنسبة حال العارف، والمراد بأدنى المعرفة معرفته تعالى بما لا تكتفي بدون ذلك، وفي الكافي عن الفتح بن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام قال سألته عن أدنى المعرفة فقال: (الْإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ وَأَنَّهُ قَدِيمٌ مُثْبَتٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ فَقِيدٍ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[(٣)].

---

(١) الشعراء ٢٩.

(٢) البقرة ٢٥٨.

(٣) الكافي ج١ ص٨٦.التوحيد ص٢٨٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ص ١٣٣.

وفيه وَسُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الَّذِي لَايُجْتَزَأُ بِدُونِ ذلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ، فَقَالَ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، لَمْ يَزَلْ عَالِمًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا)[(١)].

أقول: فمرجع أدنى المعرفة إلى إخراجه تعالى عن الحدين، حد التعطيل وحد التشبيه، أعني إثبات شيء ليس كمثله شيء وهو الصانع جل وعلا.

والثاني: أن الحقيقة لها أهل مخصوصون، وأنت يا كميل لست منهم، وهذا الوجه مبني على أنه عليه السلام علم أن كميلًا ليس أهلًا لحقيقة الجواب، وإنما أجابه فيما بعد، إما لينال منه بقدره، وإما لينقله إلى أهله، لأن من ليس أهلًا لشيء قد ينتفع بشيء منه، إذ قد يكون الشخص أهلًا لظاهر هذا الجواب دون باطنه، أو يكون أهلًا لمعرفة باطنه دون باطن باطنه.

والثالث: أنه عليه السلام كان أراد بقوله: (ما لك والحقيقة) تعظيم ذلك في عين كميل، ليستعد بكمال الاستعداد لا أنه ليس أهلا للجواب عما سأل.

وبالجملة فالذي يظهر أن السائل مع معرفته الكاملة وبصيرته التامة ليس أهلًا لمعرفة حقيقة ما عنده عليه السلام من معرفة الحقيقة، وإنما يرشح عليه منها ما يطفح منه عليه السلام.

وقول كميل (أولست صاحب سرك) يدل على أن معرفة الحقيقة

---

(١) الكافي ج١ص٢١٦. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ج١ ص٣٠٢.الوافي ج١ص٣٤٤.

من الأسرار التي لا يجوز كشفها إلّا لأهلها من أولي الأبصار، ولا يطلع عليها الأغيار.

وقوله عليه السلام (بلى) تقرير منه عليه السلام في الجملة على دعواه ليستميله ولا ينقطع رجاه.

وقوله عليه السلام: (ولكن يرشح عليك ما يطفح مني) تبيين وتنبيه منه عليه السلام له أن قولك هذا لا يحسن على إطلاقه، لأن من أسرارنا ما لا يتجاوز منا إلى غيرنا، ولا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، فما وصل إليك من أسرارنا إلّا ما عندنا من ظواهر الاعتبار وطافح الآثار، أي ظاهرها ورشحها وعرقها.

فلما استعطفه كميل بقوله: (أو مثلك يخيب سائلًا) عطف عليه عليه السلام وأجابه بقوله: (كشف سبحات الجلال من غير إشارة).

وقوله عليه السلام: (كشف سبحات الجلال) خبر لمبتدأ محذوف، أي الحقيقة هو كشف سبحات جلال الله من غير إشارة.

والمراد بالحقيقة هنا ذات الشيء وحقيقته من ربه، التي يعبر عنها بالنفس العليا التي من عرفها فقد عرف ربه، وبنور الله عز وجل كما في قوله عليه السلام: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

وبالوجود المجرد عن الحدود والقيود وغير ذلك من الأسماء التي تطلق على تلك الحقيقة، كالفؤاد كما قال عليه السلام: (وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة) الحديث، وبالمعلوم والسر والأحدية كما في هذا الحديث.

والمراد بالكشف هنا التجريد والإبانة والإزالة عن موضع نظر

البصيرة، وهو معنى المحو والهتك والجذب الآتية، والمراد بالسبحات جمع سبحة، أشعة الجلال وأنوار الجمال، وهي شئون النفس وصفاتها وأفعالها وأحوالها وهيئاتها وأشكالها وأمثالها، ويراد بالجلال هنا ذات الشخص ونفسه العليا وحقيقته من ربه، وكيفية تجريد النفس وكشف سبحاتها أن تلقي عن حقيقة ذاتك في الاعتبار والوجدان جميع شئونها وصفاتها ونسبها وإضافاتها وكل ما عنها ومنها ولها وإليها، فلا تنظر إلى حركتك أو سكونك، أو نومك أو يقظتك، أو ضحكك أو بكائك، أو همك أو سرورك، أو قيامك أو قعودك، أو كلامك أو سكوتك، أو صحتك أو سقمك، أو فراغك أو شغلك، أو شبابك أو هرمك، أو حياتك أو موتك، أو كونك في شيء، أو فيك شيء، أو على شيء، أو عليك شيء، أو من شيء، أو منك شيء، أو لشيء، أو لك شيء، أو أنك أبو فلان أو ابن فلان، أو أنك حادث أو قديم، أو فانٍ أو باقٍ، أو عالٍ أو دانٍ، أو قريب أو بعيد، أو أن لك اتصالا بشيء أو انفصالا عن شيء، أو اجتماعا مع شيء أو افتراقا من شيء، أو أنك مطابق لشيء أو مقابل، أو أنك واجد لشيء أو فاقد، وألقِ عن نفسك كل معنى أو صفة أو حال، سواء كان اعتبارا أو فرضا واحتمالا وتجويزا، ذهنا أو خارجا، وأسقطه من عين الاعتبار والوجدان لأنه مغاير لنفسك، فإذا ضممت شيئًا من هذه السبحات أي الشئون والصفات والنسب والإضافات إلى نفسك في معرفتها لم تعرفها، وإنما عرفت شيئًا محدودا مركبا بعضه نفسك، كما إذا عرفت نفسك بصفة الحدوث مثلا فإنك عرفت مركبا حادثا فلا يعرف الله به، لأنه تعالى ليس بمركب حادث، فلا يعرف بمركب حادث.

فما دام أنك تلاحظ بقلبك أو خيالك أو وهمك شيئًا محدودًا بحدود معنوية أو خيالية أو وهمية، فأنت حين تتوجه إليها وتلاحظها محجوب بها محبوس في سجن الظلمات والكثرات والحيثيات والكيفيات، مقيد بقيود التشابه والتشاكل، والتشارك والتماثل، والتجانس والتقارب والتباعد، والاجتماع والافتراق، والاتصال والانفصال، والإبانة والمعية، والبينونة والبينة، والتعدد والتحديد، والتولد والتوليد، والإفراد والجمع والتثنية، والكلية والجزئية والنوعية والشخصية، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، واعتبار من وإلى، وملاحظة في وعلى، وتجويز أين ومتى، وفرض لم وكيف، وتصور الانبساط والاستدارة والدخول والخروج والعزلة والحلول والاتحاد والممازجة، وغير ذلك من صفات الممكنات الحادثة التي أشرنا سابقا إلى كثير منها في إبطال مذهب الثنوية والدهرية القائلين بقدم العالم، فهذه وأمثالها من الشؤون والصفات والنسب والإضافات في عالم الملك والملكوت والجبروت مما يقع عليه الكشف من سبحات الجلال.

ولا بد من كشف سبحات الجلال كلها حتى الإشارة، أي إشارة النفس إليها كما قال عليه السلام (من غير إشارة) بمعنى أنك تجرد نفسك عن جميع ما سواها من الشئون والنسب والأحوال والأفعال والتضايف والأوضاع، وتكشفها عن جميع سبحاتها حتى عن التجريد والكشف، بأن لا تلاحظ أنها مجردة مكشوفة، إلى أن لا يبقى إلّا محض الذات الأحدية.

فهو حينئذ أنموذج وصفي وعنوان تعريفي وخطاب شفاهي فهواني، ومقام من مقامات الله عز وجل التي لا تعطيل لها في كل

مكان، يعرف الله سبحانه بها من عرفه، لا فرق بينه وبينها إلّا أنهم عباده وخلقه، وهو مِثْل بكسر الميم وسكون الثاء وليس كمِثْله شيء، ولو كان لنفسك بعد التجريد التام حتى عن التجريد مِثْل بكسر الميم وسكون الثاء، لما كانت معرفتها عين معرفة الرب عز وجل، وقد قال عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وقال صلى الله عليه وآله: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٢).

فإن قلت: نفسي بعد التجريد لها مثل وهو نفسك بعد تجريدها بل لها أمثال كثيرة، وهي نفوس العارفين بعد تجريدهم أنفسهم، فكيف لا يكون لها مثل.

أقول: نفسي في كونها مثلًا لنفسك وكذا نفوس العارفين ليست هي نفسك بل هي غيرها، فإذا كانت غير نفسك وجب في تجريد نفسك نفي المغاير والمماثل حتى لا يبقى إلّا محض النفس، وليست المماثلة جزء ماهيتها، فإذا جردتها في الاعتبار والوجدان عن كل مماثل ومخالف بقي شيء لا يشبهه شيء، ولا يشبه هو شيئًا، لأن المشابهة ليست جزء لكنهها وحقيقتها، فإذا وصلت إلى ذلك المقام أي التجريد التام بقي شيء ليس كمثله شيء، فإذا عرفت شيئًا ليس كمثله شيء فقد عرفت ربك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لأن نفسك حينئذ آية الله التي ذكرها سبحانه في كتابه بقوله:

---

(١) فصلت ٥٣.
(٢) الذاريات ٢٠ ـ ٢١.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[١]، وصفته التي وصف بها نفسه، وتلك الصفة صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

والجلال المراد به النفس في الحديث بمعنى الحجاب، لأن نفسك أعظم الحجب منعا وأغلظها سترًا وأصعبها كشفًا، وباقي الحجب بالنسبة إلى نفسك شئون وسبحات، فالله سبحانه احتجب عنك بك، كما تجلى لك بك، أي احتجب عنك بنفسك مع شئونها وسبحاتها، وتجلى لك بكشف سبحاتها وشئونها كما قال عليه السلام: (لا تحيط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها)[٢]، وفي الدعاء: (وأنت لداعيك بموضع إجابة وللصارخ إليك ولي الإغاثة وللقاصد إليك قريب المسافة وأنت لا تحتجب عن خلقك إلّا أن تحجبهم الأعمال السيئة)[٣] الدعاء، والعمل السيء هنا أن تجد لنفسك شيئية إلّا بالله وتحققًا إلّا به تعالى، فأنت حين نظرت إلى نفسك وتلاحظها محجوب عن ربك بعيد عن محبوبك ومطلوبك، فإذا ألقيت نفسك بأن لا تلتفت إليها وأسقطتها عن نظر الوجدان ظهر ربك لك بك، وتعلم حينئذ أن ما تطلبه قبل وتجول عين بصيرتك في طلبه في الصحاري والبحار وأودية الخيال والأفكار كان أقرب إليك منك، وفي الحديث (أن نبيا من أنبياء الله تعالى ناجى ربه فقال: يا رب كيف الوصول إليك فأوحى الله تعالى إليه ألقِ نفسك وتعال إلي) انتهى.

وروي أن موسى بن عمران عليه السلام قال: (يا رب أقريب أنت

---

(١) فصلت ٥٣.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٦٩.

(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات ص١٨١.

فأناجيك أم بعيد فأناديك فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني)[١] الحديث.

وفيما نسب إلى مولانا سيد الشهداء عليه السلام من الملحق بالدعاء ليوم عرفة: (أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز إليك) فافهم.

ولما رشح مما طفح من ظاهر بيان الإمام عليه السلام على كميل بن زياد رشحة، وشرب من فاضل هذا الكأس شربة وذاق حلاوتها، فاستزاد البيان بقوله: (زدني بيانًا) فقال عليه السلام: (محو الموهوم لصحو المعلوم) وفي بعض نسخ الحديث (وصحو المعلوم).

أقول: لما كان كميل بن زياد رحمه الله عرف من جوابه عليه السلام وبيانه الأول يعني قوله عليه السلام (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة) أن الحقيقة المطلوبة المسؤول عنها هي النفس المجردة عن الشئون والصفات، التي يعبر عنها بالجلال، وأنها لا تظهر إلّا عند كشف جميع سبحاتها، ولكن كان ناظرا إلى نفسه ملتفتا إليها معرضا عن سبحاتها وشئونها، نافيًا لصفاتها منتظرا لظهورها طالبا للمطلوب، تجول عين بصيرته في ميدان البروز وعرصة الظهور، يطلبه حيث يرد فلا يعرف كيف الوصول وأين الظهور.

فبين عليه السلام له أنك في هذه الحال تطلب المحال، لأنك ناظر بنظر وطالب بطلب، ومطلوبك قد احتجب بك وبنظرك وطلبك عنك، وما أنت إلّا نقش فهواني قد أشار لك بك، ولا ريب أن النقش موهوم لأنه تمثيل تنبيهي ووصف تعريفي، فإذا كشف الموهوم يعني محي وأزيل، صحا المعلوم الذي هو مطلوبك، لأن المعلوم ليس مستورًا

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٩٦. بحار الأنوار ج٩٠ ص٣٢٢ باب ١٧..

ولا محتجبًا حتى يحتاج إلى الإظهار والتبيين وإنما أنت حجاب نفسك، فإذا أزلت الحجاب ورفعت المانع صحا لك المعلوم وظهر لك المطلوب، الذي هو أظهر أَقربُ إليك منك وأظهر من كل شيء، كما أشار إليه سيد الشهداء صلوات الله عليه بقوله: (أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حتى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ مَتَى غِبْتَ حتى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُل عَلَيْكَ وَمَتَى بَعُدْتَ حَتى تَكُونَ الإشارة[1] هِيَ التِي تُوصِلُ إِلَيْكَ عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيبًا وَخَسرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبكَ نَصِيبًا)[2].

والحاصل أنه عليه السلام أشار بقوله: (محو الموهوم وصحو المعلوم) إلى أنك في الحقيقة صورة منطبعة في مرآة كونك وقابلية ظهورك، لا حقيقة لك إلّا ظهور موجدك بك، وتجلي خالقك لك، وإنما أنت تجد لنفسك حقيقة وتتوهم أن لك شيئية لأجل سلطان الوهم واستيلاء الشياطين على قلبك، حتى شغلته عن ذكر الله الذي هو معرفة أظهريته من كل شيء وأقربيته إلى كل شيء من نفس ذلك الشيء، فبنظر الوهم إلى نفسك واستيلاء شيطانك القرين لك تجد لنفسك شيئية، واستقرت لها عندك حقيقة، لنسيانك ذكر الله الذي به تطمئن القلوب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3]، ولو كانت لنفسك حقيقة غير النقش الفهواني لكانت مستقلة مستغنية عن المدد، فيكون كونها بنفسها وقيامها بذاتها وهو باطل محال، لأن مثال حقيقتك كالصورة في المرآة لم تكن مستقلة بنفسها قائمة بذاتها

---

(١) في المصدر: الآثار.

(٢) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام.

(٣) الزخرف ٣٦.

مستغنية عن المدد من مقابلها طرفة عين، بل لا حقيقة لها إلّا الظهور المقابل لها بها، ولا بقاء لها إلّا بالمدد الجديد الدائم الواصل إليها من ظهور المقابل لها بها، بحيث لو أعرض عنها أو انعدمت المقابلة طرفة عين كانت معدومة لا أثر لها، فإذا ثبت أن نفسك لا حقيقة لها إلّا ظهور الحق بها لها كانت حقيقتها من نفسها وهمًا، وشيئتها عند نفسها موهومًا، وحقيقتها من ربها معلومًا، وشيئيتها من ظهور الحق لها بها حقيقة، فالمعرفة الحقيقية المسؤول عنها محو حقيقتها من نفسها التي عبر عنها عليه السلام بالموهوم، ومحو سبحات حقيقتها من ربها المعبر عنها بالجلال والمعلوم، فقوله عليه السلام: (محو الموهوم وصحو المعلوم) مثل قوله عليه السلام (كشف سبحات الجلال من غير إشارة)، فالمراد بالمحو هنا هو الكشف هناك، كما أن المراد بالجلال هناك هو المعلوم هنا، إلّا أن المحو أجلى وأبين من الكشف، لأن الشيء قد يكشف عما ستره وهو باق بخلاف الممحو، والموهوم هو السبحات من الذوات والصفات والأفعال والنسب والإضافات، إلّا أن بيان كون وجودها موهوما ليس بصريح من الجواب الأول، والمعلوم أيضًا أخص من الجلال، لأن الجلال بمعنى الحجاب، فيحتمل أن يكون حجاب المعلوم في الجواب الثاني أخص وأبين من الجواب الأول فصلح لزيادة البيان.

ولما عرف كميل بن زياد رحمه الله من قوله عليه السلام: (محو الموهوم وصحو المعلوم) أن حقيقة الشيء من نفسه أمر موهوم ونقش مرسوم لا أصل لها، وحقيقته من ربه أي من ظهور الحق له به أمر معلوم عند أهله من العارفين بالله عز وجل وبصفاته، وغفلة أكثر الناس عنها لعدم معرفتهم كيفية الوصول إلى تلك الحقيقة لصعوبة الطريق، حتى ظن عجزه عن الوصول بدون إعانة الرفيق ودلالته على أسباب التحصيل

والحصول، فاستزاد البيان مرة بعد أخرى، فقال عليه السلام الحقيقة هي: (هتك الستر لغلبة السر) يعني أن حقيقتك من نفسك وإن كانت أمرًا موهومًا لا أصل لها إلّا ظهور الحق بها، لكنها حجاب غليظ ومانع سير أقيم جدارك لحفظ كنزك ومكنون سرك، فإذا أردت أن تستخرج كنزك المخفي وسرك المكنون، فعليك بخرق الحجب الذي هو كشف سبحات الجلال، وهتك الأستار الذي هو محو الموهومات كلها، سيما حجاب نفسك الذي هو أغلظ الحجب وأمنع الأستار، وعليك بقض الجدار الذي هو قصر مشيد وبرج مشيد من دعاوى أنانيتك، ولا تقدر على ذلك إلّا بإلقاء النفس وهدم بناء أنانيتها، فغلبة سر الخليقة الذي هو عين ظهور الحقيقة بهتك الستر الذي هو أغلظ الحجب الكثيفة، ووجه صلوح قوله عليه السلام هذا لزيادة البيان أن المحو للشيء الموهوم لا يدل على كونه حاجبًا ساترًا للمطلوب، بخلاف هتك الستر فإنه يدل على إزالة الساتر ورفع المانع، فتكون إزالته ورفعه أبلغ في ظهور المطلوب والوصول إلى المحبوب، وأما غلبة السر فإنه أدل على المطلب الحق من صحو المعلوم، لما في المعلوم من الإبهام والإجمال، لجواز أن يفهم منه إرادة الذات البحت وهو باطل، بخلاف غلبة السر فإنه لا يفهم منه ذلك، وإنما يفهم أن السر شيء غير الذات البحت كما لا يخفى، وإنما أمر عليه السلام كميل بن زياد بهتك الستر وخرق حجاب نفسه لغلبة سره، التي هي ظهور حقيقة فقره إلى الله سبحانه، الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (الفقر شعاري وبه أفتخر)[1] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ

(١) عدة الداعي ونجاح الساعي ص١٢٣. بحار الأنوار ج٦٩ ص٣٠ باب ٩٤. وفي جميعها (الفقر فخري) بدلًا من (الفقر شعاري).

ٱلۡحَمِيدُ﴾[١]، وهذا الفقر يحصل بالتدريج بهتك الأستار وخرق الحجب، حتى لا يشهد له ولا لجميع ما له وما ينسب إليه أثرا في نظر الوجدان، بل يرى نفسه راقدة عند غلبة سره الذي هو ظهور وجه معبوده به، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ ثم بين كنه حالهم بقوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾[٢]، فإذا فقد من وجدانه ما سوى معبوده الذي هو هتك الستر والحجاب بينه وبينه ظهر له، ولا يحصل له ذلك إلّا بتمام فقره وصحته الذي هو غلبة السر، لأنه حينئذ ليس هو وإنما الموجود نور الله الذي تجلى له به وتعرف به له، وهو هو بلا مغايرة بوجه ما، قال عليه السلام: (لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن هو ونحن نحن وهو هو)، ولما شرب كميل بن زياد رحمه الله من كأس المحبة التي لا غاية لها ولا نهاية شربة بعد شربة من بيانه عليه السلام، مرة بعد أخرى كما قيل:

شربت الحب كأسًا بعد كأس ... فما نفذ الشراب وما رويت

فاستزاد البيان أيضًا فقال عليه السلام الحقيقة: (جذب الأحدية لصفة التوحيد).

[في بيان بعض أقوال الصوفية وردها]

أقول: لأهل التصوف القائلين بوحدة الوجود ـ المجمع على كفر قائله ـ في هذا المقام وفي معنى الأحدية كلام وجب التنبيه عليه، وذلك أن بعضهم وهو من كبارهم قال في كتابه المسمى بـ(الإنسان

---

(١) فاطر ١٥.
(٢) الكهف ١٨.

الكامل): (الأحدية عبارة من مجلى ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتمّ منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتباراتك وأخذت بك فيك عن خواطرك، فكنت أنت في أنت من غير أن ينسب إليك شيء مما تستحقه من الأوصاف الحقية، أو هو لك من النعوت الخلقية، فهذه الحالة من الإنسان أتمّ مظهر للأحدية في الأكوان فافهم)[1].

أقول: قوله: (الأحدية عبارة عن مجلى ذاتي) ليس بصحيح عندنا، لأن الأحدية عندنا هي الحقيقة المسؤول عنها، وقد عرفت مما ذكرنا سابقًا أن المراد بها هي حقيقة معرفة الله الممكنة في حق الممكن لا حقيقة ذات الله المقدسة الممتنعة معرفتها لغير الواجب جل وعلا، فالمراد بالأحدية هي الجلال في الجواب الأول، والجلال غير الجليل عز وجل، كما أن الأحدية غير الأحد وصفته، والصفة غير الموصوف، وهي المعلوم في الجواب الثاني، والسر في الثالث، وهي النفس التي من عرفها فقد عرف ربه، وهي حقيقتك من ربك ووصفه الذي وصف به نفسه لك، فهي عبارة عن مجلى فعلي تجلى لها بها وبها امتنع منها، وإليها حاكمها، لا ذاتي تجلى لها به، أي بذاته المقدسة، لأنها أثر فعله ومحل مشيئته ومظهر قدرته، أي قدرته الفعلية وفي الدعاء: (بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْدُ هيئة فَشَبهُوكَ يَا سَيدِي وَاتخَذُوا بَعْضَ آيَاتِكَ أَرْبَابًا فمن ثُم لَمْ يَعْرِفُوكَ يَا سيدي)[2]، انتهى، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: (الْحَمْدُ لِلهِ الْوَاحِدِ،

---

(١) الإنسان الكامل (الجيلى) ص٤٧ الباب الخامس: في الأحدية.

(٢) التوحيد، ص١٢٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص١١٧.

الْأَحَدِ، الصمَدِ، [الْمُتَفَرِدِ] الذِي لَامِنْ شَيْءٍ كَانَ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ، قُدْرَةٌ بَانَ بِهَا مِنَ الْأشياء، وَبَانَتِ الْأشياء مِنْه)[١]، وهي آية معرفته تعالى، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾[٢]، ولم يقل ذاتنا.

وقوله: (ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيها ظهور) معناه على مذاقه ظاهر.

وأما على مذاقنا فنقول: هي عبارة عن مجلى فعلي ومظهر صنعي، وهو حقيقتك من ظهور الحق لك بك، ليس لأسمائك ولا لصفات أفعالك ولا لشيء من مؤثراتها فيها ظهور، لأنها هي حقيقة ذاتك المجردة عن جميع السبحات والشئون والصفات والأحوال والأفعال والنسب والإضافات، فهي غيب باطن.

وأما على مذاقه ومذهبه الباطل فإنه يريد أن الأحدية عبارة عن مجلى ذاتي هو ذات الله الذي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها، أي آثارها التي هي عين ذاته تعالى فيه ظهور، لأنها عين ذاته، فالأسماء والصفات وجميع آثارها من الموجودات متلاشية فانية في ذاته الأحدية لا ظهور لها، ولهذا قال: (فهي) أي الأحدية (اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية) فمثال الأسماء والصفات وجميع آثارها من الموجودات عنده كالأمواج، ومثال الأحدية التي هي ذاته كالبحر إذا سكنت أمواجه كما قال في كتابه:

---

(١) الكافي ج١؛ ص٣٢٩.
(٢) فصلت ٥٣.

كالموج حكمهم في بحر وحدته والموج في كثرة بالبحر متحد
فإن تحرك فالأمواج أجمعه وإن تسكن لا موج ولا عدد[١]

وأيضًا مثال الخلق عندهم كالثلج، ومثال الحق كالماء، كما قال فيه:

وما الخلق في التمثال إلّا كثلجة وأنت لها الماء الذي هو نابع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع[٢]

فالأحدية عندهم هي الذات البحت التي لا اعتبار للكثرة فيها أصلًا، والواحدة فيها الكثرة الاعتبارية وهي منشأ الأسماء والصفات.

ومثال الأحدية التي لا اعتبار للكثرة فيها أصلًا كالقرطاس، ومثال الأسماء والصفات وآثارها من الخلق كالنقوش المحدودة الموهومة بتجديد الخاتم، فما ترى من البياض المحدود بحدود موهومة هو مثال الواحدية التي فيها الكثرة الاعتبارية، وهي منشأ الأسماء والصفات، وما ترى من الحدود الموهومة هي مثال الخلق الموهوم، فنفس البياض مع قطع النظر عن الحدود الموهومة هو مثال الوجود الحق الذي لا خلق فيه، وهو معنى الأحدية، ونفس الحدود مع قطع النظر عن القرطاس الأبيض هو مثال الخلق الذي لا حق فيه، والجامع لهما أي الحدود البياض هو مثال الإنسان الذي هو جامع للكونين ومجمع البحرين، فالقرطاس إذا نظر إلى نفسه من حيث هي وجدها أحدية المعنى لا اعتبار للكثرة فيها أصلا، وإذا نظر إليها من حيث هي محل النقوش والحدود الموهومة ومنشأ الأسماء والصفات

(١) الإنسان الكامل (الجيلى) ص٦٨ الباب الرابع عشر: في تجلي الصفات.
(٢) الإنسان الكامل (الجيلى) ص٥١ الباب السابع: في الرحمانية.

وجدها واحدة ذات أوصاف وأسماء فيها الكثرة الاعتبارية، والنقوش والحدود إذا نظرت إلى حقيقتها من أنفسها التي هي نفس الحدود الموهومة، وجدت أنفسها كثيرة متعدد، وإذا نظرت إلى حقيقتها من القرطاس وجدت أنفسها واحدة فيها الكثرة الاعتبارية، كما قال شاعرهم، شعر:

شهدت نفسك فينا وهي واحدة — كثيرة ذات أوصاف وأسماء
ونحن فيك رأينا بعد كثرتنا — عينا بها اتحد المرئي والرائي[1]

والنقوش إذا استغرقت وفنيت في حقيقتها من القرطاس، بحيث لا تجد لأنفسها التي هي الحدود الموهومة وجودا ولا تحققا وثبوتا، فهي حينئذ عين القرطاس بلا مغايرة بوجه ما، وإلى هذا أشار بقوله: (وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتبارك، وأخذت بك فيك عن خواطرك، فكنت أنت في أنت)... إلى آخر كلامه، يريد أنه ليس لظهور الأحدية التي هي ذات الله سبحانه في الأشياء مظهر أتم منك، إذا استغرقت في ذاتك التي هي عين ذات الله الأحدية ونسيت اعتبارك بكشف سبحات جلالك، ومحو موهومات نفسك وخيالك، وبجذب الأحدية التي هي ذاتك ونفسك العليا التي من عرفها فقد عرف ربه لصفة التوحيد، التي هي شئونك وصفاتك وأحوالك وأفعالك ونسبك وإضافاتك، وأخذت بك فيك عن خواطرك، أي أخذت بذاتك في ذاتك لما لها لذاتها بلا اختلاف ولا تكثر، معرضا عما في خواطرك التي هي علة للموجودات والأعيان الخارجة، فكنت أنت في أنت، أي كنت ممن ماهيته بذاته

---

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص٢٠٣ القاعدة الرابعة في كيفية التوحيد. والشعر لعفيف الدّين التّلمسانى كما نقله صاحب كتاب نفحات الأنس؛ ص٦٦٤.

وذاته عين ماهيته وماهيته عين ذاته، وهو الواجب الحق والغني المطلق، الذي هو غنى كل فقير وعز كل ذليل، المحتاج إليه كل ما سواه، فحينئذ لك الملك بالأصالة، وبيدك ملكوت كل شيء لا بالتبعية، لأن وجود ما في الملك والملكوت دائر عليك، وكل ما فيهما منك وصائر إليك، أما تنظر إلى كلماتهم الفاسدة وأشعارهم الكاسدة وألسنتهم الكافرة الخاسرة الفاجرة حيث يقولون ما ليس لهم بحق، يقول قائلهم: (ما تتحرك نملة في المشرق ولا في المغرب إلّا بإذني)، قال الشبلي: (لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها قلت أني مجدوع أو ممكور بي)، وقال غيره: (لا أقول لم أشعر بها لأنه لا يتهيأ لها أن تدب إلّا بقوتي وأنا محركها، فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محركها)(١) ويقول أحدهم: (أنا الله بلا أنا) ويقول الآخر: (ما في جبتي إلّا الله) ويقول شاعرهم شعر:

أنا ذلك القدوس في قدس العماء محجب
أنا ذلك الفرد الذي فيه الكمال الأعجب
أنا قطب دائرة الرحى وأنا العلي المستوعب
اللّه ربي خالق وبريق خلقي خلب
إلى أن قال: أنا غافر أنا مذنب(٢).

وقال عبدالكريم الجيلاني في كتابه الإنسان الكامل وهو من كبارهم من العامة شعر:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجو فضله أو فأخشاه

(١) الإنسان الكامل (الجيلى) ص١٢٦ الباب السابع والثلاثون: في الزبور.
(٢) الإنسان الكامل ص٤٦ الباب الرابع: في الألوهية.

إلى أن قال في هذه القصيدة وهي طويلة:

وإنــي لــرب لــلأنــام وسـيــد　　　جميع الورى اسم وذاتي مسماه
لي الملك والملكوت جلت سجيتي　　　لي الغيب والجبروت مني منشاه[1]

وغير ذلك من أقوالهم الباطلة التي أسس بنيانها على شفا جرف هار فانهار بقائله في نار جهنم، وآراؤهم الفاسدة التي بنيت على القول بوحدة الوجود المجمع على كفر من يقول به، والعبارة الصريحة الدالة على مقاصدهم أن الوجود الحق ـ تعالى وتقدس عما يقولون ـ هو مادة كل شيء كالخشب المركب من الهيولى الأولية والصورة النوعية الذي هو بمنزلة الجنس أو النوع للأفراد، وهو الحقيقة البسيطة لكل شي، وبسيط الحقيقة عندهم كل الأشياء، وأفراد تلك الحقيقة بمنزلة الباب والسرير والصنم، فإن هذه الأفراد إنما تميزت وتشخصت وتكثرت وتعددت بالصور الشخصية العارضة لتلك الحقيقة الواحدة، وإلا فيحصصها هي بعينها تلك الهيولى والصورة النوعيتين، وإنما لحقتها عوارض مراتب تنزلات تلك الحقيقة، فتغايرت وتكثرت بالمشخصات، فالصور الشخصية الموهومة عبارة عن الخلق الذي لا حق فيه، وتلك الحقيقة البسيطة الواحدة عبارة عن الحق الذي لا خلق فيه، والوجود الحق عندهم أيضًا بمنزلة المداد، ووجود الخلق الموهوم بمنزلة الحروف والكلمات، ويقولون أيضًا في معنى العصر أنه ضم شيء إلى شيء لاستخراج مطلوب، فضمت ذات عبد مطلق في عبوديته لا تشوبها ربوبية بوجه من الوجوه إلى ذات حق مطلق لا تشوبها عبودية بوجه لطلب الكون للإنسان الذي هو عين الكمال الحق

---

(١) الإنسان الكامل ص٣٦ الباب الثاني: في الاسم مطلقًا.

والعبد، فالمعتصر من العبودية الخالصة التي هي الصورة الشخصية والحدود والهيئة الموهومة ومن الربوبية المحضة التي هي المادة الوجودية هو الإنسان، الذي هو مجمع الكمالات الحقية والخلقية، قال عبدالكريم في كتابه المذكور في اسم الله قال: (فاستدارة رأس الهاء إشارة إلى دوران رحى الوجود الحقي والخلقي على الإنسان، فهو في عالم المثال كالدائرة التي أشار الهاء إليها، فقل ما شئت، إن شئت قلت الدائرة حق وجوفها خلق، وإن شئت قلت الدائرة خلق وجوفها حق فهو حق وهو خلق، وإن شئت قلت الأمر فيه بالإلهام، فالأمر في الإنسان دوري بين أنه مخلوق له ذلّ العبودية والعجز وبين أنه على صورة الرحمن، فله الكمال والعزّ، قال اللّه تعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾[1] يعني الإنسان الكامل الذي قال فيه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] لأنه يستحيل الخوف والحزن، وأمثال ذلك على اللّه؛ لأن الله هو ﴿ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[3] أي الوليّ؛ فهو حق متصوّر في صورة خلقية، أو خلق متحقق بمعاني الإلهية، فعلى كل حال وتقدير وفي كل مقال وتقرير هو الجامع لوصفي النقص والكمال، والساطع في أرض كونه بنور شمس المتعال، فهو السماء والأرض وهو الطول والعرض)، ثم قال: (و في هذا المعنى قلت:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما ... سواي فأرجو فضله أو فأخشاه)[4]

إلى آخر قصيدته كما أشرنا إلى بعضها فيما تقدم، انتهى.

---

(١) سورة الشورى، ٩.

(٢) سورة يونس، ٦٢.

(٣) سورة الشورى، ٩

(٤) الإنسان الكامل ص٣٥ الباب الثاني: في الاسم مطلقا.

وقد قال شاعرهم شعر:

جعلت نفسك في نفسي كما جعل الخمر في الماء الزلال
فإذا سرك شيء سرني فإذا أنت أنا في كل حال

وقال مميت الدين ابن عربي في الفصوص شعر:

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا
فأنا أعبد حقًا وأن الله مولانا
وأنا عينه فاعلم إذا ما قيل إنسانا
فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانا
فكن خلقًا وكن حقًا تكن بالله رحمانًا
وغذ خلقه منه تكن روحًا وريحانًا
فأعطيناه ما يبدو به فينا وأعطانا
فصار الأمر مقسومًا بإياه وإيانا

ومن كلماتهم العجيبة أنهم قالوا أن أسماءه تعالى وصفاته غير متناهية لا تدرك، وأما ذاته الأحدية فهي متناهية مدركة، فمن حيث ذاته الأحدية معلومة مدركة، ومن حيث أسمائه وصفاته التي هي عين ذاته مجهولة غير مدركة.

قال عبدالكريم في كتابه المذكور: (واعلم أن ذات اللّه سبحانه وتعالى عبارة عن نفسه التي هو بها موجود لأنه قائم بنفسه، وهو الشيء الذي استحق الأسماء والصفات بهويته فيتصوّر بكل صورة يقتضيها منه كل معنى فيه، أعني اتصف بكل وصف يطلبه كل نعت، واستحق لوجوده كل اسم دلّ على مفهوم يقتضيه الكمال؛ ومن جملة الكمالات عدم الانتهاء ونفي الإدراك، فحكم بأنها لا تدرك، وأنها مدركة له لاستحالة الجهل عليه ولقد قلت:

أحطت خبرًا مجملًا ومفصلًا بجميع ذاتك يا جميع صفاته
أم جلّ وجهك أن يحاط بكنهه فاحتطه أن لا يحاط بذاته
حاشاك من غاي وحاشا أن تكن بك جاهلًا ويلاه من حيراته

واعلم أن ذات اللّه تعالى غيب الأحدية التي كل العبارات واقعة عليها من وجه غير مستوفية لمعناها من وجوه كثيرة، فهي لا تدرك بمفهوم عبارة ولا تفهم بمعلوم إشارة)(١). انتهى.

وقال في موضع آخر: (اعلم أن الصفات عند المحقق هي التي لا تدرك وليس لها غاية بخلاف الذات فإنه يدركها ويعلم أنها ذات الله ولكن لا يدرك ما لصفاتها من مقتضيات الكمال) ثم قال: (إن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية وكشف له عن ذات الله تعالى التي هي عين ذاته فقد أدرك الذات وعلمها قال رسول الله ﷺ من عرف نفسه فقد عرف ربه) ثم قال أيضًا: (ما المدركة إلّا الذات وما غير المدركة إلّا الصفات لأن عدم التناهي من صفات الذات لا من الذات، فالذات مدركة معلومة محققة والصفات مجهولة غير متناهية، وكثير من أهل الله حجبوا عن هذه المسألة فإنهم لما كشف الله عن ذاته أنه إياهم طلبوا إدراك صفاته فلم يجدوها فأنكروه فلم يجيبوه إذ ناداهم، ولم يعبدوه إذ قال لموساهم ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ وقالوا له لست إلّا المخلوق لأنهم اعتقدوا في الحق أن تدرك ذاته ولا تجهل صفاته، وكان التجلي على خلاف المعتقد فحصل الإنكار وظنوا أن الصفات تدرك في الذات شهودا كما

(١) الإنسان الكامل (الجيلى)؛ ص٢٦.

تدرك الذات، ولم يعلموا أن هذا ممتنع في حق المخلوق لأنك إنما ترى وتعاين ذاتك)[١] انتهى.

وإنما أوردت كلامه بطوله لتعرف مراده ومراد أمثاله من الملحدين الجاهلين، فيتجه لك حينئذ حقيقة الجواب بعد معرفة المراد.

فنقول: قد عرفت مما أشرنا إليه سابقًا في مطاوي كلامنا أن الوجودات منحصرة في ثلاثة أقسام، إما صانع أو صنع أو مصنوع، وبعبارة أخرى إما وجود حق، أو وجود مطلق، أو وجود مقيد، فالصانع هو الله سبحانه، والصنع فعله، والمصنوع ما سوى الله سبحانه من مخلوقاته، ونعني بالوجود الحق الذي هو الصانع تعالى الوجود الواجب المقدس عن كل ما سواه، ومن جملة ما هو مقدس عنه معلوميته من نحو ذاته تعالى لغيره، وإطلاق العبارة عليه ووقوع الإشارة إليه، فإذا أطلقت العبارة الصحيحة فإنما تقع على عنوانه أعني الدليل عليه، ودليله آياته ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان، كما أن وجوده إثباته، فليس عند خلقه إلّا آية معرفته ودليل توحيده ووصفه الذي أوجده بفعله ووصف به نفسه لعباده، كما أنه ليس لهم حظ ولا نصيب من معرفة وجوده إلّا إثبات وجوده، فذلك الوصف الذي وصف به نفسه لخلقه وصف إيجادي تنبيهي، ودليل إثباتي تنزيهي لا كشفي، كما قال عليه السلام: (صفة استلال عليه لا صفة تكشف له) وذلك الوصف ليس كمثله شيء، ولهذا يعرف الله به أنه ليس كمثله شيء، فلا يكون عند أحد من معرفته إلّا إثبات وجود حق واجب صانع ليس كمثله شيء وهو السميع البصير العالم الخبير، ودليل ذلك

(١) الإنسان الكامل (الجيلي)؛ ص٣٨ ـ ٣٩.

الإثبات آياته سبحانه التي أراها في الآفاق وفي أنفس الخلق كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١)، ولا يدرك أحد ما وراء مبدئه الذي هو ذلك الوصف الموصوف والحق المخلوق، لأن الشيء لا يتحقق إلّا في رتبة وجوده وليس له ذكر في ما وراء مبدئه، فكيف يدرك ما وراء مبدئه ولم يكن موجودا متحققا مذكورا هناك، والإدراك فرع الوجود والتحقق، فلو أدرك شيء ما وراء مبدئه يلزم أن يكون موجودا قبل وجوده ومحققا قبل كونه ومتقدما على نفسه، وذلك محال، ومبدأ كل شيء وجود مخلوق لا من شيء كما صرح بهذا أمير المؤمنين وسيد العارفين عليه السلام بقوله: (الْحَمْدُ لِلهِ الْوَاحِدِ، الْأَحَدِ، الصمَدِ، [الْمُتَفَرِدِ] الذِي لَامِنْ شَيْءٍ كَانَ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ، قُدْرَةٌ بَانَ بِهَا مِنَ الْأشياء، وَبَانَتِ الْأشياء مِنْه)(٢).

قوله عليه السلام: (الذي لا من شيء كان) بعد قوله: (الأحد الصمد) إشارة وتفسير لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، وقوله عليه السلام: (ولا من شيء خلق ما كان) بيان وتقرير لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، وقوله عليه السلام: (قدرة بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه) توضيح وتعبير لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ يعني ليس كمثله شيء، سبحان الله ما أعجب عباراته وألطف إشاراته صلوات الله عليه وعلى أولاده الطيبين، فإذا كان مبدأ كل شيء وجودًا مخلوقًا لا من شيء، ولا يدرك شيء ما وراء مبدئه، فلا يمكن أن تكون ذاته تعالى وتقدس معلومة مدركة لما سواه من خلقه، قال أمير المؤمنين عليه السلام في مقام

---

(١) فصلت ٥٣.

(٢) الكافي، ج١ ص٣٢٩.

الثناء والتنزيه لذاته الأحدية في خطبته المسماة بالدرة اليتيمية: (رجع من الوصف إلى الوصف، وعمى القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الانبساط، ودام الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص إلى العجز، والبيان إلى الفقد، والجهد على اليأس، والبلاغ على القطع، والسبيل مسدود والطلب مردود، دليله آياته ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تنزيهه عن الخلق)، وقال عليه السلام: (فقده موجود، ووجوده مفقود) وقال عليه السلام فيها أيضًا: (فأول عبادة الله سبحانه معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه) وقال فيها أيضًا: (وأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم) وفيها أيضا: (إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)، وقال عليه السلام في خطبة أخرى: (ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول)، فبعد هذه الكلمات العجيبات والآيات المحكمات ما يقول هؤلاء الكلاب العاويات، حيث يقول أحدهم: (ما في جبتي إلّا الله) وليس في جبته الكثيفة القذرة التفثة إلّا الشيطان، يسمعون كلام الله سبحانه حيث يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ ويقول: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ويسمعون كلام أمير المؤمنين عليه السلام: (وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُل صِفَةٍ أَنها غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُل مَوْصُوفٍ أَنهُ غَيْرُ الصفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ)[1]، يسمع هذا ويقول:

---

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج، ج١؛ ص١٩٩. نهج البلاغة، ص٣٩.

أحطت خبرًا مجملًا ومفصلًا   بجميع ذاتك يا جميع صفاته

ولا يدري ما يقول فلو كان في ذاته سبحانه وتعالى عما يصفونه بما لا يليق بجنابه إجمال وتفصيل، وجمع وتفريق، وكانت لها صفات كثيرة غير متناهية لا تدرك، فما معنى قول إلهنا عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] و﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]، وما معنى قول إمامنا عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وكمال توحيده الإخلاص له) إلى قوله: (فقد جهله)، أفلا يعلم هؤلاء الجهلة أن الإجمال والتفصيل والجمع والتفريق والكثرة والقلة وكون الشيء مجملًا أو مفصلًا أو جامعًا أو مجموعًا أو متفرقًا أو كثيرًا أو قليلًا وأمثال ذلك كلها من صفات الممكنات، والواجب الحق سبحانه منزه عنها.

وأما قوله:

حاشاك من غاي وحاشا أن تكن   بك جاهلا ويلاه من حيراته

يريد به أن لله سبحانه صفات كثيرة غير متناهية، ومن حيث أنها غير متناهية لا تدرك، ولكنها مع كثرتها وعدم تناهيها هي عين ذاته تعالى، ولا يجوز أن لا يكون سبحانه عالما بذاته، فمن حيث أن الصفات غير متناهية لا يدركها غيره سبحانه، ويدركها سبحانه لأنها عين ذاته، وهو سبحانه عالم بذاته، وأما ذاته سبحانه فهي متناهية مدركة يدركها كل من عرف نفسه التي هي عين ذات الله المتناهية، وإلى ما ذكرنا من مراده أشار بقوله: (اعلم أن الصفات عند المحقق هي التي لا تدرك) إلى قوله: (فالذات مدركة معلومة محققة، والصفات مجهولة غير متناهية).

---

(١) الشورى ١١.

(٢) الصافات ١٨٠.

أقول: ويلاه لهذا القائل من حيراته وجهالاته، كيف يحكم بأن ذاته تعالى متناهية معلومة مدركة، مع أن كل متناه محدود، وكل محدود معدود، لأنه تحيط به حدود كثيرة وأقطار مختلفة، وقد أشار إلى هذا أمير المؤمنين بقوله: (ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده...إلخ) وكل ما كان كذلك فهو حادث.

وأما حكمه بأن الصفات غير متناهية لا تدرك فإن أراد بها صفات الذات كما علم هذا من قوله: (يا جميع صفاته) فإنا لا نعني بها إلّا الذات المقدسة بلا اختلاف ولا تكثر، قال عليه السلام: (ونظام توحيده نفي الصفات عنه) وقال سيدنا وإمامنا علي بن الحسين عليهما السلام: (ضَلتْ فِيكَ الصفَاتُ، وَتَفَسخَتْ دُونَكَ النعُوتُ، وَحَارَتْ فِي كِبْرِيَائِكَ لَطَائِفُ الْأَوْهَام)[1]، فإذا قلنا علمه وقدرته مثلًا فإنما نعني بهما ذاته سبحانه بلا مغايرة كما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله: (هو علم لا جهل فيه، وقدرة لا عجز فيها).

وإن أريد بها صفات أفعاله تعالى كما هو مذهب أئمتنا عليهم السلام ومذهبنا، حيث نطلقها وننسبها إليه تعالى، فهي وإن كانت غير متناهية في الإمكان لكنها متناهية عنده تعالى، قد أحاط بها علما وأحصاها عددًا، لأنه تعالى أحاط بكل شيء علمًا وهو في مكانه[2]، فافهم.

وعلى كل تقدير ليس لقوله: (يا جميع صفاته) معنى صحيح.

وأما قوله: (واعلم أن ذات الله تعالى غيب الأحدية التي كل

---

(١) الصحيفة السجادية؛ ص١٤٨.

(٢) قال صلى الله عليه وآله: (الحمد لله الذي علا في توحده، ودنا في تفرده، وجل في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكل شيء علمًا وهو في مكانه) الاحتجاج، ج١ص ٨١.

العبارات واقعة عليه من وجه غير مستوفية لمعناها من وجوه كثيرة) يريد به أن ذاته تعالى لما كانت مبدأ للأشياء، أي مادة لها كالماء للثلج والمداد للخط، وكالبحر للموج، وكالخشب للباب والسرير والصنم، وغير ذلك من الأمثال التي مثلوا بها لتفهيم عوامهم وتزيين كلامهم، وتبتيك آذان أنعامهم، وكان لكل شيء من الأشياء حدود وهيئات وجهات وحيثيات موهومة، ومشخصات عارضة لحقيقة ذلك الشيء، وكلها خارجة عن تلك الحقيقة التي هي مادته الوجودية التي هي عين ذات الله تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، وكان لكل شيء عبارة تقع عليه، واسم يشار به إليه بملاحظة حقيقته مع جميع حدوده وهيئاته ومشخصاته الموهومة، فكل عبارة تقع على شيء من الأشياء فهي بعينها واقعة على ذاته تعالى من وجه، وذلك الوجه هو أن ذاته تعالى حقيقة ذلك الشيء أي مادته الوجودية، ولكن ذاته الأحدية غير مستوفية لمعنى تلك العبارات من وجوه كثيرة، وذلك لأن تلك الحدود والهيئات والمشخصات الموهومة المدلولة عليها تلك العبارات الواقعة على ذلك الشيء، كلها خارجة عن حقيقة ذلك الشيء التي هي عين ذات الله تعالى، فذاته تعالى لم تكن مستوفية لتلك المعاني، مثلًا إذا قيل الشمس طالعة فهذه العبارة موضوعة لحقيقة الشمس مع جميع مشخصاتها وحدودها وجهاتها وحيثياتها وعوارضها الموهومة، فإذا أطلقت عليها تقع على الحقيقة الشمسية مع جميع تلك المشخصات والحدود والجهات والحيثيات والعوارض الموهومة، وتلك الحقيقة عندهم هي ذاته تعالى، فهذه العبارة واقعة على ذات الله تعالى من وجه وهو أن حقيقة الشمس هي بعينها ذات الله الأحدية، ولكن ذاته تعالى غير مستوفية لمعنى تلك العبارة من وجوه كثيرة، كمعنى استدارة

قرص الشمس وحرارة جرمها ووهاجيتها، ومعنى طلوعها وأفولها وسيرها في البروج وانتقالها من الحمل إلى الثور ومنه إلى الجوزاء وهكذا، ومعنى كونها في السماء الرابعة، وغير ذلك من المعاني الخلقية التي تدل عليها تلك العبارة بالمطابقة أو بالتضمن أو بالالتزام، فعلى هذا فكل عبارة أطلقت على شيء من الأشياء تقع على ذاته تعالى أولا وبالذات من وجه، ثم تقع على ذلك الشيء من حيث نفسه ومشخصاته الموهومة ثانيًا وبالعرض من وجوه كثيرة، بناء على مذهبه ومذهب أشباهه من القائلين بوحدة الوجود، هذا ما عندهم ومبلغهم من العلم.

وأما ما عندنا مما وصل إلينا ببركة أئمتنا وهداية ساداتنا المعصومين عليهم السلام هو أنه سبحانه لا تقع على ذاته المقدسة عبارة، ولا تصل إليه إشارة، ولا تدرك بمفهوم لفظ وكلمة، ولا بمنطوق جملة وكلام، ولا بدلالة قول وعبارة، ولا بإيماء شيء وإشارة، ولا يلحق أحد وصفه من معاينة، ولا يجد أحد كيف هو من سر وعلانية، إلّا بما دل عز وجل على نفسه من آياته ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان، فإذا أطلقت عبارة صحيحة مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾(١) الآية، ومثل قوله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(٢)، ومثل قوله عليه السلام: (كان عالمًا إذ لا معلوم، وقادرًا إذا لا مقدور)(٣) وهكذا، ومثل قوله عليه السلام: (ذات

---

(١) النور ٣٥.

(٢) الشورى ١١.

(٣) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته=

علامة سميعة بصيرة)[١]، ومثل قوله عليه السلام: (الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده)[٢]، ومثل قوله عليه السلام (الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالًا فيكون أولًا قبل أن يكون آخرًا، ويكون ظاهرًا قبل أن يكون باطنًا)[٣]، ومثل قوله عليه السلام: (فقده موجود، ووجوده مفقود)[٤]، ومثل قوله عليه السلام: (ظاهر في غيب، غائب في ظهور)[٥]، ومثل قوله عليه السلام: (وجوده إثباته ودليله آياته)[٦] ومثل قوله عليه السلام: (داخل في الأشياء لا بممازجة، خارج عن الأشياء لا بمزايلة)[٧]، ومثل قوله عليه السلام: (عال في دنوه، دان في علوه، قريب في بعده، بعيد في قربه)[٨]، مثل تعبير بعض العارفين عنه بالذات البحت، والواجب

=ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متكلما؟ قال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عز وجل ولا متكلم) التوحيد، ص١٣٩.

(١) عن أبان بن عثمان الأحمر قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: (أخبرني عن الله تبارك وتعالى، لم يزل سميعًا بصيرًا عليمًا قادرًا؟ قال: نعم. فقلت له: فإن رجلا ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعًا بسمع، وبصيرًا ببصر، وعليمًا بعلم، وقادرًا بقدرة. قال: فغضب عليه السلام، ثم قال: من قال ذلك ودان به فهو مشرك، وليس من ولايتنا على شيء، إن الله تبارك وتعالى ذات علامة سميعة بصيرة قادرة) الأمالي للصدوق، ص٧٠٨.

(٢) الصحيفة السجادية، ص٢٨.

(٣) نهج البلاغة، ص١١٢.

(٤) الكلمات المكنونة، ص٣٧.

(٥) الحقائق، ص١٩٠.

(٦) الاحتجاج، ج١ ص٣٠٩.

(٧) نهج البلاغة، ص٥٥.

(٨) اقتباس من أحاديث مختلفة كـ(سبحان من هو في علوّه دان وفي دنوه عال) بحارالأنوار، ج٩١ ص٢٠٧. مصباح الكفعمي، ص١٢٠.

الحق، والغيب المطلق، والكنز المخفي، وشمس الأزل، والمعلوم والمجهول، والموجود والمفقود، يعني أنه سبحانه معلوم بصنعه مجهول بكنهه، موجود بآياته مفقود بذاته، وأمثال هذه العبارات الصحيحة إذا أطلقت فإنما تقع على عنوان معرفته ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان، لا على ذاته تعالى، وتلك العبارات ومعانيها التي تدل عليها كلها حادثة مخلوقة تقع على شيء حادث ووصف مخلوق، أوجده الله سبحانه بفعله ومشيئته لا من شيء، وجعله آية معرفته ودليل توحيده، يعرفه سبحانه به من عرفه، ويوحده به من وحده، وتوجه به إليه تعالى من قصده، لا فرق بينه تعالى وبينها إلّا أنه عبده وخلقه بدؤه منه وعوده إليه، ونحن ذلك الوصف المخلوق الذي أوجده بمشيئته لا من شيء، ووصف به نفسه لنا، لأنه تعالى تجلى لنا بنا وبنا امتنع منا، (فأسماؤه تعبير وصفاته تفهيم، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه)(١)، بل الأسماء أسماؤنا والصفات صفاتنا ومعناها له أي خلقه وملكه وعبده، هذا ما عندنا من العلم مما وصل إلينا بتعليم أئمتنا الهادين المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، وذلك ما عندهم من الجهل مما وصل إليهم بإضلال أئمتهم الضالين المضلين: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(٢).

والحاصل أن هذه الطائفة أنكروا العيان ولبّسوا في البيان وألحدوا في أسمائه تعالى، وادعوا لأنفسهم مرتبة الجامعية الكبرى، ولقبوا أنفسهم بألقاب صاحب الولاية المطلقة والسلطنة القديمة، واتخذوا

---

(١) الاحتجاج، ج٢ص ١٧٦.
(٢) الزمر ٩.

إلهم هواهم، وركنوا إلى الظلمة، ومالوا إلى العاجلة، وذروا وراءهم يومًا ثقيلًا، فخذلهم الله بعدله ومقتضى حكمه وإتمام حجته وتتميم كلمته، فقال جل شأنه في شأنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[1] فإن قلت إنك تدعي صحة ما تقول وهم يدعون صحة ما يقولون ويقول الشاعر:

وكل يدعي وصلًا بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

أقول:

إذا انبجس الدموع على الخدود ... تبين من بكى ممن تباكى

وأقول:

فهبني أن أقول الصبح ليل ... أيعمى الناظرون عن الضياء

وقوله في الإنسان الكامل: (اعلم أن ذات الله تعالى عبارة عن نفسه التي هي بها موجود، لأنه قائم بنفسه وهو الشيء الذي استحق الأسماء والصفات بهويته ويتصور بكل صورة يقتضيها.. إلى آخره).

حاصل كلامه أن ذاتي الأحدية عبارة عن نفسي التي بين جنبي التي أنا بها موجود، لأني قائم بنفسي وموجود بذاتي لا بغيري، وكل ما سواي من الموجودات موجود بي قائم بنفسي محتاج إلى ذاتي وهويتي، وأنا الشيء الذي استحق جميع الأسماء والصفات بهويتي، وأنا أتصور بكل صورة تقتضيها هويتي وأتلون بكل لون تتعلق به مشيئتي، وأنا الموصوف بكل وصف ويطلبني كل نعت، وكل معنى

---

(١) الأنعام ١١٢ ـ ١١٣.

مني وفي وإلي، وكل اسم فهو اسمي، وكل مفهوم دل على كمال ذاتي أو فعلي فهو كمال.

فإن قلت: إن ما تنسبه إليهم لا يقول به أحد وأنا أنكره، وأقول أنهم لا يقولون بهذا ولا يريدون بقولهم هذا ما تقول في معنى كلامهم.

أقول: اسمع وافهم قول شاعرهم:

كل ما في عوالمي من جماد ونبات وذات وروح معاري
صور لي خلقتها فإذا ما أزلتها لا أزول وهي جواري
أنا كالثوب إن تلونت يوما باحمرار وتارة باصفراري[(١)]

ولا تعجل إلى إنكار ما لا تعلم.

وأما قوله: (وكثير من أهل الله حجبوا عن هذه المسألة... إلى آخر كلامه) فهو عبارة تدل على تكلفه وتصنعه وتموجه في بحر ضلالته وجهالته، ولا فائدة في بيان ما أراد به وما يرد عليه.

وبالجملة إن الأحدية بكل اعتبار اعتبرها المخلوق لا يقع على صرافة الذات البحت وإنما يدرك المخلوق مخلوقًا، قال عليه السلام: (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله والطريق مسدود والطلب مردود وجوده إثباته ودليله آياته).

فلا يعرف أحد من الخلق من معنى الأحدية إلّا معنى محدثًا، والمعنى المحدث لا يقع إلّا على معنى محدث، إلّا أن من المعاني المحدثة ما هو مختص بحيث لا يصدق على شيئين، وما كان كذلك

---

(١) الإنسان الكامل ص٤٤ الباب الرابع: في الألوهية، البيت الأخير لم نجده في النسخة التي عندنا من كتاب الإنسان الكامل.

كان ما يدل عليه من الأسماء كذلك، وإلا لم يدل عليه، فإذا وجدت الأسماء التي لا تجوز لغير الله دلت على اختصاصها بالله تعالى، كالألوهية والأحدية والصمدية والأزلية الأولية، وكذلك معانيها التي تقع عليها هذه الألفاظ، وكل هذه الألفاظ ومعانيها محدثة وإن كانت مختصة بالذات البحت، والأحدية دون الألوهية، لأن الأحدية صفة الأحد، كما أن الألوهية صفة الله، والأحد صفة الله لا العكس، والأحدية وإن كانت جامعة لمراتب التوحيد الأربع.

توحيد الذات قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾(١).

وتوحيد الصفات قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾(٢).

وتوحيد الأفعال قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾(٣) وقال تعالى ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾(٤).

وتوحيد العبادة قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾(٥).

لكنها أي الأحدية أخص شمولًا من الألوهية التي هي الجامعة لصفات القدس والعزة وصفات الإضافة والنسبة وصفات الخلق والتربية، فهي أي الأحدية من صفات الألوهية، كما أن الأحد

---

(١) النحل ٥١.
(٢) لشورى ١١.
(٣) الروم ٤٠.
(٤) فاطر ٤٠.
(٥) الكهف ١١٠.

الموصوف بالأحدية من صفات الله، فتقول الله أحد فيحمل على الله، ولا تقول الأحد الله إلّا على البدلية أو على النسبة البيانية.

والحاصل ما ذهب إليه هؤلاء المتصوفة وغيرهم من الحكماء الذين مشوا على طريقتهم من معناها بأنها عبارة عن ذات الله سبحانه ليس بصحيح، وهي معنىً محدث ليس لغير المعبود بالحق، لأنها من الأسماء المختصة وإن كان لها مراتب لا يحصي عددها إلّا الله، يطلق هذا اللفظ عليها من باب التشكيك، والعارف إذا كشف سبحات الجلال من غير إشارة ظهرت الأحدية التي هي نفسه العليا وحقيقته من ربه فيه، وهي الجلال في الجواب الأول، والمعلوم في الثاني، والسر في الثالث، وهي نور الله الذي خُلِق منه المؤمنون في قوله عليه السلام: (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخ المؤمن من أبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)[1] فافهم.

وهي نور الله الذي ينظر به المؤمن المتفرس في قوله عليه السلام: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[2].

وهي النفس التي من عرفها فقد عرف ربه.

وهي السبيل إلى معرفة الله في قوله عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا).

فإن قلت: هي السبيل إلى معرفتهم كما قال عليه السلام بدون فرق ومغايرة، بيّن قولك هي السبيل إلى معرفة الله فقد جئت بالحق وأزهقت الباطل إن الباطل كان زهوقًا.

---

(١) بصائر الدرجات، ص١٠٠.
(٢) الأمالي، ص٣٢٤.

وإنما قال عليه السلام: (جذب الأحدية) لأن الباقي بعد إزالة الفاني في الحقيقة هو الجاذب للفاني، كما أنه في الإيجاد هو الدافع له.

والمعنى أن الحقيقة في الإيجاد يفيض عنها آثارها وشئونها وسبحاتها، فهي تدفعها من كتم الإمكان إلى شهادة الأعيان، وفي الإعدام والإفناء هي تجذبها من شهادة الأعيان إلى غيب الإمكان قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[١] فحقيقتك التي هي الأحدية بنسبة مقامك، وهي وجه من وجوه الأحدية الجامعة الكبرى، وسبحة من سبحات وجه ربك ذو الجلال والإكرام، الذي هو الباقي بعد فناء كل شيء، عنها ظهرت وفيها فنيت وبها بقيت ومنها بُدأت وإليها عادت ورجعت ووصلت، لا تجاوز مقامك ولا تدرك ما وراء مبدئك قال عليه السلام: (تجلى لها بها وبها امتنع منها) وقال عليه السلام: (ألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله) فحقيقتك هي المثال الملقى في هويتك، وهي التي أظهر الله عنها أفعاله، ففي حالة الإيجاد هي دافعة، وفي حالة الإعدام والإفناء هي جاذبة، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين في وصيته التي وصى بها ابنه الحسن المجتبى صلوات الله عليهما قال عليه السلام: (اعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وأن المغني هو المعيد وأن المبتلي هو المعافي... الخ)[٢].

وقوله عليه السلام: (لصفة التوحيد) المراد بالتوحيد هنا هو الجلال في الجواب الأول، والمراد بصفته هو سبحات الجلال، والمراد بالجذب هو الكشف والمحو والهتك في الأجوبة المتقدمة، وإنما كان

---

(١) الرحمن ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٤ ص٢٢٢.

قوله عليه السلام: (جذب الأحدية لصفة التوحيد) صالحًا لزيادة البيان، لأن ما تقدم من الأجوبة لا يدل على معرفة المزيل للموانع، ولا على كيفية الإزالة، ولا على نسبة المزال إلى الباقي بحيث يتوقف ظهوره على إزالته.

وهنا اشتمل على ذلك كله، مع أنه بمعنى ما تقدم، فبيّن عليه السلام أن المزيل هو الأحدية التي هي الحقيقة، أي نفسك وحقيقتك من ربك، لأنك أنت المزيل لنفسك والجاذب لصفاتك والكاشف لسبحاتك والماحي لموهوم نفسك وما يرتبط بها من الشئون والأحوال والأفعال والنسب والإضافات، ويدل على هذا قوله تعالى في الحديث القدسي حين قال ذلك النبي عليه السلام: (يا رب كيف الوصول إليك فأوحى إليه ألق نفسك وتعال إلي) وقد تقدم.

والحاصل:

دواؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك وما تشعر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وفي قوله عليه السلام: (جذب الأحدية لصفة التوحيد) إشارة خفية إلى أن الفناء في الأحدية الذي هو ظهور الحقيقة، ومعرفة التوحيد الحقيقي، لا يحصل إلّا بالتدريج، بجذب الأحدية تلك الصفات والشئون والنسب والإضافات من الوجدان إلى الفقدان، حتى تكون ألسنة أحواله وأفعاله وأقواله معترفة بالتوحيد ومظهرًا له، وأن الأحدية بها قوام صفة التوحيد، وأن صفة التوحيد إنما تفقد فيها، وأنها الكتاب الحفيظ لصفة التوحيد، وأن نسبة صفة التوحيد التي هي سبحات الجلال في الأول، والموهوم في الثاني، والستر في الثالث،

إلى الأحدية التي هي الجلال في الأول، والمعلوم في الثاني، والسر في الثالث، نسبة النور إلى المنير، والصورة إلى الشاخص، والكلام إلى المتكلم، والصفة إلى الموصوف، والحجاب إلى المحتجب.

[مراتب التوحيد]

وأن التوحيد له مراتب بعدد أنفاس الخلائق، على حسب تجليات الحق للخلق، فكل ما تجلى وظهر لشيء بذلك الشيء في مقام ورتبة فهو توحيد ذلك المتجلي له ومعبوده الذي صمد إليه، وذلك أن الحق عز وجل يظهر له في صفة من صفاته، فيعبده من تلك الصفة لأنها وجه ربه الذي تجلى له به فيه يعرف معبوده ويتوجه إليه، ولذا اختلفت مراتب الموحدين ودرجات العارفين على حسب اختلاف مظاهر التوحيد وهياكله، ويجمع تلك المراتب كلها ثلاث مراتب كلية.

المرتبة الأولى: التوحيد الآثاري، وهو ظاهر التوحيد الذي أتت به الأنبياء والرسل في ظاهر شريعتهم ودعواهم إلى قبوله، أي دعوا أممهم ورعيتهم إلى الإقرار به بلسانهم، والاعتقاد به في جنانهم، والعمل به بأركانهم وجوارحهم، وهو التوحيد الجامع لمراتبه الأربع كما أشرنا إليها سابقًا.

الأولى: توحيد الذات بنفي الإثنينية وإثبات الصانع للعالم.

الثانية: توحيده في الصفات، أي وصفه بالصفات الكمالية الذاتية التي يعبر عنها بالصفات الثبوتية والجمالية، مع الاعتقاد بأنها عين ذاته تعالى، بلا اختلاف ولا تكثر، وتنزيهه تعالى عن كل نقص ووصمة، وعن كل ما يجوز على غيره، الذي يعبر عنه بالصفات السلبية والجلالية، والإقرار بأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الثالثة: توحيده في الأفعال، بأن تعتقد أنه تعالى ليس له شريك ولا وزير ولا مشير ولا ظهير في الأفعال الربوبية، ولا في الخصائص الألوهية التي يجمعها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾(١) الآية، وأنه سبحانه فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، المتقن الصنعة الحسن الصنيعة، العدل الذي لا يجور والأكرم الذي ترجع إليه الأمور.

والرابعة: توحيد العبادة، بأن تعبده ولا تشرك به شيئًا في عبادته، ولا أحدا في طاعته، ويلزم هذا التوحيد الإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، والتصديق بهم وبكل ما جاءوا به من التكاليف وأحوال النشأتين.

فهذا هو التوحيد الآثاري، وهو أسفل مراتب التوحيد، وله أهل، وهم أصحاب العلوم والرسوم، ودليلهم في إثبات هذا التوحيد دليل المجادلة بالتي هي أحسن.

والمرتبة الثانية: التوحيد الشهودي، وهذه المرتبة إنما تحصل بعد الرجوع إلى الآثار، والنظر إليها بعين الاعتبار، ثم الرجوع منها إلى عالم الأنوار والنظر فيه بعين الاستبصار، وملاحظة الآيات البينات التي أراكها سبحانه في كتبه الثلاثة، الكتاب التكويني الكبير الآفاقي، والكتاب التكويني الصغير الإنساني، والكتاب التدويني المبين القرآني، فتقرأ كلمات الأول وحروف الثاني فتقابل وتطابق ما فيهما بما في الثالث، فإن وجدتها متوافقة متطابقة فاعلم أن الله سبحانه أراد هدايتك وإنجاز وعده لك ولأمثالك من المحسنين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢) فاجتهد بقدم

---

(١) الروم ٤٠.

(٢) العنكبوت ٦٩.

العلم والعمل حتى تشهد الحق في كل شيء وترى ظهوره في كل نور وفيء، واعلم أنه سبحانه بصرف وحدته جلي ولشدة ظهوره خفي، وما أحسن ما قال الشاعر:

خفي لإفراط الظهور تعرضت لإدراكه أبصار قوم أخافش
وحظ العيون النجل من نور وجهه وغرته حظ العيون الأعامش

أقول: أخافش جمع خفاش وهو معروف، والنُجل بضم النون جمع نجلة وهي العين الواسعة سوادًا وبياضًا، وأعامش جمع أعمش وهو الذي لا يبصر في الضياء لضعف بصره.

والحاصل إذا رجعت من الآثار إلى عالم الأنوار ونظرت بعين الاستبصار حصل لك التوحيد الشهودي، وعلمت أنه لا إله إلّا الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، قال مولانا سيد الشهداء عليه السلام: (إِلَهِي أَمَرْتَ بِالرجُوعِ إِلَى الْآثَارِ فَأَرْجِعْنِي منها [إِلَيْكَ] بِكِسْوَةِ الْأَنْوَارِ وَهِدَايَةِ الِاسْتِبْصَارِ حَتى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا مَصُونَ السر عَنِ النظَرِ إِلَيْهَا وَمَرْفُوعَ الْهِمةِ عَنِ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهَا إِنكَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِير)(١)، وهذا التوحيد أوسط مراتبه، وله أهل وهم أرباب القلوب السليمة، وهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٢)، ودليلهم في إثبات هذا التوحيد دليل الموعظة الحسنة.

والمرتبة الثالثة: هي التوحيد الحقيقي، وهو الفناء في الأحدية بنفي الكثرة وتحقق الوحدة الحقيقية، ومعرفة الحق بالحق بلا كيف ولا إشارة، ولا يحصل هذا التوحيد إلّا بكشف سبحات الجلال من

---

(١) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام.
(٢) النور ٣٧.

غير إشارة، ومحو الموهوم، وهتك الستر، وجذب الأحدية لصفة التوحيد، وهذا أعلى مراتب التوحيد، وله أهل وهم أولوا الأفئدة الذين ينظرون بنور الله، ودليلهم في إثبات هذا التوحيد دليل الحكمة.

وقد أمر الله سبحانه نبيه أن يدعو أهل كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث بما يناسب مقامهم من الدليل فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1].

اعلم أن ما ذكرنا من مراتب التوحيد هو التوحيد الرسمي الصفاتي، وأعلى مراتبه هو التوحيد الحقيقي.

وأما التوحيد الذاتي الحقي فهو توحيد الحق سبحانه لنفسه، وهو توحده بلا كيف فهو الشاهد لنفسه بنفسه بأنه الله الذي لا إله إلّا هو قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾[2] فقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو التوحيد الذاتي الحقي، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ يعني وشهد الملائكة وأولوا العلم أيضًا أنه لا إله إلّا هو، وهذا هو التوحيد الصفاتي الحقيقي.

وقولي توحيد الحق لنفسه تعبير وكناية عن عدم إدراك أحد لكنه ذاته تعالى، وإلا فحقيقة التوحيد هو المحبة الحقيقية التامة المشار إليها بمقام: (أحببت أن أعرف) وهو التعيّن الأول، ومظهر هذا التوحيد الذي هو المحبة الحقيقية، الحقيقة المحمدية وهي الحجاب الأعظم وإليها تنتهي مراتب التوحيد كلها، والطريق بعد هذه المرتبة الشريفة مسدود والطلب لما فوقه مردود، فسبحان من لا يعرف ذاته إلّا هو.

---

(١) النحل ١٢٥.

(٢) آل عمران ١٨.

وأما أهل التصوف القائلون بوحدة الوجود، المجمع على كفر قائله فلا يعنون بالفناء في الله والبقاء بالله إلّا الفناء في الذات الحق والبقاء بها، على أن الفاني عين الباقي الذي هو الله سبحانه، ولهذا يقول: (أنا الله بلا أنا) (وما في جبتي إلّا الله) وهذا كفر صريح.

فكل من وحده وعرفه تعالى فإنما يوحده بالتوحيد الذي هو نفس ذلك الموحِّد بكسر الحاء، ويعرفه بصفة من صفات فعله تعالى التي هي حقيقة ذلك العارف، وهذا التوحيد توحيد رسم لا توحيد حق، وهذه الصفة صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له.

وكل توحيد سوى توحيدهم عليهم السلام فهو وجه من وجوه توحيدهم عليهم السلام، وكل حقيقة سوى حقيقتهم عليهم السلام فهي رأس من رؤوس حقيقتهم عليهم السلام، وسبحة من سبحات جلالهم، وموهوم من الموهومات عند معلومهم، وستر من أستار سرهم، وصفة من صفات توحيدهم، وأثر من آثار نور حقيقتهم، الذي أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره، ولهذا قال عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا)، فهم المعرفة وهم المعروفون وهم العارفون، وعنهم المعرفة، ومنهم المعرفة، وبهم المعرفة، ولهم المعرفة، لا معرفة إلّا معرفتهم وسبيل معرفتهم، ولا معروف إلّا هم عليهم السلام وأمثال معرفتهم، ولا عارف إلّا هم، وأنوار معرفتهم وحقيقتهم حقيقة الحقائق، وذاتهم ذات الذوات، والمحبة الحقيقية التامة المستديرة على نفسها التي غايتها نفسها وبدايتها من نفسها عبارة عن حقيقتهم، فهي غاية الغايات ونهاية النهايات.

فحقيقة التوحيد توحيدهم، وصبح الأزل أسرارهم، والنور المشرق منه أنوارهم عليهم السلام.

وأما التوحيد الذاتي فهو لا يعرف ولا يوصف ولا يحد والطريق إليه مسدود وطلبه مردود، وقد أشار إلى هذا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو مشرك، ومن عرف التوحيد فهو ملحد، ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر).

[شرح: (من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو مشرك، ومن عرف التوحيد فهو ملحد، ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر)]

أقول: لقوله عليه السلام: (من سأل عن التوحيد فهو جاهل) معنيان:

الأول: أن يكون المراد بالتوحيد المسؤول عنه التوحيد الذاتي، الذي لا يمكن إدراكه ووصفه في حق الممكن، فحينئذ قوله عليه السلام: (من سأل عنه فهو جاهل) معناه أن من سأل عن التوحيد الذي هو ذاته تعالى فإنما سأل [عن] شيء يمتنع إدراكه لغير ذلك الشيء، ولا يمكن وصفه وتعريضه وبيانه لغيره، لأنه لا توصل إليه إشارة ولا تكشفه عبارة، فكيف يوصف بوصف يعرف به أو يعبر بعبارة تكشف له، فدل سؤاله عن التوحيد الممتنعة معرفته في حق السائل، غير الممكن وصفه وتعريفه وبيانه في حق المسؤول، على أنه جاهل في سؤاله، لأنه سأل عن حقيقة شيء ليس للمسألة عنه جواب.

الثاني: أن يكون المراد بالتوحيد المسؤول عنه التوحيد الصفاتي، الذي يمكن إدراكه، وحينئذ معنى قوله عليه السلام: (من سأل عنه فهو جاهل) أن من سأل عن هذا التوحيد الذي جميع العقول مفطورة على معرفته، فهو جاهل غافل عما هو مفطور عليه ففي الدعاء: (أسألك بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول وأخذت به المواثيق وأرسلت به

الرسل وجعلته أول فروضك ونهاية طاعتك)[١] الدعاء، وعلى هذا فقوله عليه السلام إشارة إلى المرتبة الأولى من التوحيد وهو التوحيد الآثاري الصفاتي الذي فطر الله عليه عقول جميع خلقه وينبغي لهم أن لا يسألوا عنه، لأنهم مفطورون على معرفته، لأنه سبحانه معروف بآياته معلوم بما يدل عليه من آثار فعله وصنعه، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٥] وفي الدعاء: (تعرفت لكل موجود فما جهلك موجود) فمن سأل عن التوحيد الذي مفطور عقله على معرفته فهو جاهل، أي غافل عما هو مفطور عليه، وألا يعرفه حين رجع إليه عقله، وأما من لم يكن من الغافلين وهو من أحد الصديقين حين رأى قومه الغافلين عما فطرت عليه عقولهم مما أرسلت به الرسل من التوحيد، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٦]، وهو حبيب النجار مؤمن آل يس، قيل أنه ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وبينهما ستمائة سنة.

---

(١) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم، ج١ ص٢٧٨.
(٢) إبراهيم ١٠.
(٣) لقمان ٢٥.
(٤) العنكبوت ٦١
(٥) العنكبوت ٦٣.
(٦) يس ٢٠ ـ ٢٢.

وبالجملة من سأل عن التوحيد بأي وجه فهو جاهل غافل.

وقوله عليه السلام: (ومن أجاب عنه فهو مشرك) له أيضًا معنيان.

الأول: أن من أجاب عن التوحيد الذاتي الذي هو ذات الله فهو مشرك، لأنه وصف الله سبحانه، ومن وصفه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، فتفسير قوله عليه السلام: (ومن أجاب عن التوحيد فهو مشرك) في قوله عليه السلام: (فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه... إلخ)[1] لأن كلامهم عليهم السلام يفسر بعضه بعضا، فقوله عليه السلام: (ومن قرنه فقد ثناه) يدل على أن من أجاب عن التوحيد بأن وصفه فقد جعله اثنين، ومن جعله اثنين فهو مشرك لقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[2]، وذلك لأن من يصف شيئًا ويعرفه فإنما يصفه ويعرفه بحده أو برسمه، وكلا التعريفان هنا ممنوعان.

والثاني: أن من أجاب عن التوحيد الصفاتي الحقيقي الذي هو عنوان معرفته تعالى، بأنه ليس كمثله شيء بأن وصفه بحد أو برسم، بحيث يتميز بوجه من الوجوه من غيره فهو مشرك أيضًا، لأن العنوان دليل المعنون وصفته، ولا يكون عنوانًا إلّا بعد كشف جميع سبحاته، فإذا كشف جميع السبحات بقي شيء ليس كمثله شيء، وإلا لم يكن عنوانًا لشيء ليس كمثله شيء، فإذا كان العنوان شيئًا ليس كمثله شيء فكيف يجوز تعريفه ووصفه بحد أو برسم يميزه من غيره، قال عليه السلام: (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم

---

(١) بحار الأنوار، ج٤ ص٢٤٩.

(٢) النحل ٥١.

مردود عليكم)[١] وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن التوحيد والعدل: (التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه)[٢].

نعم للعنوان تعريف سلبي تنزيهي تنبيهي لا تعريف ثبوتي كشفي كقوله عليه السلام: (كشف سبحات الجلال من غير إشارة) إلى آخر كلامه.

وأما قوله عليه السلام: (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) فإنما هو لبيان حدوثه لا بيان كيفيته، فيكون قوله عليه السلام هذا أيضًا تعريفًا تنزيهيًا تنبيهيًا، بأن ذلك النور المحدث المخلوق بحيث تلوح آثاره على هياكل التوحيد الذي ليس كمثله شيء فضلًا عن ذاته وحقيقته، فمفاد جميع الأجوبة واحد وهذا ظاهر ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣].

وأما قوله عليه السلام: (ومن عرف التوحيد فهو ملحد) يعني أن من ادعى معرفة التوحيد الذاتي الحقي الذي هو ذات الله الذي لا يمكن معرفته إلّا للحق سبحانه فهو ملحد قد ادعى ما ليس له بحق، لأنه تعالى هو الذي عرف ذاته بذاته بلا مغايرة من العارف والمعروف، لأن ذاته سبحانه هو، وهو ذاته، فمعرفته بذاته عين ذاته كما أشار إلى هذا مولانا الرضا عليه السلام حين سأله السائل فقال: (هل كان الله سبحانه عارفًا بنفسه قبل خلقه؟ قال عليه السلام: نعم، قال السائل: يراها ويسمعها؟ قال عليه السلام: ما كان محتاجًا إلى ذلك.... إلى أن قال عليه السلام: هو نفسه ونفسه هو)[٤] انتهى، وقد تقدم الحديث فراجع.

(١) الكلمات المكنونة، ص٣٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٥ ص٥٤.
(٣) ق ٣٧.
(٤) الاحتجاج، ج٢ ص١٩٣.

ولا يمكن إدراك ذاته تعالى لغيره بوجه من الوجوه، ولا يدعي هذه المعرفة، أي معرفة التوحيد الذاتي الحقي من الخلق إلّا هذه الطائفة الصوفية الملحدة القائلة بوحدة الوجود المدعية لأنفسهم، التي هي كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، الربوبية التي مثلها مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، بل ادعوا مرتبة عظيمة وجاءوا شيئًا إدًا، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ * أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا * لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا * وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾(١)، بل ادعوا أمرًا أعظم وأكبر وأشنع من هذا، وهو ادعاؤهم بأن ذاتهم الموهومة عين ذات الله الأحدية الصمدية، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وقولهم ما في جبتي إلّا الله، وقول شاعرهم، شعر:

أنا ذلك القدوس في قدس العماء محجب

أنا ذلك الفرد الذي فيه الكمال الأعجب

وقوله:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما ... سواي فأرجو فضله أو فأخشاه

إلى أن قال:

وإني لرب للأنام وسيد ... جميع الورى اسم وذاتي مسماه

وغير ذلك من كلماتهم وأشعارهم التي تشمئز منها القلوب، وذلك لأنهم خذلهم الله لما رأوا وسمعوا أن آل محمد ﷺ نسبوا لأنفسهم مرتبة الجامعية الكبرى، التي هي مرتبة القطبية لدائرة وجود

---

(١) مريم ٩٠ ـ ٩٥.

الممكنات، أضمروا العداوة لهم عليهم السلام حسدًا من عند أنفسهم وظلمًا وعلوًا على غيرهم، لخبث طينتهم وتغيير خلقتهم وتبديل فطرتهم، وادعوا لأنفسهم الخبيثة أعظم مما أثبتوا عليهم السلام لأنفسهم، فأنزل الله الذي أعطى كل ذي حق حقه، وأظهر كل ذي فضل فضله، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى في كتابه الكريم ما يدل على صدق مقالتهم عليهم السلام فيما أثبتوا لأنفسهم، وجواز عدالتهم فيما نسبوا إليها من المرتبة العظمى والولاية الكبرى، وعلى كذب أعدائهم وظالمي حقوقهم، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾[١]، فقوله عليه السلام: (ومن عرف التوحيد فهو ملحد) تعريض لهؤلاء القوم الذين يلحدون في أسمائه تعالى ويضعونها في غير مواضعها، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[٢] ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

وأما قوله عليه السلام: (ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر) يعني أن من لم يعرف الله سبحانه بآياته الظاهرة وعلامات قدرته القاهرة، التي أراها عباده في الآفاق وفي أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق، ولم يوحده بالتوحيد الآثاري الذي يكون مرتعًا لجميع الآدميين، أو بالتوحيد الشهودي الذي يكون مشربا للمقربين، أو بالتوحيد الحقيقي الذي هو مقصود العارفين الكاملين، فهو من الكافرين الجاحدين، الذين وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين، الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، ويجحدون بآيات الله واستيقنتها أنفسهم ظلمًا

---

(١) الأعراف ١٨٠.

(٢) الأنعام ١١٢.

(٣) الأنعام ١٣٩.

وعلوًا، فكل من لم يعرف التوحيد الذي فطر الله عليه العقول وأخذ به المواثيق، وأرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وجعله أول فروضه ونهاية طاعته، وأصلًا من أصول دينه، فهو كافر ذاهب في بحار الظلمات، مستغرق في لجج الكثرات، منكر للعيان جاحد للبيان والبرهان، قد كفر بالتوحيد الظاهر في كل شيء، الساري بالقيومية في كل نور وفيء، بحيث لا يكون شيء أظهر منه، ولا يقوم شيء إلّا به.

تنبيه

اعلم أن الشبلي وهو من مشايخ أهل التصوف قد أشار إلى ضيق مسلك التوحيد وصعوبة إدراكه بقوله: (من أجاب عن التوحيد بعبارة فهو مشرك، ومن أشار إليه بإشارة فهو زنديق، ومن أومى إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن ظن أنه [منه] قريب فهو [عنه] بعيد، ومن [به] تواجد فهو [له] فاقد، وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم، محدث مصنوع مثلكم).

وعبارته ألفاظ حديثين أخذهما من أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة عليهم السلام، إلّا أنه مزقهما عمدًا وغيرهما صورة ولفظًا، وحرفهما معنى، وألحد فيهما ظلمًا وعلوًا، وأحد الحديثين قول أمير المؤمنين عليه السلام، والآخر قول الباقر عليه السلام، وقد عرفت قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: (من سأل عن التوحيد فهو جاهل...إلخ) مع بعض البيان لقوله عليه السلام، وأما قول مولانا الباقر عليه السلام فهو ما ذكرنا سابقًا من قوله عليه السلام: (كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم) انتهى.

فأنت إذا نظرت إلى كلام الشبلي وأمثاله من أشباه الناس، وإلى كلامنا المأخوذ من أهل العصمة عليهم السلام، فلا تتوهم اتحاد المذهبين لتشابه الكلامين، بعدما عرفت من فساد مذهبهم واتحاد مشربهم وتشابه قلوبهم وتوافق كلماتهم وأشعارهم وأمثالهم، لأن مذهبنا مذهب أهل بيت العصمة، وإنا ذهبنا إلى عين صافية تجري بأمر الله، ومذهبهم مذهب العامة والجماعة، وأنهم ذهبوا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض، وأيضًاكلامنا المأخوذ منهم عليهم السلام صدر عن عقل شرعي، أشار إليه الباقر بأنه: (ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)، وكلامهم صدر عن جهل كلي، أشار إليه إمامنا عليه السلام بقوله: (تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل)[1]، وأيضًا لا بد من فتنة يبتلى بها الناس بعد نبيهم صلى الله عليه وآله ليتعين الصادق من الكاذب، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2] ففي الكافي عن الكاظم عليه السلام أنه قرأ هذه الآية ثم قال: (مَا الْفِتْنَةُ قيل الْفِتْنَةُ فِي الدينِ فَقَالَ يُفْتَنُونَ كَمَا يُفْتَنُ الذهَبُ ثُم قَالَ يُخْلَصُونَ كَمَا يُخْلَصُ الذهَبُ)[3].

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: (أَيهَا الناسُ إِنمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ يَتَوَلى فِيهَا رِجَالٌ رِجَالًا فَلَوْ أَن الْبَاطِلَ خَلَصَ لَمْ يَخْفَ عَلَى ذِي حِجًى وَلَوْ أَن الْحَق خَلَصَ لَمْ يَكُنِ اخْتِلَافٌ وَلَكِنْ

(١) الكافي، ج١ ص٥٩.
(٢) العنكبوت ٢ ـ ٣.
(٣) الكافي ج١؛ ص٣٧٠.

يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ[(١)] وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَيَجِيئَانِ مَعًا فَهُنَالِكَ اسْتَحْوَذَ الشيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَنَجَا الذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى)[(٢)].

والحاصل أن الشبلي أراد بكلماته هذه أن التوحيد لا يدرك بعبارة ولا بإيماء وإشارة، ولا بتوهم متوهم، وإنما يدرك بأن تدرك ذاتك بذاتك التي هي عين ذات الله الصمدية سبحانه بعد كشف جميع سبحات جلالك وشئونات نفسك وموهومات خيالك، فإذا كشف جميع السبحات وخرجت من عالم الوهم والكثرة إلى الحضرة الأحدية الذاتية، فأنت حينئذ ذلك القدوس في قدس العماء محجب وأنت ذلك الفرد الذي فيه الكمال الأعجب، كما قال شاعرهم، يعني أن ذاتك حينئذ عين ذات الله سبحانه، وأنت هو وهو أنت بلا مغايرة ولا اعتبار كثرة، وهذا عندنا كفر وشرك وزندقة وعبادة وثن وغفلة وجهالة وتوهم وصول من غير حصول، وظن قرب في عين بعد، وادعاء وجدان حين فقدان وإلحاد، وإن كان الإلحاد لا يقع على ذات الله سبحانه في الحقيقة إلّا أنهم خذلهم الله يقولون منكرًا من القول وزورًا، ويدعون شيئًا لا حقيقة له أصلًا.

قال بعض شراح هذا الحديث الشريف وهو عبدالرزاق الكاشي صاحب التأويلات على حسب مذاقه الصوفي: (ولما كان كميل عارفًا بأن مقام الوحدة في الفناء في الذات وإن كان مقام الولاية ليس كمالًا تامًا، لأن صاحبه لا يصلح للهداية والتكميل ما لم يرجع من الجمع إلى التفصيل، ومن الوحدة إلى الكثرة، ولم يصل إلى مقام الصحو

---

(١) بالكسر قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس.

(٢) الكافي؛ ج١؛ ص٥٤.

بعد السكر، ولم يحصل له مقام الاستقامة المأمور بها النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾(١) فاستوضح واستزاد البيان فقال عليه السلام: نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) انتهى.

أقول: اعلم أن شيخي وأستاذي أعلى الله مقامه قال في بعض رسائله التي شرح فيها هذا الحديث الشريف بعد ذكره عبدالرزاق المذكور وحكاية قوله.

(أقول: يجوز أن يكون ما ذكره علة لطلبه زيادة البيان على بعد، ويجوز أن يكون المراد منه قصوره عن نيل المراد، ، فيطلب الزيادة في البيان مرة بعد أخرى، لا لأجل أنه يطلب التفصيل ومعرفة الرجوع من الوحدة إلى الكثرة، بدليل الجواب الأخير، فإنه على نسق الأول وما بعده، ولو كان كما قال لكان الأخير فيه تفصيل أشد مما قبله، وأما ما ذكره عليه السلام من التفصيل وذكر الوحدة في الكثرة فهو نوع من البيان والجواب، وإلا فإن جميع تعريف الحقيقة لا يتحقق إلّا بانبساط نظر البصيرة إلى جميع أقطار الوجود والوجدان، فيتوجه إلى الوحدة في الكثرة وإلى الأولية في الآخرية وإلى البطون في الظهور وإلى البعد في القرب وإلى الوصل في الفصل وإلى الاتحاد في التعدد وإلى المزايلة في الملاصقة إلى غير ذلك من جهات الوجدان، فمهما بقي جهة أو احتمال لشيء من الأشياء لم تسلكه بحيث لا تشهد كل شيء في كل شيء، لم تكشف سبحات الجلال ولم تمح الموهوم، ولم تهتك الستر، ولم تجذب الأحدية لصفة التوحيد، ولم تظهر له الوحدة في الكثرة بحيث يغيب وجود الكثرة في ظهور الوحدة، فظهر لمن نظر

---

(١) هود ١١٢.

واعتبر وأبصر أن مفاد الأجوبة واحد وإنما اختلفت لاختلاف التبيين وبذلك ظهرت فوائد جمة لا تسع هذه الكلمات بيانها، فقوله عليه السلام: (نور) أشار به إلى الجلال والمعلوم والسر والأحدية كما تقدم، وقوله عليه السلام: (أشرق) يريد به بيان حدوثه كما أشرنا إليه سابقًا لا ما توهموه من أنه الذات البحت المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، بل هو حادث لأنه أشرق من صبح الأزل، والصبح هو المشية، والشمس التي لم تطلع بذاتها وإنما طلعت بآثار فعلها هو الأزل الذي لم يزل عز وجل، فيلوح من ذلك النور المشرق من صبح الأزل على هياكل التوحيد آثاره، وهياكل التوحيد لها مراتب تطلق وتعرف من مقام الإطلاق في الاستعمال مرتبة كل مقام، والمراد بالهياكل الصور، والمراد بالتوحيد [هنا] صفة ذلك النور المشرق، والهياكل صفة ذلك التوحيد، والآثار صفة تلك الهياكل، يعني أن الحقيقة نور أشرق من مشية الله سبحانه وهو الوجود بدون القيود والحدود، لأنها هي السبحات المكشوفة، وهذا الوجود هو المعبر عنه بالحقيقة تارة وبالوجود بدون القيود أخرى، وبالنفس مرة وبنور الله أخرى، وبالفؤاد أيضًا.

و[هذا] التوحيد صفته بمعنى أن هذا النور ليس في مكان، ولا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، وليس في جهة لا قبل ولا بعد بل قبله عين بعده، وأوله نفس آخره، وظاهره حقيقة باطنه، وكل الجهات جهاته ولا تخلو منه جهة، وليس في زمان ولا يقع عليه وصف وليس كمثله شيء، وكل ما ميزته فهو غيره، وكل ما توهمته فهو بخلافه، بريء من الحدود والأمكنة والجهات والأوقات والأنداد والأضداد والأشباه والكثرة والقلة والكلية والجزئية والعموم والخصوص والإجمال والتقييد والجمع والتفصيل وسائر صفات الخلق وهو معنى

قولنا: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[١]، ولو كان هذا النور الذي هو النفس المشار إليها في الحديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) له مثل لكان لو عرف نفسه بشيء من صفات الخلق لكان يلزم منه أنه يعرف ربه بصفات الخلق وأنه مخلوق، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فإن قلت: [إنك] إذا وصفت نفسك بهذه الصفات كنت قد وصفتها بصفات الواجب، وهذا باطل عقلًا ونقلًا.

قلت: إنك إذا جردت نفسك عن كل ما يغايرها لزمك أن تصفها بهذه الصفات.

فإن قلت إني في مكان فالمكان غيرك، والكون فيه غيرك، وكونك ابنًا أو أبًا غيرك، وكونك مدركًا أو معلومًا غيرك، ومع وفي ومن وإلى وعن كلها غيرك، وأين غيرك، ومتى وحيث وكيف ولم وعند وأول وآخر وباطن وظاهر غيرك، والاقتران والاجتماع والافتراق والحركة والسكون غيرك، وجميع ما ينسب إليك وينفى عنك غيرك، فإذا أخذت تجرد عنك هذه السبحات لم يبق إلّا وجود لا يلتبس بشيء، وليس كمثله شيء، لأن الالتباس والمشابهة والمماثلة غيرك، وهذه صفة الحق تعالى، فمن عرف صفة الحق [تعالى] فقد عرفه لأن الشيء لا يعرف إلّا بصفته، وهذه الإشارة كافية في بيان صحة هذا البيان لمن أحب الله أن يعرفه نفسه، وهذا التجريد صفة هذا النور وهذه الصفة هي التوحيد، وله [للنور] مظاهر [لصفته] هي هياكل التوحيد أي صوره وأعلاها أربعة عشر هيكلًا وليس معها في وجودها شيء ومن دونها هياكل متعددة، ومن [دون] هذه المتعددة هياكل كثيرة وهكذا،

---

(١) الشورى ١١.

ومعنى هيكل التوحيد أن يظهر لذلك النور المشرق من صبح الأزل صفة تفيد هذا التجريد الكامل بهيئتها، كما تفيد الإشارة إلى الشيء الدلالة عليه، والإشارة بالإقبال المجيء وبالإدبار المضي فافهم.

ولذلك النور المشرق آثار صدرت من صفاته التي هي هياكل التوحيد، تظهر وتلوح على تلك الهياكل، أي تظهر مشابهة لتلك الهياكل، بمعنى أن صفاتها وهيئاتها بل ذواتها تشابه صفات عللها المؤثرة، فإن كل صفة تشابه صفة مؤثره، والإشارة إلى بيان ذلك أنك لو رأيت صفة كلامك لدل عليك بهيئته التي هي من هيئتك كما تدل عليك صورتك في المرآة، ولو برز لك عقل زيد أو علمه أو كلامه أو مشيه أو حركته أو حرارته أو رطوبته أو برودته أو يبوسته أو إشارته أو فكره أو خياله أو شيء مما ينسب إليه لعرفته أنه لزيد كما تعرف زيدًا بصورته في المرآة، بل ترى كل واحد مما ذكرنا لك من كل ما ينسب إليه رجلًا أنت تعرف أن اسمه زيد وأنه لزيد، وإن كان ذلك لامرأة رأيته امرأة تسمى باسمها وهي لها لا تنكر شيئًا من هذا، لو رأيته قطعت به ضرورة كما تقطع بنفسك أنك أنت، فإذا عرفت الإشارة ظهر لك أن تلك الآثار التي هي آثار ذلك النور ظهرت على صورة صفات فعله التي هي هياكل التوحيد، فقوله ﷺ: (نور) خبر لمبتدأ محذوف تقديره الحقيقة نور، فكان ذلك النور هو الحقيقة، ثم إنه ﷺ بيّن أن كل ما ينسب إليه من صفة ذات كالتوحيد، أو صفة فعل كالهياكل، أو آثار فعل كالآثار المذكورة، غير ذاته بل هي من سبحاته ليعرفها فناؤها في بقائه، بل إنما هو ليس شيء غيره).

ثم قال الشيخ أعلى الله مقامه في بيان قوله ﷺ: (أطفئ السراج فقد طله الصبح): (إن المراد بالسراج النور العلمي والنور العقلي

والنور البصري والسمعي والشمي والذوقي واللمسي، فإنها هي المدركة لسبحات الجلال، فنبه السائل على معنى عجيب يحسن لاستزادة البيان، وهو أن السبحات المعروفة لا تكشف ولا تمحى ولا يراد ذلك في ظهور الحقيقة، وإنما المراد أن لا ينظر إليها، ولا يحصل ذلك إلّا بعدم استعمال الخيال والعقل والحواس الخمس التي هي أسراج الإنسان في ظلمات الكثرات والتعددات المعبر عنه بالإطفاء، فقال له ما معناه: أنه إذا لم تنظر بخيالك وعلمك اللذين لا يدركان إلّا الصور المجردة [عن المواد العنصرية والمدد الزمانية]، ولا بعقلك الذي لا يدرك إلّا المعاني، ولا ببصرك الذي لا يدرك إلّا الألوان والهيئات، ولا بسمعك الذي لا يدرك إلّا الأصوات، ولا بشمك الذي لا يدرك إلّا الروايح، ولا بذوقك الذي لا يدرك إلّا الطعوم، ولا بلامستك التي لا تدرك إلّا الأجساد، ولا سراج لك في هذه الظلمات إلّا هذه القوى الظاهرة والباطنة، فإذا لم تستعملها فيما خلقت له فقد أطفأتها، ولا يسعك إطفاءها حتى تستغني عنها بنور أقوى منها مثل طلوع الصبح، فإنه يكشف جميع الظلمات بخلاف تلك السرج السبعة، فإنها إنما تكشف بعض ظلمات ما توجهت إليه بنسبة قوة نورها، فإذا ظهر ذلك النور الأعظم المشبه بطلوع الصبح الذي هو من نور شمس الأزل بطلت فائدة السرج لعدم الانتفاع بها في كشف ما تستعمل لكشفه، ولأن النور القوي إذا ظهر اقتضى إبطال الأنوار الضعيفة، فحيث كان مقتضيًا لإبطالها ولا انتفاع بها قال عليه السلام: (أطفئ السراج فقد طلع الصبح) وفي قوله عليه السلام: (فقد طلع الصبح) إشارة إلى سر مكتوم من أسرارهم عليهم السلام، وضع الله عليه حجابًا مسيرة سبعين عامًا، لو أذن في بيانه لكتبه من أذن له ببيانه

وحيث كان كل شيء مرهونًا بوقته تركنا ذكره حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد والحمد لله رب العالمين)[١].

انتهى كلام الشيخ أعلى الله مقامه، وأنا اكتفيت بما ذكر شيخي في هذا المقام لأنه تمام فيما أنا بصدد بيانه.

وقوله أعلى الله مقامه: (وفي قوله عليه السلام: (فقد طلع الصبح) إشارة إلى سر مكتوم) إلى آخر كلامه، إشارة إلى أن هنا لسرًا مكتومًا من الأغيار لا يجوز كشفه إلّا لأهل الأسرار، وأنا قد أشرت سابقًا إلى هذا السر المكتوم لأهله، وإن وضعته في زاوية من زوايا كلامي وجعلت عليه حجابًا مسيرة سبعين عامًا، فراجع وتدبر كلامي لعلك تجده إن شاء الله، فإن وجدته فخذه بقوة وكن من الشاكرين، وإلا فلا تيأس من روح الله فإن الأشياء مرهونة بأوقاتها.

فإذا عرفت الله سبحانه بما أشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه في الحديث المذكور من معرفة الحقيقة، التي هي معرفة النفس على نحو ما فسرنا كلامه وبينا مراده عليه السلام لا كما توهمه أهل التصوف، فمعرفتك هذه هي الصراط المستقيم إذا فسّر بأنه الطريق إلى معرفة الله سبحانه.

[معنى تفسير الصراط برسول الله صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام]

وأما إذا فسّر برسول الله وآله صلى الله عليه وآله أو بالإمام المفترض الطاعة من آله عليهم السلام كما أشار صلى الله عليه وآله في خطبته يوم الغدير: (معاشر الناس أنا الصراط المستقيم الذي أمركم باتباعه، ثم علي من بعدي، ثم ولدي

---

(١) تراث الشيخ الأوحد، ج٣٦ ص١٩٢ ـ ٢٠٠.

من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[١] فالمراد أنه ﷺ وآله ﷺ هم صراط الله وطريقه إلى جميع خلقه، وهم طريق الخلق إلى الله.

أما الأول: فلأنهم ﷺ باب المدد والفيض من الله سبحانه إلى جميع خلقه في الخلق وللرزق والموت والحياة في الدنيا والآخرة، ولم يجعل الله سبحانه له بابا وطريقا لإفاضته الوجود في جميع مراتبه غيرهم ﷺ، لا في إدباره ولا في إقباله إلى الله تعالى، كما أشار إليه في الزيارة الجامعة الكبيرة في قوله (من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم) يعني من أراد أن يسير إلى الله بدأ في السير فيكم، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[٢] الآية، وكما قال ﷺ: (وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجنابك)، فهم ﷺ باب الله المفتوح إلى خلقه بالإفاضة والإجابة، وكل ما سواهم من الفقراء السائلين وقفوا بهذا الباب ولاذوا بذلك الجناب بالاستفاضة والاستجابة، هذا في الخلق الأول من جهة التكوين، وأما في الخلق الثاني من جهة التكليف فلأنهم ﷺ هم الباب الذي تصدر عنه جميع أوامر الله ونواهيه وعزائمه وتعرفاته وإرادته ورخصه وما أشبه ذلك، لأن جميع ذلك لا يصدر إلّا عن مشيئة الله وهم ﷺ محل تلك المشيئة وألسن تلك الإرادة، كما قال تعالى: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[٣]، والمراد أنه

(١) بحار الأنوار، ج٣٧ ص٢١٤.
(٢) سبأ ١٨.
(٣) الوافي، ج١١ ص٥٣٦.

سبحانه لا يسعه شيء وهو وسع كل شيء علما ورحمة وقدرة، وإنما ذلك الذي لم تسعه أرضه ولا سماؤه هو إرادته ومتعلقات مشيئته وإرادته من أوامره ونواهيه وجميع ما يريد من عباده، ولا يسع ذلك السماء ولا الأرض، لأن السماء والأرض لا يسع كل واحدة منهما إلّا ما يتعلق بها من الأحكام والدواعي الإلهية، وكذلك كل واحد من سائر الخلق، إذ كل واحد إنما يراد لنفسه، وأما العبد المؤمن المراد به محمد وآله صلى الله عليه وآله، فقلبهم عليهم السلام يسع تلك الأمور كلها التي متعلقها جميع الخلائق في الدنيا والآخرة من الوجودات والتكليفات، وإنما وسعها لأنها إنما صدرت عنه وخلقت منه، أي من فاضل نوره أو عكوس نوره، وصورت على صور هيئات عبادته وعبوديته، وخلقت له، وينتهي أمرها إليه، والشيء يسع أحكام ما عنه وما منه وما به وما له وما إليه، ولما لم يكن لمشيئة الله سبحانه محل غيرهم عليهم السلام إلّا عنهم بوجه من وجوهها وجب أن يكونوا عليهم السلام هم أبواب فيض الله وأوامره ونواهيه وما يريده من خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[2]، فهم عليهم السلام صراط الله إلى خلقه في كل ما يصل عنه تعالى إلى خلقه من الإيجادات والتكليفات.

وأما الثاني: وهو أنهم عليهم السلام طريق الخلق إلى الله سبحانه، فلأن جميع العباد إنما يصلون إلى الله تعالى، إلى محبته وجنته وقربه والفوز

---

(١) الحشر ٧.

(٢) النساء ٦٥.

لديه بما أعده لمن أطاعه بولايتهم ومحبتهم وطاعتهم، وإنما تصعد أعمال الخلائق إلى الله تعالى إذا كانت على سنتهم وطريقتهم، وكانت مأخوذة عنهم بالتسليم لهم والرد إليهم، وبالولاية لهم والبراءة من أعدائهم، وهو قول الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[(٢)]، يعني أن الله تعالى لا يقبل من أحد أعماله، ولا تصعد إليه ولا يرفع عمل عامل إلّا أعمال المتقين، والمتقون في الباطن المتقون لولاية أعداء علي وأهل بيته عليهم السلام، والمجتنبون لسنتهم وضلالتهم، فالمتقي في الحقيقة من اتقى سنة أعدائهم عليهم السلام وأخذ بسنتهم عليهم السلام، لأنه إذا فعل هذا أخذ كل خير واجتنب كل شر، ولقد قالوا عليهم السلام: (نحن أصل كل خير، ومن فروعنا كل بر، وأعداؤنا أصل كل شر ومن فروعهم كل معصية وفاحشة)[(٣)] نقلته بالمعنى، فهم عليهم السلام طريق الخلق إلى الله سبحانه، وولايتهم طريق صعود الأعمال إلى الله، وطريق قبول الدعاء، وستعرف زيادة بيان في معنى أنهم عليهم السلام الصراط المستقيم.

وأما إذا فسر بمعرفة أمير المؤمنين ومعرفة آله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، أو فسّر بما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، فالمراد أن تعرفهم بالمعرفة النورانية التي أشار إليها عليه السلام بحيث لا تؤدي معرفتك إياهم إلى الإفراط المعبر عنه بالغلو ولا إلى التفريط الذي يعبر عنهم

(١) المائدة ٢٧.
(٢) فاطر ١٠.
(٣) الكافي، ج٨ ص٢٦٦.

بالتقصير في معرفتهم عليهم السلام، ولقد روى سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري رضوان الله عليهما عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (من كان ظاهره في ولايتي أكثر من باطنه خفت موازينه، يا سلمان لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يعرفني بالنورانية فإذا عرفني بذلك فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفًا بدينه مستبصرًا ومن قصر عن ذاك فهو شاك مرتاب، يا سلمان ويا جندب إن معرفتي بالنورانية معرفة الله ومعرفة الله معرفتي وهو الدين الخالص يقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني وما أمروا إلّا بالتوحيد وهو الإخلاص، وقوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾ هو الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وهو الدين الحنيف، وقوله: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي ولايتي فمن والاني فقد أقام الصلاة وهو صعب مستصعب، يا سلمان ويا جندب المؤمن الممتحن الذي لم يرد عليه شيء من أمرنا إلّا شرح الله صدره لقبوله ولم يشك ولم يرتاب ومن قال لم وكيف فقد كفر، فسلموا لله أمره فنحن أمر الله، يا سلمان ويا جندب إن الله جعلني أمينه على خلقه وخليفته في أرضه وعباده، وأعطاني ما لم يصفه الواصفون ولا يعرفه العارفون، فإذا عرفتموني هكذا فأنتم مؤمنون، يا سلمان قال الله عز وجل: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ فالصبر محمد صلى الله عليه وآله والصلاة ولايتي، ولذلك قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولم يقل وإنهما ثم قال: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ فاستثنى أهل ولايتي الذين استبصروا بنور هدايتي، يا سلمان نحن سر الله الذي لا يخفى ونوره الذي لا يطفئ ونعمته التي لا تجزى أولنا محمد أوسطنا محمد وآخرنا محمد فمن عرفنا فقد استكمل الدين القيم، يا سلمان ويا جندب كنت أنا ومحمد

نورا واحدا نسبحه قبل المسبحات ونشرق قبل المخلوقات فقسم الله ذلك النور نصفين نبي مصطفى ووصي مرتضى فقال الله عز وجل لذلك النصف كن محمدًا وللآخر كن عليًا)(١).

[بيان المعرفة النورانية إجمالًا]

أقول وبالله حولي وقوتي واعتمادي: أن لا أقول في هذا المقام الذي هو مزلة الأقدام على الله إلّا الحق، إن الإمام عليه السلام قد أشار في هذا الحديث إلى أمور يجب التنبيه عليها.

الأول: أنه عليه السلام نبه بقوله: (من كان ظاهره في ولايتي أكثر من باطنه خفت موازينه) أن من ادعى ولايته عليه السلام بظاهر اعتقاده وحواشي لسانه وقشور أعماله وأحواله، وظن أنه من خواص شيعته ومن العارفين بحقه عليه السلام، حتى أظهر عند الناس أنه من كبار شيعته ومن الكاملين في معرفته، ولم يعرف إمامه عليه السلام بباطنه الذي عليه الاعتماد بالمعرفة النورانية التي أشار عليه السلام إليها، فهو من الذين خفت موازينهم الذين خسروا أنفسهم وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم الذي كفروا بآيات ربهم ولقائه، وأنكروا فضائل سيدهم ومربيهم وإمامهم الذي جعله الله تعالى له وليًا وحجة عليهم، فحبطت أعمالهم القشرية واعتقاداتهم الظاهرية حتى قال الله العالم ببواطنهم وسرائرهم في شأنهم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾(٢) أي نزدري بهم ونحقرهم ولا نجعل لهم مقدارًا واعتبارًا، عكس ما كانوا يطلبونه من العزة والحشمة والقدر والاعتبار عند أشباه الناس،

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٢٥٥.
(٢) الكهف ١٠٥.

بإظهارهم الفضيلة والمعرفة في حق ولاية ولي الحق مع عدم معرفتهم له عليه السلام بالمعرفة النورانية في باطنهم الذي هو مناط الاعتبار وعليه الاعتماد، وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وآله كما في المجمع عنه صلى الله عليه وآله: (إنه ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة)[1] وهم كأكثر أهل زماننا هذا من أشباه العلماء يخالفون العقل والنقل، وينكرون الحس، ولا يتدبرون آيات القرآن وأحاديث أهل العصمة عليهم السلام الناطقة بظاهرها وباطنها بفضل آل محمد صلى الله عليه وآله، ويؤولونها بحسب آرائهم، ويسمون من أظهر شيئًا من فضائلهم الباطنة مما لم يحيطوا بها علما ولما يأتهم تأويله غاليًا أو صوفيًا، ويرفضونه ولا يفهمون كلامه، ويهجرونه ولا يعرفون مقامه، ثم يدعون بعد ذلك معرفة أمير المؤمنين وأولاده الطيبين عليهم السلام ومحبتهم، ويزعمون أنهم من خواص شيعته ومن أهل معرفته، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[2]، لأنهم اليوم لا يتلون آياته حق تلاوته ولا يهتدون إلى سبيل معرفته ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[3]، فهم في أمرهم شاكون وفي ريبهم يترددون، كما أشار عليه السلام إليه بقوله: (ومن قصر عن ذلك فهو شاك مرتاب)، وكان هؤلاء لا يعلمون أنه ليس ممن آمن بعلي أمير المؤمنين عليه السلام من أنكر حرفًا من فضائله الظاهرة، ولم يسلم فضيلة من فضائله الباطنة، وإن بعدت عن عقله العديم، وخفيت على فهمه السقيم، حتى يكون من أهل الإخبات الذين قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾[4]، أو من الراسخين في العلم الذين يقولون آمنا به

(١) تفسير الصافي، ج٣ ص٢٦٧.

(٢) المطففين ١٥

(٣) الإسراء ٧٢.

(٤) الحج ٣٤.

كل من عند ربنا، وربما يجري على لسانهم في كل صباح فقرات الدعاء الذي ورد عنهم ؈ في التعقيب ولا يدرون بها، وهو هذا (إِلَهِي إِنَ ذُنُوبِي وَكَثْرَتَهَا قَدْ غَبرَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ وَحَجَبَتْنِي عَنِ اسْتِيهَالِ رَحْمَتِك) إلى أن قال ؏: (وَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحق [الذي][1] لَا خُلْفَ [لَهُ] فيه وَلَا تَبْدِيلَ يَوْمَ نَدْعُوا كُل أُناسٍ بِإِمامِهِمْ [ذَلِكَ يَوْمُ النشُورِ فَإذا نُفِخَ فِي الصورِ وَبُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ][2] اللهُم إِني أُقِر وَأشهد وَأَعْتَرِفُ وَلَا أَجْحَدُ وَأُسِر وَأُظْهِرُ وَأُعْلِنُ وَأُبْطِنُ بِأَنكَ أَنْتَ اللهُ [الذي] لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَن مُحَمدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَأَن عَلِيًا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيدُ الْوَصِيينَ وَوَارِثُ عِلْمِ النبِيينَ وَقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَإِمَامُ الْمُتقِينَ [وَ مُبِيرُ الْمُنَافِقِينَ] وَمُجَاهِدُ الناكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ إِمَامِي وحجتي [وصراطي ودليلي] وَمَحَجتِي وَمَنْ لَا أَثِقُ بِالْأَعْمَالِ وَإِنْ زَكَتْ وَلَا أَرَاهَا مُنْجِيَةً [لِي] وَإِنْ صَلَحَتْ إِلا بِوَلَايَتِهِ وَالِايتِمَامِ بِهِ وَالْإِقْرَارِ بِفَضَائِلِهِ وَالْقَبُولِ مِنْ حَمَلَتِهَا وَالتسْلِيم لِرُوَاتِهَا اللهُم وَأُقِر بِأَوْصِيَائِهِ مِنْ أَبْنَائِهِ أَئِمةً وَحُجَجًا وَأَدِلةً وَسُرُجًا وَأَعْلَامًا وَمَنَارًا وَسَادَةً وَأَبْرَارًا وَأَدِينُ بِسِرهِمْ وَجَهْرِهِمْ وَظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ وَحَيهِمْ وَمَيتِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَغَائِبِهِمْ لَا شَك فِي ذَلِكَ وَلَا ارْتِيَابَ وَلَا تَحَولَ عَنْهُ وَلَا انْقِلَاب)[3]. الدعاء، تجري هذه الكلمات على ألسنتهم في كل صباح ولا يعترفون بمضامينها، بل ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾، وذلك لأن أهل الدنيا شأنهم بغض من وصل إليه من الله نعمة من نعمه الظاهرة أو الباطنة، فتراهم يدلون به إلى الحكام، ويجعلونه غرضا

---

(١) ليست في نسختنا من كتاب مهج الدعوات

(٢) لم ترد هذه الفقرة في كلام المصنف رحمه الله وهي موجودة في نسختنا من كتاب مهج الدعوات

(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات؛ ص٢٣٣.

لسهام الانتقام، ويتوقعون سلب دولته وذهاب نعمته، وهذا شأن الحاسدين الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكذا أهل الدعوى الذين سموا أنفسهم علماء وظنوا أنهم مؤمنين، وهم عن التذكرة معرضون، وللناطق بها مبغضون ومكذبون، فإذا استنشقوا روائح العرفان من عبد مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان فأنعم عليه بمعرفة المعاني والبيان، وفهم بديع لطائف القرآن، وبطون أحاديث أهل العصمة عليهم السلام، الذين هم أبواب الإيمان وأمناء الرحمن، توجهوا إلى تكذيبه، وبادروا إلى إنكاره وتأنيبه وتعذيبه، وحذروا الناس من اعتقاده وصدوهم عن حبه ووداده، ورشقوهم بسهام الحسد، وسبب ذلك كله الجهل والحماقة وحب الجاه وطلب الرئاسة، ولما كان في كل عصر وزمان كثير من هؤلاء الذين دينهم ليس بأرجح من جناح البعوضة، ومع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعًا أو يفهمون قولًا، والناس يعتقدون أن هؤلاء من الراسخين في العلم الكاملين في المعرفة، ولهذا يصدونهم عن السبيل، أي يصد هؤلاء أشباه الناس عن سبيل معرفة الله الذي هو عين سبيل معرفتهم عليهم السلام، أشار عليه السلام في هذا الحديث أولًا إلى شناعة حالهم وفساد أقوالهم وبطلان رأيهم واعتقادهم، ليحقرهم في أعين الناس لئلّا يتمكنوا من إلقائهم في الشك والالتباس.

والثاني: أنه عليه السلام صرح فيه أن المؤمن لا يكمل إيمانه بحيث يكون مؤمنًا ممتحنًا عارفًا بدينه مستبصرًا بشأنه حتى يعرفه عليه السلام بالمعرفة النورانية.

والثالث: أنه عليه السلام حكم بأن من قصرت همته عن معرفته بالنورانية فهو من الشاكين المرتابين.

والرابع: أنه بيّن طريق معرفته بالنورانية بأخصر عبارة وألطف

إشارة لأهل الإشارة بقوله عليه السلام (يا سلمان ويا جندب إن معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي) وهنا يقتضي بسطًا من الكلام وسنبين لك مراده عليه السلام بقوله هذا إن شاء الله.

والخامس: أنه عليه السلام صرح بأن معرفته بالنورانية هو الدين الخالص الذي يقبله الله لا غيره، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ وهو دين الإسلام الحقيقي الباطني، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢).

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال عليه السلام: (لَأَنْسُبَنَ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً [لَا] لم يَنْسُبُهُ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَنْسُبُهُ أَحَدٌ بَعْدِي إلا بِمِثْلِ ذَلِكَ إن الْإِسْلَامَ هُوَ التسْلِيمُ وَالتسْلِيمَ هُوَ الْيَقِينُ وَالْيَقِينَ هُوَ التصْدِيقُ وَالتصْدِيقَ هُوَ الْإِقْرَارُ وَالْإِقْرَارَ هُوَ الْعَمَلُ وَالْعَمَلَ هُوَ الْأَدَاءُ ـ إن الْمُؤْمِنَ [من] لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَلَكِنْ أَتَاهُ مِنْ ربهِ فَأَخَذَهُ إن الْمُؤْمِنَ يُرَى يَقِينُهُ فِي عَمَلِهِ وَالْكَافِرَ يُرَى إِنْكَارُهُ فِي عَمَلِهِ فَوَ الذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَهُمْ فَاعْتَبِرُوا إِنْكَارَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ)(٣).

والسادس: أنه عليه السلام أشار بقوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ إلى قوله: (فقد أقام الصلاة) إلى أن الدين الخالص الذي هو معرفته عليه السلام بالنورانية لا يتحقق إلّا بإثبات التوحيد لله عز وجل بأن تعرفه أنه ليس كمثله شيء فتبعده ولا تشرك به شيئًا، والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله،

---

(١) آل عمران ١٩.
(٢) آل عمران ٨٥.
(٣) الكافي ج٣؛ ص١١٧.

وإقامة ولايته عليه السلام، فقد أبطل بقوله هذا جميع المذاهب والأديان الباطلة والآراء الفاسدة، التي من جملتها مذهب الغلاة القائلين بأنه عليه السلام هو الرب المعبود ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

والسابع: أنه عليه السلام أشار إلى أن معرفته بالنورانية صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام.

والثامن: أنه عليه السلام عرّف ذلك العبد المؤمن الممتحن ببعض خواصه وعلاماته، بأنه هو الذي لم يرد عليه شيء من أمرنا إلّا شرح الله صدره لقبوله، ولم يشك ولا يرتاب، بل كلما تليت عليه آياتنا زادته إيمانا.

والتاسع: أنه عليه السلام أشار إلى أن من ورد عليه شيء من أمرنا فلم يقبله بل يجادل فيه بغير علم ولا كتاب منير، ويطلب العلة والكيفية، ولم يسلم لله أمره فقد كفر، لأن تعلله وعدم قبوله دلّ على كفر باطنه وإن أظهر الإسلام بظاهره.

والعاشر: أنه عليه السلام أشار إلى بعض ما آتاهم الله من فضله، بأن جعله وذريته عليهم السلام أمناؤه على خلقه، وخلفاؤه في أرضه، وحكامه في بلاده وعلى سائر عباده، لأن الأمين هو الحاكم المتصرف في الملك بإذن المالك، وأن آتاهم الله تعالى ما لم يؤت أحدا من العالمين، بحيث لم يصفه الواصفون، ولا يعرفه العارفون، وهذا نظير قولهم عليهم السلام: (اجعلوا لنا ربا نؤوب إليه ثم قولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا)[1] انتهى.

---

(١) قُولُوا إِنَّا عَبِيدٌ مَرْبُوبُونَ وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُم) الخصال؛ ج٢؛ ص٦١٤.

والحادي عشر: أنه عليه السلام نبّه بقوله قال الله عز وجل: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾(١) على أنه تعالى أمر عباده أن يتمسكوا بمحمد صلى الله عليه وآله بقبول نبوته وبولايتي بقبولها، وأن نبوة محمد صلى الله عليه وآله أمر ظاهر سهل على كل من يقبله، لأنه سفارة من الله، وصاحبها لا يدعي الولاية والسلطنة والحكومة، وأما ولايتي فهي أمر صعب باطني لا يحتمله كل أحد، لأنها كبيرة على من أمروا بقبولها، إلّا على الخاشعين المتذللين عند ظهور الحق من أهل ولايتي، الذين استبصروا من الله البصيرة فبصرهم الله بنور هدايتي، ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وآله: (ما اختلف الناس في الله ولا فيَّ وإنما اختلفوا فيك يا علي)(٢) فافهم فإنه أدق من الشعر وأحد من السيف.

والثاني عشر: أنه أشار إلى أنهم عليهم السلام أسرار الله المودعة في الهياكل البشرية، وأنهم نور الله الذي يريد الناس ليطفئوه بأفواههم، وستنجلي تلك الأسرار ويتم الله ذلك النور الأول، الذي هو زمان دولتهم وأوان رجعتهم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾(٣)، وأنهم عليهم السلام نعمة الله على خلقه التي يجب عليهم شكرها وهم عاجزون عن أداء شكرها.

والثالث عشر: أنه عليه السلام أشار بقوله: (أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد صلى الله عليه وآله)(٤) إلى أنهم عليهم السلام من محمد صلى الله عليه وآله ومحمد صلى الله عليه وآله

---

(١) البقرة ٤٥.
(٢) وجدنا نصًا قريبًا منه وهو: (ما اختلفوا في الله ولا في وإنما اختلفوا فيك يا علي) مشارق أنوار اليقين، ص٢٠٠.
(٣) النمل ٨٢.
(٤) تفسير القمي، ج١ ص١٨.الغيبة للنعماني، ص٨٦.

منهم، نورهم واحد وطينتهم واحدة، وجب على الخلق أن لا يفرقوا بين أحد منهم، ولهذا قال النبي ﷺ (أنا من علي وعلي مني ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي)(١) وإليه الإشارة بقوله ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾(٢) وهو إشارة إلى اتحادهما في عالم الأرواح والأنوار، ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ﴾(٣) والمراد هنا أفإن مات النبي أو قتل الوصي لأنهما شيء واحد ومعنى واحد ونور واحد، اتحدا بالمعنى والصفة، وافترقا بالجسد والتسمية، فهما شيء واحد في عالم الأرواح قال النبي ﷺ: (يا علي أنت روحي التي بين جنبي)(٤) و(أنت مني وأنا منك ترثني وأرثك)(٥)، (أنت مني بمنزلة الروح من الجسد)(٦) وقال علي عليه السلام: (أنا من محمد ومحمد مني)(٧) وقال عليه السلام: (علمني علمه وعلمته علمي)(٨) وإليه الإشارة في قوله تعالى أيضًا: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(٩) أي صلوا على محمد وسلموا لعلي أمره، فجمعهما في حد واحد جوهري وفرق بينهما بالتسمية والصفة، يعني لا تنفعكم صلاتكم على النبي بالرسالة إلّا بتسليمكم على علي بالولاية.

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٢٥٦.
(٢) آل عمران ٦١.
(٣) آل عمران ١٤٤.
(٤) مشارق أنوار اليقين، ص٢٥٦.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المناقب، ج٢ ص١٣٦.
(٨) مشارق أنوار اليقين، ص٢٦٤.
(٩) الأحزاب ٥٦.

والرابع عشر: أنه عليه السلام بيّن أن الله خلق نورهم قبل كل شيء، وأنهم كانوا يسبحون الله قبل كل موجود قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾(١) فإذا كانوا عليهم السلام قبل جميع المسبحات، دل هذا على أنهم كانوا قبل كل شيء، وأراد عليه السلام بهذا إثبات عليتهم لجميع الموجودات.

أما أنهم عليهم السلام العلة الفاعلية لجميع الأشياء، لأنهم محل مشيئة الله سبحانه وأركان تأثير فعله كالحديدة المحماة، فلا يخلق الله سبحانه ولا يرزق ولا يميت ولا يحيي ولا يفعل شيئًا إلّا بهم عليهم السلام، لأنه تعالى ألقى في هويتهم مثاله، أي مثال فعله ومشيته، فأظهر عنهم أفعاله.

وأما أنهم عليهم السلام العلة المادية لأن جميع الأشياء خلقت موادها من فاضل إشراق نورهم.

وأما أنهم عليهم السلام العلة الصورية لأن الأشياء صورت على هيئة أنوارهم أو عكوس أنوارهم.

وأما أنهم عليهم السلام العلة الغائية لأن الله سبحانه خلق جميع ما سواهم لهم وخلقهم عليهم السلام له.

والخامس عشر: أنه نبه بقوله (فقسم الله ذلك النور) إلى قوله: (فقال الله عز وجل لذلك النصف: كن محمدًا وللآخر كن عليًا) حيث قدم كون محمد صلى الله عليه وآله على كونه عليه السلام على أن محمدًا صلى الله عليه وآله هو سيدهم وأعلمهم وأقدمهم وجودًا وأعظمهم حقًا، وأنه عليه السلام من محمد صلى الله عليه وآله

---

(١) الإسراء ٤٤.

كالضوء من الضوء، وأراد بهذا بيان نسبتهم في الإيجاد وترتيب كونهم في الوجود.

هذا بيان معرفتهم عليهم السلام بالنورانية إجمالًا.

[بيان المعرفة النورانية تفصيلًا]

وأما بيانها تفصيلًا فهو مما لا يدخل تحت علمنا ولا يمكن لنا بيانها، كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت وما عرفني إلّا الله وأنت وما عرفك إلّا الله وأنا)(١)، وقال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾(٣) ولكن لابد من الإشارة إلى معرفتهم عليه السلام بالنورانية تفصيلًا على حسب طاقتنا ووسعنا، بما يمكن لنا التعبير عنها مما وصل إلينا منهم عليهم السلام من بيان معرفتهم عليهم السلام بالنورانية.

فنقول: أراد عليه السلام بقوله: (إن معرفتي بالنورانية معرفة الله ومعرفة الله معرفتي) أن معرفتي بالنورانية هي عين معرفة الله سبحانه، ومعرفة الله سبحانه عين معرفتي، يعني لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتي، كما أني لا أعرف إلّا بسبيل معرفة الله تعالى، وبعبارة أخرى معرفتي لا تحصل إلّا بما يعرف الله سبحانه به، ومعرفة الله سبحانه لا تحصل إلّا بما أعرف به، وبعبارة أخرى أنا عين معرفة الله سبحانه، والله

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٧٢.

(٢) الكهف ١٠٩

(٣) لقمان ٢٧.

المعروف سبحانه عين معرفتي، وحل هذه الرموز وتوضيح هذه العبارات المختلفة لفظًا وصورة المتحدة معنى، أنك قد علمت سابقًا مما أشرنا إليه أن الله تعالى ثلاثة كتب كلية كتبها سبحانه بيده بقلم إيجاده ومداد نوره، أي نوره المخلوق لا من شيء المعبر عنه تارة بالوجود، وبالماء الذي به حياة كل شيء، وبالحقيقة المحمدية، وبأمر الله المفعولي الذي هو محل المشيئة وأثرها أخرى في ألواح الموجودات التي هي الأنوار الوجودية.

الأول: الكتاب التكويني الكبير الآفاقي.

والثاني: الكتاب التكويني الصغير الإنساني.

والثالث: الكتاب التدويني الأكبر القرآني.

وعلمت أن في هذه الكتب الثلاثة آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، وفيها أيضًا كلمات تامات وغير تامات، وحروف كلية أو جزئية ونقط كثيرة، وعلمت أن هذه الكتب الثلاثة متوافقة معنى، متطابقة صورة، بحيث لا تجد في كتاب منها آية أو كلمة أو حرفًا أو نقطة إلّا وقد وجد مثلها في كتاب آخر، كل كتاب بحسبه، إلّا أن الكتاب التدويني بيان وتفسير للكتابين التكوينيين.

وقد علمت أن هذه الكتب الثلاثة مشحونة ومملوءة من معرفة الله سبحانه، وقد كتب الله تعالى بيده، أي بيد قدرته الإيجادية الفعلية بمداد نوره المخلوق لا من شيء تلك الآيات والكلمات والحروف والنقط في تلك الكتب، وجعل كل آية وكلمة وحرف ونقطة منها في موضعها اللائق بها ومقامها المناسب لها، فما من شيء منها إلّا له مقام معلوم، وجميع تلك الآيات والكلمات والحروف والنقط موضوعة ليست بمهملة، يعني كل كلمة منها مثلا موضوعة لمعنى

محدث، تدل تلك الكلمة على ذلك المعنى بالدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والالتزام، فكل واحد من هذه الكتب بما فيه من الآيات والكلمات والحروف والنقط الدالة على معانيها، بيان وتعريف وتنبيه وتوصيف من الله سبحانه لعباده ليعرفوه بما وصف به نفسه سبحانه في ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه أنه من رب العالمين، هدىً وموعظة للمتقين الذين يتقون تسليط السفه على أنفسهم، فيقرأون ذلك الكتاب المنزل عليهم، ويتلون آياته حق تلاوته حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه، عملوا بما يوجب لهم رضاء ربهم.

إذا عرفت هذا فاعلم أن أكثر الناس لما كان شأنهم الغفلة والإعراض عن الآيات لانهماكهم في الشهوات، وديدنهم عدم التفكر والتدبر فيها، الذي ساعة منه خير من عبادة سنة، نبه الله تعالى في كتابه التدويني عباده، وحرصهم على النظر في آياته، وذمهم على ترك النظر فيها، ودلهم على تلك الآيات البينات فقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾(٣) وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾(٤) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾(٥) وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ

---

(١) فصلت ٥٣.

(٢) الذاريات ٢٠ ـ ٢١.

(٣) يوسف ١٠٥.

(٤) الأعراف ١٨٥

(٥) الأعراف ٥٢.

عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ وأمثال هذه الآيات التي تدل على أنه سبحانه أراد من عباده أن ينظروا في آياته التي كتبها في كتبه الثلاثة ويتدبروا فيها، ليعرفوه سبحانه من تعريفه وتوصيفه بما وصف به نفسه لهم، فيخرجوا عن حد البهيمية إلى حدود الإنسانية.

فأنت إذا أردت أن تعرف ربك فتذكر أولًا قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1] مثلًا، وقول نبيك ﷺ: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) وقول إمامك عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) فتتوجه بعين بصيرتك أولًا إلى كتاب نفسك لأنه أقرب إليك من كل شيء، وأدل على مطلوبك من كل ما سواه، فتقرأ فيه حروف نفسك وكلماتها وآياتها، وتتفكر وتتدبر فيها وتترقى بإدراك معانيها من درجة إلى درجة أعلى منها حتى تصل إلى عالم القدس، فتتلو هناك آية نفسك العليا، فإذا تلوتها حق تلاوتها بكشف جميع سبحاتها ومحو موهوماتها، حتى وجدت نفسك شيئًا ليس كمثله شيء، وجدت ربك وعرفته.

وهذا الذي وجدت به مطلوبك وعرفت به ربك وهو السبيل إلى معرفة ربك، بل هو معرفة ربك، بل هو ربك الظاهر لك بك، هو سبيل معرفتهم عليهم السلام، بل هو عين معرفتهم النورانية قال عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا) وقال عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) فافهم.

فقوله عليه السلام: (إن معرفتي بالنورانية معرفة الله ومعرفة الله معرفتي) أراد به ما ذكرنا لك من معرفة الله، التي هي عين معرفة نفسك، التي هي عين معرفة ربك، التي هي عين معرفتهم عليهم السلام بالنورانية.

---

(١) الذاريات ٢١.

هذا إذا أردت أن تعرف آية معرفة ذات الله سبحانه بما تعرف لك بك، وأما إذا أردت أن تعرف آية صفاته الذاتية التي هي عين ذاته سبحانه بلا مغايرة ولا اعتبار كثرة، فطريق معرفتها أنك تنظر إلى صفاتك الذاتية التي هي عين ذاتك، كالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة، وغير ذلك من الصفات الذاتية الكمالية فتأخذ غاياتها التي هي عين كمال ذاتك، وتترك مبادءها التي هي جهات النقص والفقر اللازمين لإمكانك.

فإذا وجدت ذاتك سميعة بصيرة عالمة وهكذا، بحيث تجدها تسمع بما تبصر به، وتبصر بما تسمع به، وتعلم بعين ما تسمع وتبصر به، فذاتك حينئذ آية معرفة ذات الله العلامة السميعة البصيرة، وهذا بعينه سبيل معرفتهم عليهم السلام في صفاتهم الذاتية.

وهكذا تنظر في كتاب نفسك وصحيفة عبوديتك، وتقرأ آيات الله سبحانه التي أراها في نفسك، وتتدبرها وتستدل بما في هنا ـ أي في العبودية ـ على ما هنالك أي في الربوبية، قال الصادق عليه السلام: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد أي موجود في حضرتك وغيبتك)[1] انتهى، وقال الرضا عليه السلام: (قد علم أولوا الألباب أن ما هنالك لا يعلم إلّا بما ها هنا)، هذا طريق معرفة الله تعالى بالكتاب التكويني الصغير الإنساني، التي هي عين معرفتهم عليهم السلام بالنورانية.

وأما طريق معرفة الله سبحانه بالكتاب التكويني الكبير الآفاقي،

---

(١) التفسير الصافي، ج٤ ص٣٦٥.

فهو أن تنظر بعين ظاهرك وباطنك في الآفاق وتقرأ آياته تعالى وعلامات قدرته، مثل آية النهار التي جعلها الله سبحانه مبصرة، وآية الليل التي جعلها ممحوة، وآية السراج التي جعلها وهاجة كآية المصباح التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، وآية المرآة التي جعلها سبحانه للصور والعكوس مظهرا، وغير ذلك من الآيات المحكمات التي هن أم الكتاب، تقرأها وتتلوها حق تلاوتها حتى يتبين لك أنه الحق وأنه على كل شيء شهيد.

وأما طريق معرفة الله سبحانه بالكتاب التدويني القرآني فهو ظاهر، فإنك تتلو آياته صباحا ومساء إن شاء الله تعالى على كمال تفكر وتدبر في معانيها الظاهرة والباطنة، ولطائفها وإشاراتها، والأمثال التي ضرب الله فيه للناس ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾(١) حتى جاءك بالحق وزهق الباطل ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٢) وعليك بقراءة آية السراج، وعليك بتلاوتها بالتدبر والتفكر والتعقل فيها فإنها آية محكمة وصنعة عجيبة متقنة، ومثل تام كامل صحيح مطابق للممثل به، جعله مثل نوره وآية معرفة نبيه محمد وآله صلى الله عليهم أجمعين، وضرب الله سبحانه هذا المثل للعقلاء والعلماء الذين أراد سبحانه أن يعرفهم نفسه، وجميع ما أراد منهم معرفته من معرفة توحيده وعدله وحججه وأنبياءه ورسله، ومعرفة مبدأ الأشياء ومعادها.

وهو مثل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

واعلم أنك إن تلوت هذه الآية حق تلاوتها وتعقلها، سهل لك

---

(١) العنكبوت ٤٣.

(٢) الإسراء ٨١.

إثبات الصانع وحدوث العالم، وتعرف معنى الوجوب والإمكان الراجح والتساوي، ومعنى القدم والقديم، والحدوث والحادث، وتعرف الوجودات الثلاثة، الوجود الحق أعني عنوانه، والوجود المطلق أعني آيته، والوجود المقيد نفسه، وتعرف كيفية الصنع والإيجاد، وتعرف آية مشيئة الله سبحانه وإرادته وقدره وقضائه، ومعنى أزليته التي هي عين أبديته، وأوليته التي هي عين آخريته، وظاهريته التي هي نفس باطنيته، ومعنى أظهريته من كل شيء، وأقربيته إلى كل شيء من نفس ذلك الشيء، وتعرف معنى غنائه عن كل ما سواه، واحتياج كل ما سواه إليه، ومعنى أنه تعالى غنى كل فقير وعز كل ذليل، ومعنى أنه تعالى كان ولم يكن معه شيء وهو الآن كما كان، ومعنى قوله تعالى: (كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)(١).

وتجد في هذه الآية إذا تلوتها، آية ذات الله الأحدية الصمدية، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وآية صفاته الذاتية التي هي ذاته سبحانه، وآية صفاته الفعلية، وآية وحدة ذاته الحقية، وآية وحدة فعله الحقيقية، وآية الحقيقة المحمدية ﷺ، وتعرف من هذا المثل مقام قاب قوسين ومقام أو أدنى، ومقام الجامعية الكبرى لأهله وهم محمد وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين لا غير، وتعرف كيفية بروز الأشياء من غيب الإمكان إلى شهادة الأكوان، وتعرف معنى إيجاده تعالى وخلقه الأشياء لا من شيء وهو معنى الاختراع والابتداع، وتعرف معنى قولهم عليهم السلام: (لنا مع الله حالات، هو فيها نحن ونحن هو، ولكن هو هو ونحن نحن) ومعنى قولهم عليهم السلام:

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٤ ص٣٤٤ باب ١٣.

(اجعلوا لنا ربًا نؤوب إليه وقولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا)، ويظهر لك مقام الوساطة والسفارة والترجمة، ومقام السر المقنع بالسر، ومقام حق الحق وباطن الباطن، ويظهر لك من هذا المثل مراتب الموجودات وتفاوت الدرجات، وتعرف حق كل ذي حق وفضل كل ذي فضل، وتعلم استحقاقه تعالى العبادة من كل ما سواه، وأن لا تجوز العبادة إلّا له سبحانه، وأن المعبود الحق واحد لا شريك له، وتعرف معنى قوله صلى الله عليه وآله: (أعطيت لواء الحمد وعلي حامله)، ومعنى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1]، وتعرف معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾[2]، وتعلم أن الخلق محتاجون إلى المدد الجديد في كل آن، وتعرف قوله عليه السلام: (تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها) وتعرف معنى قول الشاعر في مدح علي عليه السلام:

يا جوهرًا قام الوجود به   والخلق بعدك كلهم عرض

فتعرفه عليه السلام بالنورانية.

والحاصل يظهر من هذا المثل الأعلى والآية الكبرى توحيده سبحانه وعدله، ونبوة الأنبياء وولاية الأولياء، واحتياج الخلق إليهم ظاهرًا وباطنًا، ومعنى المبدأ والمعاد ورجوع الأرواح إلى الأجساد، وغير ذلك من الأشياء التي يطول ذكرها، حتى تشاهد في هذا المثل حقيقة قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾[3].

(١) الإسراء ٧٩.
(٢) النمل ٨٨.
(٣) النساء ٥٦.

إذا عرفت هذا فاعلم أن هذه الكتب الثلاثة كتبهم عليهم السلام، وما فيها من الآيات والكلمات والعلامات آياتهم وكلماتهم وعلاماتهم، وأنه سبحانه قد كتب هذه الكتب بيده، وهم عليهم السلام يده الأربعة عشر معصومًا، وأظهر سبحانه ما فيها من الآيات والكلمات عن مشيئته، وهم عليهم السلام محل مشيئته ومعدن كلماته.

وإلى ما أشرنا إليه من أن تلك الآيات آياتهم عليهم السلام، الإشارة في قول مولانا الصادق عليه السلام كما في كتاب أنيس السمراء عن المفضل بن عمر في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ قال عليه السلام: (وهي والله آياتنا)(١).

فهم عليهم السلام ذوو الآيات التي جحد بها الكافرون، وتلك الآيات مظاهرهم عليهم السلام.

منها مظاهر ذات، ومنها مظاهر صفات ذات، ومنها مظاهر صفات أفعال، ومنها مظاهر آثار، وكلها آيات معرفتهم بالنورانية وعلامات سلطانهم في الدنيا والآخرة، وآثار ملكهم وولايتهم المطلقة:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آيه ... تدل على أنه واحد

ولنرجع إلى ذكر ما أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى معرفته بالنورانية في الحديث الذي ذكرنا لك صدره، وبينا بعض ما أراد منه عليه السلام.

فنقول قال عليه السلام بعد قوله: (فقال الله عز وجل لذلك النصف: كن محمدًا وللآخر كن عليًا) (يا سلمان ويا جندب، وكان محمد الناطق،

---

(١) المناقب، ص١٢٥.

وأنا الصامت، ولا بد في كل زمان من صامت وناطق، محمد صاحب الجمع، وأنا صاحب الحشر، ومحمد المنذر، وأنا الهادي، ومحمد صاحب الجنة، وأنا صاحب الرجعة، محمد صاحب الحوض، وأنا صاحب اللواء، محمد صاحب المفاتيح، وأنا صاحب الجنة والنار، ومحمد صاحب الوحي، وأنا صاحب الإلهام، محمد صاحب الدلالات، وأنا صاحب المعجزات، محمد خاتم النبيين، وأنا خاتم الوصيين، محمد صاحب الدعوة، وأنا صاحب السيف والسطوة، محمد النبي الكريم، وأنا الصراط المستقيم، محمد الرؤوف الرحيم، وأنا العلي العظيم.

يا سلمان، قال الله سبحانه: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، ولا تعطى هذه الروح إلّا من فوض إليه الأمر والقدرة، وأنا أحيي الموتى، وأعلم ما في السماوات والأرض، وأنا الكتاب المبين.

يا سلمان، محمد مقيم الحجة، وأنا حجة الحق على الخلق، وبذلك الروح عرج به إلى السماء، أنا حملت نوحا في السفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، وأنا الذي جاوزت موسى في البحر، وأهلكت القرون الأولى، وأعطيت علم الأنبياء والأوصياء، وفصل الخطاب، وبي تمت نبوة محمد، أنا أجريت الأنهار والبحار، وفجرت الأرض عيونا، أنا كاب الدنيا لوجهها، أنا عذاب يوم الظلة، أنا الخضر معلم موسى، أنا معلم داود وسليمان، أنا ذو القرنين(١)،

---

(١) في الحديث عن النبي ﷺ: (يا علي لك في الجنة كنز وأنت ذو قرنيها) حاشية من المصنف قدس سره.

أنا الذي رفعت سمكها بإذن الله عز وجل، أنا دحوت أرضها، [أنا عذاب يوم الظلة]، أنا المنادي من مكان بعيد، أنا دابة الأرض، أنا كما قال لي رسول الله ﷺ: أنت يا علي ذو قرنيها، وكلا طرفيها، ولك الآخرة والأولى.

يا سلمان إن ميتنا إذا مات لم يمت، ومقتولنا إذا قتل لم يقتل، وغائبنا إذا غاب لم يغب، ولا نلد ولا نولد في البطون، ولا يقاس بنا أحد من الناس، أنا تكلمت على لسان عيسى في المهد، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الراجفة، أنا صاحب الزلزلة. أنا اللوح المحفوظ، إلي انتهى علم ما فيه، أنا أتقلب في الصور كيف شاء الله، من رآهم فقد رآني، ومن رآني فقد رآهم، ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغير.

يا سلمان، بنا شرف كل مبعوث، فلا تدعونا أربابا، وقولوا فينا ما شئتم، ففينا هلك من هلك وبنا نجى من نجى.

يا سلمان، من آمن بما قلت وشرحت فهو مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان، ورضي عنه، ومن شك وارتاب فهو ناصب، وإن ادعى ولايتي فهو كاذب.

يا سلمان أنا والهداة من أهل بيتي سر الله المكنون، وأولياؤه المقربون، كلنا واحد، [وأمرنا واحد](١)، وسرنا واحد، فلا تفرقوا فينا فتهلكوا، فإنا نظهر في كل زمان بما شاء الرحمن، فالويل كل الويل لمن أنكر ما قلت، ولا ينكره إلّا أهل الغباوة، ومن ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة.

---

(١) ليست في المصدر.

يا سلمان، أنا أبو كل مؤمن ومؤمنة.

يا سلمان، أنا الطامة الكبرى، أنا الآزفة إذا أزفت، أنا الحاقة، أنا القارعة، أنا الغاشية، أنا الصاخة، أنا المحنة النازلة، ونحن الآيات والدلالات والحجب ووجه الله.

أنا [الذي][١] كتب اسمي على العرش فاستقر، وعلى السماوات فقامت، وعلى الأرض فرست، وعلى الريح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى الودق فهمع، وعلى النور فسطع، وعلى السحاب فدمع، وعلى الرعد فخشع، وعلى الليل فدجى وأظلم، وعلى النهار فأنار وتبسم)[٢] انتهى.

فصل

ومن جملة ما أشار عليه السلام إلى معرفته بالنورانية أنه قال في بعض خطبه (الحمد لله مدهر الدهور، ومالك مواضي الأمور، الذي كنا بكينونيته، قبل خلق التمكين في التكوين أوليين أزليين لا موجودين، منه بدأنا وإليه نعود، ألا إن الدهر فينا قسمت حدوده، ولنا أخذت عهوده، وإلينا ترد شهوده) إلى أن قال عليه السلام (لم تقم الدعائم من أطراف الأكناف ولا من أعمدة فساطيط السجاف إلّا على كواهل أنوارنا)[٣].

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٥٨.

(٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٥٨.

فصل
[في ذكر خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام
بعد انصرافه من قتل الخوارج]

ومن ذلك ما في خطبته عليه السلام التي خطبها بعد انصرافه من قتل الخوارج فقال فيها بعد حمد الله والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله : (أنا أول المؤمنين، أنا أول المصلين، أنا أول الصائمين، أنا أول المجاهدين، أنا حبل الله المتين، أنا سيف رسول رب العالمين، أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أنا باب مدينة العلم، أنا رأس الحلم، أنا راية الهدى، أنا مفني العدى، أنا سراج الدين، أنا أمير المؤمنين، أنا إمام المتقين، أنا سيد الوصيين، أنا يعسوب الدين، أنا شهاب الله الثاقب، أنا عذاب الله الواصب، أنا البحر الذي لا ينزف، أنا الشرف الذي لا يوصف، أنا قاتل المشركين، أنا مبيد الكافرين، أنا غوث المؤمنين، أنا قائد الغر المحجلين، أنا أضراس جهنم القاطعة، أنا رحاها الدائرة، أنا سائق أهلها إليها، أنا ملقي حطبها عليها.

أنا اسمي في الصحف عاليا، وفي التوراة بريا، وعند العرب عليا، وإن لي أسماء في القرآن عرفها من عرفها.

أنا الصادق الذي أمركم الله باتباعه فقال: وَكُونُوا مَعَ الصادِقِينَ، أنا صالح المؤمنين، أنا المؤذن في الدنيا والآخرة، أنا المتصدق راكعًا، أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى، أنا الممدوح بـ هَلْ أَتى، أنا وجه الله، أنا جنب الله، أنا علم الله، أنا عندي علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لا يدعي ذلك أحد ولا يدفعني عنه أحد، جعل الله قلبي مضيئًا، وعملي رضيًا، لقاني ربي الحكمة وغذاني بها، لم أشرك بالله منذ خلقت، ولم أجزع منذ حكمت، قتلت صناديد العرب

وفرسانها، وأفنيت ليوثها وشجعانها، أيها الناس، سلوني عن علم مخزون وحكمة مجموعة)[١].

فصل
[في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يبين أسماءه الشريفة]

ومن ذلك ما روي في المعاني عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام (قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ النهْرَوَانِ وَبَلَغَهُ أَن مُعَاوِيَةَ يَسُبهُ وَيَلْعَنُهُ وَيقْتُلُ أَصْحَابَهُ فَقَامَ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلى عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَذَكَرَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى نَبِيهِ وَعَلَيْهِ ثُم قَالَ: لَوْ لَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا ذَكَرْتُ مَا أَنَا ذَاكِرُهُ فِي مَقَامِي هَذَا يَقُولُ اللهُ عَز وَجَلَ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ اللهُم لَكَ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِكَ التِي لَا تُحْصَى وَفَضْلِكَ الذِي لَا يُنْسَى، يَا أَيهَا الناسُ إِنهُ بَلَغَنِي مَا بَلَغَنِي وَإِني أَرَانِي قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلِي وَكَأَني بِكُمْ وَقَدْ جَهِلْتُمْ أَمْرِي [وَإِني] وأنا تَارِكٌ فِيكُمْ مَا تَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي وَهِيَ عِتْرَةُ الْهَادِي إِلَى النجَاةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيدِ النجَبَاءِ وَالنبِي الْمُصْطَفَى يَا أَيهَا الناسُ لَعَلكُمْ لَا تَسْمَعُونَ قَائِلًا يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِي بَعْدِي إِلا مُفْتَرٍ أَنَا أَخُو رَسُولِ اللهِ وَابْنُ عَمهِ وَسَيْفُ نَقِمَتِهِ وَعِمَادُ نُصْرَتِهِ وَبَأْسُهُ وَشِدتُهُ أَنَا رَحَى جَهَنمَ الدائِرَةُ وَأَضْرَاسُهَا الطاحِنَةُ أَنَا مُوتِمُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ أَنَا قَابِضُ الْأَرْوَاحِ وَبَأْسُ اللهِ الذِي لَا يَرُدهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ أَنَا مُجَدلُ الْأَبْطَالِ وَقَاتِلُ الْفُرْسَانِ [وَمُبِيرُ] ومبيد مَنْ كَفَرَ بِالرحْمَنِ وَصِهْرُ خَيْرِ الْأَنَامِ أَنَا سَيدُ الْأَوْصِيَاءِ وَوَصِي خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَا بَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَخَازِنُ عِلْمِ

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص٢٥٩.

رَسُولِ اللهِ وَوَارِثُهُ وَأَنَا زَوْجُ الْبَتُولِ سَيدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ـ فَاطِمَةَ التقِيةِ [النقِيةِ] الزكِيةِ [الْمَبَرةِ] البرة الْمَهْدِيةِ حَبِيبَةِ حَبِيبِ اللهِ وَخَيْرِ بَنَاتِهِ وَسُلَالَتِهِ وَرَيْحَانَةِ رَسُولِ اللهِ سِبْطَاهُ خَيْرُ الْأَسْبَاطِ وَوَلَدَايَ خَيْرُ الْأَوْلَادِ هَلْ أَحَدٌ يُنْكِرُ مَا أَقُولُ ـ أَيْنَ مُسْلِمُو أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَا اسْمِي فِي الْإِنْجِيلِ إِلْيَا وَفِي التوْرَاةِ بَرِيْءٌ وَفِي الزبُورِ أري وَعِنْدَ الْهِنْدِ كبكر وَعِنْدَ الروم بطريسا وَعِنْدَ الْفُرْسِ جبتر وَعِنْدَ الترْكِ بثير وَعِنْدَ الزنْجِ حيتر وَعِنْدَ الْكَهَنَةِ بويئ وَعِنْدَ الْحَبَشَةِ بثريك وَعِنْدَ أُمي حَيْدَرَةُ وَعِنْدَ ظِئْرِي مَيْمُونٌ وَعِنْدَ الْعَرَبِ عَلِي وَعِنْدَ [الْأَرْمَنِ] الأرض فريق وَعِنْدَ أَبِي ظهير أَلَا وَإِني مَخْصُوصٌ فِي الْقُرْآنِ بِأَسْمَاءٍ احْذَرُوا أَنْ تَغْلِبُوا عَلَيْهَا فَتَضِلوا فِي دِينِكُمْ يَقُولُ اللهُ عَز وَجَلَ وَكُونُوا مَعَ الصادِقِينَ أَنَا ذَلِكَ الصادِقُ وَأَنَا الْمُؤَذنُ فِي الدنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ اللهُ عَز وَجَل: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَنَا ذَلِكَ الْمُؤَذنُ وَقَالَ ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ فَأَنَا ذَلِكَ الْأَذَانُ وَأَنَا الْمُحْسِنُ يَقُولُ اللهُ عَز وَجَلَ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وَأَنَا ذُو الْقَلْبِ فَيَقُولُ اللهُ [عز وجل]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ـ وَأَنَا الذاكِرُ يَقُولُ اللهُ عَز وَجَل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ وَنَحْنُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ أَنَا وَعَمي وَأَخِي وَابْنُ عَمي وَاللهِ فَالِقِ الْحَب وَالنوَى لَا يَلِجُ النارَ لَنَا مُحِب وَلَا يَدْخُلُ الْجَنة لَنَا مُبْغِضٌ يَقُولُ اللهُ عَز وَجَلَ: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ وَأَنَا الصهْرُ يَقُولُ اللهُ عَز وَجَل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ وأَنَا الْأُذُنُ الْوَاعِيَةُ يَقُولُ اللهُ عَز وَجَلَ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ وَأَنَا السلَمُ لِرَسُولِهِ ﷺ يَقُولُ اللهُ عَز وَجَلَ: ﴿وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ﴾ وَمِنْ وُلْدِي مَهْدِي هَذِهِ الْأُمةِ أَلَا وَقَدْ جُعِلْتُ مِحْنَتَكُمْ ببغضي، بِبُغْضِي يُعْرَفُ الْمُنَافِقُونَ وَبِمَحَبتِي امْتَحَنَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا عَهْدُ النبِي الْأُمي إِلَي أَنهُ

لَا يُحِبكَ إِلا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلا مُنَافِقٌ وَأَنَا صَاحِبُ لِوَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَسُولُ اللهِ فَرَطِي وَأَنَا فَرَطُ شِيعَتِي وَاللهِ لَا عَطِشَ مُحِبي وَلَا خَافَ وَلِيي وَأَنَا وَلِي الْمُؤْمِنِينَ وَاللهُ وَلِيي حَسْبُ مُحِبي أَنْ يُحِبوا مَا أَحَب اللهُ وَحَسْبُ مُبْغِضِي أَنْ يُبْغِضُوا مَا أَحَب اللهُ أَلَا وَإِنهُ بَلَغَنِي أَن مُعَاوِيَةَ سَبنِي وَلَعَنَنِي اللهُم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَيْهِ وَأَنْزِلِ اللعْنَةَ عَلَى الْمُسْتَحِق آمِينَ يَا رَب الْعَالَمِينَ رَب إِسْمَاعِيلَ وَبَاعِثَ إِبْرَاهِيمَ إِنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ثُم نَزَلَ ﷺ عَنْ أَعْوَادِهِ فَمَا عَادَ إِلَيْهَا حَتى قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ).

قال جابر سنأتي على تأويل ما ذكرنا من أسمائه.

أما قوله عليه السلام: (أنا اسمي في الإنجيل إليا) فهو علي بلسان العرب، وفي التوراة بريء قال بريء من الشرك، وعند الكهنة بويئ هو من تبوء مكانا وبوأ غيره مكانًا وهو الذي يبوء الحق منازله ويبطل الباطل ويفسده وفي الزبور أري وهو السبع الذي يدق العظم ويفرس اللحم وعند الهند كبكر قال يقرءون في كتب عندهم فيها ذكر رسول الله ﷺ وذكر فيها أن ناصره كبكر وهو الذي إذا أراد شيئًا لج فيه ولم يفارقه حتى يبلغه، وعند الروم بطريسا قال هو مختلس الأرواح، وعند الفرس جبتر وهو البازي الذي يصطاد وعند الترك بثير قال وهو النمر الذي إذا وضع مخلبه في شيء هتكه وعند الزنج حيتر قال هو الذي يقطع الأوصال وعند الحبشة بثريك قال هو المدمر على كل شيء أتى عليه وعند أمي حيدرة قال هو الحازم الرأي الخبير النقاب النظار في دقائق الأشياء وعند ظئري ميمون.

قَالَ جَابِرٌ: أَخْبَرَنِي مُحَمدُ بْنُ عَلِي عليهما السلام قَالَ: (كَانَتْ ظِئْرُ عَلِي عليه السلام التِي أرضعَتْهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي هِلَالٍ خَلفَتْهُ فِي خِبَائِهَا وَمَعَهُ أَخٌ

لَهُ مِنَ الرضَاعَةِ وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًا بِسَنَةٍ إِلا أَيامًا وَكَانَ عِنْدَ الْخِبَاءِ قَلِيبٌ فَمَر الصبِي نَحْوَ الْقَلِيبِ وَنكس رَأْسَهُ فِيهِ [فَحَبى] فجاء عَلِي عليه السلام خَلْفَهُ فَتَعَلقَتْ رِجْلُ عَلِي عليه السلام بِطُنْبِ الْخَيْمَةِ فَجر الْحَبْلَ حَتى أَتَى عَلَى أَخِيهِ فَتَعَلقَ بِفَرْدِ قَدَمَيْهِ وَفَرْدِ يَدَيْهِ وَأَما الْيَدُ فَفِي فِيهِ وَأَما الرجْلُ فَفِي يَدِهِ فَجَاءَتْهُ أُمهُ فَأَدْرَكَتْهُ فَنَادَتْ يَا لَلْحَي يَا لَلْحَي يَا لَلْحَي مِنْ غُلَامٍ مَيْمُونٍ أَمْسَكَ عَلَي وَلَدِي فَأَخَذُوا الطفْلَ مِنْ عِنْدِ رَأْسِ الْقَلِيبِ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْ قُوتِهِ عَلَى صِبَاهُ وَلِتَعَلقِ رِجْلِهِ بِالطنْبِ وَلِجَرهِ الطفْلَ حَتى أَدْرَكُوهُ فَسَمتْهُ أُمهُ مَيْمُونًا أَيْ مُبَارَكًا).

فكان الغلام في بني هلال يعرف بمعلق ميمون وولده إلى اليوم.

وعند الأرمن فريق، قال الفريق الجسور الذي يهابه الناس.

وعند أبي ظهير، قال كان أبوه يجمع ولده وولد إخوته ثم يأمرهم بالصراع، وذلك خلق في العرب، وكان علي عليه السلام يحسر عن ساعدين له غليظين قصيرين وهو طفل، ثم يصارع كبار إخوته وصغارهم وكبار بني عمه وصغارهم فيصرعهم، فيقول أبوه ظهر علي فسماه ظهيرًا.

وعند العرب علي، قال جابر اختلف الناس من أهل المعرفة لم سمي علي عليًا، فقالت طائفة لم يسم أحد من ولد آدم قبله بهذا الاسم في العرب ولا في العجم، إلّا أن يكون الرجل من العرب يقول ابني هذا علي يريد به من العلو لا أنه اسمه، وإنما تسمى الناس به بعده وفي وقته.

وقالت طائفة سمي علي عليا لعلوه على كل من بارزه.

وقالت طائفة سمي علي عليًا لأن داره في الجنان تعلو حتى تحاذي منازل الأنبياء، وليس نبي تعلو منزلته منزلة علي.

وقالت طائفة سمي علي عليًا لأنه علا ظهر رسول الله ﷺ بقدميه طاعة لله عز وجل، ولم يعلُ أحد على ظهر نبي غيره عند حط الأصنام من سطح كعبة.

وقالت طائفة إنما سمي علي عليًا لأنه زوج في أعلى السماوات ولم يزوج أحد من خلق الله عز وجل في ذلك الموضع غيره.

وقالت طائفة إنما سمي علي عليًا لأنه كان أعلى الناس علمًا بعد رسول الله ﷺ)(١).

فصل
[في خطبة الافتخار]

ومن ذلك ما ورد عنه في خطبة الافتخار رواه الأصبغ بن نباته قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته: (أنا أخو رسول الله ووارث علمه، ومعدن حكمه، وصاحب سره، وما أنزل الله حرفا في كتاب من كتبه إلّا وقد صار إلي، وزاد لي علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، أعطيت علم الأنساب والأسباب، وأعطيت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب، وأمددت بعلم القدر، [وإن ذلك] يجري في الأوصياء من بعدي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

أعطيت الصراط والميزان واللواء والكوثر، أنا المقدم على بني آدم يوم القيامة، أنا المحاسب للخلق، [و] أنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، ألا كل ذلك فضل من الله علي، ومن أنكر أن لي

---

(١) معاني الأخبار، ص: ٥٨ ـ ٦٢.

في الأرض كرة بعد كرة وعودا بعد رجعة، حديثا كما كنت قديمًا، فقد رد علينا، ومن رد علينا فقد رد على الله.

أنا صاحب الدعوات، أنا صاحب الصلوات، أنا صاحب النعمات، أنا صاحب الدلالات، أنا صاحب الآيات العجيبات، أنا عالم أسرار البريات، أنا قرن من حديد، أنا أبدا جديد، أنا منزل الملائكة منازلها، أنا آخذ العهد على الأرواح في الأزل، أنا المنادي لهم ألست بربكم بأمر قيوم لم يزل.

أنا كلمة الله الناطقة في خلقه، أنا آخذ العهد على جميع الخلق في الصلوات، أنا غوث الأرامل واليتامى، أنا باب مدينة العلم، أنا كهف الحلم، أنا دعامة الله القائمة، أنا صاحب لواء الحمد، أنا صاحب الهيئات بعد الهيئات(١) ولو أخبرتكم لكفرتم، أنا قاتل الجبابرة، أنا الذخيرة في الدنيا والآخرة، أنا سيد المؤمنين، أنا علم المهتدين، أنا صاحب اليمين، أنا عين اليقين، أنا إمام المتقين، أنا السابق إلى الدين، أنا حبل الله المتين، أنا الذي أملأها عدلا كما ملئت ظلما وجورا بسيفي هذا، أنا صاحب جبريل، أنا [تابع] بالغ ميكائيل، أنا شجرة الهدى، أنا علم التقى، أنا حاشر الخلق إلى الله بالكلمة التي بها يجمع الخلائق، أنا منشئ الأنام، أنا جامع الأحكام، أنا صاحب القضيب الأزهر والجمل الأحمر، أنا باب اليقين، أنا أمير المؤمنين، أنا صاحب الخضراء(٢)، أنا صاحب البيضاء، أنا صاحب الفيحاء، أنا قاتل الأقران، أنا مبيد الشجعان،

---

(١) في المصدر: الهبات بعد الهبات.

(٢) في المصدر: الخضر.

أنا صاحب القرون الأولين، أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أنا المتكلم بالوحي، أنا صاحب النجوم، أنا مدبرها بأمر ربي وعلم الله الذي خصني به، أنا صاحب الرايات الصفر، أنا صاحب الرايات الحمر، أنا الغائب المنتظر للأمر الأعظم(١)، أنا المعطي، أنا الباذل، أنا القابض يدي على القبض، أنا الواصف [النفسي]، أنا الناصر لدين ربي، أنا الحامي لابن عمي، أنا مدرجه في الأكفان، أنا ولي الرحمن، أنا صاحب الخضراء [أنا صاحب الخضر وهارون، أنا صاحب موسى ويوشع بن نون، أنا صاحب الجنة]، أنا صاحب القطر والمطر، أنا صاحب الزلازل والخسوف، أنا مروع الألوف، أنا قاتل الكفار، أنا إمام الأبرار، أنا البيت المعمور، أنا السقف المرفوع، أنا البحر المسجور، أنا باطن الحرم، أنا عماد الأمم، أنا صاحب الأمر الأعظم، هل من مناطق يناطقني؟.

[أنا النار]، ولولا أني أسمع كلام الله وقول رسول الله ﷺ لوضعت سيفي فيكم ولقتلتكم عن آخركم، أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر، أنا أم الكتاب، أنا فصل الخطاب، أنا سورة الحمد، أنا صاحب الصلاة في الحضر والسفر، بل نحن الصلاة والصيام والليالي والأيام والشهور والأعوام، أنا صاحب الحشر والنشر، أنا الواضع عن أمة محمد الوزر، أنا باب السجود، أنا العابد، أنا المعبود، أنا الشاهد، أنا المشهود...إلخ)(٢).

---

(١) في المصدر: لأمر العظيم.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص: ٢٦١.

فصل
[في الخطبة الطتنجية]

ومن ذلك ما أشار إليه في خطبته المسماة بالطتنجية، قال عليه السلام فيها: (ولقد علمت من عجائب خلق الله ما لا يعلمه إلّا الله، وعرفت ما كان وما يكون وما كان في الذر الأول مع من تقدم من آدم الأول، ولقد كشف لي فعرفت، وعلمني ربي فتعلمت، ألا فعوا ولا تضجوا ولا ترتجوا فلولا خوفي عليكم أن تقولوا جن أو ارتد لأخبرتكم بما كانوا وما أنتم فيه وما تلقونه إلى يوم القيامة، علم أوعز إلي فعلمت، ولقد ستر علمه عن جميع النبيين إلّا صاحب شريعتكم هذه صلوات الله عليه وآله، فعلمني علمه، وعلمته علمي، ألا وإنا نحن النذر الأولى، ونحن نذر الآخرة والأولى، ونذر كل زمان وأوان، وبنا هلك من هلك، وبنا نجا من نجا، فلا تستعظموا ذلك فينا، فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، وتفرد بالجبروت والعظمة، لقد سخرت لي الرياح والهوام والطير، وعرضت علي الدنيا، فأعرضت عنها، أنا كاب الدنيا لوجهها، فحتى متى يلحق بي اللاحق، لقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى، وما تحت السابعة السفلى، وما في السماوات العلى، وما بينهما وما تحت الثرى، كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار، أقسم برب العرش العظيم، لو شئت أخبرتكم بآبائكم وأسلافكم أين كانوا وممن كانوا وأين هم الآن وما صاروا إليه، فكم من آكل منكم لحم أخيه، وشارب برأس أبيه، وهو يشتاقه ويرتجيه.

هيهات هيهات، إذا كشف المستور، وحصل ما في الصدور، وعلم واردات الضمائر[1]، وأيم الله لقد كورتم كورات، وكورتم

---

(١) في المصدر: أين الضمير.

كرات، وكم بين كرة وكرة من آية وآيات، ما بين مقتول وميت، فبعض في حواصل الطيور، وبعض في بطون الوحش، والناس ما بين ماض وراح، ورايح وغاد، ولو كشف لكم ما كان مني في القديم الأول، وما يكون مني في الآخر، لرأيتم عجائب مستعظمات، وأمورا مستعجبات، وصنائع وإحاطات، أنا صاحب الخلق الأول قبل نوح الأول، ولو علمتم ما كان بين آدم ونوح من عجائب اصطنعتها، وأمم أهلكتها فحق عليهم القول، فبئس ما كانوا يفعلون.

أنا صاحب الطوفان الأول، أنا صاحب الطوفان الثاني، أنا صاحب سيل العرم، أنا صاحب الأسرار المكنونات، أنا صاحب عاد والجنات، أنا صاحب ثمود والآيات، أنا مدمرها، أنا مزلزلها، أنا مرجفها، أنا مهلكها، أنا مدبرها، أنا بانيها، أنا داحيها، أنا مميتها، أنا محييها، أنا الأول، أنا الآخر، أنا الباطن، أنا الظاهر، أنا مع الكور [قبل الكور]، أنا مع الدور قبل الدور، أنا مع القلم قبل القلم، أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية، أنا صاحب جابلقا وجابرسا، أنا صاحب الرفرف وبهرم، أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم.

قال: فقام إليه ابن صويرمة فقال: أنت أنت يا أمير المؤمنين؟

فقال: أنا أنا لا إله إلّا الله ربي ورب الخلائق أجمعين، له الخلق والأمر، الذي دبر الأمور بحكمته، وقامت السماوات والأرض بقدرته، كأني بضعيفكم يقول ألا تستمعون إلى ما يدعيه ابن أبي طالب في نفسه، وبالأمس تكفهر عليه عساكر أهل الشام فلا يخرج إليها؟

وباعث محمد وإبراهيم! لأقتلن أهل الشام بكم قتلات وأي قتلات، وحقي وعظمتي لأقتلن أهل الشام بكم قتلات وأي قتلات،

ولأقتلن أهل صفين بكل قتلة سبعين قتلة، ولأردن إلى كل مسلم حياة جديدة، ولأسلمن إليه صاحبه وقاتله، إلى أن يشفى غليل صدري منه، ولأقتلن بعمار بن ياسر وبأويس القرني ألف قتيل، أو لا يقال لا وكيف وأين ومتى وأنى وحتى، فكيف إذا رأيتم صاحب الشام ينشر بمناشير، ويقطع بالمساطير، [ثم] ولأذيقنه أليم العقاب، ألا فأبشروا، فإلي يرد أمر الخلق غدا [بأمر ربي]، فلا تستعظم ما قلت، فإنا أعطينا علم المنايا والبلايا، والتأويل والتنزيل، وفصل الخطاب وعلم النوازل، والوقائع والبلايا، فلا يعزب عنا شيء.

كأني بهذا وأشار إلى الحسين عليه السلام قد نار نوره بين عينيه، فأحضره لوقته بحين طويل يزلزلها ويخسفها، وسار معه المؤمنون في كل مكان، وأيم الله لو شئت سميتهم رجلًا رجلًا بأسمائهم وأسماء آبائهم فهم يتناسلون من أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى يوم الوقت المعلوم)(١).

ثم ذكر عليه السلام بعض علامات ظهور المهدي عليه السلام فقال: (وعند ذلك فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور، فيظهر هذا ظاهر مكشوف، ومعاين موصوف، ألا وكم عجائب تركتها، ودلائل كتمتها، لا أجد لها حملة، أنا صاحب إبليس أنا آمره بالسجود، أنا معذبه وجنوده على الكبر والعنود [والغرور] بأمر الله، أنا رافع إدريس مكانا عليًا، أنا منطق عيسى في المهد صبيًا، أنا مدين الميادين وواضع الأرض، أنا قاسمها أخماسًا، فجعلت خمسًا برًا، وخمسًا بحرًا، وخمسًا جبالًا، وخمسًا عمارًا، وخمسًا خرابًا)(٢).

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٤ ـ ٢٦٦.
(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٦.

إلى أن قال عليه السلام: (أنا صاحب الطور، أنا ذلك النور الظاهر، أنا ذلك البرهان الباهر، وإنما كشف لموسى شقص من شقص الذر من المثقال، وكل ذلك بعلم من الله ذي الجلال.

أنا صاحب جنات الخلود، أنا مجري الأنهار أنهارا من ماء تيار، وأنهارًا من لبن، وأنهارًا من عسل مصفى، وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، أنا حجبت جهنم وجعلتها طبقات السعير، وسقر النخير[1]، والأخرى عمقيوس أعددتها للظالمين، وأودعت ذلك كله وادي برهوت، وهو الفلق ورب ما خلق، يخلد فيها الجبت والطاغوت وعبيدهما، ومن كفر بذي الملك والملكوت، أنا صانع الأقاليم بأمر العليم الحكيم، أنا الكلمة التي بها تمت الأمور ودهرت الدهور، أنا جعلت الأقاليم أرباعا، والجزائر سبعا، فإقليم الجنوب معدن البركات، وإقليم الشمال معدن السطوات، وإقليم الصبا معدن الزلازل، وإقليم الدبور معدن الهلكات.

ألا ويل لمدائنكم وأمصاركم من طغاة يظهرون فيغيرون ويبدلون إذا تمالت الشدائد من دولة الخصيان، وملكت الصبيان والنسوان، فعند ذلك ترتج الأقطار بالدعاة إلى كل باطل)[2].

ثم قال عليه السلام بعد كلمات وذكر علامات: (كأني بالمنافقين يقولون نص علي على نفسه بالربانية، ألا فاشهدوا شهادة أسألكم بها عند الحاجة إليها، إن عليا نور مخلوق، وعبد مرزوق، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين.

ثم نزل وهو يقول: تحصنت بذي الملك والملكوت، واعتصمت

---

(١) في المصدر: وسقير الجير.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٦.

بذي العزة والجبروت، وامتنعت بذي القدرة والملكوت، من كل ما أخاف وأحذر، أيها الناس ما ذكر أحدكم هذه الكلمات عند نازلة أو شدة إلّا وأزاحها الله عنه.

فقال له جابر: وحدها يا أمير المؤمنين، فقال: نعم وأضيف إليها الثلاثة عشر اسمًا، وضمني، ثم ركب ومضى).

فصل
[في خطبة عالية المضامين لأمير المؤمنين عليه السلام]

ومن ذلك ما قال عليه السلام في بعض خطبه: (أنا الذي عندي مفاتيح الغيب، لا يعلمها بعد رسول الله إلّا أنا، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، أنا قاسم الجنة والنار [بأمر ربي]، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مفجر العيون، أنا مجري الأنهار، أنا خازن العلم، أنا طود الحلم، أنا أمير المؤمنين، أنا عين اليقين، أنا حجة الله في السماوات والأرضين، أنا الراجفة، أنا الصاعقة، أنا الصيحة بالحق، أنا الساعة لمن كذب بها، أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى التي أمر أن يدعى بها، أنا ذلك النور الذي اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من في القبور، أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وعافيه، أنا أقمت السماوات بأمر ربي، أنا صاحب إبراهيم، أنا سر الكليم.

أنا الناظر في الملكوت، أنا أمر الحي الذي لا يموت، أنا ولي

الحق على سائر الخلائق، أنا الذي لا يبدل القول لدي، وحساب الخلق إلي، أنا المفوض إلي أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق، أنا سر الله في بلاده، وحجته على عباده، أنا أمر الله والروح، كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾.

أنا أرسيت الجبال الشامخات، وفجرت العيون الجاريات، أنا غارس الأشجار، ومخرج الألوان والثمار، أنا مقدر الأقوات، أنا ناشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس والقمر والنجوم، أنا قيم القيامة، أنا مقيم الساعة، أنا الواجب له من الله الطاعة، أنا حي لا أموت وإذا مت لم أمت، أنا سر الله المخزون، أنا العالم بما كان وما يكون، أنا صلوات المؤمنين وصيامهم، أنا مولاهم وإمامهم، أنا صاحب النشر الأول والآخر، أنا صاحب المناقب والمفاخر، أنا صاحب الكواكب، أنا عذاب الله الواصب، أنا مهلك الجبابرة الأول، أنا مزيل الدول، أنا صاحب الزلازل والرجف، أنا صاحب الكسوف والخسوف، أنا مدمر الفراعنة بسيفي هذا، أنا الذي أقامني الله في الأظلة ودعاهم إلى طاعتي، فلما ظهرت أنكروا، فقال الله سبحانه: فَلَما جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، أنا نور الأنوار، أنا حامل العرش مع الأبرار، أنا صاحب الكتب السالفة، أنا باب الله الذي لا يفتح لمن كذب بها ولا يذوق الجنة، أنا الذي تزدحم الملائكة على فراشي، وتعرفني عباد أقاليم الدنيا، أنا الذي ردت لي الشمس مرتين، وسلمت علي كرتين، وصليت مع رسول الله القبلتين، وبايعت البيعتين، أنا صاحب بدر وحنين، أنا الطور، أنا الكتاب المسطور، أنا البحر المسجور، أنا البيت المعمور، أنا الذي دعا الله الخلائق إلى طاعتي فكفرت، وأصرت فمسخت، وأجابت أمة فنجت وأزلفت، أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان، ومقاليد النيران، أنا مع رسول الله في

الأرض وفي السماء، أنا المسيح حيث لا روح تتحرك ولا نفس يتنفس غيري، أنا صاحب القرون الأولى، أنا الصامت ومحمد الناطق، أنا جاوزت موسى في البحر، وأغرقت فرعون وجنوده، وأنا أعلم هماهم البهائم، ومنطق الطير، أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين، أنا المتكلم على لسان عيسى في المهد، أنا الذي يصلي عيسى خلفي، أنا الذي أتقلب في الصور كيف شاء الله، أنا مصباح الهدى، أنا مفتاح التقى، أنا الآخرة والأولى، أنا الذي أرى أعمال العباد، أنا خازن السماوات والأرض بأمر رب العالمين، أنا القائم بالقسط، أنا ديان الدين، أنا الذي لا تقبل الأعمال إلّا بولايته، ولا تنفع الحسنات إلّا بحبه، أنا العالم بمدار الفلك الدوار، أنا صاحب مكيال قطرات الأمطار، ورمل القفار بإذن الملك الجبار، ألا أنا الذي أقتل مرتين وأحيى مرتين وأظهر كيف شئت، أنا محصي الخلائق وإن كثروا، أنا محاسبهم [بأمر ربي] وإن عظموا، أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء، أنا الذي جحد ولايتي ألف أمة فمسخوا، أنا المذكور في سالف الأزمان والخارج في آخر الزمان، أنا قاصم الجبارين في الغابرين، ومخرجهم ومعذبهم في الآخرين، أنا معذب يغوث ويعوق ونسرا عذابا شديدا، أنا المتكلم بكل لسان، أنا الشاهد لأعمال الخلائق في المغارب والمشارق.

[أنا صهر محمد] أنا محمد ومحمد أنا، أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه، أنا باب حطة، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم)(١).

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

فصل

ومن ذلك ما رواه العلامة في كتاب جامع الأخبار عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال عليه السلام: (نحن أسرار الله المودعة في هياكل البشرية، يا سلمان نزلونا عن الربوبية وارفعوا عنا حظوظ البشرية، فإنا عنها مبعدون وعما يجوز عليكم منزهون، ثم قولوا فينا ما استطعتم، فإن البحر لا ينزف وسر الغيب لا يعرف، وكلمة الله لا توصف، ومن قال هناك لِمَ وبِمَ ومِمَ فقد كفر)(١).

وقالوا عليهم السلام: (اجعلوا لنا ربًا نؤب إليه وقولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا)(٢)، ومن كلامه عليه السلام: (ظاهري إمامة لا يملك وباطني غيب لا يدرك)(٣).

فصل
[بيان المقامات الأربعة للمعصومين عليهم السلام]

أقول: إن إمامنا وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام أشار في هذه الكلمات العجيبات الموضوعة لبيان معرفته بالنورانية إلى شيئين:

الأول: أنه عليه السلام أشار فيها إلى أن لهم عليهم السلام مقامات يجب على من أراد معرفتهم بالنورانية أن يعرفهم بتلك المقامات، وقد أشار مولانا سيد الساجدين عليه السلام في حديث جابر بن يزيد الجعفي إلى تلك المقامات الشريفة بقوله عليه السلام: (يَا جَابِرُ أَو تَدْرِي مَا الْمَعْرِفَةُ الْمَعْرِفَةُ إِثْبَاتُ التوْحِيدِ أَولًا ثُم مَعْرِفَةُ الْمَعَانِي ثَانِيًا ثُم مَعْرِفَةُ الْأَبْوَابِ ثَالِثًا ثُم

(١) قريب منه في مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص: ١٠١.
(٢) المحتضر، ص٦٥.
(٣) المصدر السابق، ص١٠٢ بتفاوت يسير.

مَعْرِفَةُ الإمام رَابِعًا ثُم مَعْرِفَةُ الْأركان خَامِسًا ثُم مَعْرِفَةُ النقبَاءِ سَادِسًا ثُم مَعْرِفَةُ النجبَاءِ سَابِعًا وهُو قَوْلُهُ [تَعَالَى] عز وجل قل لَوكانَ الْبَحْرُ مِدادًا لِكَلِماتِ رَبي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبي ولَو جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَدًا وتَلَا أيضًاولَو أَن ما فِي الْأرض مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والْبَحْرُ يَمُدهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ إِن اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

يَا جَابِرُ إِثْبَاتُ التوْحِيدِ ومَعْرِفَةُ الْمَعَانِي.

أَما إِثْبَاتُ التوْحِيدِ [فـ] مَعْرِفَةُ اللهِ الْقَدِيم الغاية الذِي لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وهُو يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وهُو اللطِيفُ الْخَبِيرُ، وهُو غَيْبٌ بَاطِنٌ كما سنذكره كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ.

وأَما الْمَعَانِي فَنَحْنُ مَعَانِيهِ وظَاهِرُهُ فِيكُمْ اخْتَرَعَنَا مِنْ نُورِ ذَاتِهِ وفَوضَ إِلَيْنَا أُمُورَ عِبَادِه)[1] الحديث.

فدل هذا الحديث أن لهم عليهم السلام سبع مقامات.

وقد أشار الباقر عليه السلام في حديث جابر بن عبد الله إلى الأولين من تلك المقامات بقوله عليه السلام (يا جابر عليك بالبيان والمعاني، قال: قلت: وما البيان والمعاني؟

قال عليه السلام قال علي عليه السلام: أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئًا.

وأما المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه، [وكلمته] وعلمه وحقه، وإذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريده، فنحن المثاني التي أعطانا الله نبينا صلى الله عليه وآله، ونحن وجه الله الذي يتقلب في

(١) بحار الأنوار، ج٢٦، ص١٥.

الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه سجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإن إلينا إياب هذا الخلق، ثم إن علينا حسابهم)[١] انتهى.

فتبين من هذين الحديثين الشريفين أن لهم عليهم السلام سبعة مقامات، يعرفهم عليهم السلام بها من عرفهم بالمعرفة النورانية، ونحن نذكر هذه المقامات في سبعة أبواب، وهي في الحقيقة أبواب الجنان.

الأول: في بيان إثبات التوحيد ومعرفته، وهو المقام الأول من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام الحق المطلق، ومقام السر المقنع بالسر، ومقام باطن باطن الباطن.

والثاني: في بيان معرفة المعاني، وهو المقام الثاني من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام حق الحق، وسر السر، وباطن الباطن.

الثالث: في بيان معرفة الأبواب، وهو المقام الثالث من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام الحق والسر والباطن.

الرابع: في بيان معرفة الإمام عليه السلام، وهو المقام الرابع من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام الحجة والإمامة، ومقام القرى المباركة، وهو مقام الظاهر.

الخامس: في بيان معرفة الأركان، وهو المقام الخامس من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام القرى الظاهرة، ومقام ظاهر الظاهر.

السادس: في بيان معرفة النقباء، وهو المقام السادس من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام ظاهر القرى الظاهرة، وهو يعني مقام ظاهر ظاهر الظاهر، وهو مقام أهل اليقين وباطن المعرفة.

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام **٢٨٦** فصل [إذا شئنا شاء الله.

السابع: في بيان معرفة النجباء، وهو المقام السابع من مقاماتهم ﷲ، وهو مقام أهل التسليم وظاهر المعرفة.

هذا بيان معرفة مقاماتهم ﷲ إجمالًا، وأما بيانها تفصيلًا.

فالباب الأول
في بيان إثبات التوحيد، وأنه لا يكون إلّا فيهم وبهم وعنهم ﷲ، ولهذا قال ﷵ: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا) وقالوا ﷲ: (بنا عرف الله ولولانا ما عرف الله)

اعلم أنه سبحانه لما كان كنزًا مخفيًا لا يعرفه غيره، لأنه سبحانه كان ولم يكن معه غيره ليعرفه، وأحب أن يعرف، ولا يمكن أن يعرف إلّا بتعريفه نفسه لغيره ليعرفه، لأنه سبحانه فرد قائم بذاته لم يكن في رتبة ذاته شيء غير ذاته ليعرفه بدون تعريفه، ولا يمكن تعريفه ووصفه نفسه لغيره إلّا بإيجاد ذلك الغير، لأن ذلك الغير لم يكن شيئًا قبل تعريفه ووصفه، فوجب في الحكمة أن يكون إيجاده سبحانه ذلك الغير عين توصيفه وتعريفه تعالى له، وحاصل إيجاده تعالى الذي هو وجود ذلك الغير وحقيقته من ربه عين ذلك الوصف الذي وصف تعالى نفسه به لذلك الغير، فنفس ذلك الغير هو وصف الله سبحانه الذي وصف به نفسه، وهو آية معرفته تعالى ودليل توحيده، فلا يكون إثبات التوحيد إلّا بالخلق الذي هو الحق المخلوق، وإلى هذا أشار ﷵ بقوله: (لا تحيط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها)[1]

(١) الاحتجاج، ج١ ص٣١٥.

فوصف سبحانه نفسه في أول الخلق والإيجاد، بوصف مقدس منزه عن جميع صفات الخلق بحيث لا يشبهه شيء، ولا يشبه هو شيئًا، لأنه وصف الحق للخلق والحق سبحانه ليس كمثله شيء، فوجب أن يكون وصفه شيئًا ليس كمثله شيء، ولما كان الوصف أول ما وصف الله به نفسه، وأول ما ذكر الله به خلقه، وأول ما أبدى به قدرته، وأول ما أظهر به صنعته وعلمه وحكمته، وأول ما رفع به اسمه، وكان سبحانه خلق ذلك الوصف لنفسه ووصف نفسه به لنفسه، قال تعالى: (خلقتك لأجلي)، وخلق جميع ما سوى ذلك الوصف بذلك الوصف لذلك الوصف، ووصف جميع ما سوى ذلك الوصف لذلك الوصف، قال تعالى: (وخلقت الأشياء لأجلك)، (ولولاك لما خلقت الأفلاك)، وجب أن يكون ذلك الوصف شيئًا كاملًا في ذاته، كاملًا في صفاته، كاملًا في أفعاله، واسعًا لجميع إراداته سبحانه، جامعا لجميع صفات الكمال وهي صفات القدس والعزة وصفات الإضافة والنسبة وصفات الخلق والتربية، قال تعالى: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)، فذلك الوصف هو قلب العبد المؤمن ﷺ، وهو قلب محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين، فمن حيث أن ذلك القلب مخلوق لله سبحانه وجب أن يكون واسعًا لجميع شئونات الحق وإراداته وأوامره ونواهيه، ومن حيث أن ما سواه مخلوق له، وجب أن يكون جامعًا لجميع وجودات الخلق وشئوناتهم، وهذا ليس بمستبعد، لأن الشيء يسع جميع ما عنه ومنه وبه وإليه، ولما كان كذلك ثبت أن لذلك الوصف ظهورات وتجليات ومقامات في مراتب الكون، يظهر في كل مقام ورتبة من مراتب الكون بنفس ذلك المقام وتلك الرتبة، ويتجلى في كل عالم من العوالم بنفس

ذلك العالم وبما فيه من الموجودات بنفس تلك الموجودات، ففي كل رتبة ومحل ومكان وشيء، ذات أو صفة، جوهر أو عرض، نزل ذلك الوصف وأقام فيه، أي ظهر بنفس تلك الأشياء قائما فيها، كان ذلك الظاهر مقاما من مقامات الله التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرف الله بها من عرفه، لا فرق بينه سبحانه وبين ذلك المقام إلّا أنه عبده وخلقه، وهذه المقامات يعبر عنها بكلمات الله تارة، وبآياته سبحانه أخرى، وبتوحيد الله مرة، وبعلامات الله ومقاماته أخرى، كما أشار إلى هذا الحجة عليه السلام في دعاء كل يوم من شهر رجب قال عليه السلام: (اللهُم إني أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلَاةُ أَمْرِكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِكَ الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ الْوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ الْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيتِكَ فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ وأركانًا لِتَوْحِيدِكَ وآيَاتِكَ ومَقَامَاتِكَ التي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُل مَكَانٍ يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إلا أَنهُمْ عِبَادُكَ وخَلْقُكَ فَتْقُهَا ورَتْقُهَا بِيَدِكَ بَدْؤُهَا مِنْكَ وعَوْدُهَا إِلَيْكَ أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ ومُنَاةٌ وأَذْوَادٌ وحَفَظَةٌ ورُوادٌ فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وأرضكَ حَتى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا أَنْت)[1] الدعاء.

فإذا أريد بالكلمات الكلمات التامات الحقيقية فهم عليهم السلام كلماته التامات، ليست في الوجود كلمة لله تعالى أتم منهم عليهم السلام.

وإذا أريد بها الكلمات التامات الإضافية، فالأنبياء عليهم السلام هم كلماته سبحانه، قال تعالى: ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾[2].

وإذا أريد بها العموم فكل موجود كلمة منه تعالى.

---

(١) مصباح المتهجد وسلاح المتعبد؛ ج٢؛ ص٨٠٣

(٢) آل عمران ٤٥.

وكذلك الآيات إذا أريد بها الآيات الكبرى، فهم عليهم السلام آياته الكبرى، وهم أيضًا مقامات الله العليا، وكل من سواهم عليهم السلام من الأنبياء والملائكة والجن والإنس وجميع الخلق غيرهم عليهم السلام كلماتهم وآياتهم ومقاماتهم التي لا تعطيل لها في كل مكان، لأنها وجه الله قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(١).

فهم عليهم السلام معادن لجميع كلمات الله وآياته، وأركانًا لتوحيد الله ومقاماته، لأن حقيقتهم عليهم السلام بمنزلة القيام الذي هو ركن القائم، وظهوره تعالى على تلك الحقيقة بها كالقائم، والقائم هو المقام الذي يعرف زيدًا من عرف زيدًا.

والمراد أن الله سبحانه لا يُعرَف إلّا بتلك المقامات وهي لا تتحقق إلّا فيهم عليهم السلام، هذا إذا أريد بالآيات والمقامات الآيات الكبرى والمقامات العليا، وأما إذا أريد بها غيرهم عليهم السلام، فأشعة نور حقيقتهم عليهم السلام بمنزلة القيام، وظهورهم عليهم السلام على تلك الأشعة بتلك الأشعة بمنزلة القائم، والقائم هنا هو سبيل معرفتهم الذي لا يعرف الله إلّا به، وهو مقام من مقاماتهم التي يعرفهم بها من عرفهم، فلا يتحقق توحيد من سواهم إلّا بهم عليهم السلام، فهم أركان توحيد الله سبحانه لا يتحقق إلّا فيهم أو بهم.

فالمقام الأول في المعرفة النورانية المسمى بإثبات التوحيد في حديث جابر بن يزيد الجعفي قال عليه السلام: (المعرفة إثبات التوحيد أولًا)، وهو المسمى بالبيان أيضًا كما في حديث جابر بن عبد الله قال عليه السلام: (عليك بالبيان والمعاني)، هو أول مقاماتهم عليهم السلام يجب

---

(١) البقرة ١١٥.

على من أراد معرفتهم بالنورانية أن يعرفهم أولًا بذلك المقام وإلا لم يكن موحدًا، فافهم ولا تكن من الغافلين، وإلى ما ذكرنا أشار الحجة عليه السلام بقوله: (فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر ألا إله إلّا أنت) أي حتى ظهر توحيدك الخالص الذي فطرت عليه العقول وأخذت به المواثيق، وأرسلت به الرسل، وجعلته أول فروضك ونهاية طاعتك، فلا يمكن إثبات التوحيد الحقيقي الخالص الذي لا شرك فيه إلّا فيهم وبهم عليهم السلام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[1]، وقال الصادق عليه السلام: (هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون)[2]، فإذا سمعت أمير المؤمنين وقطب رحى الموحدين وسيد الأولين والآخرين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أجمعين يقول: (ظاهري إمامة وباطني غيب لا يدرك) أو يقول: (أنا الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه)[3] يريد به ذلك الوصف العالي الذي هو أعلى الأشياء كلها، وهو باطنه عليه السلام المعبر عنه بذات الله العليا التي لا يدركها إلّا هو، وبذات الذوات التي هي للذات جل وعلا، وبالغيب الذي لا يعلم مفاتحه إلّا هو، وبالتوحيد الذي حقه أن لا تتوهمه، وهذا مما أعطى الله سبحانه ذلك الوصف العلي من صفات القدس والعزة.

وإذا سمعته عليه السلام يقول: (لقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى وما تحت السابعة السفلى، وما في السموات العلى وما بينهما وما تحت

---

(١) يوسف ١٠٦.

(٢) الكافي، ج١، ص٢٣٠.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه) مشارق أنوار اليقين، ص٢٧٠.

الثرى، كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار)، أو يقول: (أنا باب مدينة العلم)، أو يقول: (أنا عالم أسرار البريات)، أو يقول: (ولقد علمت من عجائب خلق الله ما لا يعلمه إلّا الله، وعرفت ما كان وما يكون وما كان في الذر الأول مع من تقدم مع آدم الأول، ولقد كشف لي فعرفت، وعلمني ربي فتعلمت، ألا فعوا ولا تضجوا ولا ترتجوا، فلولا خوفي عليكم أن تقولوا جن أوارتد لأخبرتكم بما كانوا وما أنتم فيه وما تلقونه إلى يوم القيامة، علم أوعز إليَّ فعلمت، ولقد ستر علمه عن جميع النبيين إلّا صاحب شريعتكم هذه صلوات الله عليه وآله، فعلمني علمه، وعلمته علمي)[(١)]، وأمثال ذلك من كلماته السابقة المتطابقة وأقواله الصادقة المتوافقة، فهي إشارة إلى ما جمع ذلك الوصف العالي الشامل من صفات الإضافة والنسبة.

وإذا سمعته عليه السلام يقول: (أنا أقمت السماوات بأمر ربي)[(٢)]، (أنا أرسيت الجبال الشامخات، وفجرت العيون الجاريات، أنا غارس الأشجار، ومخرج ألوان الثمار، أنا مقدر الأقوات، أنا منشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس والقمر والنجوم)[(٣)]، (أنا ميدن الميادين وواضع الأرض، أنا قاسمها أخماسًا، فجعلت خمسًا برًا، وخمسًا بحرًا، وخمسًا جبالًا، وخمسًا عمارًا، وخمسًا خرابًا)[(٤)]، أو سمعته يقول: (أنا صانع الأقاليم بأمر العليم الحكيم، أنا الكلمة التي بها تمت الأمور ودهرت الدهور، أنا جعلت الأقاليم

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٤.
(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٨.
(٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٨.
(٤) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٦.

أرباعًا، والجزائر سبعًا، فإقليم الجنوب معدن البركات، وإقليم الشمال معدن السطوات، وإقليم الصبا معدن الزلازل، وإقليم الدبور معدن الهلكات)[(١)] أو سمعته عليه السلام يقول: (أنا حملت نوحًا في السفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، وأنا الذي جاوزت موسى في البحر، وأهلكت القرون الأولى)[(٢)] (أنا غوث الأرامل واليتامى)[(٣)]، (أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وعافيه)[(٤)] (أنا مهلك الجبابرة الأول، أنا مزيل الدول، أنا صاحب الزلازل والرجف، أنا صاحب الكسوف والخسف)[(٥)] وأمثال هذه من كلماته عليه السلام فهي إشارة إلى ما أعطى الله ذلك الوصف من صفات الخلق والتربية في الدنيا.

وإذا سمعته عليه السلام يقول: (أنا قيم القيامة، أنا مقيم الساعة)[(٦)] (أنا حاشر الخلق إلى الله بالكلمة التي بها يجمع الخلائق)[(٧)] (أنا محصي الخلائق وإن كثروا، أنا محاسبهم وإن عظموا)[(٨)] وأمثال ذلك فهو إشارة إلى ما أعطاه الله سبحانه من صفات الخلق والتربية في الآخرة.

وإذا سمعت قوله عليه السلام: (أنا صاحب جنان الخلود، أنا مجري الأنهار أنهارًا من ماء تيار، وأنهارًا من لبن، وأنهارًا من عسل

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٢٦.
(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٠.
(٤) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٨.
(٥) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٩.
(٦) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٨.
(٧) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦١.
(٨) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٩.

مصفى، وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، أنا حجبت جهنم وجعلتها طبقات السعير، وسقر النخير، والأخرى عمقيوس أعددتها للظالمين، وأودعت ذلك كله وادي برهوت، وهو الفلق ورب ما خلق، يخلد فيه الجبت والطاغوت ومن عندهما[١]، ومن كفر بذي الملك والملكوت)[٢] فهوإشارة إلى ما آتاه الله من السلطنة والملك في الجنة، وما جعل له على أهل النار من صفة القهر والغلبة.

وإذا رأيت قوله عليه السلام (أنا الخضر معلم موسى، أنا معلم داود وسليمان، أنا ذو القرنين)[٣] (أنا تكلمت على لسان عيسى في المهد، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الرجفة، أنا صاحب الزلزلة، أنا أتقلب في الصور كيف شاء الله، من رآهم فقد رآني، ومن رآني فقد رآهم)[٤]، أو رأيت قوله عليه السلام: (أنا الراجفة، أنا الصاعقة، أنا الصيحة بالحق)[٥] (أنا عذاب يوم الظلة، أنا الطامة الكبرى، أنا الحاقة، أنا الغاشية، وأنا القارعة، أنا الصاخة، أنا المحنة النازلة) أو سمعته عليه السلام يقول: (أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر)[٦] (نحن الصلاة والصيام والليالي والأيام والشهور والأعوام)[٧] (أنا صلاة المؤمنين وصيامهم، أنا حجهم وجهادهم) وأمثال هذه فهي إشارة إلى تطورات ذلك الوصف وظهوراته وتجلياته

---

(١) في المصدر: وعبيدهما.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٦.

(٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٥٧.

(٤) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٥٧.

(٥) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٨.

(٦) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦١.

(٧) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦١.

وتقلباته في الذوات والصفات، والأحوال والأعمال والأقوال، والحركات والسكنات، والأعوام والشهور، والليالي والأيام والساعات والآنات واللحظات، والعبادات والطاعات، والثواب والعقاب، والأصوات والألوان، والروائح والطعوم والأذواق، والأذكار والأفكار، والتخيلات والتوهمات، والعلوم والتعقلات، والاعتقادات والمعارف، والأنوار والأضواء، والنباتات والأشجار والأثمار والأوراق، وكذا تقلبه وتطوره في كل جنس، وفي كل نوع، وفي كل صنف، وفي كل فرد، وفي كل مشخص، وفي كل جزء، وفي كل لفظ، وفي كل معنى، وفي كل صورة، وفي كل شيء في عالم الملك والملكوت والجبروت وما بينهما من البرازخ.

وأما قوله عليه السلام: (أنا الأول أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن، أنا مع الكور [قبل الكور]، أنا مع الدور قبل الدور، أنا مع القلم قبل القلم، أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية)[1] فهو إشارة إلى سابقيته لكل شيء وعليته لكل نور وفيء، ومعيته لكل موجود، وظهوره على كل مشهود، وسريته للمعبود.

وأما قوله عليه السلام: (أنا ذلك النور الذي اقتبس موسى منه الهدى)[2] وقوله عليه السلام: (فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور)[3] وقوله عليه السلام: (أنا منزل الملائكة منازلها، أنا آخذ العهد على الأرواح في الأزل، أنا المنادي لهم ألست بربكم بأمر قيوم لم يزل، أنا كلمة الله الناطقة في خلقه، أنا آخذ العهد على جميع الخلائق في

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٤.
(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٩.
(٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٥.

الصلوات)[١]، وكذا قوله: (أنا رافع إدريس مكانًا عليًا)[٢] وقوله عليه السلام: (وبي شرف النبيون)[٣] وقوله عليه السلام: (محمد النبي الكريم وأنا الصراط المستقيم، محمد الرؤوف الرحيم وأنا العلي العظيم)[٤]، وقوله عليه السلام: (ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغير)[٥] فهو إشارة إلى ما آتاهم الله تعالى ما لم يؤت أحدًا من العالمين من الجلالة والعظمة والشرف التي لا توصف، وفي الزيارة الجامعة الكبيرة الإشارة إلى تلك الجلالة والعظمة والشرف قال عليه السلام: (فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا دني ولا فاضل، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلّا عرفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلكم ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه)[٦].

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٠.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٦٥.

(٣) ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (بنا شرف كل مبعوث) مشارق أنوار اليقين، ص٢٥٧.

(٤) مشارق أنوار اليقين، ص٢٥٦.

(٥) مشارق أنوار اليقين، ص٢٥٧.

(٦) الزيارة الجامعة الكبيرة.

وأما قوله عليه السلام: (أنا باب السجود، أنا العابد أنا المعبود)[١] فقد مضت الإشارة إلى ما يراد منه عند تفسيرنا لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فراجع.

وقوله عليه السلام: (كأني بالمنافقين يقولون نص علي على نفسه بالربانية، ألا فاشهدوا شهادة أسألكم بها عند الحاجة إليها، إن عليا نور مخلوق، وعبد مرزوق، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين)[٢]، إقرار واعتراف منه عليه السلام على نفسه بالعبودية لله عز وجل، وبيان لحقيقة معرفته بالنورانية التي هي الصراط المستقيم، أي ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير فاستقام ولم يعدل إلى شيء من الباطل.

فقوله عليه السلام: (إن عليًا نور) أي وجود بحت بسيط مقدس منزه عن جميع نقائص الإمكان وشيء الشيئية، إلّا أنه مخلوق قد خلقه خالق ليس بمخلوق، وهو عبد مرزوق قد رزقه ربه ملك الدنيا والآخرة، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٣]، وإلى ذلك الرزق الطيب الباقي أشار سبحانه بقوله لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ * وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[٤].

وقوله عليه السلام: (ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين) يريد به عليه السلام أن من أفرط في محبته وغلا في دينه، فرفعه عن مقامه الذي

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص٢٦١.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٢٦٧.

(٣) الجمعة ٤.

(٤) طه ١٣١ ـ ١٣٢.

أقامه الله فيه، وهو هذا المقام الذي نحن بصدد ذكره، وقال فيه عليه السلام غير ما قال هو عليه السلام في شأنه من الإقرار والاعتراف على نفسه بالعبودية، أو قصر في حقه عليه السلام وأفرط في بغضه فوضعه عن ذلك المقام العالي، وقال فيه غير ما نسب عليه السلام إلى نفسه من أفعال الربوبية وخصائص الألوهية، وكل واحد منهما أي المفرط الغالي والمقصر القالي من أهل المعرفة الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، ومن أهل الجحود والعنود الذين يجحدون بآيات الله واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا، فيقول المفرط الغالي على الله غير الحق افتراء عليه تعالى وعلى رسوله وعلى حجته، ويقول المقصر القالي ما يقول فيه ظلمًا وعلوًا على إمامه وسيده، فعلى كل واحد منهما لعنة الله ولعنة اللاعنين، لأن الأول افترى على الله كذبًا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾(١)، والآخر أراد إطفاء نور الله الذي أبى الله إلّا أن يتمه ولوكره الكافرون، فلعنة الله على الكافرين، فقوله عليه السلام: (اشهدوا أن عليًا نور مخلوق وعبد مرزوق) نظير قولهم عليهم السلام: (اجعلوا لنا ربًا نؤوب إليه ثم قولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا) ونظير قولهم عليهم السلام: (نزلونا عن الربوبية وقولوا في فضلنا ما استطعتم)، وليس معنى قولهم عليهم السلام: (اجعلوا لنا ربًا نؤوب إليه ثم قولوا في فضلنا ما شئتم) أن اجعلوا لنا ربًا وضعوا ذلك الرب في زاوية من زوايا الوجود، بمعنى أنه خلقنا وفوض إلينا أمره ورفع يده عنا، فنحن بعد ندبر هذا العالم ونربي بني آدم ونتصرف في ملكه بدون حوله وقوته وبغير مشيئته وإرادته وقدره

(١) الأنبياء ٢١.

وقضائه وإذنه الجديد بالنسبة إلى كل شيء نتصرف فيه، حتى لزم من هذا أن نكون أربابا من دون الله مستقلين قادرين عالمين مستطيعين، بل المراد من قولهم عليهم السلام أن اجعلوا لنا ربًا نؤوب إليه في جميع ما تنسبون إلينا من أفعال الربوبية وخصائصها، وفي كل ما تسندون إلينا من أحوال العبودية ولوازمها، بحيث لا ترون لنا وجودًا عند ظهوره لنا بنا، ولا تنسبوا إلينا مشيئة وإرادة عند ظهور مشيئته وإرادته فينا، ولا تفرضوا لنا قدرة واستطاعة بدونه حين صدور أفعاله وظهور آثار فعله عنا، ولا تنسبوا إلينا علمًا قليلًا أو كثيرًا قبل تعليمه أو بعد حين تعليمه لنا، بحيث لو أخبرناكم في آن أن الشمس تطلع غدًا مثلًا فإنا نعلم أنها تطلع غدا بتعليمه في ذلك الآن الذي أخبرناكم بطلوعها، ولا نعلم أنها تطلع غدا قبل الآن الذي أخبرناكم به ولا بعد ذلك الآن إلّا بتعليم جديد منه تعالى لنا، وكذلك إذا فعلنا بحوله وقوته شيئًا، أو ملكنا بتمليكه أمرًا، فإنا كنا قادرين على فعل ذلك الشيء مستطيعين له مالكين لذلك الأمر مسلطين عليه من القدرة والاستطاعة والتملك والتسلط التي جعلها الله لنا حين فعلنا ذلك الشيء وتملكنا ذلك الأمر، لا قبل ذلك ولا بعد إلّا بقدرة واستطاعة جديدة وهبها بفضله لنا، وتمليك وتسليط جديد يمن به علينا، فنحن في أفعال الربوبية بالنسبة إلى الله سبحانه مثلكم في أفعال العبودية، وأنتم في عدم الاستطاعة والقدرة في أفعالكم بدونه أي بدون حوله وقوته مثلنا في أفعالنا أي أفعال الربوبية، فنحن أو أنتم إذا أخذنا الحصى مثلًا وأردنا رميه إلى جهة لا نستطيع رميه إلّا حين رميه بالاستطاعة التي جعلها سبحانه لنا حين رميه لا قبل ولا بعد، ولا نقدر على رميه مرة أخرى

إلّا بالاستطاعة الجديدة من الله سبحانه كذلك، ومع هذا ما رمينا إذ رمينا ولكن الله رمى، فمثلنا ومثلكم بالنسبة إلى الله سبحانه كمثل أهل الكهف الذين قال الله تعالى في شأنهم: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[١] إلّا أنه سبحانه جعلنا بالنسبة إليكم أيقاظًا، وجعلكم بالنسبة إلينا رقودًا، فنحن نقلبكم ذات اليمين وذات الشمال بإيقاظ الله، بحيث لو اطلع على حقيقتكم بالنسبة إلينا أحد لولى منكم فرارًا إلينا ولمليء منكم رعبًا، فلا يعتمد إلّا علينا، فإذا عرفتم نسبتنا إلى ربنا ونسبتكم إلى ربكم، وجعلتم لنا ربًا نؤوب إليه بهذه النسبة فقولوا في فضلنا بعد ذلك ما شئتم وما استطعتم، ولن تبلغوا أبدًا إلى ساحل بحر من بحار ما جعل الله لنا بفضله من الفضيلة، فإن البحر لا ينزف، وسر الغيب لا يعرف، وكلمة الله لا توصف.

فهذا المقام المسمى بإثبات التوحيد وبالبيان الذي أشار إليه الرحمن سبحانه بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[٢]، وبالسر المقنع بالسر، وبالحق المطلق، وباطن باطن الباطن، وهذا المقام لهم عليهم السلام حيث لم يجدوا أنفسهم ووجدوا الله ظاهرًا في كل شيء قد جعله دكًا، ودخل المدينة أي مدينة الوجود على حين غفلة من أهلها، كان وحده لا يسمع فيها صوتا إلّا صوته، ولا يرى فيه نورا إلّا نوره، وصلى الله على محمد وآله الطيبين.

---

(١) الكهف ١٨.
(٢) الرحمن ١ ـ ٤.

الباب الثاني
في بيان معرفة المعاني
وهو المقام الثاني من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام حق الحق، وسر السر، وباطن الباطن

اعلم أن المراد بالمعاني هنا معانيه سبحانه أي معاني أفعاله سبحانه لا معاني ذاته، لأن ذاته تعالى ليست لها معان زائدة عليه، لأن علمه وقدرته وسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته الذاتية التي تطلق عليه سبحانه من باب التفهيم والتعبير هي عين ذاته بلا مغايرة ولا اعتبار كثرة، وأما معاني أفعاله فهم عليهم السلام تلك المعاني، يعني علمه الذي أحاط بكل شيء، وقدرته على كل شيء، وقوته في كل شيء، وغلبته على كل شيء، وحكمته الظاهرة في كل شيء، وعظمته التي ملأت أركان كل شيء، وغناه لكل فقير، وعزه لكل ذليل، وحكمه على كل بريته، ونعمه على جميع خلقه، وحسبه الذي مَنَّ به على من توكل عليه، وجنبه الذي لا يضام من التجأ إليه، ولسانه الذي تكلم به موسى فسمي بالكليم، وقوله الذي قال به: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾(١)، وذمامه الذي لا يطاول ولا يحاول، ودرعه الحصينة وحصنه المنيعة، ورحمته الواسعة وكلمته الجامعة، وأياديه الجميلة وعطاياه الجزيلة، ومواهبه العظيمة ويده العالية وعضده القوية، وعينه البصيرة وأذنه السميعة، وشرفه الذي لا يوصف، وجماله الذي لا يكيف، وأمره الذي قامت به السموات والأرضون، وعدله الذي به استقام الأنبياء والمرسلون، وحقه الواجب، ومجده

---

(١) الأنبياء ٦٩.

الثابت، ولطفه الشامل، وجوده الكامل، وكرمه العميم، وإحسانه القديم، وصراطه المستقيم إلى خلقه في الخلق والرزق والحياة والموت، وفي علمه بهم وقدرته عليهم وسمعه لكلامهم ورؤيته لهم وقيومته إياهم، فهذه وأمثالها من المعاني والصفات معانيه تعالى وصفاته، أي معاني أفعاله وصفات أفعاله، لا معاني ذاته وصفات ذاته.

فإذا قلت يا رحمن يا رحيم يا جواد يا كريم يا علي يا عظيم، فهذه أسماؤه تعالى تدعوه بها، والرحمة التي وسعت كل وجوده الذي أفاض على كل شيء، وكرمه الذي من به على عباده في الخلق والرزق والحياة والممات، وعلوه الذي علا به على كل شيء، وعظمته التي ملأت أركان كل شيء، معانيه سبحانه وصفات أفعاله، وهذا مثل قولك قيام زيد وقعوده وكلامه حركته وسكونه، فكما أن قيام زيد ركن لاسمه القائم، وقعوده ركن لاسمه القاعد، وهكذا جميع معاني زيد وصفاته، فكذلك تلك المعاني أركان لأسمائه تعالى وصفات لأفعاله، ولا تتحقق أسماؤه تعالى إلّا بتلك المعاني، ولا تتم أفعاله إلّا بتلك الصفات، لأن الشيء لا يتحقق ولا يتم إلّا بركنه.

فهم عليهم السلام في المقام الأول المسمى بالبيان أسماؤه تعالى، وفي هذا المقام معانيه سبحانه أي معاني أسمائه، وإلى هذا المقام وهذه المعاني أشار الحجة عليه السلام في دعائه في كل يوم من شهر رجب وقد تقدم ذكره بقوله: (اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك)، إلى أن قال: (فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانًا لتوحيد وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان...إلخ).

فهم عليهم السلام في المقام الأول أسماؤه الحسنى التي أمر الله سبحانه

عباده الفقراء الضعفاء أن يدعوه بها في مطالبهم ومقاصدهم، وكلماته التامات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، والتوحيد الخالص الذي فطر الله عليه العقول وأخذ به المواثيق وأرسل به الرسل وجعله أول فروضه ونهاية طاعته، وآياته الكبرى التي أراها سبحانه نبيه ليلة المعراج، ومقاماته العليا التي لا تعطيل لها في كل مكان، أي موجود في حضرتك وغيبتك.

وهم عليهم السلام في هذا المقام معاني أسمائه وصفات أفعاله ومعادن كلماته وأركان توحيده وعماد آياته وقوام مقاماته.

وقد عرفت مما ذكرنا سابقًا أن لله تعالى كلمات تامات حقيقية، وتامات إضافية، وكلمات غير تامات، وأن له تعالى آيات كبرى وآيات صغرى ومقامات عاليات وغير عاليات.

وأنهم عليهم السلام هم الكلمات التامات الحقيقية والآيات الكبرى والمقامات العليا، وأن ما سواهم من الكلمات والآيات والمقامات كلها آياتهم وكلماتهم ومقاماتهم التي لا تعطيل لها في كل مكان.

فإذا عرفت هذا فقد علمت أن قول الحجة عليه السلام في الدعاء المذكور: (فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلّا أنت) إشارة إلى أنهم عليهم السلام في هذا المقام، أي مقام المعاني والصفات هم عظمة الله التي ملأت أركان كل شيء مما سوى الله سبحانه، وهم رحمته التي وسعت كل شيء، وهم قدرته التي غلب بها كل شيء، وهم علمه الذي أحاط بكل شيء.

فهم عليهم السلام في هذا المقام معادن كلمات الله تاماتها وغير تاماتها، ومعاني أسمائه تعالى أعظمها وغير أعظمها، وأركان توحيده كاملة وغير كاملة، وعماد آيات الله كبراها وصغراها، وقوام مقامات الله

علياها وغير علياها، فجميع ما في الكون مما سوى الله سبحانه من الأسماء ومظاهرها من المعاني والصفات ومن المقامات علياها وسفلاها، ومن الكلمات تاماتها وغير تاماتها، ومن جميع الآيات كبراها وصغراها، ونتيجتها من المعاني الكلية أو الجزئية، والمفاهيم التامة وغير التامة، وجميع آثارها مما في الملك والملكوت والجبروت، بالنظر إلى مقاماتهم الثلاثة، أي مقام التوحيد والمعاني ومقام الأبواب الذي ستعرفه، كلها عبارة عنهم عليهم السلام، لأن كل الخلق عنهم، وكل الخلق منهم، وكل الخلق بهم، وكل الخلق لهم، وكل الخلق إليهم، بل الخلق هم، وعبارة عنهم كما قلنا.

وذلك لأن الله سبحانه بنى بقدرته وحكمته مدينة الوجود وهم عليهم السلام قدرته وحكمته، وجعل تلك المدينة ثلاث طبقات، الملك والملكوت والجبروت، وأسكن في كل طبقة أهلها، فجعل في الطبقة العليا وهي الجبروت معانيهم عليهم السلام، وجعل في الطبقة الوسطى وهي الملكوت صورهم عليهم السلام وهياكلهم، وجعل في الطبقة السفلى أجسادهم وظواهرهم، وأنشر على أهالي تلك المدينة من رحمته، وهم عليهم السلام رحمته، وأنزل عليهم من بركاته وهم عليهم السلام بركاته، وكتب في صحيفة تلك المدينة بيد كلماته التي تدل على ما أراد منهم، وهم عليهم السلام يده ومعادن كلماته ومدلولاتها التي تدل تلك الكلمات عليها، وأرى أهل تلك المدينة آيات قدرته وعلامات ربوبيته، وهم عليهم السلام تلك الآيات والعلامات، وأقام في تلك المدينة في كل مكان منها مقامًا من مقامات معرفته، وهم عليهم السلام تلك المقامات، وظهر في تلك المدينة أنوار قدسه، ورفع فيها من ألسنة أهلها أصوات حمده وهم عليهم السلام مبدأ

تلك الأنوار ومصدر تلك الأصوات، فملأ سبحانه بهم مدينة الوجود، وأدخلهم تلك المدينة على حين غفلة من أهلها، وأراهم ما فيها فلم يسمعوا فيها صوتا إلّا صوته ولم يروا فيها نورًا إلّا نوره، أي لم يسمعوا فيها إلّا أصوات قلم إيجاده، ولم يروا فيها إلّا نور وجوده، أي الوجود المخلوق المنسوب إليه تشريفا، وإن شئت قلت أنه تعالى دخل بهم تلك المدينة على حين غفلة من أهلها فلم يسمع فيها صوتًا إلّا صوتهم عليهم السلام ولم ير فيها نورا إلّا نورهم، قال عليه السلام: (لنا مع الله حالات هو فيها نحن، ونحن هو، وهو هو، ونحن نحن).

والحاصل أنهم عليهم السلام معانيه سبحانه، وفي[1] هذه المعاني بالنسبة إلى الذات ليست شيئًا إلّا بالذات، فلا تحقق لها إلّا بالذات، وإنما تحققها وتذوتها بالنسبة إلى آثارها وأعراضها، فهي بالنسبة إلى الذات أسماء معان بهذا المعنى، وبالنسبة إلى آثارها أسماء أعيان وذوات، قائمة على آثارها وأعراضها بما قبلت من إمداداتها وإفاضاتها، ويعبر عن هذا المقام أي مقام المعاني بالنفس الرحماني الثانوي، وبالماء الذي جعل منه كل شيء حي، وبالدواة الأولى، والمداد الأول، وبالنون في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2]، وبالكتاب الأول، ومفاتح الغيب، وبأرض الجرز، وبلد ميت، وبالدلالة من الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر، وبالزيت الذي يكاد يضيء ولولم تمسسه نار.

---

(١) هكذا في النسخة المخطوطة.

(٢) القلم ١.

الباب الثالث
في بيان معرفة الأبواب
وهو المقام الثالث من مقاماتهم،
وهو مقام الحق والسر والباطن

اعلم أن الله سبحانه كما أنه غني في ذاته لا يحتاج إلى شيء وكل ما سواه محتاج إليه سبحانه، كذلك لكمال غناه لا يحتاج في فعله وصنعه وخلقه للأشياء إلى شيء بوجه من الوجوه، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(١)، ومن جملة ما يحتاجون إليه أن خلقهم سبحانه على ما هم عليه بمقتضى قابليتهم لقبول الكون لا بمقتضى قدرته القاهرة، وإلا يلزم أن لا يكون في الوجود إلّا مخلوقًا واحدًا، فالحكمة تقتضي أن يخلقهم على حسب قوابلهم، وأكثر الخلق عاجزون عن القبول للإيجاد والتلقي منه سبحانه الفيض بدون واسطة، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يفعل سبحانه بالأسباب التي هي المتممات للقوابل الضعيفة، فبعض الخلق لشدة ضعفه وكثرة فقره على ما هو عليه لا يقدر على التلقي منه سبحانه ما يغنيه إلّا بواسطة من هو أقوى منه في التلقي منه سبحانه على ما هو عليه بما هو أهله، وذلك الأقوى أيضًالا يقدر على التلقي منه سبحانه على ما هو عليه من الفقر إلّا بواسطة من هو أقوى منه على ما هو عليه بما هو أهله، وهكذا يترامى الأسباب والمسببات، ويتكثر الوسائط إلى أن ينتهي أمر الخلق إلى من هو أقوى من جميع الخلق على ما هو عليه بما هو أهله، فإليه ينتهي جميع الأسباب

---

(١) فاطر ١٥.

والمسببات وسلسلة العلل والمعلولات، فيكون ذلك الأقوى علة لجميع ما سواه من المخلوقات، وسببا تاما لجميع الأسباب والمسببات، وأنا أمثل لك مثلا تعرف به ما ذكرنا مما ضرب الله من الأمثال لعباده، فقال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾(١) والمثل المضروب فيما نحن فيه هو هذا السراج المعروف، فأنت إذا نظرت إليه وجدت شعلة مرئية تدلك على أن هناك نارًا جوهرية غائبة عن درك الأبصار، ولها حرارة عرضية وهي فعلها الذي به التأثير في الدهن الذي هو مبدأ ظهور هذه الشعلة المرئية التي هي مفعول فعلها، ووجدت لتلك الشعلة أشعة منبسطة مترتبة في الكون والظهور والصدور عن تلك الشعلة المرئية، بعضها أقرب إلى الشعلة بحيث لا تكون بينها وبين الشعلة المرئية التي هي باب استغنائها واسطة غير نفسها، فتتلقى منها بلا واسطة، وبعضها أبعد منها بدرجة فهي تحتاج في التلقي منها إلى ما في الدرجة الأولى فهي واسطة بينها وبين الشعلة التي هي باب استغنائها، وهكذا كلما بعدت الأشعة عن مبدئها الذي هو الشعلة المرئية بدرجة أو درجتين أو درجات كثرت الوسائط، إلى أن تنتهي الأشعة بحيث لا تكون بعدها شيئًا منها ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾(٢)، فالأشعة بعضها محتاج إلى بعض في التلقي والظهور من الشعلة المرئية، وهي أيضًا محتاجة في التلقي والبروز من غيب الإمكان إلى شهادة الأكوان إلى الدهن الذي هو مبدأ كونها، وإلى مس النار الذي هو عبارة عن كونها، وإلى فعل النار الذي صدر عنه كونها، وإلى النار التي هو فاعل كونها بفعلها لا

---

(١) العنكبوت ٤٣.
(٢) الأنعام ١٣٢.

بحقيقتها وذاتها، فالنار الجوهرية في هذا المثل هي التي لا تحتاج إلى شيء مما سواها، والحرارة العرضية التي هي فعلها لا تحتاج إلى شيء إلّا النار التي أوجدها بنفسها وأمسكها بظلها وأبقاها بنفسها، والشعلة المرئية التي هي وجه النار وبابها وصراطها وطريقها إلى الأشعة في الإفاضة، وهي أيضًاباب الأشعة وصراطها وطريقها إلى النار في الاستفاضة، هي التي لا تحتاج إلى شيء من الأشعة وجميع الأشعة محتاجة إليها في تلقيها من النار بواسطتها، فهي باب استغناء الأشعة لا تصل إليها شيء مما يحتاجون إليه من جهة النار إلّا بواسطتها.

إذا عرفت المثل الحق فاعلم أنه سبحانه جعل محمدًا وآله ﷺ وسائط بينه وبين جميع خلقه بحقيقة ما هم أهله، وجعلهم أبواب فيضه وصراطه المستقيم إلى خلقه، أي طريقه إلى خلقه في الخلق والرزق والحياة والممات، التي هي أركان ما في الإمكان وأصول ما في الأكوان، فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ❁ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾(١) ثم بين كيفية بروز الأشياء من غيب الإمكان إلى شهادة الأكوان، وصدورها عن فعله بواسطة محمد وآله ﷺ بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ الآية، وفي الحديث عن أحدهم عليهم السلام ما معناه أن ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ هو محمد ﷺ ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ هو صدر علي عليه السلام ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ نور العلم من محمد ﷺ في صدر علي عليه السلام ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ هو الحسن بن علي عليهما السلام، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ هو الحسين عليه السلام، ﴿كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾

---

(١) الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦.

فاطمة عليها السلام تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ﴾ علي بن الحسين عليه السلام، ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ محمد بن علي الباقر عليه السلام، ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ جعفر بن محمد عليه السلام، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ موسى بن جعفر عليه السلام، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ علي بن موسى عليه السلام، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ محمد بن علي الجواد عليه السلام، (ولو تمسسه نار) علي بن محمد الهادي عليه السلام، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ القائم المهدي عليه السلام[1].

أقول: في هذا الحديث الشريف إشارة إلى اتحاد نورهم عليهم السلام، وإلى أن كل واحد منهم يكون سراجًا منيرًا، وأن بعضهم عليهم السلام من بعض كالضوء من الضوء أي كالمصباح من المصباح قال علي عليه السلام: (أنا من محمد كالضوء من الضوء)[2]، فإذا كان عليه السلام منه صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء يكون الحسن عليه السلام من علي عليه السلام كالضوء من الضوء وهكذا، لأنهم عليهم السلام يجري لآخرهم ما يجري لأولهم، ومن كلام العسكري عليه السلام: (وَأَسْبَاطُنَا خلفَاءُ الدينِ وحلفَاءُ اليقين ومَصَابِيحُ [الْأُمَمِ] الظلم، ومَفَاتِيحُ الْكَرَمِ والْكَلِيمُ أُلْبِسَ حُلةَ الِاصْطِفَاءِ لِمَا عَهِدْنَا مِنْهُ الْوَفَاءَ، ورُوحُ الْقُدُسِ فِي جِنَانِ الصاقُورَةِ ذَاقَ مِنْ حَدَائِقِنَا الْبَاكُورَةِ)[3] انتهى.

والمراد بروح القدس هنا هو المصباح في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، ج٤، ص٧٢.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وأنا من أحمد كالضوء من الضوء) الأمالي للشيخ الصدوق، ص٦٠٤.

(٣) نص الحديث في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ شرح قوله عليه السلام (وأصول الكرم)، وبتفاوت يسير في الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ص٤٨. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٢٤٩.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، وهو اسم الله الذي أشرقت به السموات والأرضون، وهو الذي يعبر عنه عند أهل الإشراق بالعقل الكلي، وعند القائلين بالعقول العشرة بالعقل الأول، وعند أهل الشرع بالقلم وبالعقل المحمدي وهو عقلهم عليهم السلام، وهو الذي ذاق من حدائقهم التي غرسوها بأيديهم عليهم السلام قبل جميع المخلوقات باكورة الوجود، أي أول ثمرته، وهو عرش الرحمن الذي استوى عليه سبحانه برحمانيه، فأودع فيه غيوب الأشياء وهي معاني جميع الخلق، ولما أمره سبحانه فقال له أدبر فأدبر أخرج منه رقائقها وصورها إلى قوابلها، فيما لا يزال في الخلق الأول الذي هو خلق التكوين، فهو باب الله وصراطه إلى خلقه، ولما تهيأت القوابل لقبول حياتها وجميع ما لها من ربها وقبلت كان ذلك القبول بواسطته، فهو باب الخلق وصراطهم إلى الله سبحانه، ولما أمره تعالى ثانيًا في الخلق الثاني الذي هو خلق التكليف فقال له أقبل، وأمر خلقه بطاعته في الإقبال فأقبل، وامتثل الخلق أمره فأقبلوا بإقباله قبل سبحانه أعمالهم بواسطته، والتوجه به إلى الله ترفع به أعمالهم، فهو باب الخلق وصراطهم إلى الله سبحانه، وهذه الوساطة عامة في جميع الوجودات الشرعية والشرعيات الوجودية، فهم عليهم السلام في هذا المقام، وهو المقام الثالث من مقاماتهم، أبواب الله ووجه الله وسبيله وصراطه، أي طريقه إلى جميع مخلوقاته ففي الكافي عن الهيثم بن واقد عن مقرن قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: (جَاءَ ابْنُ الْكَواءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

فَقَالَ عليه السلام: نَحْنُ عَلَى الْأَعْرَافِ نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ، ونَحْنُ الْأَعْرَافُ الذِي لَا يُعْرَفُ اللهُ عَز وجَل إِلا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا، ونَحْنُ

الْأَعْرَافُ يُعرفُنَا اللهُ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصراطِ فَلَا يَدْخُلُ الْجنة إِلا مَنْ عَرَفَنَا وعَرَفْنَاهُ، ولَا يَدْخُلُ النارَ إِلا مَنْ أَنْكَرَنَا وأَنْكَرْنَاهُ، إِن اللهَ عز وجل لَوشَاءَ لَعَرفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ ولَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وصِرَاطَهُ وسَبِيلَهُ والْوَجْهَ الذِي يُؤْتَى مِنْهُ، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَوفَضل عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَإِنهُمْ عَنِ الصراطِ لَنَاكِبُونَ، فَلَا سَوَاءٌ مَنِ اعْتَصَمَ الناسُ بِهِ ولَا سَوَاءٌ حَيْثُ ذَهَبَ الناسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يُفْرَغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبهَا لَا نَفَادَ لَهَا ولَا انْقِطَاعَ)[١] انتهى.

فهم عليهم السلام في هذا المقام الذي هو بمنزلة الشعلة المرئية في المثال المذكور باب مدينة العلم، وهم عليهم السلام في المقام الثاني وهو مقام المعاني الذي هو بمنزلة الزيت مدينة العلم، وهم عليهم السلام في المقام الأول الذي هو ظهور النار بفعلها صاحب المدينة ومالكها، فكل شيء سواهم عليهم السلام بمنزلة الأشعة بالنسبة إلى هذا المقام، وهو مقام الباب والجناب، وهم عليهم السلام في هذا المقام بمنزلة الشعلة المرئية يستمد جميع ما سواهم من المخلوقات من فاضل نورهم، وبرز كل شيء سواهم من غيب الإمكان إلى شهادة الأكوان وظهر بفاضل ظهورهم، قال عليه السلام : (إلهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجنابك)، وقال سيد الشهداء عليه السلام : (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك) فافهم واشرب صافيًا.

فقول أمير المؤمنين عليه السلام : (أنا باب الله، أنا وجه الله، أنا الذي كتب اسمي على العرش فاستقر، وعلى السماوات فقامت، وعلى الأرض فرست، وعلى الريح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى الودق

---

(١) الكافي؛ ج١؛ ص١٨٤.

فهمع، وعلى النور فسطع، وعلى السحاب فدمع، وعلى الرعد فخشع، وعلى الليل فدجى وأظلم، وعلى النهار فأنار وتبسم)[(١)] فهو إشارة إلى هذا المقام الذي هو ثالث مقاماتهم، والمراد باسمه المكتوب على هذه الأشياء المذكورة وغيرها من جميع الأشياء هو أنوار هذا المقام وأشباحه ومثاله الملقى في هويات الخلائق، والكتابة عندهم عليهم السلام في اللغة العربية الإلهية هي إثبات الشيء ووضعه في محله اللائق به ومكانه المناسب له، كإثبات الأنوار والأضواء في الأشياء الكثيفة كالجدار والأرض، وكإثبات العكوس والصور والأشباح في الأشياء الصقيلة كالمرآة والماء، ومثل وضع الثمر وإثباتها في الشجرة، وكإثبات الأوراق في الأغصان والأشجار في البستان، وكوضع النجوم في السماء والسحاب في الهواء.

إذا عرفت هذا فاعلم أن قوله عليه السلام: (أنا الذي كتب اسمي على العرش فاستقر) يجوز أن يراد بالعرش هنا هذا الفلك المحيط، الذي هو محدد الجهات المسمى بالأطلس، بقرينة قوله عليه السلام: (وعلى السموات فقامت) إلى آخر كلامه، فعلى هذا فالمراد بالاسم المكتوب هو أنوار هذا المقام وأشباحه كما قلنا.

ويجوز أن يكون المراد بالعرش هنا الأنوار الأربعة التي هي أركان العرش الذي استوى عليه الرحمن برحمانيته، فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل موجود رزقه، وعلى هذا فالمراد بالاسم المكتوب هو أربعة أنواع أشرقت من صبح الأزل فلاحت وظهرت على هياكل التوحيد آثارها، وهي نور أبيض منه ابيض البياض ومنه ضوء النهار، ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أحمر منه احمرت الحمرة.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص٢٥٧.

فكتب النور الأبيض على الطبقة العليا من الدهر وهي عالم الجبروت والملكوت، وهو عالم الرقائق الروحية فاستقر وانتظم أمور أهلها، وكتب النور الأخضر على الطبقة الوسطى من الدهر وهي الملكوت فاستقرت وانتظم أمور أهلها، وكتب النور الأحمر فيما تحت هذه الطبقة وهو عالم الطبائع النورانية فاستقر وانتظم أمور أهلها.

فإن قلت: ما معنى قوله عليه السلام: (كتب اسمي على الليل فدجى وأظلم، وعلى النهار فأنار وتبسم) مع أن اسمه عليه السلام نور على ما قررت، ونسبته إلى الليل والنهار نسبة واحدة.

أقول: قد عرفت ما ذكرنا سابقًا أن الله سبحانه يخلق الأشياء على ما هي عليه بما هي أهله على ما تقتضي الحكمة الإلهية، لا على ما تقتضي قدرته القاهرة، فالليل على ما هو عليه بما هو أهله، إذا ورد عليه ذلك النور المكتوب صار ظلمانيًا بنفس قابليته لقبول الكون، والنهار إذا ورد عليه ذلك صار نورانيًا بنفس قبوله بما هو أهله، ألا ترى نور الشمس إذا أشرق على الزجاجات المختلفة الألوان تنعكس عنها أنوار مختلفة، مع أن نور الشمس المشرق عليها واحد، له لون واحد، كذلك نوره عليه السلام إذا أورد على المحل الطيب والقابلية النورانية صار طيبًا نورانيًا، وإذا ورد على المحل الخبيث والقابلية الظلمانية صار خبيثًا ظلمانيًا، يقول الشاعر:

أرى الإحسان عند الحر دينًا وعند النذل منقصة وذمًا
كقطر الماء في الأصداف درٌّ وفي بطن الأفاعي صار سما

وذلك لأنه عليه السلام باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وكل شيء كتب عليه اسمه الشريف.

أما من حيث باطنه الذي هو الرحمة المكتوبة الخاصة للمؤمنين، الذين خلقهم الله بحقيقة ما هم أهله من نوره، وصبغهم بنفس قبولهم لولاية وليه في رحمته التي هي باطن الولي عليه السلام.

وأما من حيث ظاهره فمخالفته الذي هو العذاب العظيم، المعد للكافرين الذين طبع الله على قلوبهم بكفرهم وتركِهِم ولاية الولي الذي جعله سبحانه باب فيضه ورحمته لمن قبل ولايته، والعذاب الأليم المخصوص للمنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، أي يظهرون بظاهرهم ولاية الولي الحق وينكرونها بباطنهم، فاستحقوا أن يخلقهم الله من ظاهر وليه الذي هو العذاب الأليم، لا من باطنه الذي هو الرحمة المخصوصة لمن كتب الله في قلوبهم الإيمان وحببه إليهم وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

والحاصل أنهم عليهم السلام أبواب الله إلى جميع خلقه، من جماد ونبات وحيوان وملك وجن وإنسان وشيطان ومؤمن وكافر ومنافق ومشرك وأرض وسماء وفلك دوار وثابت وسيار وليل ونهار وأضواء وأنوار ورياح وسحاب وأمطار ورعد وبرق وبحر لجي وظلمات بعضها فوق بعض، وغير ذلك من الأشياء كالذوات والصفات والأحوال والأعمال والأفعال والأشكال والأمثال، مما في عالم الملك والملكوت والجبروت، لا يصل إلى هذه الأشياء شيء مما أفاض سبحانه على خلقه من رحمته، أو أنزل عليهم من عذابه إلّا من هذا الباب الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

هذا طريق معرفتهم عليهم السلام بالنورانية مما يتعلق بهذا المقام الذي هو مقام الأبواب وصلى الله على محمد وآله الأطياب.

الباب الرابع
في بيان معرفة الإمام عليه السلام

وهو المقام الرابع من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام الحجة والإمامة ومقام القرى المباركة وهو مقام الظاهر.

اعلم أن مقام الإمامة والحجة مقام عال لا تناله أيدي المتناولين، ولا يقيّمه تكلف المتكلفين، لأنه عهد الله الذي لا يناله الظالمون، ولا يمسه إلّا المطهرون، وهو أمانة الله التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان الكامل في الشقاوة، وهو أول من طلب الرئاسة وادعى بجهله وظلمه مرتبة الإمامة، إنه كان ظلومًا جهولًا.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: (إن اللهَ سبحانه اتخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتخِذَهُ نَبيًا، وإِن اللهَ اتخَذَهُ نَبِيًا قَبْلَ أَنْ يَتخِذَهُ رَسُولًا، وإِن اللهَ اتخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتخِذَهُ خَلِيلًا، وإِن اللهَ اتخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا، فَلَما جَمَعَ [لَهُ] الْأشياء قَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ: فَمِنْ عظم ذلك فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾)(١)، انظر في هذا الحديث الشريف كيف جعل عليه السلام مرتبة الإمامة فوق مرتبة العبودية الحقيقية، ومرتبة النبوة والرسالة والخلة التي هي أعلى مراتب الكمالات الإنسانية، فالإمامة مرتبة عالية جامعة لجميع الكمالات البشرية الإنسانية، لا ينال ظاهرها إلّا أفراد من الأنبياء والرسل الذين وجد الله سبحانه لهم عزما وثباتا في أمر

(١) الكافي، ج١ ص١٧٥ باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة.

الولاية، فجعلهم أئمة للناس، فقال سبحانه في شأنهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾(١).

وأما باطنها فلا يصلح إلّا لمن كان في باطنه سر الله الذي أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، فيتصرف فيها بالولاية المطلقة، وكان في ظاهره وجه الله الذي جعله للناس إماما، فيتقلب بين أظهرهم بالإمامة والرئاسة العامة وهو محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين، لا يوجد في جميع الخلق من تقوم به هذه الإمامة إلّا هم عليهم السلام.

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقية والمقمصة: (أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير)(٢).

يريد عليه السلام أن أمر الإمامة لا يقوم إلّا بمن كان في باطنه بمقام عال، بحيث كان في مقام البدء مبدأ لجميع الأشياء، انحدر عن سماء رتبته من فاضل وجوده ماء على أرض القابليات وأودية استعداد الممكنات فسالت أودية بقدرها، وكان في مقام العود بالعلم والعمل بحيث لا يصل إلى رتبته بالعلم ولا يرقى إلى مقامه العالي بالعمل عالم عامل، يطير بجناحي علمه وعمله أبد الآبدين ودهر الداهرين.

وقال عليه السلام في حديث جابر بن عبد الله: (ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه سجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء وإن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم) انتهى.

---

(١) السجدة ٢٤.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي، ص٤٠٢.

فأشار عليه السلام بقوله هذا أن الإمامة مرتبة عالية، ورئاسة عامة مطلقة، لا تصلح إلّا لأهلها، وأن الإمام هو وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهر الناس، ولوشاء خرق الأرض وصعد السماء وهو الذي إليه إياب الخلق وعليه حسابهم.

فمعرفتهم عليهم السلام بالنورانية في هذا المقام، أي مقام الإمامة والحجة أن تعرفهم بأنهم عليهم السلام حجج الله على جميع خلقه، وخلفاؤه في أرضه، وأمناؤه على وحيه وكتابه، افترض طاعتهم على جميع خلقه، جعل الله تعالى كل واحد منهم عليهم السلام قيما على عباده، وحفيظا لشريعة رسوله صلى الله عليه وآله ، وشاهدًا على بريته، وداعيًا إلى الله سبحانه وهاديًا إلى سبيله، وأن الإمام هو وجه الله الذي يتقلب في الأرض وعينه الناظرة في عباده، فكاك الأزمات المعضلة، وفاتح الحصون المقفلة، وأنه القصر المشيد والبئر المعطلة، ملجأ الهاربين وعصمة المعتصمين وأمن الخائفين وعون المؤمنين، وأن لهم الرجعة والظهور بعد الغيبة، يملؤون الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

وأنا أذكر حديثًا من أحاديثهم عليهم السلام في بيان معرفة الإمام، ووصف هذا المقام، يكفيك إن شاء الله تعالى، ففي الكافي عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنا مَعَ الرضَا عليه السلام بِمَرْو فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ وذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ الناسِ فِيهَا فَدَخَلْتُ عَلَى سَيدِي عليه السلام فَأَعْلَمْتُهُ خَوْضَ الناسِ فِيهِ فَتَبَسمَ عليه السلام ثُم قَالَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ جَهِلَ الْقَوْمُ وخُدِعُوا عَنْ آرَائِهِمْ إِن اللهَ عَز وجَل لَمْ يَقْبِضْ نَبِيهُ صلى الله عليه وآله حَتى أَكْمَلَ لَهُ الدينَ وأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تِبْيَانُ كُل شيء بَينَ فِيهِ الْحَلَالَ والْحَرَامَ والْحُدُودَ والْأَحْكَامَ وجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ [إِلَيْهِ] الناسُ كَمَلًا فَقَالَ عَز وجَل: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ وأَنْزَلَ

فِي حَجةِ الْوَدَاعِ وهِيَ آخِرُ عُمُرِهِ صلى الله عليه وآله ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ وأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدينِ ولَمْ يَمْضِ صلى الله عليه وآله حتى بينَ لِأُمتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ وأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ وتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَق وأَقَامَ لَهُمْ عَلِيًا عليه السلام عَلَمًا وإِمَامًا ومَا تَرَكَ [لَهُمْ] شَيْئًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمةُ إِلا بينَهُ فَمَنْ زَعَمَ أَن اللهَ عَز وجَل لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ فَقَدْ رَد كِتَابَ اللهِ ومَنْ رَد كِتَابَ اللهِ فَهو كَافِرٌ [بِهِ]، هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ ومَحَلهَا مِنَ الْأُمةِ فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ إِن الْإِمَامَةَ أَجَل قَدْرًا وأَعْظَمُ شَأْنًا وأَعْلَى مَكَانًا وأَمْنَعُ جَانِبًا وأَبْعَدُ غَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا الناسُ بِعُقُولِهِمْ أَو يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ أَو يُقِيمُوا إِمَامًا بِاخْتِيَارِهِمْ، إِن الْإِمَامَةَ خَص اللهُ عَز وجَل بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام بَعْدَ النبُوةِ والْخُلةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وفَضِيلَةً شَرفَهُ بِهَا وأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ فَقَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ فَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام سُرُورًا بِهَا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِمَامَةَ كُل ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وصَارَتْ فِي الصفْوَةِ، ثُم أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُريتِهِ أَهْلِ الصفْوَةِ والطهَارَةِ فَقَالَ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ فَلَمْ تَزَلْ [الإمامة] فِي ذُريتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْنًا فَقَرْنًا حتى وَرِثَهَا اللهُ عز وجل النبِي صلى الله عليه وآله فَقَالَ جَل وتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ وهذَا النبِي والذِينَ آمَنُوا واللهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ فَكَانَتْ لَهُ خَاصةً فَقَلدَهَا صلى الله عليه وآله عَلِيًا عليه السلام بِأَمْرِ اللهِ عز وجل عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللهُ فَصَارَتْ فِي ذُريتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الذِينَ آتَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ والْإِيمَانَ بِقَوْلِهِ جل وعلا: (وقالَ الذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ والْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهِيَ فِي وُلْدِ

عَلِي عليه السلام خاصةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذْ لَا نَبِي بَعْدَ مُحمدٍ صلى الله عليه وآله ، فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهالُ، إِن الْإِمامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ إِن الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللهِ وخِلَافَةُ الرسُولِ صلى الله عليه وآله ومَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ومِيرَاثُ الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ عليهما السلام إِن الْإِمامَةَ زِمَامُ الدينِ ونِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وصَلَاحُ الدنْيَا وعِز الْمُؤْمِنِينَ إِن الْإِمَامَةَ أُس الْإِسْلَامِ النامِي وفَرْعُهُ السامِي، بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصلَاةِ والزكَاةِ والصيَامِ والْحَج والْجِهَادِ وتَوْفِيرُ الْفَيْءِ والصدَقَاتِ وإِمْضَاءُ الْحُدُودِ والْأَحْكَامِ ومَنْعُ الثغُورِ والْأَطْرَافِ الْإِمَامُ يُحِل حَلَالَ اللهِ ويُحَرمُ حَرَامَ اللهِ ويُقِيمُ حُدُودَ اللهِ ويَذُب عَنْ دِينِ اللهِ ويَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبهِ بِالحكمة والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ والْحُجةِ الْبَالِغَةِ الْإِمَامُ كَالشمْسِ الطالِعَةِ الْمُجَللَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ وهِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي والْأَبْصَارُ الْإِمامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ والسرَاجُ الزاهِرُ والنورُ الساطِعُ والنجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدجَى وأَجْوَازِ الْبُلْدَانِ والْقِفَارِ ولُجَجِ الْبِحَارِ الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظمَإِ والدال عَلَى الْهُدَى والْمُنْجِي مِنَ الردَى الْإِمَامُ النارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَار لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ والدلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ الْإِمَامُ السحَابُ الْمَاطِرُ والْغَيْثُ الْهَاطِلُ والشمْسُ الْمُضِيئَةُ والسمَاءُ الظلِيلَةُ والْأَرض الْبَسِيطَةُ والْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ والْغَدِيرُ والروْضَةُ الْإِمَامُ الْأَنِيسُ الرفِيقُ والْوَالِدُ الشفِيقُ والْأَخُ الشقِيقُ والْأُم الْبَرةُ بِالْوَلَدِ الصغِيرِ ومَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الداهِيَةِ النآدِ الْإِمَامُ أَمِينُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وحُجتُهُ عَلَى عِبَادِهِ وخَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ والداعِي إِلَى اللهِ والذاب عَنْ حُرَمِ اللهِ الْإِمَامُ الْمُطَهرُ مِنَ الذنُوبِ والْمُبَرأُ عَنِ الْعُيُوبِ الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ نِظَامُ الدينِ وعِز الْمُسْلِمِينَ وغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وبَوَارُ الهالكين، الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ ولَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ ولَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ ولَا لَهُ مِثْلٌ ولَا نَظِيرٌ مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ

كُله مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ ولَا اكْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهابِ فَمَنْ ذَا الذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الإِمَامِ أَو يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ضَلتِ الْعُقُولُ وتَاهَتِ الْحُلُومُ وحَارَتِ الْأَلْبَابُ وخَسَأَتِ الْعُيُونُ وتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ وتَحيرَتِ الْحُكَمَاءُ وتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ وحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ وجَهِلَتِ الْأَلِبَاءُ وكَلتِ الشعَرَاءُ وعَجَزَتِ الْأُدَبَاءُ وعَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَو فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ وأَقَرتْ بِالْعَجْزِ والتقْصِيرِ وكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلهِ أَو يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ أَو يُفْهَمُ شيء مِنْ أَمْرِهِ أَو يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ويُغْنِي غِنَاهُ لَا كَيْفَ وأَنى وهو بِحَيْثُ النجْمُ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ ووَصْفِ الْوَاصِفِينَ فَأَيْنَ الِاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا وأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا وأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا أَتَظُنونَ أَن ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرسُولِ مُحمدٍ ﷺ كَذَبَتْهُمْ واللهِ أَنْفُسُهُمْ ومَنتْهُمُ الْأَبَاطِيلَ فَارْتَقَوْا مُرْتَقًى صَعْبًا دَحْضًا تَزِل عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ رَامُوا إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ وآرَاءٍ مُضِلةٍ فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْهُ إِلا بُعْدًا قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنى يُؤْفَكُونَ، ولَقَدْ رَامُوا صَعْبًا وقَالُوا إِفْكًا وضَلوا ضَلالًا بَعِيدًا ووَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ وزَينَ لَهُمُ الشيْطَانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدهُمْ عَنِ السبِيلِ وما كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللهِ واخْتِيَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ والْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ سُبْحانَ اللهِ وتَعالى عَما يُشْرِكُونَ وقَالَ عَز وجَلَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ وقَالَ: ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۞ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ۞ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۞ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ۞ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۞ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ وقَالَ عَز وجَل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ أَمْ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا

يفْقَهونَ، أَمْ قالُوا سَمِعْنا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أَمْ قالُوا سَمِعْنا وعَصَيْنا بَلْ هو فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الإِمَامِ والْإِمَامُ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ وراعٍ لَا يَنْكُلُ مَعْدِنُ الْقُدْسِ والطهَارَةِ والنسُكِ والزهَادَةِ والْعِلْمِ والْعِبَادَةِ مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرسُولِ ﷺ ونَسْلِ الْمُطَهرَةِ الْبَتُولِ لَا مَغْمَزَ فِيهِ فِي نَسَبٍ ولَا يُدَانِيهِ ذُو حَسَبٍ فِي الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ والذرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ والْعِتْرَةِ مِنَ الرسُولِ ﷺ والرضَا مِنَ اللهِ عَز وجَل شَرَفُ الْأَشْرَافِ والْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ نَامِي الْعِلْمِ كَامِلُ الْحِلْمِ مُضْطَلِعٌ بِالْإِمَامَةِ عَالِمٌ بِالسيَاسَةِ مَفْرُوضُ الطاعَةِ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللهِ عَز وجَل نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللهِ حَافِظٌ لِدِينِ اللهِ إِن الْأَنْبِيَاءَ والْأَئِمةَ عليهم السلام يُوَفقُهُمُ اللهُ ويُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وحِكَمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرَهُمْ فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ زمانهم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ وقَوْلِهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وقَوْلِهِ فِي طَالُوتَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقَالَ لِنَبِيهِ ﷺ: ﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وقَالَ فِي الْأَئِمةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيهِ وعِتْرَتِهِ وذُريتِهِ ﷺ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ وإِن الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللهُ عَز وجَل لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ وأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الحكمة وأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ إِلْهَامًا فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ ولَا يُحَيرُ فِيهِ عَنِ الصوَابِ فَهو مَعْصُومٌ مُؤَيدٌ مُوَفقٌ مُسَددٌ [قَدْ أَمِنَ] من الخطأ والزلَلِ والْعِثَارِ يَخُصهُ اللهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجتَهُ عَلَى عِبَادِهِ

وشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ وذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُونَهُ أَو يَكُونُ مُخْتَارُهُمْ بِهَذِهِ الصفَةِ فَيُقدمُونَهُ تَعدوْا وبَيْتِ اللهِ [على] الْحَق ونَبَذُوا كِتابَ اللهِ وَراءَ ظُهورِهِمْ كَأَنهُمْ لا يَعْلَمُونَ وفِي كِتَابِ اللهِ الْهُدَى والشفَاءُ فَنَبَذُوهُ واتبَعُوا أَهواءَهُمْ فَذَمهُمُ اللهُ ومَقتَهُمْ وأَتْعَسَهُمْ فَقَالَ جَل وتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقَالَ: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وقَالَ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ وصَلى اللهُ عَلَى النبِي مُحَمدٍ وآلِهِ وسَلمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا)[1].

توضيح

قوله عليه السلام: (أشاد بها ذكره) أي رفع.

(وقلدته أمري) أي فوضت إليه الثغور موضع المخافة من مروج البلدان كالثغر.

جوز كل شيء وسطه والجمع أجواز.

اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

الاصطلاء: طلب الحرارة.

عين عزيزة: أي كثير الماء.

الشقيق: كأمير الأخ كأنه شق نسبه من نسبه.

النار: كسحاب الداهية.

خسئت العيون: كلت.

---

(١) الكافي ج١؛ ص١٩٨مع بعض الاختلاف اليسير.

يقال أرض دحضة أي زلقة، لا تثبت عليها الأقدام.

الزعيم: الكفيل.

نكل عنه: كضرب ونصر وعلم نكولا نكص وجبن.

ذروة الشيء: أعلاه.

يقال فلان مضطلع بهذا الأمر أي قوي عليه.

البتول من النساء العذراء المنقطعة من الأزواج، وقيل المنقطعة إلى الله عن الدنيا، والتبتيل والتبتل الانقطاع عن الدنيا إلى الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[1].

ليس في الفلان غميزة: أي مطعن.

عدا عليه ظلمه كتعدى.

التعس: الهلاك والسقوط والشر والبعد والانحطاط.

وأما قولي أن هذا المقام أي مقام الإمام، مقام القرى المباركة، فستعرفه في مقام الأركان إن شاء الله تعالى، فنقول.

الباب الخامس
في بيان معرفة الأركان

وهو المقام الخامس من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام القرى الظاهرة، ومقام ظاهر الظاهر.

اعلم أن لقوله عليه السلام: (ثم معرفة الأركان خامسًا، ثم معرفة النقباء سادسًا، ثم معرفة النجباء سابعًا) وجوه.

---

(١) المزمل ٨.

الأول: أن يكون مراده عليه السلام بمعرفة الأركان والنقباء والنجباء، معرفة مقامات أخر من مقاماتهم بحسب الظاهر، وهي ثلاثة مقامات لهم دون مقام الإمام، وهذا بالنسبة إلى حالاتهم عليهم السلام في مقام البشرية، وبالنسبة إلى اختلاف الناس في معرفتهم عليهم السلام، لأن الناس أكثرهم لا يعرفون مقام الإمام عليه السلام، بل لا يعرفون مقام الأركان أيضًا، ألا ترى أن بعض الناس وبعض الرواة مثل عبد العزيز بن مسلم راوي الحديث المذكور يقول دخلت على سيدي فأعلمته بكذا وكذا، ظنًا منه أن سيده وإمامه لا يعلم ما أراد إعلامه، بل يحتاج إلى إعلامه أو إعلام غيره بكذا.

وبعضهم إذا سمع أنهم عليهم السلام جاعوا يومًا أو يومين ولم يجدوا شيئًا من الطعام يغتذون به يترحم عليهم ويبكي، ظنًا منه أنهم عليهم السلام كانوا لا يقدرون على تحصيل الطعام، كسائر الفقراء والمساكين الضعفاء.

وبعضهم إذا سمع أن أشباه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمعوا وجاءوا إلى باب داره عليه السلام ودخلوا داره عليه السلام بغير إذنه وازدحموا عليه يبكي ظنًا منه أنه عليه السلام كان مضطرًا عاجزا عن مقاومة الأعداء.

وبعضهم إذا سمع أنه عليه السلام قتل عمرو بن عبد ود أو غيره من الشجعان، تعجب من شجاعته عليه السلام.

وهم عليهم السلام أيضًا أظهروا للناس حالات مختلفة، فمرة أظهروا أنهم عليهم السلام لا يقدرون على كسر الخبز اليابس من الشعير، ومرة أظهروا أنهم لا يعلمون ما في خلف الجدار، ففي الكافي عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وأَبُو بَصِيرٍ ويَحْيَى الْبَزازُ ودَاوُدُ بْنُ كَثِيرٍ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا وهو مُغْضَبٌ فَلَما أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ: (يَا عَجَبًا لِأَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنا نَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلا اللهُ عَز وجَل

لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَتِي فُلَانَةَ فَهَرَبَتْ مِني فَمَا عَلِمْتُ فِي أَي بُيُوتِ الدارِ هِيَ.

قَالَ سَدِيرٌ: فَلَما أَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وصَارَ فِي مَنْزِلِهِ دَخَلْتُ أَنَا وأَبُو بَصِيرٍ ومُيَسرٌ وقُلْنَا لَهُ: جعلنا الله فِدَاكَ سَمِعْنَاكَ وأَنْتَ تَقُولُ كَذَا وكَذَا فِي أَمْرِ جَارِيَتِكَ، ونَحْنُ نَعْلَمُ أَنكَ تَعْلَمُ عِلْمًا كَثِيرًا ولَا نَنْسُبُكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ.

قَالَ: فَقَالَ يَا سَدِيرُ: أَلَمْ تَقْرَإِ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَز وجَل ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأْتُهُ قَالَ: فَهَلْ عَرَفْتَ الرجُلَ وهَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ

قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِهِ، قَالَ: قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ.

قَالَ: قُلْتُ: [جُعِلْتُ فِدَاكَ] مَا أَقَل هَذَا فَقَالَ يَا سَدِيرُ مَا أَكْثَرَ هَذَا أَنْ يَنْسُبَهُ اللهُ عَز وجَلَ إِلَى الْعِلْمِ الذِي أُخْبِرُكَ بِهِ يَا سَدِيرُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَز وجَل أَيْضًا ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قَالَ قُلْتُ: قَدْ قَرَأْتُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قَالَ: أَفَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلهُ أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ بَعْضُهُ.

قُلْتُ: لَا بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلهُ.

قَالَ: فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وقَالَ: عِلْمُ الْكِتَابِ واللهِ كُلهُ عِنْدَنَا عِلْمُ الْكِتَابِ واللهِ كُلهُ عِنْدَنَا)[1] تم الحديث.

---

(١) الكافي ج١؛ ص٢٥٧.

انظر كيف أظهر لبعض الناس حالة من حالاته لا يعلم فيها أن جاريته في أي بيوت الدار، ثم أخبر أنه في حالة أخرى يعلم كل شيء، وربما أظهر البكاء لغاية الجوع والفقر، واستقرضوا من الناس شيئًا قليلًا حتى من بعض اليهود، وخبر استقراض علي عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهودي مشهور، وفي بعض الكتب مذكور ومسطور.

فلما كانت لهم عليهم السلام حالات ومقامات مختلفة عديدة، وكانت معرفة الناس بالنسبة إلى حالاتهم ومقاماتهم عليهم السلام، وبالنسبة إلى درجات الناس في المعرفة أيضًا مختلفة عديدة، قال عليه السلام عليك بمعرفة الأركان خامسًا، ثم معرفة النقباء سادسًا، ثم معرفة النجباء سابعًا، يريد عليه السلام أنا نظهر للناس في مقام التعريف على قدر معرفتهم، وعلى حسب درجاتهم في المعرفة، ونكلمهم على قدر عقولهم، ليعلم كل أناس مشربهم، ويجد كل طالب لمعرفتنا بحسب مقامه مطلبه، وأنت إذا أردت المعرفة النورانية الكاملة فعليك بمعرفة تلك المقامات كلها، التي أولها مقام التوحيد والبيان وهو مقام باطن باطن الباطن، وأوسطها مقام إمام الزمان وهو مقام الظاهر، وآخرها مقام النجباء، وثانيها مقام المعاني وهو مقام باطن الباطن، وثالثها مقام الأبواب وهو مقام الباطن، وخامسها مقام الأركان وهو مقام ظاهر الظاهر، وسادسها مقام النقباء وهو مقام ظاهر ظاهر الظاهر.

فهم عليهم السلام يظهرون تارة في مقام الأركان، فيعرفهم عليهم السلام بهذا المقام من كانت معرفته مقصورة على هذا المقام، قاصرة عن إدراك مقام الإمام، وتارة يظهرون في مقام النقباء، فيعرفهم عليهم السلام من كان في معرفته بحيث لا يصل إلى معرفة مقام الأركان وهكذا.

فبعض الناس غاية معرفته لهم عليهم السلام أنه يعرفهم عليهم السلام في مقام الأركان، بأنهم عليهم السلام عباد أصفياء وورثة علوم الأنبياء وهم للنبي صلى الله عليه وآله أوصياء، وفي دينه رجال أقوياء كالجبال لا تحركهم العواصف، أشداء على الكفار رحماء بينهم، وهم أعلم أهل زمانهم وأشجعهم وأتقاهم وأورعهم وأزهدهم وأسخاهم، وأشدهم عدلًا وإنصافًا، وأكثرهم لله تعالى عبادة، وأسبقهم له طاعة، وأعرفهم بطرق السياسة وأكملهم بأمر الرئاسة وهكذا في باقي الصفات، فهم عليهم السلام عند هذا العارف كأنبياء بني إسرائيل، كما قال النبي صلى الله عليه وآله : (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) فيوجب على نفسه طاعتهم، وهذا بالنسبة إلى مقامه في المعرفة يكفيه إن شاء الله، وإن كان قاصرًا أو مقصرًا، وكانت معرفته ظاهر ظاهر المعرفة وقشر القشر.

وبعض الناس نهاية معرفته ومبلغ علمه بهم عليهم السلام أنه يعرفهم في مقام النقباء، بأنهم عليهم السلام عرفاء حكماء علماء فقهاء، فلا يسألون عن مسألة في أمر الدين والدنيا إلّا وعندهم جواب ظاهر لتلك المسألة عن اجتهاد واستنباط من الكتاب والسنة النبوية، وأنهم عليهم السلام شديد الزهد في الدنيا وشديد الورع والتقوى، كثير العبادة والطاعة، كاملون في الشجاعة والسخاوة، عالمون بكيفية السياسة، قائمون بأمر الرئاسة، وهكذا في باقي الصفات، فهم عليهم السلام عند هذا العارف بمنزلة نقباء بني إسرائيل وهم اثنا عشر نقيبًا، وكانت معرفته ظاهر ظاهر الظاهر وقشر قشر القشر.

وبعض الناس يعرفهم عليهم السلام بأنهم عباد مؤمنون في صلاتهم خاشعون وعن اللغو معرضون، وللزكاة فاعلون، ولآماناتهم وعهدهم راعون، وعلى صلاتهم يحافظون، ولربهم يبيتون، ولقضاء الله وقدره

مسلمون، فهذا العارف يعرفهم عليهم السلام في مقام النجباء، وهم أهل التسليم للقدر والقضاء، في الكافي عن مولانا الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(١) قال عليه السلام: (أَتَدْرِي مَنْ هُمْ.

قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ.

قَالَ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسَلِمُونَ إِنَ الْمُسَلِمِينَ هُمُ النجَبَاء)(٢) انتهى.

وعلى هذا الوجه فكل مدْح مدَح الله سبحانه به أولياءه المقربين وأصفياءه السابقين واللاحقين، وكل وصْف وصَف به عباده المؤمنين في كتابه الكريم يتوجه إليهم عليهم السلام أولًا وبالذات، ثم يتوجه إلى غيرهم ثانيًا وبالعرض، وأخبارهم في خصوص هذا المعنى كثيرة جدًا لا تعد ولا تحصى.

الوجه الثاني: أن يكون مراده عليه السلام بمعرفة الأركان والنقباء والنجباء خصوص معرفة رجال من هذه الأمة على تفاوت درجاتهم في المعرفة والعلم والعمل، وعلى هذا فالمراد بالأركان القرى الظاهرة التي جعلهم الله سبحانه بين القرى المباركة وهم الأئمة عليهم السلام وبين شيعتهم عليهم السلام، وهم أي القرى الظاهرة على إرادة الخصوص حملة أسرارهم عليهم السلام، وحمولة آثار علومهم، ونقلة أخبارهم إلى شيعتهم عليهم السلام.

ففي الاحتجاج عن مولانا الباقر عليه السلام في حديث الحسن البصري في الآية الشريفة: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾

---

(١) المؤمنون ١.

(٢) الكافي ج١؛ ص٣٩١.

الآية قال عليه السلام: (بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عز وجل، فمن أقر بفضلنا حيث أمرهم الله أن يأتونا، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها قُرىً ظاهِرَةً، والقرى الظاهرة: الرسل، والنقلة عنا إلى شيعتنا، وفقهاء شيعتنا [إلى شيعتنا].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَ﴾، فالسير مثل للعلم ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾، مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيام عنا إليهم في الحلال، والحرام، والفرائض، والأحكام، آمِنِينَ فيها إذا أخذوا من معدنها الذي أمروا أن يأخذوا منه، آمنين من الشك والضلال، والنقلة من الحرام إلى الحلال)(١).

وعن مولانا السجاد عليه السلام: (إنما عنى بالقرى الرجال) ثم تلا هذه الآيات في هذا المعنى من القرآن قيل فمن هم قال: (نحن هم قال أو ما تسمع إلى قوله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾(٢) قال: آمنين من الزيغ)(٣).

وفي الإكمال عن مولانا القائم عليه السلام في هذه الآيه قال: (نحن والله القرى التي بارك الله فيها، وأنتم القرى الظاهرة)(٤) انتهى.

أقول: هؤلاء النقلة والحملة والحمولة هم الخصيصون من شيعتهم الكاملون في معرفتهم ومعرفة أحاديثهم، وهم أهل أسرارهم، أي

---

(١) الاحتجاج، ج٢ ص٦٣.
(٢) سبأ ١٨.
(٣) الاحتجاج، ج٢ ص٤٣.
(٤) كمال الدين وتمام النعمة، ص٥١٣.

الأسرار التي يحتملها غيرهم من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والمؤمنين الممتحنين، ويعبر عن هؤلاء الحملة مرة بالأركان ومرة بالقرى الظاهرة، ويسمون تارة بالأبدال وأخرى بالأوتاد، ولم يظهر لي إلى الآن كمية عددهم إلّا أني أعلم أن الأرض لا تخلو منهم في كل زمان، وأن عددهم قليل جدًا، بل هم الأقلون عدداً الأعظمون قدرًا، وفي أكثر الأوقات والأزمنة هم مستترون، وعن الناس محجوبون، ومنهم خائفون، ولأهل زمانهم عارفون، وعلى شأنهم مقبلون، فهم في الناس وليس فيهم، وربما تقتضي الحكمة الإلهية ظهور أحدهم عند الناس في بعض الأزمنة فيظهر، فإذا ظهر وأظهر يقتل أو يكفر، لأن الناس كان أكثرهم جاهلين ولا يحبون الناصحين وليس بالشاكرين و﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الله ﴿أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ على مشقة السير في القرى وعلى مخالفة الهوى وعن متابعة أهل البدع والآراء ﴿شَكُورٖ﴾[1] لهذه النعمة العظمى التي هي جعل القرى الظاهرة بينهم وبين القرى التي بارك الله سبحانه فيها وأنزل منها بركاته على جميع الورى.

والحاصل إن أولئك الحملة والنقلة مستورون في أكثر الأزمنة موجودون في بعض الأمكنة قال الشاعر ونعم ما قال شعر:

لله تحت قباب الأرض طائفة ... أخفاهم عن عيون الناس إجلالًا
هم السلاطين في أطمار مسكنة ... جروا على الفلك الدوار أذيالًا
هذي المكارم لا ثوبان من عدن ... خيطا قميصا فعادا بعد أسمالا
هذي المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

---

(١) سبأ ١٩.

وأنا في جميع ما مضى من عمري ما رأيت إلّا واحدًا منهم أو اثنين، ووجه تسمية هؤلاء بالأركان والأوتاد معلوم، لأنهم أركان بيوت العلم والحكمة الإلهية، وأوتاد أرض المعرفة النورانية، فهم كالجبال لا تحركهم العواصف، وأما وجه تسميتهم بالأبدال فلأن الله سبحانه لا يخلي أرضه منهم، فإذا أراد أن يخرج أحدهم من دار البلية والاختبار وينقله منها إلى دار القرار، أخذ بناصية أحد من النقباء المستعد لقبول تلك الأسرار، ويوصله إلى خدمة أحد من الأبدال، فيزرع في صدره علمه، ويودع في قلبه سره،ويلقي في فؤاده ضياء معرفته وأنوار حكمته، فيصير بعد الزرع والإيداع والإلقاء مثله أي بدله، إما بدل الكل من الكل، أو بدل البعض من الكل، أو بدل الاشتمال، على ما هو عليه من الاستعداد والاحتمال، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام في حديث كميل بن زياد النخعي قال: كُنْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وقَدْ صَليْنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَأَخَذَ بِيَدِي حَتى خَرَجْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ فَمَشَى حَتى خَرَجَ إِلَى ظَهْرِ الْكُوفَةِ لَا يُكَلمُنِي بِكَلِمَةٍ فَلَما أَصْحَرَ تَنَفسَ الصعداء ثُم قَالَ: (يَا كُمَيْلُ إِن هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا احْفَظْ عَني مَا أَقُولُ لك الناسُ ثَلَاثَةٌ عَالِمٌ رَبانِيٌ ومُتَعَلمٌ عَلَى سَبِيلِ النَجَاة وهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُل نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُل رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ والْمَالُ تَنْقُصُهُ النفَقَةُ والْعِلْمُ يَزْكُوعَلَى الْإِنْفَاقِ، يَا كُمَيْلُ الْعلم دين يُدَانَ اللهُ بِهِ يكسب الإنسان الطاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وفاته، يَا كُمَيْلُ مَاتَ خُزانُ الْأَمْوَالِ، والْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ، آهْ آهْ إِن هَاهُنَا

وأَشَارَ ﵇ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَعِلْمًا جَمًا لَوأَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً بَلَى أُصِيبُ لَهُ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدينِ فِي الدنْيَا ـ ويَسْتَظْهِرُ بِحُجَجِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وبِنِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ أَو مُنْقَادًا للحق لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ ينقدح الشك فِي قَلْبِهِ بِأَولِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ أَلَا لَا ذَا ولَا ذَاكَ، أومنهوما باللذاتِ سَلِسُ الْقِيَادِ لِلشهواتِ أَومُغْرًى بِالْجَمْعِ والِادخَارِ، لَيْسَ مِنْ رُعَاةِ الدينِ في شيء أَقْرَبُ شَبَهًا بِهَؤُلَاءِ الْأَنْعَامُ السائِمَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللهُم بَلَى لَا تُخْلِي الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لله بِحُجةٍ إما ظَاهِرٍ مَشْهورٍ أَوخائف مَغْمُورٍ لِئَلا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبينَاتُهُ وأين أولئك، أُولَئِكَ والله الْأَقَلونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ خَطَرًا بِهِمْ يَحْفَظُ اللهُ حُجَجَهُ وبيناته حَتى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ وبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، واسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وصَحِبُوا الدنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلقَةٌ بِالْمَحَل الْأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ والدعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ ثُم نَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي وقَالَ انْصَرِفْ إِذَا شِئْتَ) انتهى.

توضيح

(فلما أصحر): أي خرج إلى الصحراء.

(تنفس الصعداء): بضم الصاد وفتح العين المهملتين، المدفوع من النفس، أصعده المتلهف الحزين، وانتصابه على المفعول المطلق النوعي نحو رجعت القهقرى.

(هذه القلوب أوعية): الوعاء بكسر أوله الظرف، ووعى الشيء يعيه حفظه وجمعه.

(فخيرها أوعاها): أي أحفظها للعلم وأجمعها.

(عالم رباني): منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون على خلاف القياس كالرقباني، قال في الصحاح الرباني المتأله العارف بالله، وفي الكشاف عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[1] قال الرباني هو شديد التمسك بدين الله وطاعته، وفي مجمع البيان الرباني هو الذي يرب أمر ناس بتدبيره له وإصلاحه إياه.

(ومتعلم على سبيل النجاة): أي على طريقها بأن يكون قصده من التعلم حصول النجاة الأخروية والفوز بالسعادات الأبدية الباقية، لا الحظوظ الدنيوية الفانية كأكثر أهل زماننا.

(وهمج رعاع): الهمج جمع همجة وهو ذباب صغير يسقط على وجوه الحيوانات وأعينها، استعار عليه السلام هذا اللفظ للجهلة تصغيرًا لهم، والرعاع بالمهملات وفتح أوله العوام والسفلة.

(أتباع كل ناعق): النعيق صوت الراعي لغنمه، ويقال نعق الغراب أيضًا، والمراد أنهم لعدم ثباتهم على عقيدة من العقائد، وتزلزلهم في أمر الدين يتبعون كل راع، ويعتقدون كل مدع، ويخبطون خبط العشواء من غير تمييز بين محقق ومبطل وبين حق وباطل.

(والعلم يزكو على الإنفاق): أي ينمو ويزيد به، وكلمة (على) يجوز أن يكون بمعنى مع كما قالوه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾[2] وأن يكون للسببية والتعليل كما قالوه في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾[3].

(١) آل عمران ٧٩.
(٢) الرعد ٦.
(٣) البقرة ١٨٥.

(العلم دين يدان الله به): أي طاعة يطاع الله بها، والتنوين للتعظيم.

(يكسب الإنسان الطاعة): بضم حرف المضارعة من أكسب، والمراد منه يكسب الإنسان طاعة الله تعالى، أو يكسب طاعة العباد له.

(وجميل الأحدوثة): أي الكلام الجميل والثناء، والأحدوثة مفرد الأحاديث.

(وأمثالهم في القلوب موجودة): الأمثال جمع مثل بالتحريك، وهو في الأصل بمعنى النظير ثم استعمل في القول السائر الممثل مضروبة بمورده، ثم في الكلام الذي له شأن وغرابة، وهذا هو المراد هنا في الظاهر، يعني أن حكمهم ومواعظهم محفوظة عند أهلها يعملون بها ويهتدون بمنارها، ويجوز في الباطن إرادة معناه في الأصل، لأن علم الشخص وحكمه ومواعظه وأعماله وأقواله وجميع ما عنه ومنه كلها أشباهه وأمثاله، تحكي عن ذلك الشخص كما تحكي صورته في المرآة، ولهذا سمي كل شخص قرية وأمة فافهم.

(لعلمًا جمًا) أي كثيرًا.

(لو أصبت له حملة) بالفتحات جمع حامل، أي من يكون أهلًا له، وجواب (لو) محذوف أي لبذلته لهم.

(بلى أصيب له لقنًا) بفتح اللام وكسر القاف أي فهما من اللقانة أي حسن الفهم.

(يستعمل آلة الدين في الدنيا): أي يجعل العلم الذي هو آلة ووصلة إلى الفوز بالسعادات الباقية آلة ووسيلة إلى تحصيل الحظوظ الفانية الدنيوية، كالمال والجاه وميل الخلائق إليه وإقبالهم عليه.

(ويستظهر بحجج الله على خلقه): أي يطلب الغلبة عليهم بما عرفه سبحانه من الحجج.

(لا بصيرة له في أحنائه): بفتح الهمزة وبعدها حاء مهملة ثم نون، أي جوانبه، أي ليس له غور وتعمق فيه، وفي بعض النسخ (في أحيائه) بالياء المثناة من تحت أي ترويجه وتقويته.

(ألا لا ذا ولا ذاك): أي ليس المنقاد العديم البصيرة أهلا لتحمل العلم ولا اللقن الغير المأمون، وهذا الكلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه.

(أو منهومًا باللذات): أي حريصًا عليها منهمكًا فيها، والمنهوم في الأصل هو الذي لا يشبع من الطعام.

(سلس القياد): أي سهل الانقياد من غير توقف.

(أو مغرى بالجمع والادخار): أي شديد الحرص على جمع المال وادخاره، كأن أحدا يغريه بذلك ويبعثه عليه.

(ليسا من رعاة الدين في شيء): الرعاة بضم أوله جمع راع بمعنى الوالي، أي ليس المنهوم والمغرى المذكوران من ولاة الدين في أمر من الأمور، أي ليس لهما لياقة ذلك بوجه، وفيه إشعار بأن العالم الحقيقي والي على الدين وقيم عليه.

وقد قسم عليه السلام الذين ليس لهم أهلية تحمل العلم على أربعه أقسام.

أولها: جماعة فسقة لم يريدوا بالعلم وجه الله سبحانه، بل إنما أرادوا به الرياء والسمعة وجعلوه شبلة لاقتناص اللذات الدنية والمشتهيات الدنيوية، ولجذب قلوب العوام كالأنعام السائمة.

وثانيها: قوم من أهل الصلاح ولكن ليس له بصيره في الوصول إلى أغواره والوقوف على أسراره، بل إنما يصلون إلى ظواهره فينقدح الشكوك في قلوبهم من أول شبهه تعرض لهم.

وثالثها: جماعة لا يتوصلون بالعلم إلى المطالب الدنيوية ولا هم عادمون للبصيرة في أحنائه بالكلية، ولكنهم أسراء في أيدي القوى البهيمية منهمكون في الملاذ الواهية الوهمية.

ورابعها: طائفة سلموا من تلك الصفات الذميمة لكنهم لم يخلصوا من صفة خسيسة مهلكة أخرى وهي حب المال وادخاره وجمعه وإكثاره.

وبالجملة فلا بد لطالب العلم الحقيقي من تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق وذمائم الأوصاف، وتنقية القلب عن الأغراض الفاسدة والأمراض المهلكة، إذ العلم عبادة القلب وصلاته، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلّا بتطهير الظاهر من الأحداث والأخباث، كذلك لا تصح عبادة القلب وصلاته إلّا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف وأرجاس الأغراب والأمراض.

قوله عليه السلام: (كذلك يموت العلم بموت حامليه) يعني مثل ما عدم من يصلح لتحمل العلوم الحقيقية والمعارف الإلهية، تعدم تلك العلوم والمعارف أيضًاوتندرس آثارها بموت العلماء العارفين، لأنهم لا يجدون من يليق لتحملها بعدهم، ولما كانت سلسلة العلم والعرفان لا تنقطع بالكلية ما دام بقاء نوع الإنسان، بل لا بد من حجة لله على خلقه في كل زمان على ما تقتضيه قواعد الحكمة وضوابط العدالة، ليكون حافظا لدينه مروجا لشريعته استدرك عليه السلام كلامه هذا بقوله:

(اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور) كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته الظاهرة المتفق عليها بين أهل الإسلام، (أو خائف مغمور) أي مستترًا غير متظاهر بالدعوة إلّا للخواص كما كان من حاله عليه السلام في أيام خلافة من تقدم عليه، وكما كان من حال الأئمة من ولده عليهم السلام، وكما هو في هذا الزمان من حال مولانا وإمامنا الحجة المنتظر محمد بن الحسن المهدي سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، هذا إذا أريد بالحجة حجة الله على جميع الخلق، وأما إذا أريد بالحجة الحجة عن الحجة من الله على الخلق أجمعين، فكما كان من حال الأنبياء المشهورين أو الخائفين المغمورين، وكما كان من حال الأركان والأبدال من الأولين والآخرين من لدن آدم عليه السلام إلى يوم الدين، ظهروا تارة وغمروا أخرى خوفا، لا يعرفهم عوام الناس ولا ينكرهم الخواص.

(لئلا تبطل حجج الله وبيناته): أي ليكون في الأرض من يعرف حججه وبيناته، ويحتج بها على غيره من الخلق قَبِلَها ذلك الغير أو لم يقبلها ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة.

(وأين أولئك، أولئك والله الأقلون عددًا الأعظمون خطرًا) هذا الذي أشرت إليه سابقًا من قلة عدد هؤلاء وعظمة شأنهم وقدرهم، بهم يحفظ الله حججه وبيناته فيعرفونها ويحتجون بها على غيرهم، لئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والأنبياء والأوصياء والأولياء.

(حتى يودعوها نظراءهم): أي أمثالهم وأبدالهم.

(ويزرعوها في قلوب أشباههم): أي حتى يزرع إمام زمان سابق في قلب إمام زمان لاحق مثله، أو يزرع نبي عصر في قلب نبي آخر

شبهه، أو يزرع الأبدال في قلوب النقباء المستعدين الذين كانوا بعد الزرع والإيداع والإلقاء أمثالهم وأبدالهم كما أشرنا إليه سابقًا.

(هجم بهم العلم على حقائق الأمور وباشروا روح اليقين): شرع عليه السلام في وصفه حجج الله في أرضه والحافظين لدينه، أي أطلعهم العلم اللدني الكشفي الزرعي على حقائق الأشياء فرأوها بعين اليقين على ما هي عليه في نفس الأمر محسوساتها ومعقولاتها، وانكشفت لهم حجبها وأستارها فعرفوها بحق اليقين من غير وصمة ريب أو شائبة شك، فاطمأنت لها قلوبهم واستراحت بها أرواحهم، وهذه هي الحكمة الإلهية التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

(والرَوح): بالفتح الراحة.

(واستلانوا ما استوعره المترفون): الوعر من الأرض ضد السهل، والمترف المتنعم من التُرفة بالضم وهي النعمة، أي استسهلوا ما استصعبه المتنعمون من رفض الشهوات البدنية وقطع التعلقات الدنيوية، وملازمة الصمت والسهر والجوع، واختيار العزلة والغربة، والاحتراز من صرف ساعة من العمر فيما لا يوجب زيادة القرب منه تعالى شأنه وأمثال ذلك، وقس على هذه الفقرة نظيرتها.

(وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى): أي نفضوا عن أذيال قلوبهم غبار التعلق بهذه الخربة الموحشة الدنية، وتوجهت أرواحهم إلى مشاهدة عالم القدس وجمال آية الربوبية، فهم مصاحبون بأبدانهم وأشباحهم لأهل الدنيا، وبأرواحهم للملأ الأعلى من المقربين وحسن أولئك رفيقًا.

(أولئك خلفاء الله في أرضه): تعريف المسند إليه بالإشارة، للدلالة على أنه حقيق بما أسند إليه بعدها بسبب اتصافه بالأوصاف

المذكورة قبلها كما قالوه في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(١).

(آه آه شوقا إلى رؤيتهم): لا ريب في شدة شوقه عليه السلام إليهم لأنهم أبناء جنسه أو محل زرعه وحملة علمه وحفظة سره صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

الوجه الثالث: أن يكون مراده عليه السلام بمعرفة الأركان والنقباء والنجباء معرفة من يسمى بهذه الأسماء عموما لا خصوص رجال من هذه الأمة، فعلى هذا فالمراد بالأركان حقيقة وبالأصالة هم الأنبياء عليهم السلام غير كبارهم وهم الذين وصلوا إلى مقام ظاهر الإمامة، ومجازًا وبالتبعية هم أركان هذه الأمة وهم الأبدال والأوتاد.

والمراد بالنقباء والنجباء على هذا الوجه جميع نقباء الأولين والآخرين، ونجباء السابقين واللاحقين، من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، فالقرى الظاهرة بالأصالة هم الأنبياء عليهم السلام، وبالتبعية هم الحملة والنقلة من هذه الأمة ومن تلك الأمم أيضا، والمراد بالقرى المباركة على هذا الوجه بالأصالة هم أئمة هذه الأمة من المعصومين عليهم السلام، وبالتبعية هم أئمة الأمم السابقة من أهل العصمة عليهم السلام.

وعلى الوجهين الأخيرين مقام الأركان خامس مقاماتهم عليهم السلام في الباطن على حد قوله عليه السلام: (أنا تكلمت على لسان عيسى في المهد)، هذا على تأويل القرى المباركة بمقام الإمام، وأما على تأويلها بالمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، فالمراد بالقرى الظاهرة

(١) البقرة ٥.

بالأصالة هم الأئمة عليهم السلام والأنبياء داخلون فيها بالتبعية، وغيرهم من الشيعة داخلون فيها بتبعية الأنبياء عليهم السلام فافهم.

الباب السادس
في بيان معرفة النقباء

وهو المقام السادس من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام ظاهر القرى الظاهرة، وهو مقام ظاهر ظاهر الظاهر، وهو مقام أهل اليقين وباطن المعرفة.

اعلم يا أخي ثبتك الله وهداك إلى صراط مستقيم أن النقباء كثرهم الله لتشفى صدور العارفين بالله العلي العظيم هم ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[١] وما غيروا خلقتهم وفطرتهم تغييرًا، فأخرجهم الله سبحانه بحقيقة ما هم أهله من طرق الضلالة وحيرة الجهالة إلى سبيل الهداية، الذي هو التحقق والتثبت في العلم، وأخرجهم من ظلمات الشك والريب وكدورات الإنكار إلى نور اليقين وفضاء ميناء المعرفة، ولكن لم يمصوا بعد مخ العلم ولب اليقين، وما وصلوا إلى حقيقة المعرفة ولم يدخلوا في ضيائها، لم يدخلوها وهم يطمعون، فهم علماء فقهاء حكماء عرفاء على حسب مقامهم هذا، ولهم صدور مشروحة للعلم، وقلوب سليمة مستنيرة بنور اليقين، وأفئدة مستعدة لقبول ضياء المعرفة النورانية الحقيقية، وقد أشرنا في الباب السابق أن صدور النقباء مزرعة للأبدال، وقلوبهم مودعة للأوتاد، وأفئدتهم مطرحة لضياء المعرفة

---

(١) الأحزاب ٢٣.

النورانية بتعريف الأركان عن الإمام ﵇، فصدورهم أرض الجرز لقبول ماء العلم، وقلوبهم بلدة طيبة مستعدة لزرع شجرة نور اليقين والطمأنينة، وأفئدتهم زيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ضياء المعرفة الإلهية، فلم ترد عليها فضيلة من فضائل أهل العصمة ﵈ إلّا قبلوها بلا توقف، ولم يصل إليهم حديثًا صعب مستصعب عنهم ﵈ إلّا احتملوها بلا تكلف، ولم ينكشف لهم سر من أسرار آل محمد ﷺ إلّا أخذوه بدون الإنكار، وحفظوه في الأسرار، ووضعوه في الأستار وكتموه عن الأغيار، وخافوا من الإفشاء والإظهار، كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا.

والحاصل أن هؤلاء قوم لهم أخلاق حميدة وخصال كريمة وقلوب سليمة، لا يحبون العاجلة ولا يريدون إلّا المعرفة، ولا يطلبون إلّا سبل السلام، وغاية آمالهم ظهور الإمام، والوصول إلى خدمته ﵇ قال الله سبحانه في مدحهم ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾(١) وقال تعالى شأنه في شأنهم ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢) وهم من الذين إذا مروا باللغو مروا كرامًا، و﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي خوفًا من أعدائهم، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾(٣)، وهم من الذين: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(٤)، وهم من الذين قال الله سبحانه في شأنهم: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى

(١) مريم ٥٨.
(٢) الأنفال ٢.
(٣) الفرقان ٦٣.
(٤) الفرقان ٦٧.

كَثِيرًاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[١]، وهم من: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]، ونحن نذكر بعض الأخبار التي وردت في وصفهم ليعرفهم بها من أراد معرفتهم.

ففي الكافي في باب المؤمن وعلاماته وصفاته عن عبد الله بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قَامَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ هَمامٌ وكَانَ عَابِدًا نَاسِكًا مُجْتَهِدًا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين عليه السلام وهو يَخْطُبُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا صِفَةَ الْمُؤْمِنِ كَأَننَا نَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا هَمامُ الْمُؤْمِنُ هو الْكَيسُ الْفَطِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ أَوْسَعُ شيء صَدْرًا وأَذَل شيء نَفْسًا زَاجِرٌ عَنْ كُل فَانٍ حَاض عَلَى كُل حَسَنٍ لَا حَقُودٌ ولَا حَسُودٌ ولَا وَثابٌ ولَا سَبابٌ ولَا عَيابٌ ولَا مُغْتَابٌ يَكْرَهُ الرفْعَةَ ويَشْنَأُ السمْعَة طَوِيلُ الْغَم بَعِيدُ الْهَم كَثِيرُ الصمْتِ وَقُورٌ ذَكُورٌ صَبُورٌ شَكُورٌ مَغْمُومٌ بِفِكْرِهِ مَسْرُورٌ بِفَقْرِهِ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَينُ الْعَرِيكَةِ رَصِينُ الْوَفَاءِ قَلِيلُ الْأَذَى لَا مُتَأَفكٌ ولَا مُتَهَتكٌ إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَخْرَقْ وإِنْ غَضِبَ لَمْ يَنْزَقْ ضِحْكُهُ تَبسمٌ واسْتِفْهَامُهُ تَعلمٌ ومُرَاجَعَتُهُ تَفَهمٌ كَثِيرٌ عِلْمُهُ عَظِيمٌ حِلْمُهُ كَثِيرُ الرحْمَةِ لَا يَبْخَلُ ولَا يَعْجَلُ ولَا يَضْجَرُ ولَا يَبْطَرُ ولَا يَحِيفُ فِي حُكْمِهِ ولَا يَجُورُ فِي عِلْمِهِ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصلْدِ ومُكَادَحَتُهُ أَحْلَى مِنَ الشهْدِ لَا جَشِعٌ ولَا هَلِعٌ ولَا عَنِفٌ ولَا صَلِفٌ ولَا مُتَكَلفٌ ولَا مُتَعَمقٌ جَمِيلُ الْمُنَازَعَةِ كَرِيمُ الْمُرَاجَعَةِ عَدْلٌ إِنْ غَضِبَ رَفِيقٌ إِنْ طَلَبَ لَا يَتَهَورُ ولَا يَتَهَتكُ ولَا يَتَجبرُ خَالِصُ الْوُد وَثِيقُ الْعَهْدِ وَفِي الْعَقْدِ شَفِيقٌ وَصُولٌ

(١) آل عمران ١٨٦.

(٢) آل عمران ١٩١.

حَلِيمٌ خمُولٌ قَلِيلُ الْفُضُولِ رَاضٍ عَنِ اللهِ عَز وجَل مُخَالِفٌ لِهواهُ لَا يَغْلُظُ عَلَى مَنْ دُونَهُ ولَا يَخُوضُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ نَاصِرٌ لِلدينِ مُحَام عَنِ الْمُؤْمِنِينَ كَهْفٌ لِلْمُسْلِمِينَ لَا يَخرِقُ الثنَاءُ سَمْعَهُ ولَا يَنْكِي الطمَعُ قَلْبَهُ ولَا يَصْرِفُ اللعِبُ حُكْمَهُ ولَا يُطْلِعُ الْجَاهِلَ عِلْمَهُ قَوالٌ عَمالٌ عَالِمٌ حَازِمٌ لَا بِفَحاشٍ ولَا بِطَياشٍ وَصُولٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ بَذُولٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ لَا بِخَتالٍ ولَا بِغَدارٍ ولَا يَقْتَفِي أَثَرًا ولَا يَحِيفُ بَشَرًا رَفِيقٌ بِالْخَلْقِ سَاعٍ فِي الْأَرْضِ عَوْنٌ لِلضعِيفِ غَوْثٌ لِلْمَلْهوفِ لَا يَهْتِكُ سِتْرًا ولَا يَكْشِفُ سِرًا كَثِيرُ الْبَلْوَى قَلِيلُ الشكْوَى إِنْ رَأَى خَيْرًا ذَكَرَهُ وإِنْ عَايَنَ شَرًا سَتَرَهُ يَسْتُرُ الْعَيْبَ ويَحْفَظُ الْغَيْبَ ويُقِيلُ الْعَثْرَةَ ويَغْفِرُ الزلةَ لَا يَطلِعُ عَلَى نُصْحٍ فَيَذَرَهُ ولَا يَدَعُ جِنْحَ حَيْفٍ فَيُصْلِحَهُ أَمِينٌ رَصِينٌ تَقِي نَقِي زَكِي رَضِيٌّ يَقْبَلُ الْعُذْرَ ويُجْمِلُ الذكْرَ ويُحْسِنُ بِالناسِ الظن ويَتهِمُ عَلَى الْعَيْبِ نَفْسَهُ يُحِب فِي اللهِ بِفِقْهٍ وعِلْم ويَقْطَعُ فِي اللهِ بِحَزْمٍ وعَزْم لَا يَخْرَقُ بِهِ فَرَحٌ ولَا يَطِيشُ بِهِ مَرَحٌ مُذَكرٌ لِلْعَالِمِ مُعَلمٌ لِلْجَاهِلِ لَا يُتَوقعُ لَهُ بَائِقَةٌ ولَا يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ كُل سَعْيٍ أَخْلَصُ عِنْدَهُ مِنْ سَعْيِهِ وكُل نَفْسٍ أَصْلَحُ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ عَالِمٌ بِعَيْبِهِ شَاغِلٌ بِغَمهِ لَا يَثِقُ بِغَيْرِ ربهِ غَرِيبٌ وَحِيدٌ حَزِينٌ يُحِب فِي اللهِ ويُجَاهِدُ فِي اللهِ لِيَتبعَ رِضَاهُ ولَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ ولَا يُوَالِي فِي سَخَطِ رَبهِ مُجَالِسٌ لِأَهْلِ الْفَقْرِ مُصَادِقٌ لِأَهْلِ الصدْقِ مُؤَازِرٌ لِأَهْلِ الْحَق عَوْنٌ لِلْقَرِيبِ أَبٌ لِلْيَتِيم بَعْلٌ لِلْأَرْمَلَةِ حَفِي بِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ مَرْجُو لِكُل كَرِيهَةٍ مَأْمُولٌ لِكُل شِدةٍ هَشاشٌ بَشاشٌ لَا بِعَباسٍ ولَا بِجَساسٍ صَلِيبٌ كَظامٌ بَسامٌ دَقِيقُ النظَرِ عَظِيمُ الْحَذَرِ لَا يَجْهَلُ [وإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلُمْ]، لَا يَبْخَلُ وإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ عَقَلَ فَاسْتَحْيَا وقَنِعَ فَاسْتَغْنَى حَيَاؤُهُ يَعْلُو شَهوتَهُ ووُدهُ يَعْلُو حَسَدَهُ وعَفْوُهُ يَعْلُو حِقْدَهُ لَا يَنْطِقُ بِغَيْرِ صَوَابٍ ولَا يَلْبَسُ إِلا الِاقْتِصَادَ مَشْيُهُ التوَاضُعُ خَاضِعٌ لِربهِ بِطَاعَتِهِ رَاضٍ عَنْهُ فِي كُل

حَالاتِهِ نِيتُهُ خَالِصَةٌ أَعْمَالُهُ لَيْسَ فِيهَا غِش ولَا خَدِيعَةٌ نَظَرُهُ عِبْرَةٌ سُكُوتُهُ فِكْرَةٌ وكَلَامُهُ حِكْمَةٌ مُنَاصِحًا مُتَبَاذِلًا مُتَوَاخِيًا نَاصِحٌ فِي السر والْعَلَانِيَةِ لَا يَهْجُرُ أَخَاهُ ولَا يَغْتَابُهُ ولَا يَمْكُرُ بِهِ ولَا يَأْسَفُ عَلَى مَا فَاتَهُ ولَا يَحْزَنُ عَلَى مَا أَصَابَهُ ولَا يَرْجُو مَا لَا يَجُوزُ لَهُ الرجَاءُ ولَا يَفْشَلُ فِي الشدةِ ولَا يَبْطَرُ فِي الرخَاءِ يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ والْعَقْلَ بِالصبْرِ تَرَاهُ بَعِيدًا كَسَلُهُ دَائِمًا نَشَاطُهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلَله مُتَوَقعًا لِأَجَلِهِ خَاشِعًا قَلْبُهُ ذَاكِرًا رَبهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْفِيًا جَهْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَزِينًا لِذَنْبِهِ مَيتَةً شَهوتُهُ كَظُومًا غَيْظَهُ صَافِيًا خُلُقُهُ آمِنًا مِنْهُ جَارُهُ ضَعِيفًا كِبْرُهُ قَانِعًا بِالذِي قُدرَ لَهُ مَتِينًا صَبْرُهُ مُحْكَمًا أَمْرُهُ كَثِيرًا ذِكْرُهُ يُخَالِطُ الناسَ لِيَعْلَمَ ويَصْمُتُ لِيَسْلَمَ ويَسْأَلُ لِيَفْهَمَ ويَتجِرُ لِيَغْنَمَ لَا يُنْصِتُ لِلْخَبَرِ لِيَفْجُرَ بِهِ ولَا يَتَكَلمُ لِيَتَجَبرَ بِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ والناسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ فَأَرَاحَ الناسَ مِنْ نَفْسِهِ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتى يَكُونَ اللهُ الذِي يَنْتَصِرُ لَهُ بُعْدُهُ مِمنْ تَبَاعَدَ مِنْهُ بُغْضٌ وَنَزَاهَةٌ ودُنُوهُ مِمنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ ورَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ تَكَبرًا ولَا عَظَمَةً ولَا دُنُوهُ خَدِيعَةً ولَا خِلَابَةً بَلْ يَقْتَدِي بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ فَهو إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْبِر.

قَالَ: فَصَاحَ هَمامٌ صَيْحَةً ثُم وَقَعَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَا واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ وقَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوْعِظَةُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ إِن لِكُل أَجَلًا لن يَعْدُوهُ وسَبَبًا لَا يُجَاوِزُهُ فَمَهْلًا لَا تُعِدْ فَإِنمَا نَفَثَ عَلَى لِسَانِكَ شَيْطَانٌ)(١).

والحاصل أن القوم أهل فراسة وفطانة وأهل صدق وأمانة، نظرهم

---

(١) الكافي ج٢؛ ص٢٢٦.

عبرة، وكلامهم حكمة، وسكوتهم فكرة، ومشيهم بين الناس لهم بركة، يتدبرون الأمور فيختارون أزينه، ويستمعون القول فيتبعون أحسنه.

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال لبعض تلامذته يَوْمًا: (أَي شيء تَعَلمْتَ مِني.

فقَالَ [لَهُ: يَا مَوْلَايَ] ثَمانَ مَسَائِلَ.

قَالَ عليه السلام: قُصهَا عَلَي لِأَعْرِفَهَا.

قَالَ الْأُولَى: رَأَيْتُ كُل مَحْبُوبٍ يُفَارِقُ مَحْبُوبَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ فَصرَفْتُ هَمي إِلَى مَا لَا يُفَارِقُنِي بَلْ يُؤْنِسُنِي فِي وَحْدَتِي وهو فِعْلُ الْخَيْرِ. وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا﴾.

قَالَ أَحْسَنْتَ [واللهِ]، الثانِيَةُ.

قال: [قَدْ] رَأَيْتُ قَوْمًا يَفْخَرُونَ بِالْحَسَبِ وآخَرِينَ بِالْمَالِ والْوَلَدِ وإِذَا ذَلِكَ لَا فَخْرَ فِيهِ ورَأَيْتُ الْفَخْرَ الْعَظِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ـ إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ فَاجْتَهَدْتُ أَنْ أَكُونَ عِنْدَ اللهِ كَرِيمًا.

قَالَ: أَحْسَنْتَ [واللهِ]، الثالِثَةُ.

قَالَ: رَأَيْتُ الناسَ فِي لَهوهِمْ وطَرَبِهِمْ وسَمِعْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ فَاجْتَهَدْتُ فِي صَرْفِ الْهوى عَنْ نَفْسِي حَتى استقرت في مرضاة اللهِ تَعَالَى.

قَالَ: أَحْسَنْتَ [واللهِ]، الرابِعَةُ.

قَالَ: رَأَيْتُ كُل مَنْ وَجَدَ شَيْئًا يُكرَمُ عِنْدَهُ اجْتَهَدَ فِي حِفْظِهِ وسَمِعْتُ قول الله عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ فَأَحْبَبْتُ الْمُضَاعَفَةَ ولَمْ يكن شيء أَحْفَظَ مِما يَكُونُ عِنْدَهُ فَكُلمَا

وَجَدْتُ [شَيْئًا] ما يُكْرَمُ عِنْدَي فوَجهْتُ بِهِ إِلَيْهِ [لِيَكُونَ لِي ذُخْرًا إِلَى وَقْتِ حَاجَتِي].

قَالَ: أَحْسَنْتَ [واللهِ]، الْخَامِسَةُ.

قَالَ: رَأَيْتُ حَسَدَ الناسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وسَمِعْتُ قَوْلَهُ تعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ﴾ فَلَما عَرَفْتُ أَن رَحْمَةَ اللهِ خَيْرُ مما يَجْمَعُونَ مَا حَسَدْتُ أَحَدًا ولَا أَسِفْتُ عَلَى مَا فَاتَنِي.

قَالَ: أَحْسَنْتَ [واللهِ]، السادِسَةُ.

قَالَ: رَأَيْتُ عَدَاوَةَ الناسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فِي دَارِ الدنْيَا والحسرة [والْحَزَازَاتِ] التِي فِي صُدُورِهِمْ وسَمِعْتُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ فَاشْتَغَلْتُ بِعَدَاوَةِ الشيْطَانِ عَنْ [عَدَاوَةِ] غَيْرِهِ.

قَالَ: أَحْسَنْتَ [واللهِ]، السابِعَةُ.

قَالَ: رَأَيْتُ كَدْحَ الناسِ واجْتِهَادَهُمْ فِي طَلَبِ الرزْقِ وسَمِعْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ فَعَلِمْتُ أَن وَعْدَهُ حق وقَوْلَهُ تَعَالَى صِدْقٌ فَسَكَنْتُ إِلَى وَعْدِهِ ورَضِيتُ بِقَوْلِهِ واشْتَغَلْتُ بِمَا لَهُ عَلَي عَما لِي عليه [عِنْدَهُ].

قَالَ: أَحْسَنْتَ واللهِ، الثامِنَةُ.

قَالَ: رَأَيْتُ قَوْمًا يَتكِلُونَ عَلَى صِحةِ أَبْدَانِهِمْ وقَوْمًا عَلَى كَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ وقَوْمًا عَلَى خَلْقٍ أمثالهم وسَمِعْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ

بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ فَاتكَلْتُ عليه وزَالَ اتكَالِي على غَيْرِهِ.

قَالَ لَهُ: واللهِ إِن التوْرَاةَ والْإِنْجِيلَ والزبُورَ والْفُرْقَانَ وسَائِرَ الْكُتُبِ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ الثمان [الْمَسَائِل][1].

الباب السابع
في بيان معرفة النجباء

وهو المقام السابع من مقاماتهم عليهم السلام، وهو مقام أهل التسليم وظاهر المعرفة.

اعلم أن النجباء من الخلق كما عرفت سابقًا هم المؤمنون من أهل التسليم، أي الذين لا يرِدُ عليهم شيء من الله ورسوله والأئمة عليهم السلام إلّا أخذوه من باب التسليم، وإن لم يفهموا المراد ولم يصلوا إلى حقيقة معناه، ومن لم يكن من أهل التسليم فليس بمؤمن، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[2] ومن لم يكن مؤمنًا مسلما فليس بنجيب، كما أشار إليه مولانا الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[3] قال عليه السلام: (أَتَدْرِي مَنْ هُمْ قيل أَنْتَ أَعْلَمُ قَالَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسَلمُونَ إِن الْمُسَلِمِينَ هُمُ النجبَاء).

فالنجابة لا تكون إلّا في أهل الإيمان، والإيمان لا يكون إلّا في أهل التسليم.

---

(١) إرشاد القلوب؛ ج١؛ ص١٨٧.

(٢) النساء ٦٥.

(٣) المؤمنون ١.

وهنا سر لا بأس بالتنبيه عليه، وهو أن الإمام عليه السلام جعل رتبة النجباء في آخر المراتب السبعة نزولًا وفي أولها صعودًا، فقال في حديث جابر: (المعرفة إثبات التوحيد أولًا، ثم معرفة المعاني ثانيًا، ثم معرفة الأبواب ثالثًا، ثم معرفة الإمام رابعًا، ثم معرفة الأركان خامسًا، ثم معرفة النقباء سادسًا، ثم معرفة النجباء سابعًا) فجعل النجابة في المرتبة السابعة.

هذا وفي الحديث عنهم عليهم السلام أن ابن الزنا لا ينجب إلى سبعة أبطن[1]، فدل هذا بمفهومه أنه بعد سبعة أبطن ينجب، ومعنى نجابته بعد سبعة أبطن أنه يلحق بالمؤمنين النجباء، فيدخل في جنتهم، وقبل سبعة أبطن لم يكن من المؤمنين النجباء، فيدخل حضائر الجنان إن كان صالحًا له عمل صالح، والسر في خصوص عدد المراتب أن ابن الزنا لما نكح بالحلال كان في ابنه من النور الوجودي التشريعي سُبُعْ، ظهر فيه عند ظهور العقل التكليفي عليه، وهذا الابن إذا نكح بالحلال ظهر في ابنه سبعان من ذلك النور، سُبُعْ عند ظهور عقله، وسُبُعْ عند ولوج روحه فيه.

وإذا نكح هذا الابن بالحلال ظهر في ابنه ذلك النور ثلاثة أسباع، عند عقله وعند روحه وعند اكتساء عظامه لحما.

وإذا نكح هذا الابن حلالًا، ظهر في ابنه من ذلك النور أربعة أسباع، في عقله وروحه ولحمه وعظامه.

---

(١) الوارد في الرواية أن ولد الزنا لا يطهر إلى سبعة آباء ومنها قول الإمام الصادق عليه السلام: (لا تغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمام فإن فيها غسالة ولد الزنا وهو لا يطهر إلى سبعة آباء) الكافي ج٣ ص١٤، باب ماء الحمام.

وإذا نكح هذا الابن حلالًا ظهر في ابنه من ذلك النور خمسة أسباع، في عقله وروحه ولحمه وعظامه ومضغته.

وإذا نكح هذا الابن حلالًا ظهر في ابنه من ذلك النور ستة أسباع، في عقله وروحه ولحمه وعظامه ومضغته وعلقته.

وإذا نكح هذا الابن حلالًا ظهر في ابنه من ذلك النور بتمام السبعة الأجزاء، في عقله وروحه ولحمه وعظامه ومضغته وعلقته ونطفته، فينجب هذا الابن فيلحق بالمؤمنين النجباء في مراتبهم في الجنان، لاستكمال النور الوجودي التشريعي فيه.

وإنما كانت الأجزاء سبعة لأن متعلق النور الوجودي التشريعي الذي فيه سبع مراتب هي مطارح أشعة نفوس السموات السبع على نظائرها، كل أصل على فرعه من تلك المطارح، ولهذا كان الشخص إذا قارف سيئة انتظر سبع ساعات، فإن تاب لم تكتب عليه لعدم استقرارها في مياسر تلك المطارح، وإن مضت سبع ساعات ولم يتب استقرت في تلك المياسر فكتبت عليه سيئة.

وقولنا فينجب هذا الابن، نريد به أنه عند استكماله لسبعة أنوار وجودية تشريعية، تحصل له نجابة صورية ظاهرة بحسب بنيته التكوينية، فإذا حصلت له نجابة معنوية باطنة باكتساب النور التشريعي الوجودي أي التكليفي، الذي لا يحصل له إلّا بإيمانه بما يجب الإيمان به، صار نجيبًا ظاهرًا وباطنًا، فحينئذ يلحق بالمؤمنين النجباء في مراتبهم في الجنان بحسب أعمالهم واعتقاداتهم وتفاوت درجاتهم، وذلك لأنه إذا أقر بالتوحيد الذي فطر الله عليه العقول، وأخذ به المواثيق وأرسل به الرسل وجعله أول فروضه ونهاية طاعته حصل له من ذلك النور سبع.

وإذا أقر بأنه سبحانه هو العدل الذي لا يجور والأكرم الذي ترجع إليه الأمور، يعني أنه سبحانه لا يظلم أحدا، ولا جور في حكمه ولا فيما يؤول إلى أفعاله العامة المنوطة بالمكلفين في دار التكليف من الأوامر والنواهي، وفي دار الجزاء من الثواب والعقاب، بمعنى أنه تعالى لا يكلفهم إلّا بما يطيقون مما فيه صلاحهم، وجعل جزاء أعمالهم في الطاعة زائدا على قدر التكليف، وفي المعصية بقدر فعل المكلف، لتكون لهم فائدة في تكليفهم وفي خلقهم، لأنه تعالى غني عن كل ما سواه، وإنما ترجع فائدة التكليف إلى المكلفين، فإذا أقر بعدله تعالى بعد إقراره بتوحيده حصل له سُبعان من ذلك النور.

فإذا أقر بالنبوة وأن الخلق محتاجون إلى الوساطة والترجمة والسفارة حصل له من ذلك النور ثلاثة أسباع.

فإذا أقر بالإمامة وأن الإمام عليه السلام لطف من الله سبحانه يجب في الحكمة نصبه ليقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله ويؤدي عنه إلى الأمة أحكامه، ويكون حافظًا لشريعته، قائمًا لسنته، لئلّا تبطل حجج الله البالغة وبيناته على الخلق، حصل له من ذلك النور أربعة أسباع.

فإذا أقر بالمعاد وعود الأرواح إلى الأجساد وآمن بيوم النشور وصدق بأن الله سبحانه يبعث من في القبور فيحاسبهم ويجازيهم بأعمالهم فيدخل فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير، على حسب أعمالهم، حصل له من ذلك النور خمسة أسباع.

فهذه أركان دين الإسلام وأصوله، يدخل بها المكلف في دار الإسلام ويخرج من دار الكفر ظاهرًا.

فإذا أقر بالفروع الستة التي هي الصلاة والزكاة والصوم والخمس والحج والجهاد وعمل بها عند وجوبها عليه، حصل له من ذلك النور

ستة أسباع، وخرج من دار الكفر ودخل في دار الإسلام باطنا وفي دار الإيمان ظاهرًا.

فإذا دخل في السلم وفي صرح التسليم بحيث لا يجد في نفسه حرجا مما قضى الله ورسوله وأمير المؤمنين وأولاده الطيبون صلوات الله عليهم أجمعين ويسلمُ لهم تسليمًا، فقد دخل في دار الإيمان ظاهرًا وباطنًا، وصار نجيبًا باطنًا وظاهرًا.

فلا ينجب ابن الزنا في الظاهر إلّا بعد سبعة أبطن، ولا في الباطن إلّا بعد سبع مراتب، وقد عرفت سابقًا مما أشرنا إليه في باب المعاملة مع الأبوين أن لكل شخص أبوا سعادة وهما النبي والولي صلى الله عليهما وعلى آلهما، وأبوا شقاوة وهما الأول والثاني لعنة الله عليهما وعلى أتباعهما، فعلى هذا كان الولي الحق عليه السلام هو الأب وهو الزوج، وزوجته الولاية الحقة، هي خير ثوابا وخير عقبا، والزوجة صفة، والصفة زوجة الموصوف بها، والزوجية فاعلية الموصوف لآثار تلك الصفة، فتلد تلك الصفة باستعمال الآلات الذي هو النكاح، أعمالا وآثارا هي الأولاد والأبناء.

فالزوجة التي هي الولاية إذا خطبها الزوج الذي هو الولي من مالكها سبحانه فقد نكحها نكاحًا حلالًا، لأنه نكحها بإذن مالكها، فنكاحه حلال فتكون أولاده وأبناؤه التي هي تلك الأعمال والآثار طيبة نجيبة.

ومن ادعى زوجيتها بالباطل فقد نكحها بغير إذن مالكها سبحانه، فنكاحه حرام وأولاده أولاد الزنا وأبناء السفاح، وهم الذين نصبوا العداوة للولي الحق ظاهرا وباطنا، ولم يسلموا له تسليما، وفي الحديث: (يا علي لا يبغضك إلّا ابن زنا أو ابن حيضة أو من طعن

في عجانه)[١] وقد كان منهم من هو صحيح النسب ظاهرًا وهو ابن زنا باطنًا، لأنه تولد على الولاية البغية التي نكحها الزاني بها بغير الحق، فنكاحه لها ليس من الله ولا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فأولاده أولاد زنا، فلهذا يبغضون عليًا أمير المؤمنين عليه السلام ولم يسلموا له تسليمًا.

وأما الزوج الحق، أي الولي فإن الله سبحانه زوجه بها في السماء على كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فأولاده أولاد رشدةٌ لا أولاد بغية وهم الطيبون، وإلى هذا أشار عليه السلام كما رواه ابن بابويه في بشارات الشيعة قال: حَدثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحمدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهابِ قَالَ: حَدثَنَا مُحمدُ بْنُ حُمْرَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحمدٍ الصادِقِ عليه السلام قَالَ: (خَرَجْتُ أَنَا وأَبِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هو بِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بَيْنَ الْقَبْرِ والْمِنْبَرِ قَالَ فَدَنَا مِنْهُمْ وسَلمَ عَلَيْهِمْ وقَالَ: إِني واللهِ لَأُحِب رِيحَكُمْ وأَرْوَاحَكُمْ فَأَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ واعْلَمُوا أَن وَلَايَتَنَا لَا تُنَالُ إِلا بِالْوَرَعِ والِاجْتِهَادِ مَنِ ائْتَم مِنْكُمْ بِقَوْمٍ فَلْيَعْمَلْ بِعَمَلِهِمْ أَنْتُمْ شِيعَةُ اللهِ وأَنْتُمْ أَنْصَارُ اللهِ وأَنْتُمُ السابِقُونَ الْأَولُونَ والسابِقُونَ الْآخِرُونَ والسابِقُونَ فِي الدنْيَا إِلَى مَحبتِنَا والسابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْجَنةِ ضَمِنْتُ لَكُمُ الْجَنةَ بِضَمَانِ اللهِ عَز وجَل وضَمَانِ النبِي صلى الله عليه وآله وأَنْتُمُ الطيبُونَ ونِسَاؤُكُمُ الطيبَاتُ، كُل مُؤْمِنَةٍ حَوْرَاءُ وكُل مُؤْمِنٍ صِديقٌ، [كَمْ مِنْ مَرةٍ] قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لِقَنْبَرٍ أَبْشِرُوا وبَشرُوا فَوَاللهِ لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وهو سَاخِطٌ عَلَى أُمتِهِ إِلا الشيعَةَ، أَلَا وإِن لِكُل شيء عروة وعروة[٢] الدينِ الشيعَةُ أَلَا وإِن لِكُل شيء سَيدًا وسَيدُ الْمَجَالِسِ

---

(١) وردت روايات قريبة منها في عدة مصادر منها البحار، ج٢٧ ص١٤٥.

(٢) في المصدر: (ألا وإن لكل شيء شرفًا وشرف الدين الشيعة).

مَجَالِسُ الشيعَةِ أَلَا وإن لِكُل شيء إِمَامًا وإِمَامُ الْأَرْضِ أَرْضٌ تَسْكُنُهَا الشيعَةُ أَلَا وإن لِكُل شيء شَهوةً وإن شَهوةَ الدنْيَا سُكْنَى شِيعَتِنَا فِيهَا، واللهِ لَولَا مَا فِي الْأَرْضِ مِنكُمْ مَا اسْتَكْمَلَ أَهْلُ خِلَافِكُمْ الطَيبَاتِ ومَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ كُل نَاصِبٍ وإنْ تَعبدَ واجْتَهَدَ مَنْسُوبٌ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[1] انتهى.

أقول: فالنجابة لا توجد إلّا في أهل الإيمان، والإيمان لا يتحقق إلّا بالتسليم، والتسليم لا يكون إلّا بالإقرار بجميع فضائلهم الظاهرة والباطنة، فمن أنكر حرفًا من فضائلهم فليس بمؤمن ولا بنجيب، لأنه غير صحيح النسب ظاهرًا أو باطنًا.

وقد تبين مما ذكرنا في الأبواب السبعة أنهم عليهم السلام هم مقامات الله التي لا تعطيل لها في كل مكان، وهم معانيه سبحانه، وهم أبوابه وصراطه المستقيم، وهم الأئمة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وهم الأركان، وهم النقباء، وهم النجباء، ولا يوجد مقام يعرف الله به، ولا معنى وصف الله به نفسه، ولا باب لله سبحانه يؤتى منه، ولا إمام حق يقتدي الناس به، ولا ركن يقوم به الحق، ولا نقابة ولا نجابة إلّا فيهم وبهم وعنهم ومنهم وإليهم.

فلا يُعرَف الله إلّا بسبيل معرفتهم، ولا يعبد الله إلّا بطاعتهم وعبادتهم، قال عليه السلام (بنا عرف الله ولولانا ما عرف الله وبعبادتنا عُبِدَ الله) فمن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله ومن أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله ومن أحبهم فقد أحب الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله، ما أقر بالله من جحدهم، وما

---

(١) فضائل الشيعة، ص: ١٠.

آمن بالله من أنكرهم، ومن لم يسلم لهم فهو مشرك، ومن رد عليهم فهو كافر، ومن لم يعرفهم ولم ينكرهم فهو ضال جاهل، ومن قال لا فرق بينهم وبين الله عز وجل إلّا أنهم عباده وخلقه فهو عارف عالم مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان.

وفي الحديث عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : (إن الله سبحانه نصب عليًا علما بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنًا ومن أنكره كان كافرًا ومن جهله كان ضالًا ومن ساواه لغيره كان مشركًا ومن جاء بولايته كان فائزًا ودخل الجنة آمنًا ومن جاءه بعدواته دخل النار صاغرًا)[١] هذا طريق معرفتهم بالنورانية.

[بعض فضائل وأسرار الأئمة الأطهار عليهم السلام]

ونحن نذكر بعض فضائلهم وأسرارهم هنا لأولي الأبصار الذين هم أهل الأسرار، ونشير إلى إبطال مذهب الأغيار، من أهل الإنكار الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة عظيمة ولهم عذاب عظيم دائم مقيم، فنقول:

فصل

عن ابن عباس قال: (لما نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[٢] قام رجلان فقالا: يا رسول الله، أهي التوراة؟

قال: لا.

قالا: فهو الإنجيل؟

---

(١) الأمالي للطوسي، ص٤٤٠.

(٢) يس: ١٢.

قال: لا.

قالا: فهو القرآن؟

قال: لا.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: [هو] هذا الذي أحصى الله فيه علم كل شيء، وإن السعيد كل السعيد من أحب عليًا في حياته وبعد وفاته، والشقي كل الشقي من أبغض هذا في حياته وبعد وفاته)[١].

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله عز وجل أمرني أن أقيم عليًا إمامًا وحاكمًا وخليفةً، وأن أتخذه أخًا ووزيرًا ووليًا وهو صالح المؤمنين أمره أمري، وحكمه حكمي، وطاعته طاعتي، فعليكم بطاعته واجتناب معصيته فإنه صدّيق هذه الأمة، وفاروقها ومحدثها وهارونها ويوشعها وآصفها وشمعونها، وباب حطتها وسفينة نجاتها وطالوتها، وذو قرنيها، ألا وإنه محنة الورى والحجة العظمى والعروة الوثقى، وإمام أهل الدنيا وإنه مع الحق والحق معه، وإنه قسيم الجنة فلا يدخلها عدو له [ولا يزحزح عنها ولي له][٢]، وقسيم النار فلا يدخلها ولي له، ولا يزحزح عنها عدو له، ألا إن ولاية علي ولاية الله وحبه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأولياؤه أولياء الله، [وأعداؤه أعداء الله][٣] وحزبه حزب الله وسلمه سلم الله)[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي مثلك في أمتي [كـ]مثل قُلْ هو الله

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٥ ص٤٢٧.
(٢) ليست في نسختنا من هذا الكتاب المستطاب.
(٣) لا توجد في نسختنا من مشارق أنوار اليقين.
(٤) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٩٠.

أَحَدٌ من قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فقد ختم القرآن، فمن أحبك بلسانه فقد كمل ثلث الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل ثلثا الإيمان، ومن أحبك بيده وقلبه ولسانه فقد كمل الإيمان، والذي بعثني بالحق نبيا لو أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لك لما عذب الله أحدا بالنار، يا علي بشرني جبرائيل عن رب العالمين فقال لي: يا محمد بشر أخاك عليًا أني لا أعذب من تولاه ولا أرحم من عاداه)(١).

وقال رسول الله ﷺ لحذيفة اليمان: (يا حذيفة إن عليًا حجة الله، الإيمان به إيمان بالله، والكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله؛ والشك فيه شك في الله والإلحاد فيه إلحاد في الله والإنكار له إنكار لله، يهلك فيه رجلان ولا ذنب له: محب غال، ومبغض قال)(٢).

فصل

ومن كتاب المناقب مرفوعًا إلى ابن عمر قال: سألت رسول الله ﷺ عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا رسول الله ما منزلة علي منك؟ فغضب ثم قال: (ما بال قوم يذكرون رجلًا له عند الله منزلة كمنزلتي ومقام كمقامي إلّا النبوة، يا ابن عمر إن عليا مني بمنزلة الروح من الجسد، وإن عليا مني بمنزلة النفس من النفس، وإن عليًا مني بمنزلة النور من النور، وإن عليًا مني بمنزلة الرأس من الجسد، وإن عليًا مني بمنزلة الزر من القميص، يا ابن عمر؛ من

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٢ ص٣١٧.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٩٢.

أحب عليًا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد غضب الله عليه ومن غضب الله عليه لعنه، [ألا ومن أحب عليًا فقد أوتي كتابه بيمينه وحوسب حسابًا يسيرًا][1]، ألا ومن أحب عليًا لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من طوبى، ويرى مكانه في الجنة.

ألا ومن أحب عليًا هانت عليه سكرات الموت وجعل قبره روضة من رياض الجنة، ألا ومن أحب عليًا أعطاه الله بكل عضو من أعضائه خولًا وشفاعة ثمانين من أهل بيته، ألا ومن عرف عليًا وأحبه بعث الله إليه ملك الموت كما يبعث إلى الأنبياء وجنّبه أهوال منكر ونكير وفتح له في قبره مسيرة عام، وجاء يوم القيامة أبيض الوجه يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بعلها، ألا ومن أحب عليا أظله الله تحت ظل عرشه وآمنه يوم الفزع الأكبر، [ألا ومن أحب عليًا قبل الله حسناته ودخل الجنة آمنًا][2]، ألا ومن أحب عليًا سمي أمين الله في الأرض، ألا ومن أحب عليًا وضع على رأسه تاج الكرامة مكتوبًا عليه أصحاب الجنة هم الفائزون، وشيعة علي هم المفلحون، ألا ومن أحب عليا مر على الصراط كالبرق الخاطف، ألا ومن أحب عليا لا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان، وتفتح له أبواب الجنة الثمان، ألا ومن أحب عليًا ومات على حبه صافحته الملائكة وزارته أرواح الأنبياء، ألا ومن مات على حب علي فأنا كفيله بالجنة، ألا وإن لله بابًا من دخل منه نجا من النار وهو حب علي، ألا ومن أحب عليًا أعطاه الله بكل عرق في جسده وشعرة في بدنه مدينة في الجنة، يا ابن عمر، ألا

(١) لا توجد في نسختنا من هذا الكتاب المستطاب

(٢) لا توجد في نسختنا من هذا الكتاب المستطاب.

وإن عليًا سيد الوصيين وإمام المتقين، وخليفتي على الناس أجمعين، وأبو الغر الميامين، طاعته طاعتي، ومعرفته معرفتي، يا ابن عمر والذي بعثني بالحق نبيا لو أن أحدكم صف قدميه بين الركن والمقام يعبد الله ألف عام، ثم ألف عام ثم ألف عام صائما نهاره قائما ليله، وكان له ملء الأرض ذهبًا فأنفقه، وعباد الله ملكًا فأعتقهم، وقتل بعد هذا الخير الكثير شهيدًا بين الصفا والمروة، ثم لقي الله يوم القيامة باغضًا لعلي لم يقبل الله له عدلًا ولا صرفًا وزج بأعماله في النار وحشر من الخاسرين فهو المنتجب بالوصية المنتخب من الطينة الزكية الحاكم بالسوية العادل في القضية، العالي البنية إمام سائر البرية، بعل فاطمة الرضية، والد العترة الزكية، ليث الحروب ومفرج الكروب، الذي لم يفر من معركة قط، ولا ضرب بسيفه إلّا قط، ولا لقي كتيبة إلّا انهزمت ولم يقاتل تحت راية إلّا غلبت، ولم يفلت من بأسه بطل ولا ضرب بحسامه شجاعا إلّا قتل، ولم يرافق سرية إلّا كان النصر معها، ولم يلق جحفلا إلّا ولوا مدبرين وانقلبوا صاغرين، وكانت وثبته إلى عمرو أربعين ذراعًا ورجوعه إلى خلف عشرين ذراعًا، وضرب الكافر يوم أحد فقطعه وجواده نصفين ثم حمل على سبعة عشر كتيبة جمعها ستون ألفًا ففرقها، وبدد شملها وصرفها، حتى تحير الفريقان من بأسه وتعجبت الأملاك من حملاته، وهذه خواص إلهية وآيات ربانية، الليث الباسل والبطل الجلاجل، والهزبر المنازل والخطب النازل، والقسورة الذي ليس له منازل، ولايته فريضة واتباعه فضيلة، ومحبته إلى الله وسيلة، ومن أحبه في حياته وبعد وفاته كتب الله له من الأمن والإيمان ما طلعت عليه الشمس وغربت)[1].

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١١٨.

وفي رواية وهب بن منبه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (لما عرج بي إلى السماء ناداني ربي جل جلاله يا محمد، إني أقسمت بي وأنا الله الذي لا إله إلّا أنا أني أدخل الجنة جميع أمتك إلّا من أبى، فقلت: ربي ومن يأبى دخول الجنة؟ فقال: إني اخترتك نبيا، واخترت عليا وليا، فمن أبى عن ولايته فقد أبى دخول الجنة لأن الجنة لا يدخلها إلّا محبه، وهي محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلي وفاطمة وعترتهم وشيعتهم، فسجدت لله شكرًا، ثم قال لي: يا محمد إن عليًا هو الخليفة بعدك، وإن قومًا من أمتك يخالفونه وإن الجنة محرمة على من خالفه وعاداه، فبشر عليًا أن له هذه الكرامة مني وأني سأخرج من صلبه أحد عشر نقيبًا منهم سيد يصلي خلفه المسيح ابن مريم يملأ الأرض عدلًا وقسطًا [كما ملئت جورًا وظلمًا][(١)]، فقلت: ربي متى يكون ذاك؟ فقال: إذا رفع العلم، وكثر الجهل، وكثر القراء، وقل العلماء، وقل الفقهاء، وكثر الشعراء، وكثر الجور والفساد، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وصارت الأمناء خونة، وأعوانهم ظلمة، فهناك أظهر خسفًا بالمشرق وخسفًا بالمغرب، ثم يظهر الدجال بالمشرق، ثم أخبرني ربي ما كان وما يكون من الفتن من بني أمية وبني العباس، ثم أمرني ربي أن أوصل ذلك كله إلى علي فأوصلته إليه من أمر الله)[(٢)].

---

(١) ليست في نسختنا من هذا الكتاب المستطاب.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٠.

فصل
في بعض أسرار علي أمير المؤمنين عليه السلام

منها أنه عليه السلام لما ولد في البيت الحرام، وكعبة الملك العلام، خر ساجدًا ثم رفع رأسه الشريف فأذن وأقام، وشهد لله بالوحدانية، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالرسالة ولنفسه بالخلافة والولاية، ثم أشار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (أقرأ يا رسول الله؟ فقال: نعم، فابتدأ بصحف آدم فقرأها حتى لو حضر شيث لأقر أنه أعلم بها منه، ثم تلا صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل، ثم تلا ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(١) فقال له النبي صلى الله عليه وآله: نعم، أفلحوا إذ أنت إمامهم، ثم خاطبه بما يخاطب به الأنبياء والأوصياء، ثم سكت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عد إلى طفوليتك فأمسك)(٢).

ومن ذلك ما رواه محمد بن سنان قال: (بينا أمير المؤمنين عليه السلام يجهز أصحابه إلى قتال معاوية لعنه الله إذ اختصم إليه اثنان، فلغى أحدهما في الكلام فقال له: اخسأ يا كلب، فعوى الرجل لوقته وصار كلبًا، فبهت من حوله، وجعل الرجل يتضرع إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويشير بإصبعه، فنظر إليه وحرك شفتيه فإذا هو بشر سوي، فقام إليه بعض أصحابه وقال: مالك أنجهز الناس إلى قتال معاوية ولك مثل هذه القدرة؟ فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لوشئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة بهذه الفلوات حتى أضرب بها صدر معاوية فأقلبه عن سريره لفعلت، ولكن ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۞ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾)(٣).

---

(١) المؤمنون: ١.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٠.

(٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٢.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (إن الله أعطاني ما لم يعط أحدًا من خلقه، فتحت لي السبل، وعلمت الأسباب والأنساب، وأجري لي السحاب، ولقد نظرت في الملكوت فما غاب عني شيء مما كان قبلي، ولا شيء مما يأتي بعدي، وما من مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر، ونحن نعرفه إذا رأيناه)(١).

ومن ذلك قوله عليه السلام لرميلة: (يا رميلة ما من مؤمن ولا مؤمنة يمرض إلّا مرضنا لمرضه، ولا حزن إلّا حزنا لحزنه، ولا دعا إلّا أمنا لدعائه، ولا سكت إلّا دعونا له، وما من مؤمن ولا مؤمنة في المشارق والمغارب إلّا ونحن معه)(٢).

أقول: وإلى هذا أشار تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾، وأمثال هذه من الآيات.

ومن ذلك ما رواه زيد الشحام عن أصبغ بن نباتة: (إن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جاءَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ الذِي تَقُولُ إِن هَذَا الْجِريَ مَسْخٌ حَرَامٌ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالُوا أَرِنَا بُرْهَانَهُ، فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى الْفُرَاتِ ثم نَادَى: هناس هناس فَأَجَابَهُ الْجِري: لَبيْكَ.

فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَنْ أَنْتَ.

فَقَالَ: منْ عُرِضَتْ وَلَايَتُكَ عَلَيْهِ فَأَبَى فمُسِخَ وإِن فِيمَنْ مَعَكَ لَمَنْ يُمْسَخُ كَمَا مُسِخْنَا ويَصِيرُ كَمَا صِرْنَا، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: بينْ

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٢.
(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٢.

قِصتَكَ لِيَسْمعَ مَنْ حَضرَ فَيَعْلَم، فَقَالَ: نَعَمْ كُنا أَرْبعًا وعِشْرِينَ قَبِيلَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وكُنا قَدْ تَمردْنَا وعَصَيْنا وعُرِضَتْ عَلَيْنَا وَلَايَتُك فَأَبَيْنَا وفَارَقْنَا الْبِلَادَ واسْتَعْمَلْنَا الْفَسَادَ فَجاءَنَا آتٍ أَنْتَ واللهِ أَعْلَمُ بِهِ مِنا فَصرَخَ فِينَا صَرْخَةً فَجمَعَنَا جَمْعًا وَاحِدًا وكُنا مُتَفرقِينَ فِي الْبَرَارِيَ فَجَمَعَنَا لِصَرْخَتِهِ ثُم صَاحَ صَيْحَةً أُخْرَى وقَالَ كُونُوا مُسُوخًا بِقُدْرَةِ اللهِ فَمُسِخْنَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَةً ثُم قَالَ: أَيهَا الْقِفَارُ كُونُوا أَنْهَارًا تُسْكِنْكَ هَذِهِ الْمُسُوخُ واتصِلِي بِبِحَارِ الْأَرْضِ حَتى لَا يَبْقَى مَاءٌ إِلا وفِيهِ مِنْ هَذِهِ الْمُسُوخِ فَصِرْنَا مُسُوخًا كَمَا تَرَى)[١].

ومن ذلك ما رواه في المجالس عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ: (بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فِي الْحِيرَةِ[٢] إِذَا نَحْنُ بِدَيْرَانِي يَضْرِبُ النَاقُوسَ قَالَ فَقَالَ لي عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: يَا حَارِثُ أَتَدْرِي مَا يَقُولُ: هَذَا النَاقُوسُ، قُلْتُ اللهُ ورَسُولُهُ وابْنُ عَم رَسُولِهِ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنهُ يَضْرِبُ مَثَلَ الدنْيَا وخَرَابَهَا ويَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ حَقًا حَقًا لا إله إلّا الله صِدْقًا صِدْقًا إِن الدنْيَا قَدْ غَرتْنَا وشَغَلَتْنَا واسْتَهوتْنَا واسْتَغْوَتْنَا يَا ابْنَ الدنْيَا مَهْلًا مَهْلًا يَا ابْنَ الدنْيَا رفقًا رفقًا[٣] يَا ابْنَ الدنْيَا جَمْعًا جَمْعًا تَفْنَى الدنْيَا قَرْنًا قَرْنًا مَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنا إِلا أَوْهَنَ مِنا رُكْنًا قَدْ ضَيعْنَا دَارًا تَبْقَى واسْتَوْطَنا دَارًا تَفْنَى لَسْنَا نَدْرِي مَا فَرطْنَا فِيهَا إِلا لَو قَدْ مِتْنَا.

قَالَ الْحَارِثُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ النصارَى يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟

قَالَ عليه السلام: لَو عَلِمُوا ذَلِكَ لَمَا اتخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١١٧.

(٢) الحيرة بالكسر بلد قريب من الكوفة (منه رحمه الله).

(٣) في المصدر: دقًا دقًا.

قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى الديْرَانِي فَقُلْتُ لَهُ: بِحَق الْمَسِيحِ عَلَيْكَ لَما ضَرَبْتَ بِالناقُوسِ عَلَى الْجِهَةِ التِي تَضْرِبُهَا قَالَ فَأَخَذَ يَضْرِبُ وأَنَا أَقُولُ حَرْفًا حَرْفًا حتى بَلَغَ إِلَى مَوْضِعِ إلا لَو قَدْ مِتْنَا فقَالَ: بِحَق نَبِيكُمْ مَنْ أَخْبَرَك بِهذَا قُلْتُ هَذَا الرجُلُ الذِي كَانَ مَعِي أَمْسِ فَقَالَ: وهَلْ بَيْنَهُ وبَيْنَ النبي مِنْ قَرَابَةٍ قُلْتُ: هو ابْنُ عَمهِ قَالَ: بِحَق نَبِيكُمْ أَسَمِعَ هَذَا مِنْ نَبِيكُمْ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ فَأَسْلَمَ ثُم قَالَ لِي: واللهِ إِني وَجَدْتُ فِي التوْرَاةِ أَنهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الْأَنْبِيَاءِ نَبِي وهو يُفَسرُ مَا يَقُولُ الناقُوسُ)(١).

ومن ذلك ما رواه عبيد السكسكي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن عليًا عليه السلام لما قدم من صفين وقف على شاطئ الفرات، وأخرج قضيبًا أخضر وضرب به الفرات، والناس ينظرون إليه فانفجرت اثنتي عشرة عينًا كل فرق كالطود العظيم ثم تكلم بكلام لم يفهموه، فأقبلت الحيتان رافعة رؤوسها بالتهليل والتكبير، وقالت: السلام عليك يا حجة الله في أرضه وعين الله الناظرة في عباده خذلك قومك كما خذل هارون بن عمران قومه، فقال لأصحابه: سمعتم؟

فقالوا: نعم.

فقال هذه آية لي وحجة عليكم)(٢).

ومن قضاياه الغريبات وحله للمشكلات، أن رجلًا حضر مجلس أبي بكر فادعى أنه لا يخاف الله ولا يرجو الجنة ولا يخشى النار، ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميتة والدم ويشهد بما لم ير ويحب

---

(١) الأمالي(للصدوق)، ص٢٢٥.

(٢) الخرائج والجرائح، ج١ ص٢٣٦. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٣.

الفتنة، ويكره الحق ويصدق اليهود والنصارى، وأن عنده ما ليس عند الله وله ما ليس لله، وأنا أحمد النبي وأنا علي وأنا ربكم، فقال له عمر: ازددت كفرًا على كفرك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هوّن عليك يا عمر، فإن هذا رجل من أولياء الله لا يرجو الجنة، ولكن يرجو الله، ولا يخاف النار ولكن يخاف الله ربه، ولا يخاف الله من ظلم، ولكن يخاف عدله لأنه حكم عدل، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويحب الأهل والولد، ويشهد بالجنة والنار ولم يرهما، ويكره الموت وهو الحق، ويصدق اليهود والنصارى في تكذيب بعضهم بعضًا، وله ما ليس لله لأن له ولدًا وليس لله ولد، وعنده ما ليس عند الله، فإنه يظلم نفسه وليس عند الله ظلم، وقوله: أنا أحمد النبي، أي أنا أحمده على تبليغه الرسالة عن ربه، وقوله: أنا علي يعني في قوله، وقوله وأنا ربكم أي لي كُم أرفعها وأضعها.

فانزعج عمر وقام فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وقال: (لا بقيت بعدك يا أبا الحسن)[١].

ومن ذلك ما روي أن الخضر لما التقى بموسى وكان منهما ما كان جاء عصفور فأخذ قطرة من البحر فوضعها على يد موسى فقال للخضر: (ما هذا؟ قال: يقول ما علمكما وعلم سائر الأولين والآخرين في علم وصي النبي الأمي إلّا كهذه القطرة في هذا البحر)[٢].

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص: ١٢٤.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٤. في بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج١ ص٢٣٠ حديث يقرب من هذا وهو حَدَّثَنَا=

ومن ذلك ما روى ابن عباس أنه عليه السلام شرح له في ليلة واحدة من حين أقبل ظلامها حتى أسفر صباحها وطفي مصباحها في شرح الباء من بسم الله ولم يتعد إلى السين، وقال: (لو شئت لأوقرت أربعين بعيرًا من شرح بسم الله)(١).

ومن ذلك: أن رجلًا من الخوارج مر بأمير المؤمنين عليه السلام ومعه حوتان من الجري قد غطاهما بثوبه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (بكم شريت أبويك من بني إسرائيل؟

فقال له الرجل: ما أكثر ادعاءك للغيب؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أخرجهما.

فأخرجهما.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من أنتما؟ فقالت إحداهما: أنا أبوه، وقالت الأخرى: أنا أمه)(٢).

ومن ذلك ما رواه مُحَمد بْن سِنَانٍ، قَالَ: (سمعت أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يقول لِعُمَرَ: يَا مَغْرُورُ! إِني أَرَاكَ فِي الدنْيَا قَتِيلًا بِجَرَاحَةٍ مِنْ عَبْدِ أُم مَعْمَرٍ تَحْكُمُ عَلَيْهِ جَوْرًا فَيَقْتُلُك تَوْفِيقًا، يَدْخُلُ بِذَلِكَ الْجَنة

=مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ سَدِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (لَمَّا لَقِيَ مُوسَى الْعَالِمَ كَلَّمَهُ وَسَاءَلَهُ نَظَرَ إِلَى خُطَّافٍ يَصْفِرُ وَيَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ وَيَتَسَفَّلُ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْعَالِمُ لِمُوسَى: أَتَدْرِي مَا يَقُولُ هَذَا الْخُطَّافُ قَالَ: وَمَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ: وَرَبِّ السَّمَاءِ وَرَبِّ الْأَرْضِ مَا عِلْمُكُمَا فِي عِلْمِ رَبِّكُمَا إِلَّا مِثْلَ مَا أَخَذْتُ بِمِنْقَارِي مِنْ هَذَا الْبَحْرِ قَالَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَمَا لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُمَا لَسَأَلْتُهُمَا عَنْ مَسْأَلَةٍ لَا يَكُونُ عِنْدَهُمَا فِيهَا عِلْمٌ).

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٤.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٥.

عَلَى رَغْمٍ مِنْكَ، وإن لَكَ ولِصَاحِبِكَ الذِي قُمْتَ مَقَامَهُ صَلْبًا وهَتْكًا تُخْرَجَانِ عَنْ جنب رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُصْلَبَانِ عَلَى أَغْصَانِ دوحة يَابِسَةٍ فَتُورِقُ فَيَفْتَتِنُ بِذَلِكَ مَنْ وَالاكَ.

فَقَالَ عُمَرُ: ومَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟.

فَقَالَ: قَوْمٌ قَدْ فَرقُوا بَيْنَ السيُوفِ وأَغْمَادِهَا، ثم يُؤْتَى بِالنارِ التِي أُضْرِمَتْ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام ويَأْتِي جِرْجِيسُ ودَانِيَالُ وكُل نَبِي وصِديقٍ، ثُم يَأْتِي رِيحٌ فَيَنْسِفُكُمَا فِي الْيَم نَسْفًا).

وَمن ذلك ما رواه فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا مَعْنَى هَذِهِ الْحَمِيرِ؟.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: (اللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا ثُم يُنْكِرَهُ، إِنمَا هو زُرَيْقٌ وصَاحِبُهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي صُورَةِ حِمَارَيْنِ، إِذَا شَهِقَا فِي النارِ انْزَعَجَ أَهْلُ النارِ مِنْ شِدةِ صُرَاخِهِمَا)[1].

ومن ذلك ما رواه ابْن عَباسٍ (إِن رَجُلًا قَدِمَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَاسْتَضَافَهُ فَاسْتَدْعَا قُرْصَةً مِنْ شَعِيرٍ يَابِسَةٍ وقَعْبًا فِيهِ مَاءٌ ثُم كَسَرَ قِطْعَةً وأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ ثُم قَالَ لِلرجُلِ تناوَلْها فَأَخْرَجَها فَإِذَا هِيَ فَخِذُ طَائِرٍ مَشْوِي، ثُم رَمَى لَهُ أُخْرَى فَقَالَ تَنَاوَلْها فَأَخْرَجَها فَإِذَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَلْوَاءِ، فَقَالَ الرجُلُ يَا مَوْلَايَ تَضَعُ لِي كِسَرًا يَابِسَةً فَأَجِدُهَا أَنْوَاعَ الطعَامِ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: نَعَمْ هَذَا الظاهِرُ وذَاكَ الْبَاطِنُ وإِن أَمْرَنَا هَكَذَا واللهِ)[2].

ومن ذلك قصة فضة الجارية وإنها لَما جَاءَتْ إِلَى بَيْتِ

(١) بحار الأنوار، ج٣٠؛ ص٢٧٦.
(٢) مشارق أنوار اليقين، ص١٢١.

الزهْرَاءِ عليها السلام ولما دخلت بيت النبوة ومعدن الرحمة ومنبع العصمة ودار الحكمة وأم الأئمة عليهم السلام لَمْ تَجِدْ هُنَاكَ إلا السيْفَ والدرْعَ والرحَى، وكَانَتْ فضة بِنْتُ مَلِكِ الْهِنْدِ، وكَانَ عِنْدَهَا ذَخِيرَةٌ مِنَ الْإِكْسِيرِ فَأَخَذَتْ قِطْعَةً مِنَ النحَاسِ وأَلَانَتْهَا وجَعَلَتْهَا عَلَى هَيْئَةِ سَبِيكَةٍ وأَلْقَتْ عَلَيْهَا الدوَاءَ وصَنَعَتْهَا ذَهَبًا فَلَما جَاءَ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَما رَآهَا قَالَ: أَحْسَنْتِ يَا فِضةُ لَكِنْ لَو أَذَبْتِ الْجَسَدَ لَكَانَ الصبْغُ أَعْلَى والْقِيمَةُ أَغْلَى.

فَقَالَتْ: يَا سَيدِي تَعْرِفُ هَذَا الْعِلْمَ؟

فقَالَ: نَعَمْ وهَذَا الطفْلُ يَعْرِفُهُ وأَشَارَ إِلَى الْحُسَنِ عليه السلام فَجَاءَ وَقَالَ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ثم قَالَ لها أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام نَحْنُ نَعْرِفُ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا ثُم أَوْمَأَ بِيَدِهِ فَإِذَا عُنُقٌ مِنْ ذَهَبٍ وكُنُوزِ الْأَرْضِ سَائِرَةٌ فقال لها: ضَعِيهَا مَعَ أَخَوَاتِهَا فَوَضَعَتْهَا فَسَارَتْ)[1].

ومن ذلك ما روي من كراماته: أن فرعون لعنه الله لما لحق هارون بأخيه موسى دخلا عليه يوما فأوجسا خيفة منه، فإذا فارس يقدمهما ولباسه من ذهب، وفي يده سيف من ذهب، وكان فرعون يحب الذهب فقال لفرعون: أجب هذين الرجلين وإلا قتلتك، فانزعج فرعون لذاك وقال: عودا إلي غدًا، فلما خرجا دعا البوابين وعاتبهم، وقال: كيف دخل عليَّ هذا الفارس بغير إذن؟ فحلفوا بعزة فرعون أنه ما أدخل إلّا هذين الرجلين، وكان الفارس مثال علي الذي أيد الله به النبيين سرًا، وأيد به محمدًا جهرًا، لأنه كلمة الله وآيته الكبرى التي أظهرها لأوليائه فيما شاء من الصور فينصرهم بها، وبتلك الكلمة

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٢١.

يدعون الله فيجيبهم وينجيهم، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ قال ابن عباس: وكانت الآية الكبرى لهما هذا الفارس)[(١)].

ومن ذلك ما رواه الرضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عليهم السلام أن يهوديًا جاء إلى أبي بكر في ولايته وقال له: إن أباه قد مات وخلف كنوزًا، ولم يذكر أين هي، فإن أظهرتها كان لك ثلث وللمسلمين ثلث آخر، ولي ثلث وأدخل في دينك، فقال أبوبكر: لا يعلم الغيب إلّا الله، فجاء إلى عمر فقال له مقالة أبي بكر، ثم دله على علي عليه السلام فجاء فسأله فقال له: رح إلى بلد اليمن واسأل عن وادي برهوت بحضرموت، فإذا حضرت الوادي فاجلس هناك إلى غروب الشمس فيأتيك الغربان السود [مناقيرها تنعب] فاهتف باسم أبيك وقل له: [يا فلان] أنا رسول وصي رسول الله صلى الله عليه وآله إليك كلمني فإنه يكلمك، فاسأله عن الكنوز فإنه يدلك على أماكنها.

فمضى اليهودي إلى اليمن واستدل على الوادي وقعد هناك، فإذا بالغرابين قد أقبلا فنادى أباه فأجابه، وقال: ويحك ما أقدمك إلى هذا الموطن، وهو من مواطن أهل النار؟ فقال: جئتك أسألك عن الكنوز، أين هي؟ فقال لي: في موضع كذا وفي حائط كذا، ثم قال: ويلك اتبع دين محمد تسلم فهو النجاة. ثم انصرف الغرابان، ورجع اليهودي فوجد كنزًا من ذهب وكنزًا من فضة، فأوقر بعيرًا وجاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله وأنك وصي رسول الله وأخوه وأمير المؤمنين حقًا كما سميت، وهذه الهدية فاصرفها حيث شئت فإنك وليه في العالمين)[(٢)].

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٧.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٨.

ومن ذلك ما روي (أن جماعة من أهل الكوفة من أكابر الشيعة سألوا أمير المؤمنين عليه السلام أن يريهم من عجائب أسرار الله فقال لهم: إنكم لن تقدروا أن تروا واحدة، فتكفروا، فقالوا: لا شك أنك صاحب الأسرار، فاختار منهم سبعين رجلًا وخرج بهم إلى ظاهر الكوفة ثم صلى ركعتين وتكلم بكلمات وقال: انظروا فنظروا فإذا أشجار وأثمار حتى تبين لهم أنه الجنة والنار، فقال أحسنهم قولًا: هذا سحر مبين، ورجعوا كفارًا إلّا رجلين، فقال لأحدهما: أسمعت ما قال أصحابك وما هو والله بسحر، وما أنا بساحر، ولكنه علم الله ورسوله، فإذا رددتم عليَّ فقد رددتم على الله، ثم رجع إلى المسجد يستغفر لهم، فلما دعا تحول حصيات المسجد درًا وياقوتًا فرجع أحد الرجلين كافرًا وثبت الآخر)[1].

ومن ذلك قوله عليه السلام لدهْقَانِ الْفَارِسِي وقَدْ حَذرَهُ مِنَ الركُوبِ والْمَسِيرِ إِلَى الْخَوارِجِ فَقَالَ لَهُ: (اعْلَمْ أَن طَوَالِعَ النجُومِ قَدِ انْتَحَسَتْ فَسَعِدَ أَصْحَابُ النحُوسِ ونَحِسَ أَصْحَابُ السعُودِ وقَدْ بَدَا الْمِريخُ يَقْطَعُ فِي بُرْجِ الثوْرِ وقَدِ اخْتَلَفَ فِي بُرْجِكَ كَوْكَبَانِ ولَيْسَ الْحَرْبُ لَكَ بِمَكَانٍ.

فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الذِي تُسَيرُ الْجَارِيَاتِ وتَقْضِي عَلَيَ بِالْحَادِثَاتِ وتَنْقُلُهَا مَعَ الدقَائِقِ وَالساعَاتِ فَمَا السرَارِي ومَا الذرَارِي ومَا قَدْرُ شِعَارِ الْمُدَبرَاتِ فَقَالَ سَأَنْظُرُ فِي الْأُسْطُرْلَابِ وأُخْبِرُكَ فَقَالَ لَهُ أَعَالِمٌ أَنْتَ بِمَا تَم الْبَارِحَةَ فِي وَجْهِ الْمِيزَانِ وبِأَي نَجْم اخْتَلَفَ في بُرْجِ السرَطَانِ وَأَيةُ آفَةٍ دَخَلَتْ عَلَى الزبْرِقَانِ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ فَقَالَ أَعَالِمٌ أَنْت إِن الْمُلْكَ الْبَارِحَةَ انْتَقَلَ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ فِي الصينِ وانْقَلَبَ بُرْجُ ما

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص١٢٨.

ين وغَارَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ وفَاضَتْ بُحَيْرَةُ حَشْرَمَةَ وقطعت باب البحر من سقلبة ونُكِسَ مَلِكُ الروم بِالروم ووَلِيَ أَخُوهُ مَكَانَهُ وسَقَطَتْ شُرُفَاتُ الذهَبِ مِنْ قُسْطَنْطِينِيَةَ الْكُبْرَى وهَبَطَ سُورُ سَرَانَدِيب وفَقَدَ دَيانُ الْيَهودِ وهَاجَ النمْلُ بِوَادِي النمْلِ وسَعِدَ سَبْعُونَ أَلْفَ عَالم ووُلِدَ فِي كُل عَالَمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا والليْلَة يَمُوتُ مِثْلُهُمْ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ فَقَالَ: أعالم أنت بِالشهُبِ الْخُرْسِ الْأَنْجُم والشمْسِ ذَاتِ الذوَائِبِ التِي تَطْلُعُ مَعَ الْأَنْوَارِ وتَغِيبُ مَعَ الْأَسْحَارِ فَقَالَ لَا أَعْلَمُ فقَالَ أَعَالِمٌ أَنْتَ بِطُلُوعِ النجْمَيْنِ اللذَيْنِ مَا طَلَعَا إلا عَنْ مَكِيدَةٍ ولَا غَرَبَا إِلا عَنْ مُصِيبَةٍ وأَنهُمَا طَلَعَا وغَرَبَا فَقَتَلَ قَابِيلُ هَابِيلَ ولَا يَظْهَرَانِ إلا لِخَرَابِ الدنْيَا فَقَالَ لَا أَعْلَمُ فَقَالَ إذَا كَانَت طُرُقُ السمَاءِ لَا تَعْلَمُهَا فَإِني أَسْأَلُكَ عَنْ قَرِيبٍ أَخْبِرْنِي مَا تَحْتَ حَافِرِ فَرَسِيَ الْأَيْمَنِ والْأَيْسَرِ مِنَ النافِعِ والمضار فَقَالَ أنا فِي عِلْمِ الْأَرْضِ أَقْصَرُ مِني فِي عِلْم السمَاءِ فَأَمَرَ عليه السلام أَنْ يُحْفَرَ تَحْت الْحَافِرِ الْأَيْمَنِ فَخَرَجَ كَنْزٌ مِنْ ذَهَبٍ ثُم أَمَرَ أَنْ يُحْفَرَ تَحْتَ الْحَافِرِ الْأَيْسَرِ فَخَرَجَ أَفْعًى فَتَعَلقَ بِعُنُقِ الْحَكِيم فَصَاحَ يَا مَوْلَايَ الْأَمَانَ فَقَالَ: الْأَمَانَ بِالْإِيمَانِ فَقَالَ: لَأُطِيلَن لَكَ الركُوعَ والسجُودَ فَقَالَ: سَمِعْتَ خَيْرًا فَقُلْ خَيْرًا اسْجُدْ لِلهِ وَتضرَعْ بِي إِلَيْهِ ثُم قَال عليه السلام: نَحْنُ نُجُومُ الْقُطْبِ وأَعْلَامُ الْفُلْكِ وإِن هَذَا الْعِلْمَ لَا يَعْلَمُهُ إِلا نَحْنُ وَأهل بَيْت فِي الْهِنْدِ)(١).

ومن ذلك ما رواه أحمد بن عبد العزيز الجلودي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فقال: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوا من عنده علم المنايا والبلايا، والأنساب في الأصلاب، وفصل الخطاب.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤١ ص٣٣٦.

أنا دابة الأرض، أنا حي لا أموت، وإذا مت يرث الله الأرض ومن عليها، سلوني فإني لا أسأل عما دون العرش إلّا أجبت.

قال: فقام إليه رجل في عنقه كتاب فقال رافعًا صوته: أيها المدعي ما لا يعلم، والمقلد ما لا يفهم، إني سائلك فأجب.

قال: فوثب إليه أصحاب علي عليه السلام ليقتلوه، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن حجج الله لا تقوم بالبطش، ولا بالباطل تظهر براهين الله، ثم التفت إلى الرجل وقال: سل بكل لسانك فإني مجيب إن شاء الله تعالى.

فقال الرجل: كم بين المشرق والمغرب؟.

فقال: مسافة الهواء.

وقال: وما مسافة الهواء؟.

قال: دوران الفلك، قال: وما دوران الفلك؟ قال: مسيرة يوم الشمس، قال الرجل: صدقت، فقال: فمتى القيامة؟ قال: عند [حضور] المنية، وبلوغ الأجل، قال: صدقت، قال: فكم عمر الدنيا؟ قال: يقال سبعة آلاف ثم لا تحديد، قال: صدقت، قال: فأين مكة من بكة؟ فقال: مكة أكناف الحرم وبكة مكان البيت؟ قال: ولم سميت مكة؟ قال: لأن الله تعالى مك الأرض من تحتها أي دحاها، قال: فلم سميت بكة؟ قال: لأنها أبكت عيون الجبارين والمذنبين، قال: صدقت، قال: وأين كان الله قبل خلق عرشه؟ فقال أمير المؤمنين: سبحان من لا يدرك كنه صفته حملة عرشه على قرب زمراتهم من كراسي كرامته، ولا الملائكة المقربون من أنوار سبحات جلاله، ويحك لا يقال له لم ولا كيف، ولا أين ولا متى، ولا بم ولا حيث، فقال الرجل: صدقت، قال: فكم مقدار ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء؟ فقال: أتحسن أن تحسب؟ فقال: نعم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أفرأيت لو صب في الأرض

خردل حتى سد الهواء وملأ ما بين الأرض والسماء، ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من المشرق إلى المغرب، ثم مد لك في العمر حتى نقلته وأحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء، وإنما وصفت عشر عشير جزء من مائة ألف جزء وأستغفر الله من القليل في التحديد، قال: فحرك الرجل رأسه، وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله)[١].

ومن ذلك ما رواه أصحاب التواريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسًا وعنده جني يسأل عن قضايا مشكلة فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فتصاغر الجني حتى صار كالعصفور ثم قال: (أجرني يا رسول الله، فقال: ممن؟ فقال: من هذا الشاب المقبل، فقال النبي صلى الله عليه وآله: وما ذاك؟ فقال الجني: أتيت سفينة نوح لأغرقها يوم الطوفان، فلما تناولتها ضربني هذا فقطع يدي، ثم أخرج يده مقطوعة فقال له النبي: هو ذاك)[٢].

وروي أيضًا أن جنيًا كان جالسًا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فاستغاث الجني وقال: (أجرني يا رسول الله من هذا الشاب المقبل، فقال: وما فعل بك، قال: تمردت على سليمان فأرسل إلي نفرًا من الجن فطلت عليهم فجاءني هذا الفارس فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضربة إلى الآن لم يندمل)[٣].

فصل في بعض أسرار فاطمة عليها السلام

روى أصحاب التواريخ: (أن خديجة لما حضرتها الولادة بعث الله عز وجل إليها عشرين من الحور العين بطشوت وأباريق وماء من حوض

---

(١) بصائر الدرجات، ص٢٠١.

(٢) مدينة المعاجز، ج٣ ص٧٦.

(٣) مشارق أنوار اليقين، ص١٢٦.

الكوثر، وجاءتها مريم بنت عمران وسارة وآسية بنت مزاحم، بعثهن الله يعنها على أمرها، فلما وضعتها أشرقت الدنيا وامتلأت منها الأقطار بالطيب والأنوار، وفاح عطر العظمة، وامتلأت بيوت مكة بالنور، ولم يبقَ في شرق الأرض ولا غربها موضع إلّا أشرق نورًا، وظهر في السماء نور أزهر لم يكن قبل هذا، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة معصومة بنت نبي، زوجة وصي، نور رضي عنصر زكي، أم أبرار، حبيبة جبار، صفوة أطهار، مباركة بورك فيها وفي ولدها.

ولما تناولتها خديجة قالت: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن أبي سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء، وأن ولدي سادة الأسباط.

ثم سلمت على النسوة وسمت كل واحدة منهن باسمها، وبشر أهل السماء بعضهم بعضًا بولادة الزهراء، وكانت تحدث خديجة في الأحشاء وتونسها بالتسبيح والتقديس، وكان نورها وخلقها وجلالها وجمالها لا يعدو رسول الله ﷺ)[١].

ومن كراماتها على الله: (أنها لما منعت حقها أخذت بعضادة حجرة النبي وقالت: ليست ناقة صالح عند الله بأعظم مني حرمة، ثم رفعت جنب قناعها إلى السماء وهمت أن تدعو فارتفعت جدران المسجد عن الأرض، وتدلى العذاب فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فمسك يدها وقال: يا بقية النبوة وشمس الرسالة، ومعدن العصمة والحكمة، إن أباك كان رحمة للعالمين فلا تكوني عليهم نقمة، أقسم عليك بالرؤوف الرحيم، فعادت إلى مصلاها)[٢].

وفي الكافي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (لَما وُلِدَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٢٧.
(٢) المصدر السابق.

أَوْحى اللهُ إِلَى مَلَكٍ فَأَنْطَقَ بِهِ لِسَانَ مُحَمدٍ ﷺ فَسماهَا فَاطِمَة ثُم قَالَ: إِني فَطَمْتُكِ بِالْعِلْم وفَطَمْتُكِ مِنَ الطمْثِ، ثُم قَالَ أَبُوجَعْفَرٍ عليه السلام: واللهِ لَقَدْ فَطَمَهَا اللهُ بِالْعِلْمِ وعَنِ الطمْثِ فِي الْمِيثَاقِ)[١].

وفيه عَنْ عَلِي بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: (بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ لَهُ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ لَمْ أَرَكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصورَةِ.

قَالَ الْمَلَكُ: لَسْتُ بِجَبْرَئِيلَ يَا مُحَمدُ بَعَثَنِي اللهُ عَز وجَل أَنْ أُزَوجَ النورَ مِنَ النورِ، قَالَ مَنْ مِمنْ، قَالَ: فَاطِمَةَ مِنْ عَلِي، قَالَ: فَلَما ولى الْمَلَكُ إِذَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ مُحَمدٌ رَسُولُ اللهِ، عَلِي وَصِيهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مُنْذُ كَمْ كُتِبَ هَذَا بَيْنَ كَتِفَيْكَ فَقَالَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ آدَمَ بِاثْنَيْنِ وعِشْرِينَ أَلْفَ عَامٍ)[٢].

وفيه عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (لَوْلَا أَن اللهَ تَبارَكَ وتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِفَاطِمَةَ مَا كَانَ لَهَا كُفْو عَلَى وجه[٣] الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ فمن[٤] دُونَهُ)[٥].

فصل في بعض أسرار الحسن بن علي صلوات الله عليهما

روي أن معاوية لما أراد حرب علي عليه السلام وجمع أهل الشام، سمع بذلك ملك الروم فقيل له: رجلان قد خرجا يطلبان الملك، فقال:

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٠٨.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٠٨.
(٣) في المصدر: ظَهْرِ.
(٤) في المصدر: ومَنْ.
(٥) الكافي، ج١، ص٥٠٩.

من أين؟ فقيل له: رجل بالكوفة ورجل بالشام، فقال: صفوهما لي فوصفوهما، فقال: الشامي مبطل والحق في يد الكوفي.

ثم كتب إلى معاوية أن ابعث إلي أعلم أهل بيتك، وبعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ابعث إلي أعلم أهل بيتك، حتى أجمع بينهما وأنظر في الإنجيل من أحق بالملك منكما وأخبركما، فبعث إليه معاوية ابنه يزيد لعنهما الله، وبعث إليه أمير المؤمنين الحسن عليه السلام، فلما دخل يزيد أخذ الرومي يده فقبلها، ولما دخل الحسن عليه السلام قام الرومي فانحنى على قدميه فقبلهما، فجلس الحسن عليه السلام لا يرفع بصره، فلما نظر ملك الروم إليهما أخرجهما معًا، ثم استدعى يزيد وحده، وأخرج له من خزانته مائة وثلاثة عشر صنمًا تماثيل الأنبياء وصورهم وقد زينت بكل زينة، فأخرج صنمًا فعرضه على يزيد فلم يعرفه، ثم عرض آخر فلم يعرفه، ثم سأله عن أرزاق العباد وعن أرواح المؤمنين، وأرواح الكفار، أين تجمع بعد الموت؟ فلم يعرف، فدعا الحسن بن علي عليه السلام وقال: إنما بدأت بهذا حتى يعلم أنك تعلم ما لا يعلم، وأن أباك يعلم ما لا يعلم أبوه وأن أباك رباني هذه الأمة، وقد نظرت في الإنجيل فرأيت الرسول محمدًا والوزير عليًا ونظرت إلى الأوصياء فرأيت أباك فيها وصي محمد، فقال عليه السلام للرومي: سلني عما بدا لك من علم التوراة والإنجيل والفرقان أخبرك، فدعا الأصنام، فأول صنم عرضه عليه على صفة القمر فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة آدم أبي البشر، ثم عرض [عليه] آخر في صفة الشمس، فقال: هذه صفة حواء أم البشر، ثم عرض آخر، فقال: هذه صفة شيث بن آدم، وهذا أول من بعث وكان عمره في الدنيا ألفًا [وخمسمائة] وأربعين سنة، ثم عرض عليه آخر فقال: هذه صفة نوح صاحب السفينة، وكان عمره في الدنيا ألفين وخمسمائة سنة، ولبث

في قومه ألف سنة إلّا خمسين عامًا، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إبراهيم عريض الصدر طويل الجبهة، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة موسى بن عمران وكان عمره مائتين [وخمسة] وأربعين سنة وكان بينه وبين إبراهيم خمسمائة سنة، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إسرائيل وهو يعقوب الحزين، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة إسماعيل، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة يوسف بن يعقوب، ثم عرض عليه آخر، فقال: هذه صفة داود صاحب الحرب، ثم عرض عليه آخر فقال: هذه صفة شعيب، ثم زكريا، ثم عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، وكان عمره في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة ثم رفعه الله إليه ثم يهبط إلى الأرض بدمشق ويقتل الدجال، ثم عرضت عليه أصنام الأوصياء، والوزراء، فأخبر بأسمائها، ثم عرضت عليه أصنام في صفة الملوك وقال له ملك الروم: هذه أصنام لم نجد صفتها في التوراة والإنجيل، فقال الحسن ﵇: هذه صفة الملوك، فقال ملك الروم عند ذلك: أشهد لكم يا آل محمد أنكم أوتيتم علم الأولين والآخرين، وعلم التوراة والإنجيل، وصحف إبراهيم وألواح موسى، وإنا نجد في الإنجيل أن أول فتنة هذه الأمة وثوب شيطانها الضليل على ملك نبيها واجتراؤه على ذريته، ثم قال للحسن ﵇: أخبرني عن سبعة أشياء خلقها الله تعالى، لم تركض في رحم، فقال الحسن ﵇: آدم وحواء، وكبش إبراهيم، وناقة صالح، وإبليس والحية والغراب الذي ذكر في القرآن، ثم سأله عن أرزاق الخلائق فقال الحسن ﵇: في السماء الرابعة تنزل بقدر وتبسط بقدر، وسأله عن أرواح المؤمنين أين تكون؟ فقال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في كل ليلة جمعة وهي العرش الأدنى ومنها يبسط الله الأرض ويطويها إليها وإليها المحشر، ثم سأله عن أرواح الكفار

فقال: تجتمع في وادي حضر موت عند مدينة اليمن ثم يبعث الله نارًا من المشرق ونارًا من المغرب ويتبعها ريح شديد فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس فأهل الجنة عن يمينها، وأهل النار عن يسارها في تخوم الأرض السابعة، فتحشر الناس عند الصخرة، فمن وجبت له الجنة دخلها ومن وجبت له النار دخلها، وذلك قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

فالتفت الملك إلى يزيد لعنه الله وقال: هذا بقية الأنبياء وخليفة الأوصياء، ووارث الأصفياء وثاني النقباء، ورابع أصحاب الكساء، والعالم بما في الأرض والسماء، أفقياس هذا بمن طبع على قلبه وهو من الضالين، ثم كتب إلى معاوية: من آتاه الله العلم والحكمة بعد نبيكم وحكم التوراة والإنجيل وأخبار الغيب، فالحق والخلافة له، ومن نازعه فإنه ظالم، ثم كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام إن الحق لك لك وإن الخلافة فيك وفي ولدك إلى يوم القيامة، فقاتل من قاتلك يعذبه الله بيدك، فإن من عصاك وحاربك عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[١].

ومن كراماته عليه السلام ما روي عن مولانا الباقر عليه السلام أن جماعة من أهل الكوفة قالوا للحسن عليه السلام: (يا ابن رسول الله ما عندك من عجائب أسرار أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يرينا إياها شيئًا ترينا إياه؟

فقال: هل تعرفون أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقالوا: نعم، فرفع سترًا كان على [باب] البيت، وقال: انظروا، فنظروا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا: [نعم]، هذا أمير المؤمنين لا نشك فيه ونشهد أنك خليفته حقًا وصدقًا)[٢].

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٠.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص١٣١.

ومن ذلك ما في الكافي عَنِ الْكُنَاسِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: (خَرَجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِي عليه السلام فِي بَعْضِ عُمَرِهِ ومَعَهُ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ الزبَيْرِ كَانَ يَقُولُ بِإِمَامَتِهِ فَنَزَلُوا فِي مَنْهَلٍ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاهِلِ تَحْتَ نَخْلٍ يَابِسٍ قَدْ يَبِسَ مِنَ الْعَطَشِ فَفُرِشَ لِلْحسَنِ عليه السلام تَحْتَ نَخْلَةٍ وفُرِشَ لِلزبَيْرِي بِحِذَاهُ تَحْتَ نَخْلَةٍ أُخْرَى قَالَ فَقَالَ الزبَيْرِي ورَفَعَ رَأْسَهُ لَوكَانَ فِي هَذَا النخْلِ رُطَبٌ لأَكَلْنَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: وإِنكَ لَتَشْتَهِي الرطَبَ.

فَقَالَ الزبَيْرِي: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السمَاءِ فَدَعَا بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَاخْضَرتِ النخْلَةُ ثُم صَارَتْ إِلَى حَالِهَا فَأَوْرَقَتْ وحَمَلَتْ رُطَبًا فَقَالَ الْجمالُ الذِي اكْتَرَوْا مِنْهُ: سِحْرٌ واللهِ، قَالَ فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: وَيْلَكَ لَيْسَ بِسِحْرٍ ولَكِنْ دَعْوَةُ ابْنِ نَبِي مُسْتَجَابَةٌ قَالَ فَصَعِدُوا إِلَى النخْلَةِ فَصَرَمُوا مَا كَانَ فِيها فَكَفَاهُمْ)[1].

وفيه عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: (خَرَجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِي عليه السلام إِلَى مَكةَ سَنَةً مَاشِيًا فَوَرِمَتْ قَدَمَاهُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَوَالِيهِ: لَو رَكِبْتَ لَسَكَنَ عَنْكَ هَذَا الْوَرَمُ فَقَالَ: كَلا إِذَا أَتَيْنَا هَذَا الْمَنْزِلَ فَإِنهُ يَسْتَقْبِلُكَ أَسْوَدُ ومَعَهُ دُهْنٌ فَاشْتَرِ مِنْهُ ولَا تُمَاكِسْهُ فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمي مَا قَدِمْنَا مَنْزِلًا فِيهِ أَحَدٌ يَبِيعُ هَذَا الدوَاءَ فَقَالَ لَهُ: بَلَى إِنهُ أَمَامَكَ دُونَ الْمَنْزِلِ فَسَارَا مِيلًا فَإِذَا هو بِالْأَسْوَدِ، فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام لِمَوْلَاهُ: دُونَكَ الرجُلَ فَخُذْ مِنْهُ الدهْنَ وأَعْطِهِ الثمَنَ، فَقَالَ الْأَسْوَدُ: يَا غُلَامُ لِمَنْ أَرَدْتَ هَذَا الدهْنَ؟ فَقَالَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِي عليهما السلام، فَقَالَ: انْطَلِقْ بِي إِلَيْهِ فَانْطَلَقَ فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمي لَمْ أَعْلَمْ أَنكَ تَحْتَاجُ إِلَى هَذَا أَو تَرَى ذَلِكَ ولَسْتُ آخُذُ لَهُ ثَمَنًا إِنمَا أَنَا مَوْلَاكَ

---

(١) الكافي، ج١ ص٥١٠.

ولَكِنِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي ذَكَرًا سَوِيًا يُحِبكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِني خَلفْتُ أَهْلِي تَمْخَضُ فَقَالَ انْطَلِقْ إِلَى مَنْزِلِكَ فَقَدْ وَهَبَ اللهُ لَكَ ذَكَرًا سَوِيًا وهو مِنْ شِيعَتِنَا)(١).

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار الحسين عليه السلام

فمن ذلك أنه عليه السلام لما أراد الخروج إلى العراق قالت له أم سلمة: (يا بني لا تحزني بخروجك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ولدي الحسين بالعراق، فقال لها الحسين عليه السلام: يا أماه إني مقتول لا محالة وليس من الأمر المحتوم بد وإني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه والحضيرة التي أدفن فيها، ومن يقتل معي من أهل بيتي ومن شيعتي، وإن أردت أريك مضجعي ومكاني، ثم أشار بيده فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومكانه)(٢).

ومن ذلك ما روي أن رجلًا جاء إلى الحسين عليه السلام فقال: (إن أمي توفيت ولم توص بشيء غير أنها أمرتني أن لا أحدث في أمرها حدثًا حتى أعلمك يا مولاي، فجاء الحسين عليه السلام وأصحابه فرآها ميتة فدعا الله ليحييها فإذا المرأة تتكلم، وقالت: ادخل يا مولاي ومرني بأمرك، فدخل وجلس وقال لها: أوصي يرحمك الله، فقالت: يا سيدي، إن لي من المال كذا وكذا وقد جعلت ثلثه لك لتضعه حيث شئت، والثلثان لابني هذا إن علمت أنه من مواليك، وإن كان مخالفًا فلا

---

(١) الكافي، ج١ ص٥١١.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٤ ص٣٣٠ ح٢.

حظ للمخالف في أموال المؤمنين، ثم سألته أن يتولى أمرها وأن يصلي عليها، ثم صارت ميتة كما كانت)[١].

ومن ذلك ما رواه حمران بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يحدث عن آبائه عليهم السلام: (أن رجلًا كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام مريضًا شديد الحمى، فعاده الحسين بن علي عليه السلام فلما دخل باب الدار طارت الحمى عن الرجل.

فقال: قد رضيت بما أوتيتم به حقًّا حقًّا والحمى لتهرب منكم.

فقال له: والله ما خلق الله شيئًا إلّا وقد أمره بالطاعة لنا، يا كباسة.

قال: فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول: لبيك.

قال: أليس أمير المؤمنين أمرك ألا تقربي إلّا عدوًا أومذنبًا لكي يكون كفارة لذنوبه، فما بال هذا؟ وكان الرجل المريض عبد الله بن شداد الهاد الليثي)[٢].

ومن ذلك ما رواه ابْن عَباسٍ قَالَ: (رَأَيْتُ الْحُسَيْنَ عليه السلام قَبْلَ أَنْ يَتَوَجهَ إِلَى الْعِرَاقِ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وكَف جَبْرَئِيلَ عليه السلام فِي كَفهِ وجَبْرَئِيلُ يُنَادِي: هَلُموا إِلَى بَيْعَةِ اللهِ عَز وجَل)[٣].

ومن ذلك ما روى جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليه السلام قال: جاء أهل الكوفة إلى علي عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر وقالوا له: استسق لنا، فقال للحسين عليه السلام: (قم واستسق.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ج١، ص٣٣٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤ ص٥٣ فصل في معجزاته عليه السلام.

فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وقال: اللهم معطي الخيرات ومنزل البركات أرسل السماء علينا مدرارًا، واسقنا غيثًا مغزارا [واسعًا، واسقنا] غدقًا مجللًا سحًا سفوحًا ثجاجًا، تنعش به الضعيف من عبادك وتحيي به الميت من بلادك آمين يا رب العالمين، فما فرغ عليه السلام من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثًا بغتة عليه السلام؛ وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض)[١].

ومن ذلك ما روى عطاء بن السائب، عن أخيه قال: (شهدت يوم الحسين عليه السلام فأقبل رجل من تميم يقال له عبيد الله بن جويرية.

فقال: يا حسين، فقال عليه السلام: ما تشاء؟

فقال: أبشر بالنار.

فقال عليه السلام: كلا إني أقدم على رب غفور وشفيع مطاع، وأنا من خير وإلى خير، من أنت؟

قال: أنا ابن جويرية.

فرفع يده الحسين عليه السلام حتى رأينا بياض إبطيه، وقال: اللهم صيره إلى النار.

فغضب ابن جويرية، فحمل عليه، فاضطرب به فرسه في جدول، وتعلق رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس فأخذ يعدو به ويضرب رأسه بكل حجر وشجر، وانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر متعلقًا في الركاب، فصار لعنه الله إلى نار الجحيم)[٢].

ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك: (أنه عليه السلام أَتَى قَبْرَ خَدِيجَةَ فَبَكَى

---

(١) عيون المعجزات، ص٦٤.

(٢) عيون المعجزات، ص٦٥.

ثُم قَالَ: اذْهَبْ عَني قَالَ أَنسٌ: فَاسْتَخْفَيْتُ عَنْهُ فَلَما طَالَ وُقُوفُهُ فِي الصلَاةِ سَمِعْتُهُ قَائِلًا:

يَا رَب يَا رَب أَنْتَ مَوْلَاه فَارْحَمْ عُبيدًا إِلَيْكَ مَلْجَاهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمَدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ
طُوبَى لِمَنْ كَانَ خَادِمًا أَرِقًا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلْوَاهُ
ومَا بِهِ عِلةٌ ولَا سَقَمٌ أَكْثَرَ مِنْ حُبهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا اشْتَكَى بَثهُ وغُصتَهُ أَجَابَهُ اللهُ ثُم لَباهُ
إِذَا ابْتَلَا بِالظلَامِ مُبْتَهِلًا أَكْرَمَهُ اللهُ ثُم أَدْنَاهُ

فَنُودِيَ:

لَبيْكَ عَبْدِي وأَنْتَ فِي كَنَفِي وكُلمَا قُلْتَ قَدْ عَلِمْنَاهُ
صَوْتُكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَتِي فَحَسْبُكَ الصوْتُ قَدْ سَمِعْنَاهُ
دُعَاكَ عِنْدِي يَجُولُ فِي حُجُبٍ فَحَسْبُكَ الستْرُ قَدْ سَفَرْنَاهُ
لَو هَبتِ الريحُ مِنْ جَوَانِبِهِ خَر صَرِيعًا لِمَا تَغَشَاهُ
سَلْنِي بِلَا رَغْبَةٍ ولَا رَهَب ولَا حِسَابٍ إِني أَنَا اللهُ)(١)

توضيح

(الأرِق): بكسر الراء من سهر الليل.

قوله: (قد سفرناه)، أي حسبك إنا كشفنا الستر عنك.

قوله: (لوهبت الريح من جوانبه) الضمير راجع إلى الدعاء، كناية عن أنه يجول في مقام لو كان رجل يغشى عليه مما يغشاه من أنوار الجلال، ويحتمل إرجاعه إليه عليه السلام على سبيل الالتفات لبيان غاية خضوعه وولهه في العبادة بحيث لو تحرك الريح لأسقطته.

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤ ص٦٩.

فصل

في ذكر بعض أسرار علي بن الحسين عليه السلام روحنا فداه

فمن ذلك في باب فضائله ما رواه في الكافي عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (لَما أُقْدِمَتْ بِنْتُ يَزْدَجِرْدَ [شهريار] عَلَى عُمَرَ أَشْرَفَ لَهَا عَذَارَى الْمَدِينَةِ وأَشْرَقَ الْمسْجِدُ بِضَوْئِهَا لَما دَخَلَتْهُ، فَلَما نَظَرَ إِلَيْهَا عُمَرُ غَطتْ وَجْهَهَا وقَالَتْ: أُف بِيرُوجْ بَادَا هُرْمُزْ[1].

فَقَالَ عُمَرُ: أَتَشْتِمُنِي هَذِهِ وهَم بِهَا.

فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَيْس ذَلِكَ لَكَ خَيرْهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ واحْسُبْهَا بِفَيْئِهِ، فَخَيرَهَا فَجَاءَتْ حَتى وَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.

فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا اسْمُكِ، فَقَالَتْ: جَهَانْ شَاهُ فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: بَلْ شَهْرَبَانُوَيْه.

ثُم قَالَ لِلْحُسَيْنِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَتَلِدَن لَكَ مِنْهَا خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَوَلَدَتْ عَلِي بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام وكَانَ يُقَالُ لِعَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام ابْنُ الْخِيَرَتَيْنِ، فَخِيَرَةُ اللهِ مِنَ الْعَرَبِ هَاشِمٌ ومِنَ الْعَجَمِ فَارِسُ.

ورُوِيَ أَن أَبَا الْأَسْوَدِ الدؤَلِي قَالَ فِيهِ عليه السلام:

وإِن غُلَامًا بَيْنَ كِسْرَى وهَاشِمٍ   لَأَكْرَمُ مَنْ نِيطتْ عَلَيْهِ التمَائِم[2])[3]

---

(١) كلام فارسى مشتمل على تأفيف ودعاء على أبيها هرمز تعنى لا كان لهرمز يوم فان ابنته اسرت بصغر ونظر إليها الرجال

(٢) التميمة عوذة تعلق على الإنسان. منه

(٣) الكافي، ج١ ص٤٦٧. بصائر الدرجات، ج١ ص٣٣٥.

ومن ذلك ما رواه زُرارَة قالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: (كَانَ لِعَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام نَاقَةٌ حَج عَلَيْهَا اثْنَتَيْنِ وعِشْرِينَ حَجةً مَا قَرَعَهَا قَرْعَةً قَط، قَالَ: فَجَاءَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ عليه السلام وَمَا شَعَرْنَا بِهَا إلا وقَدْ جَاءَنِي بَعْضُ خَدَمِنَا أَوبَعْضُ الْمَوَالِي فَقَالَ: إن الناقَةَ قَدْ خَرَجَتْ فَأَتَتْ قَبْرَ عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ فَانْبَرَكَتْ عَلَيْهِ فَدَلَكَتْ بِجِرَانِهَا[1] الْقَبْرَ وهِيَ تَرْغُو[2] فَقُلْتُ أَدْرِكُوهَا أَدْرِكُوهَا وجِيئُونِي بِهَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِهَا أَويَرَوْهَا قَالَ: ومَا كَانَتْ رَأَتِ الْقَبْرَ قَط)[3].

ومن ذلك ما رواه خالد بن عبد الله قال: (كان علي بن الحسين عليه السلام حاجًا فجاء أصحابه فضربوا فسطاطه في ناحية فلما رآه عليه السلام قال: هذا مكان قوم من الجن المؤمنين وقد ضيقتم عليهم، فناداه هاتف: يا ابن رسول الله إن قرب فسطاطك منا رحمة لنا، وإن طاعتك مفروضة علينا، وهذه هديتنا إليك فاقبلها، قال جابر: فنظرنا وإذا إلى جانب الفسطاط أطباق مملوءة رطبًا وعنبًا ورمانًا، فدعا زين العابدين عليه السلام من كان معه من أصحابه، وقال: كلوا من هدية إخوانكم المؤمنين)[4].

ومن ذلك أن رجلًا سأله عليه السلام فقال: بماذا فضلنا على أعدائنا وفيهم من هو أجمل منا؟

فقال له الإمام عليه السلام: (أتحب أن ترى فضلك عليهم؟

فقال: نعم، فمسح يده على وجهه وقال: انظر فنظر واضطرب

---

(١) جران البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره. منه

(٢) ترغو البعير إذا ضج. منه

(٣) الكافي، ج١ ص٤٦٧.

(٤) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٨.

وقال: جعلت فداك ردني إلى ما كنت فإني لم أر في المسجد إلّا دبًا وقردًا وكلبًا، فمسح يده فعاد إلى حاله)[١].

وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: (أعداء علي مسوخ هذه الأمة)[٢]، وفي النقل (اقتل الوزغ فإنه مسوخ بني أمية)[٣].

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار أبي جعفر عليه السلام

فمن ذلك ما رواه في الكافي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتُمْ وَرَثَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ عَلِمَ كُل مَا عَلِمُوا؟ قَالَ لِي: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تُحْيُوا الْمَوْتَى وتُبْرِءُوا الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ؟ قَالَ لي: نَعَمْ بِإِذْنِ اللهِ، ثُم قَالَ لِيَ: ادْنُ مِني يَا أَبَا مُحَمدٍ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَمَسَحَ عَلَى وَجْهِي وعَلَى عَيْنَي فَأَبْصَرْتُ الشمْسَ والسمَاءَ وَالْأَرْضَ والْبُيُوتَ وكُل شيءِ فِي الْبَلَدِ، ثُم قَالَ لِي: أَتُحِب أَنْ تكُونَ هَكَذَا ولَكَ مَا لِلناسِ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوتَعُودَ كَمَا كُنْتَ ولَكَ الْجَنةُ خَالِصًا.

قُلْتُ: أَعُودُ كَمَا كُنْتُ فَمَسَحَ عَلَى عَيْنَي فَعُدْتُ كَمَا كُنْتُ. قَالَ: فَحَدثْتُ ابْنَ أَبِي عُمَيْرٍ بِهَذَا فَقَالَ: أَشْهَدُ أَن هَذَا حَق كَمَا أَن النهَارَ حَق)[٤].

---

(١) الهداية الكبرى، ص٢٢٤. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص١٣٨.

(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص١٣٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكافي ج١ ص٤٧٠.

وفيه عَنْ مُحمدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا إِذْ وَقَعَ زَوْجُ وَرَشَانٍ عَلَى الْحَائِطِ وهَدَلَا هَدِيلَهُمَا فَرَد أَبُوجَعْفَرٍ عليه السلام [عَلَيْهِمَا] كَلَامَهُمَا سَاعةً، ثُم نَهَضَا فَلَما طَارَا عَلَى الْحَائِطِ هَدَلَ الذكرُ عَلَى الْأُنْثَى سَاعةً، ثُم نَهضَا فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا هَذَا الطيْرُ؟

قَالَ: يَا ابْنَ مُسْلِمٍ كُل شيء خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طَيْرٍ أَو بَهِيمَةٍ أَو شيء فِيهِ رُوحٌ فَهو أَسْمَعُ لَنَا وأَطْوَعُ مِنِ ابْنِ آدَمَ، إِن هَذَا الْوَرَشَانَ ظَن بِامْرَأَتِهِ فَحَلَفَتْ لَهُ مَا فَعَلْتُ، فَقَالَتْ: تَرْضَى بِمُحَمدِ بْنِ عَلِي فَرَضِيَا بِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنهُ لَهَا ظَالِمٌ فَصدقَهَا)[1].

ومن ذلك ما رواه ميسر قال: (قمت بباب أبي جعفر عليه السلام فخرجت جارية جلاسية فوضعت يدي على رأسها فناداني من أقصى الدار: ادخل لا أبا لك فلو كانت الجدران تحجب أبصارنا عنكم كما تحجب أبصاركم لكنا نحن وإياكم سواء)[2].

ومن ذلك ما رواه مُحَمد بْن مُسْلِمٍ قَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى مَكَانٍ يُرِيدُهُ فَسِرْنَا وإِذَا ذِئْبٌ قَدِ انْحَدَرَ مِنَ الْجَبَلِ وجَاءَ حَتى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرَبُوسِ السرْجِ وتَطَاوَلَ فَخَاطَبَهُ فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ: ارْجِعْ فَقَدْ فَعَلْتُ.

قَالَ: فَرَجَعَ الذئْبُ مُهَرْوِلًا فَقُلْتُ: يا سَيدِي مَا شَأْنُهُ؟ فقَالَ: ذَكَرَ أَن زَوْجَتَهُ قَدْ عَسُرَتْ عَلَيْهَا الْوِلَادَةُ فَسَأَلَ لَهَا الْفَرَجَ وأَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ وَلَدًا لَا يُؤْذِي دَوَاب شِيعَتِنَا، فقُلْتُ لَهُ اذْهَبْ فَقَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: ثُم سِرْنَا فَإِذَا قَاعٌ مُجْدِبٌ يَتَوَقدُ حَرًا وهُنَاكَ عَصَافِيرُ فَتَطَايَرْنَ ودُرْنَ حَوْلَ بَغْلَتِهِ

---

(١) الكافي، ج١ ص٥١٩.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٧.

فَزَجَرَهَا وقَالَ: لَا ولَا كَرَامَةَ، قَالَ ثُم سارَ إِلَى مَقْصَدِهِ فَلَما رَجَعْنَا مِنَ الْغَدِ وعُدْنَا إِلَى الْقَاعِ فَإِذَا الْعَصَافِيرُ قَدْ طَارَتْ ودَارَتْ حَوْلَ بَغْلَتِهِ ورَفْرَفَتْ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اشْرَبِي وارْوَي، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِي الْقَاعِ ضَحْضَاحٌ مِنَ الْمَاءِ فَقُلْتُ: يَا سَيدِي بِالْأَمْسِ مَنَعْتَهَا والْيَوْمَ سَقَيْتَهَا؟

فَقَالَ: اعْلَمْ أَن الْيَوْمَ خَالَطَهَا الْقَنَابِرُ فَسَقَيْتُهَا ولَوْلَا الْقَنَابِرُ لمَا سَقَيْتُهَا فَقُلْتُ: يَا سَيدِي ومَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَنَابِرِ والْعَصَافِيرِ فَقَالَ: وَيْحَكَ أَما الْعَصَافِيرُ فَإِنهُمْ مَوَالِي عُمَرَ لِأَنهُمْ مِنْهُ، وأَما الْقَنَابِرُ فَإِنهُمْ مِنْ مَوَالِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ وإِنهُمْ يَقُولُونَ فِي صَفيرِهِمْ بُورِكْتُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وبُورِكَتْ شِيعَتُكُمْ ولَعَنَ اللهُ أَعْدَاءَكُمْ، ثُم قَالَ عَادَانَا مِنْ كُل شيء حَتى مِنَ الطيُورِ العصفور [الْفَاخِتَةُ] ومِنَ الْأَيامِ الْأَرْبِعَاءُ)[١].

قيل: (إن في هذا الحديث رمز حسن يشير إلى أن كل شيء يميل إلى شكله ويفرح بنظيره، وينبعث إلى طبعه، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: (يعرف ولد الحرام بأكله للحرام)[٢]، وهذا أيضًا رمز وهو أن ولد الحرام مادته من الحرام فهو يحب ما هو منه، وعدوهم عليهم السلام من رجل فهو لا يحب إلّا مادته، ومحبهم ووليهم طينته منهم، وهي طينة خلق منها أولاد الحلال فلا يحبهم إلّا ولد الحلال، وليس محبهم إلّا ولد حلال)[٣] انتهى.

ومن ذلك ما رواه أبوبصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول لرجل من خراسان كان قدم إليه: (كيف أبوك؟

فقال الرجل: بخير.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٨.
(٢) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٨.
(٣) المصدر السابق.

فقال: وأخوك؟

قال: خلفته صالحًا.

فقال: قد هلك أبوك بعد خروجك بيومين، وأما أخوك فقتلته جاريته يوم كذا، وقد صار إلى الجنة؛ فقال الرجل: جعلت فداك، إن ابني قد خلفته وجعًا.

فقال: أبشر فقد برىء وزوجه عمه ابنته وصار له غلام وسماه عليًا، وليس من شيعتنا.

فقال الرجل: فما إليه من حلية؟.

فقال: كلا قد أخذ من صلب آدم أنه من أعدائنا فلا تغرنك عبادته وخشوعه)[١].

ومن ذلك ما رواه جابر بن يزيد قال: (كنا مع أبي جعفر عليه السلام في المسجد فدخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام، وعليه ثوبان معصفران فقال أبوجعفر عليه السلام: لا تذهب الأيام حتى يملكها هذا الغلام، ويستعمل العدل جهرا والجور سرا فإذا مات تبكيه أهل الأرض ويلعنه أهل السماء)[٢].

ومن ذلك ما رواه أبو بصير قال: (قال لي مولاي أبو جعفر عليه السلام: إذا رجعت إلى الكوفة يولد لك ولد وتسميه عيسى، ويولد لك ولد وتسميه محمدًا وهما من شيعتنا وأسماؤهما في صحيفتنا، وما يولدون إلى يوم القيامة، قال: فقلت: وشيعتكم معكم؟ قال: نعم، إذا خافوا الله واتقوه وأطاعوه)[٣].

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦ ص٢٥١.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٦ ص٢٧٤.

ومن ذلك أنه دخل المسجد يومًا فرأى شابًا يضحك في المسجد فقال له: (تضحك في المسجد وأنت بعد ثلاثة من أصحاب القبور؟ فمات الرجل في أول اليوم الثالث، ودفن في آخره)(١).

فصل

في الإشارة إلى بعض أسرار أبي عبد الله الصادق عليه السلام

فمن ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عَنِ الْمُفَضلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: (وَجهَ أَبُوجَعْفَرِ الْمَنْصُورُ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ وهو وَالِيهِ عَلَى الْحَرَمَيْنِ أَنْ أَحْرِقْ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحمدٍ دَارَهُ فَأَلْقَى النارَ فِي دَارِ أَبِي عَبْدِ اللهِ فَأَخَذَتِ النارُ فِي الْبَابِ والدهْلِيزِ فَخَرَجَ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام يَتَخطى النارَ ويَمْشِي فِيهَا ويَقُولُ أَنَا ابْنُ أَعْرَاقِ الثرَى أَنَا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ عليه السلام)(٢).

ومن ذلك ما رواه فيه بإسناده عَنْ رُفَيْدٍ مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُبَيْرَةَ قَالَ: (سَخِطَ عَلَي ابْنُ هُبَيْرَةَ وحَلَفَ عَلَي لَيَقْتُلَنِي فَهَرَبْتُ مِنْهُ وعُذْتُ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَأَعْلَمْتُهُ خَبَرِي فَقَالَ لِيَ: انْصَرِفْ [إليه] وأَقْرِئْهُ مِني السلَامَ وقُلْ لَهُ إِني قَدْ آجَرْتُ عَلَيْكَ مَوْلَاكَ رُفَيْدًا فَلَا تَهِجْهُ بِسُوءٍ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ شَامِي خَبِيثُ الرأْيِ.

فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ كَمَا أَقُولُ لَكَ، فَأَقْبَلْتُ فَلَما كُنْتُ فِي بَعْضِ الْبَوَادِي اسْتَقْبَلَنِي أَعْرَابِي فَقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبُ إِني أَرَى وَجْهَ مَقْتُولٍ ثُم قَالَ لِي: أَخْرِجْ يَدَكَ فَفَعَلْتُ فَقَالَ يَدُ مَقْتُولٍ، ثُم قَالَ لِي: أَبْرِزْ رِجْلَكَ فَأَبْرَزْتُ رِجْلِي فَقَالَ رِجْلُ مَقْتُولٍ، ثُم قَالَ: لِي أَبْرِزْ جَسَدَكَ فَفَعَلْتُ

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٣٨.
(٢) الكافي، ج١ ص٤٧٣.

فَقَالَ: جَسَدُ مَقْتُولٍ، ثُم قَالَ لِي: أَخْرِجْ لِسَانَكَ فَفَعَلْتُ فَقَالَ لِيَ: امْضِ فَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ فَإِن فِي لِسَانِكَ رِسَالَةً لَوأَتَيْتَ بِهَا الْجِبَالَ الروَاسِيَ لَانْقَادَتْ لَكَ.

قَالَ: فَجِئْتُ حَتى وَقَفْتُ عَلَى بَابِ ابْنِ هُبَيْرَةَ فَاسْتَأْذَنْتُ فَلَما دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ: أَتَتْكَ بِحَائِنٍ رِجْلَاهُ يَا غُلَامُ النطْعَ والسيْفَ ثُم أَمَرَ بِي فَكُتِفْتُ وشُد رَأْسِي وقَامَ عَلَيَّ السيافُ لِيَضْرِبَ عُنُقِي، فَقُلْتُ: أَيها الْأَمِيرُ لَمْ تَظْفَرْ بِي عَنْوَةً وإِنما جِئْتُكَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِي وهَا هُنَا أَمْرٌ أَذْكُرُهُ لَكَ ثُم أَنْتَ وشَأْنَكَ.

فَقَالَ لي قُلْ: فَقُلْتُ: أَخْلِنِي، فَأَمَرَ مَنْ حَضَرَ فَخَرَجُوا فَقُلْتُ لَهُ: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمدٍ يُقْرِئُكَ السلَامَ ويَقُولُ لَكَ: قَدْ آجَرْتُ عَلَيْكَ مَوْلَاكَ رُفَيْدًا فَلَا تَهِجْهُ بِسُوءٍ.

فَقَالَ: واللهِ لَقَدْ قَالَ لَكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمدٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وأَقْرَأَنِي السلَامَ، فَحَلَفْتُ لَهُ فَرَدهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا ثُم حَل أَكْتَافِي ثُم قَالَ: لَا يُقْنِعُنِي مِنْكَ حَتى تَفْعَلَ بِي مَا فَعَلْتُ بِكَ قُلْتُ مَا تَنْطَلِقُ يَدِي بِذَاكَ ولَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسِي فَقَالَ: واللهِ مَا يُقْنِعُنِي إِلا ذَاكَ فَفَعَلْتُ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِي وأَطْلَقْتُهُ فَنَاوَلَنِي خَاتَمَهُ وقَالَ: أُمُورِي فِي يَدِكَ فَدَبرْ فِيهَا مَا شِئْتَ)[(١)].

ومن ذلك ما رواه مُحمد بن سِنَانٍ: (أَن رَجُلًا قَدِمَ عليه مِنْ خُرَاسَانَ ومَعَهُ صُرَرٌ مِنَ الصدَقَاتِ مَعْدُودَةٌ مَخْتُومَةٌ وعَلَيْهَا أَسْمَاءُ أَصْحَابِهَا مَكْتُوبَةٌ، فَلَما دَخَلَ الرجُلُ جَعَلَ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام يُسَمي أَصْحَابَ الصرَرِ ويَقُولُ: أَخْرِجْ صُرةَ فُلَانٍ فَإِن فِيهَا كَذَا وكَذَا، ثُم قَالَ: أَيْنَ صُرةُ الْمَرْأَةِ التِي بَعَثَتْهَا مِنْ غَزْلِ يَدِهَا أَخْرِجْهَا فَقَدْ قَبِلْنَاهَا،

---

(١) الكافي، ج١ ص٥٢١.

ثُم قَالَ لِلرجُلِ: أَيْنَ الْكِيسُ الْأَزْرَقُ وكان فيما حمل إليه كيس أزرق فِيهِ أَلْفُ دِرْهَم، وكَانَ الرجُلُ قَدْ فَقدَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ، فَلَما ذَكَرُهُ الْإِمَامُ عليه السلام اسْتَحيَا الرجُلُ وقَالَ يَا مَوْلَايَ إن فِي بَعْضِ الطرِيقِ قَدْ فَقَدْتُهُ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ عليه السلام: تَعْرِفُهُ إِذَا رَأَيْتَه.

فَقَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَخْرِجِ الْكِيسَ الْأَزْرَقَ، فَأَخْرَجَهُ فَلَما رَآهُ الرجُلُ عَرَفَهُ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ: إِنَا احْتَجْنَا إِلَى مَا فِيهِ فَأَحْضَرْنَاهُ قَبْلَ وُصُولِكَ إِلَيْنَا.

فَقَالَ الرجُلُ: يَا مَوْلَايَ إِني أَلْتَمِسُ الْجَوَابَ بِوُصُولِ مَا حَمَلْتُهُ إِلَى حَضْرَتِكَ، فَقَالَ لَهُ: إِن الْجَوَابَ كَتَبْنَاهُ وأَنْتَ فِي الطرِيق)[١].

ومن ذلك ما رواه عبد اللّه بن الكاهلي قال: قال لي الصادق عليه السلام: (إذا لقيت السبع فاقرأ في وجهه آية الكرسي، وقل: عزمت عليك بعزيمة اللّه وعزيمة رسوله، وعزيمة سليمان بن داود، وعزيمة علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده، فإنه ينصرف عنك، قال: فخرجت مع ابن عم لي قادمًا من الكوفة فعرض لنا السبع فقرأت عليه ما علّمني مولاي فطأطأ رأسه ورجع عن الطريق، فلما قدمت إلى سيدي من قبل أن أعلمه بالخبر، فقال: أتراني لم أشهدكم إن لي مع كل ولي أذن سامعة، وعين ناظرة، ولسان ناطق، ثم قال: يا عبد اللّه أنا واللّه صرفته عنكما وعلامة ذلك أنكما كنتما على شاطئ النهر)[٢].

أقول: يظهر من هذا الحديث الشريف أسرار غريبة.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤١.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص١٤١.

الأول: إطاعة الوحوش لهم عيانًا وسماعًا كما أشار إليه مولانا الباقر عليه السلام في حديث محمد بن مسلم المتقدم، قال عليه السلام: (يا ابن مسلم كل شيء خلقه الله من طير أو بهيمة أو شيء فيه روح هو أسمع لنا وأطوع من ابن آدم).

الثاني: إخباره عليه السلام أنه لم يغب عن الخلق ولم يغفل عنهم وأنه يشهد سائر أوليائه فهو معهم أينما كانوا، فالإمام عليه السلام مع الخلق كلهم لم يغب عنهم ولم يحتجبوا عنه طرفة عين ولكن أبصارهم محجوبة عن النظر إليه، وأن الدنيا بين يدي الإمام عليه السلام كالدرهم في يد الرجل يقلبه كيف يشاء، وإلى ما أشرنا إليه الإشارة في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(١)، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٢)، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾(٣)، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾(٤)، وأمثال هذا من الآيات المحكمات.

الثالث: إخباره عليه السلام أن الإمام هو الذي يصرف عن أوليائه السوء وينجيهم من كل بلية ويخلصهم عن كل ورطة، إذا اقتضت الحكمة نجاتهم وكانت المصلحة في خلاصهم، وإليه الإشارة في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(٥).

الرابع: أنه عليه السلام أنكر عليه وقال: (أتراني لم أشهدكم) حيث أنه

---

(١) الحديد، ٤.

(٢) طه، ٤٦.

(٣) الشعراء، ١٥.

(٤) المؤمنون، ١٧.

(٥) الأنعام، ٦٣ ـ ٦٤.

حسب أن الحجة لا يشهد المحجوج عليه، بعد أن ثبت أنهم عليهم السلام عين الله الناظرة وأذنه السميعة ويده المبسوطة بالفضل والرحمة، ولسانه الناطق عنه، وأن قلوبهم عليهم السلام محل مشيئة الله وألسن إرادته وخزائن أسراره وعيبة علمه وحكمته، وباب جوده وكرمه وطريق إفاضته إلى عباده.

ومن ذلك ما رواه أَبو بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام: (إِن الْمُعَلى بْنَ خُنَيْسٍ يَنَالُ دَرَجَتَنَا وإِن الْمَدِينَةَ مِنْ قَابِلٍ يَلِيهَا دَاوُدُ بْنُ عُرْوَةَ ويَسْتَدْعِيهِ ويَأْمُرُهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَسْمَاءَ شِيعَتِنَا فَيَأْبَى فَيَقْتُلُهُ ويَصْلِبُهُ فِينَا وبِذَلِكَ يَنَالُ دَرَجَتَنَا، فَلَما وَلِيَ دَاوُدُ الْمَدِينَةَ مِنْ قَابِلٍ أَحْضَرَ الْمُعَلى وسَأَلَهُ عَنِ الشيعَةِ فَقَالَ: مَا أَعْرِفُهُمْ فَقَالَ اكْتُبْهُمْ لِي وإِلا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ فَقَالَ بِالْقَتْلِ تُهَددُنِي واللهِ لَو كَانَتْ تَحْتَ أَقْدَامِي مَا رَفَعْتُهَا عَنْهُم فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وصَلْبِهِ، فَلَما دَخَلَ عَلَيْهِ الصادِقُ عليه السلام قَالَ: يَا دَاوُدُ قَتَلْتَ مَوْلَايَ ووَكِيلِي ومَا كَفَاكَ الْقَتْلُ حَتى صَلَبْتَهُ واللهِ لَأَدْعُوَن اللهَ عَلَيْكَ لِيَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَهُ، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: تُهَددُنِي بِدُعَائِكَ ادْعُ اللهَ لَكَ فَإِذَا اسْتَجَابَ لَكَ فَادْعُهُ عَلَيَّ، فَخَرَجَ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام مُغْضَبًا فَلَما جَن اللَيْلُ اغْتَسَلَ واسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ثُم قَالَ: يَا ذَا يَا ذِي يَا ذَوَا ارْمِ دَاوُدَ بِسَهْمٍ مِنْ سهام قهرك تُقَلْقِلْ بِهِ قَلْبَهُ ثُم قَالَ لِغُلَامِهِ اخْرُجْ واسْمَعِ الصائِحَ فَجَاءَ الْخَبَرُ أَن دَاوُدَ قَدْ هَلَكَ فَخَر الْإِمَامُ سَاجِدًا وقَالَ: إِنهُ لَقَدْ دَعَوْتُ اللهَ عَلَيْهِ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ لَو أَقْسَمْتُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَزُلْزِلَتْ بِمَنْ عَلَيْهَا)(١).

ومن ذلك أن المنصور يومًا دعاه، فركب معه إلى بعض النواحي، فجلس المنصور على تلال هناك وإلى جانبه أبو عبد الله، فجاء رجل

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٢.

وهم أن يسأل المنصور ثم أعرض عنه، وسأل الصادق عليه السلام فحثى له من رمل هناك ملء يديه ثلاث مرات، فقال: اذهب وأغل، فقال له بعض حاشية المنصور: أعرضت عن الملك وسألت فقيرًا لا يملك شيئًا، فقال الرجل وقد عرق وجهه خجلًا مما أعطاه: إني سألت من أنا واثق بعطائه، ثم جاء بالتراب إلى بيته، فقالت له زوجته: من أعطاك هذا؟ فقال: جعفر عليه السلام، فقالت: وما قال لك؟ قال: قال لي: اذهب وأغل، فقالت: إنه صادق، فاذهب بقليل منه إلى أهل المعرفة فإني أشم فيه رايحة الغنا، فأخذ الرجل منه جزءًا ومر به إلى بعض اليهود فأعطاه فيما حمل منه إليه عشرة آلاف درهم، وقال له: أتيني بباقيه على هذه القيمة)[1]

ومن ذلك: (أن المنصور لعنه الله لما أراد قتل أبي عبد الله عليه السلام استدعى قومًا من الأعاجم يقال لهم البعرعر لا يفهمون ولا يعقلون، فخلع عليهم الديباج المثقل، والوشي المنسوج، وحملت إليهم الأموال، ثم استدعاهم وكانوا مائة رجل، وقال للترجمان: قل لهم: إن لي عدوا يدخل علي الليلة فاقتلوه إذا دخل، قال: فأخذوا أسلحتهم ووقفوا ممتثلين لأمره، فاستدعى جعفرا عليه السلام وأمره أن يدخل وحده، ثم قال للترجمان: قل لهم هذا عدوي فقطعوه، فلما دخل الإمام عليه السلام تعاووا عوي الكلاب، ورموا أسلحتهم، وكتفوا أيديهم إلى ظهورهم، وخروا له سجدا، ومرغوا وجوههم على التراب، فلما رأى المنصور ذاك خاف، وقال: ما جاء بك؟ قال: أنت، وما جئتك إلّا مغتسلًا محنطًا، فقال المنصور: معاذ الله أن يكون ما تزعم، ارجع راشدًا، فخرج جعفر عليه السلام والقوم على وجوههم سجدًا، فقال

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٢.

للترجمان: قل لهم: لم لا قتلتم عدو الملك؟ فقالوا: نقتل ولينا الذي يلقانا كل يوم ويدبر أمرنا كما يدبر الرجل أمر ولده ولا نعرف وليا سواه، فخاف المنصور من قولهم فسرحهم تحت الليل، ثم قتله بعد ذلك بالسم)[١].

ومن ذلك ما ذكر في المشارق من كتاب الراوندي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، وعندنا الجفر الأبيض والجفر الأحمر، ومصحف فاطمة والجامعة.

فأما الغابر فعلم ما كان، وأما المزبور فعلم ما يكون، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام، وأما النقر في الأسماع فهو حديث الملائكة، وأما الجفر الأحمر ففيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه التوراة والإنجيل والزبور والكتب الأولى، وأما مصحف فاطمة ففيه ما يكون من الحوادث، واسم من يملك إلى يوم القيامة، وأما الجامعة ففيها جميع ما يحتاج الناس إليه حتى أرش الخدش، وعندنا صحيفة فيها اسم من ولد ومن يولد، واسم أبيه وأمه من الذر إلى يوم القيامة، ممن هو من أعدائنا واسم أوليائنا، ذلك فضل الله علينا وعلى الناس)[٢].

ومن ذلك: ما رواه أحمد البرقي عن أبيه عن سدير الصيرفي قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم وبين يديه طبق مغطى، فدنوت منه وسلمت عليه، فكشف عن الطبق وإذا فيه رطب، فقلت: يا رسول الله ناولني رطبة، فأكلتها، ثم طلبت أخرى فناولني حتى أكلت ثمان رطبات، فطلبت أخرى فقال: حسبك.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٢.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٣.

قال: فلما استيقظت من الغد دخلت على الصادق عليه السلام وإذا بين يديه طبق مغطى كما رأيته في المنام، فكشف عنه، وإذا فيه رطب، فقلت: جعلت فداك ناولني رطبة، فناولنيها فأكلتها، ثم سألته أخرى فأعطاني، حتى ناولني ثمان رطبات فأكلتهن، ثم سألته أخرى، فقال: حسبك لو زادك جدي صلى الله عليه وآله لزدتك)(١).

ومن ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ ومُفَضلِ بْنِ عُمَرَ وأَبِي سَلَمَةَ السراجِ والْحُسَيْنِ بْنِ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ قَالُوا: (كُنا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ: عِنْدَنَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ ومَفَاتِيحُهَا ولَو شِئْتُ أَنْ أَقُولَ بِإِحْدَى رِجْلَي أَخْرِجِي مَا فِيكِ مِنَ الذهَبِ لَأَخْرَجَتْ قَالَ: ثُم قَالَ بِإِحْدَى رِجْلَيْهِ فَخَطهَا فِي الْأَرْضِ خَطًا فَانْفَرَجَتِ الْأَرْضُ ثُم قَالَ بِيَدِهِ فَأَخْرَجَ سَبِيكَةَ ذَهَبٍ قَدْرَ شِبْرٍ ثُم قَالَ انْظُرُوا حَسَنًا فَنَظَرْنَا فَإِذَا سَبَائِكُ كَثِيرَةٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ يَتَلَألَأُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا جُعِلْتُ فِدَاكَ أُعْطِيتُمْ مَا أُعْطِيتُمْ وشِيعَتُكُمْ مُحْتَاجُونَ قَالَ فَقَالَ: إِن اللهَ سَيَجْمَعُ لَنَا ولِشِيعَتِنَا الدنْيَا والْآخِرَةَ ويُدْخِلُهُمْ جَناتِ النعِيمِ ويُدْخِلُ عَدُونَا الْجَحِيمَ)(٢).

وفيه عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (كَانَ لِي جَارٌ يَتبِعُ السلْطَانَ فَأَصَابَ مَالًا فَأَعَد قِيَانًا(٣) وكَانَ يَجْمَعُ الْجَمِيعَ إِلَيْهِ ويَشْرَبُ الْمُسْكِرَ ويُؤْذِينِي فَشَكَوْتُهُ إِلَى نَفْسِهِ غَيْرَ مَرةٍ فَلَمْ يَنْتَهِ فَلَما أَنْ أَلْحَحْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي يَا هَذَا أَنَا رَجُلٌ مُبْتَلًى وأَنْتَ رَجُلٌ مُعَافًى فَلَو عَرَضْتَنِي لِصَاحِبِكَ رَجَوْتُ أَنْ يُنْقِذَنِيَ اللهُ بِكَ فَوَقَعَ ذَلِكَ لَهُ فِي قَلْبِي فَلَما صِرْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٣.

(٢) الكافي، ج١، ص٥٢٢.

(٣) القنة: الأمة المغنية أو غير المغنية والجمع القيان (من المصنف رحمه الله).

ذَكَرْتُ لَهُ حَالَهُ فَقَالَ لِي إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْكُوفَةِ سَيَأْتِيكَ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمدٍ دَعْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وأَضْمَنَ لَكَ عَلَى اللهِ الْجَنةَ فَلَما رَجَعْتُ إِلَى الْكُوفَةِ أَتَانِي فِيمَنْ أَتَى فَاحْتَبَسْتُهُ عِنْدِي حَتى خَلَا مَنْزِلِي، ثُم قُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا إِني ذَكَرْتُكَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمدٍ الصادِقِ عليه السلام فَقَالَ لِي إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْكُوفَةِ سَيَأْتِيكَ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمدٍ دَعْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وأَضْمَنَ لَكَ عَلَى اللهِ الْجَنةَ قَالَ فَبَكَى ثُم قَالَ لِيَ اللهِ لَقَدْ قَالَ لَكَ أَبُوعَبْدِ اللهِ هَذَا قَالَ فَحَلَفْتُ لَهُ أَنهُ قَدْ قَالَ لِي مَا قُلْتُ فَقَالَ لِي حَسْبُكَ ومَضَى فَلَما كَانَ بَعْدَ أَيامٍ بَعَثَ إِلَي فَدَعَانِي وإِذَا هو خَلْفَ دَارِهِ عُرْيَانٌ فَقَالَ لِي يَا أَبَا بَصِيرٍ لَا واللهِ مَا بَقِيَ فِي مَنْزِلِي شيء إِلا وقَدْ أَخْرَجْتُهُ وأَنَا كَمَا تَرَى قَالَ فَمَضَيْتُ [إِلَى إِخْوَانِنَا] فَجَمَعْتُ لَهُ مَا كَسَوْتُهُ بِهِ ثُم لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ أَيامٌ يَسِيرَةٌ حَتى بَعَثَ إِلَي أَني عَلِيلٌ فَأْتِنِي فَجَعَلْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وأُعَالِجُهُ حَتى نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَكُنْتُ عِنْدَهُ جَالِسًا وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَغُشِيَ عَلَيْهِ غَشْيَةً ثُم أَفَاقَ فَقَالَ لِي يَا أَبَا بَصِيرٍ قَدْ وَفَى صَاحِبُكَ لَنَا ثُم قُبِضَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فَلَما حَجَجْتُ أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَلَما دَخَلْتُ قَالَ لِيَ ابْتِدَاءً مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ وإِحْدَى رِجْلَيَ فِي الصحْنِ والْأُخْرَى فِي دِهْلِيزِ دَارِهِ يَا أَبَا بَصِيرٍ قَدْ وَفَيْنَا لِصَاحِبِكَ)(١).

وفيه عن صفوان بن يحيى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمدِ بْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ: قَالَ لِي: (أَتَدْرِي مَا كَانَ سَبَبُ دُخُولِنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ ومَعْرِفَتِنَا بِهِ ومَا كَانَ عِنْدَنَا مِنْهُ ذِكْرٌ ولَا مَعْرِفَةُ شيء مِما عِنْدَ الناسِ؟ قَالَ قُلْتُ لَهُ: مَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِن أَبَا جَعْفَرٍ يَعْنِي أَبَا الدوَانِيقِ قَالَ لِأَبِي مُحَمدِ بْنِ

---

(١) الكافي، ج١ص ٥٢٢.

الْأَشْعَثِ يَا مُحَمدُ ابْغِ لِي رَجُلًا لَهُ عَقْلٌ يُؤَدي عَني فَقَالَ لَهُ إني قَدْ أَصَبْتُهُ لَكَ هَذَا فُلَانُ بْنُ مُهَاجِرٍ خالِي، قَالَ: فَأْتِنِي بِهِ قَالَ فَأَتَيْتُهُ بِخالِي فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: يَا ابْنَ مُهَاجِرٍ خُذْ هَذَا الْمَالَ وأْتِ الْمَدِينَةَ وأْتِ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ وعِدةً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيهِمْ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمدٍ فَقُلْ لَهُمْ إِني رَجُلٌ غَرِيبٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وبِهَا شِيعَةٌ مِنْ شِيعَتِكُمْ وَجهوا إِلَيْكُمْ بِهَذَا الْمَالِ وادْفَعْ إِلَى كُل وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى شَرْطِ كَذَا وكَذَا فَإِذَا قَبَضُوا الْمَالَ فَقُلْ إِني رَسُولٌ وأُحِب أَنْ يَكُونَ مَعِي خُطُوطُكُمْ بِقَبْضِكُمْ مَا قَبَضْتُمْ فَأَخَذَ الْمَالَ وأَتَى الْمَدِينَةَ فَرَجَعَ إِلَى أَبِي الدوَانِيقِ ومُحَمدُ بْنُ الْأَشْعَثِ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدوَانِيقِ مَا وَرَاءَكَ قَالَ أَتَيْتُ الْقَوْمَ وهَذِهِ خُطُوطُهُمْ بِقَبْضِهِمُ الْمَالَ خَلَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمدٍ فَإِني أَتَيْتُهُ وهو يُصَلي فِي مَسْجِدِ الرسُولِ ﷺ فَجَلَسْتُ خَلْفَهُ وقُلْتُ حتى يَنْصَرِفَ فَأَذْكُرَ لَهُ مَا ذَكَرْتُ لِأَصْحَابِهِ فَعَجلَ وانْصَرَفَ ثُم الْتَفَتَ إِلَي فَقَالَ: يَا هَذَا اتقِ اللهَ ولَا تَغُر أَهْلَ بَيْتِ مُحَمدٍ ﷺ فَإِنهُمْ قَرِيبُوا الْعَهْدِ بِدَوْلَةِ بَنِي مَرْوَانَ وكُلهُمْ مُحْتَاجٌ فَقُلْتُ ومَا ذَاكَ أَصْلَحَكَ اللهُ قَالَ فَأَدْنَى رَأْسَهُ مِني وأَخْبَرَنِي بِجَمِيعِ مَا جَرَى بَيْنِي وبَيْنَكَ حتى كَأَنهُ كَانَ ثَالِثَنَا قَالَ فَقَالَ لَهُ أَبُوجَعْفَرٍ: يَا ابْنَ مُهَاجِرٍ اعْلَمْ أَنهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُبُوةٍ إِلا وفِيهِ مُحَدثٌ وإِن جَعْفَرَ بْنَ مُحَمدٍ مُحَدثُنَا الْيَوْمَ وكَانَتْ هَذِهِ الدلَالَةُ سَبَبَ قَوْلِنَا بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ[1].

أقول: لوكان ابن مهاجر ممن خرج من بيته مهاجرًا إلى الله وإلى رسوله، أعني أنه لوكان من أهل المعرفة لما قال حتى كأنه ثالثنا، بل قال وأخبرني بجميع ما جرى بينك وبيني، لأنه ثالثنا على حد تأويل

---

(١) الكافي، ج١ص ٥٢٣.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله: (فكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة)، يعني فكانت هذه العلامة والمعجزة التي رأيناها منه عليه السلام سبب دخولنا في هذا الأمر كما أشرنا إليه في أول الحديث.

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار
أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام

فمن ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عَنْ يَعْقُوبَ السراج قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام وهو وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى وهو فِي الْمَهْدِ فَجعَلَ يُسَارهُ طَوِيلًا فَجلَسْتُ حتى فَرَغَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: ادْنُ مِنْ مَوْلَاكَ فَسَلمْ فَدَنَوْتُ فَسَلمْتُ عَلَيْهِ فَرَد عَلَي السلَامَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ ثُم قَالَ لِيَ: اذْهَبْ فَغَيِرِ اسْمَ ابْنَتِكَ التِي سَميْتَهَا أَمْسِ فَإِنهُ اسْمٌ يُبْغِضُهُ اللهُ وكَانَ وُلِدَتْ لِيَ ابْنَةٌ سَميْتُهَا بِالْحُمَيْرَاءِ فَقَالَ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام: انْتَهِ إِلَى أَمْرِهِ تَرْشُدْ فَغَيرْتُ اسْمَهَا)[1].

وفيه عَنْ أَبِي خَالِدٍ الزبَالِي قَالَ: (لَما أُقْدِمَ بِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام عَلَى الْمَهْدِي الْقُدْمَةَ الْأُولَى نَزَلَ بزُبَالَة فَكُنْتُ أُحدثُهُ فَرَآنِي مَغْمُومًا فَقَالَ لِي: يَا أَبَا خَالِدٍ مَا لِي أَرَاكَ مَغْمُومًا.

فَقُلْتُ: وكَيْفَ لَا أَغْتَمُ وأَنْتَ تُحمَلُ إِلَى هَذِهِ الطاغِيَةِ ولَا أَدْرِي مَا

---

(١) الكافي، ج١ص ٣٥٨.

يُحدِثُ فِيكَ. فقَالَ: لَيْسَ عَلَي بَأْسٌ إِذَا كَانَ شَهْرُ كَذَا وكَذَا ويَوْمُ كَذَا فَوَافِنِي فِي أَولِ الْمِيلِ فَمَا كَانَ لِي هَم إِلا إِحْصَاءَ الشهورِ والْأَيام حَتى كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ فَوَافَيْتُ الْمِيلَ فَما زِلْتُ عِنْدَهُ حَتى كَادَتِ الشمْسُ أَنْ تَغِيبَ ووَسْوَسَ الشيْطَانُ فِي صَدْرِي وتَخَوفْتُ أَنْ أَشُك فِيمَا قَالَ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَ نَظَرْتُ إِلَى سَوَادٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ فَاسْتَقْبَلْتُهُمْ فَإِذَا أَبُوالْحَسَنِ عليه السلام أَمَامَ الْقِطَارِ عَلَى بَغْلَته فَقَالَ: إِيهٍ يَا أَبَا خَالِدٍ قُلْتُ لَبيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ فَقَالَ لَا تَشُكن وَد الشيْطَانُ أَنكَ شَكَكْتَ فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلهِ الذِي خَلصَكَ مِنْهُمْ فَقَالَ إِن لِي إِلَيْهِمْ عَوْدَةً لَا أَتَخَلصُ مِنْهُمْ)[١].

وفيه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: (مَر الْعَبْدُ الصالِحُ بِامْرَأَةٍ بِمِنًى وهِيَ تَبْكِي وصِبْيَانُهَا حَوْلَهَا يَبْكُونَ وقَدْ مَاتَتْ لَهَا بَقَرَةٌ فَدَنَا مِنْهَا ثُم قَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ يَا أَمَةَ اللهِ.

قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ إِن لَنَا صِبْيَانًا يَتَامَى وكَانَتْ لِي بَقَرَةٌ مَعِيشَتِي ومَعِيشَةُ صِبْيَانِي كَانَ مِنْهَا وقَدْ مَاتَتْ وبَقِيتُ مُنْقَطَعًا بِي وبِوُلْدِي ولَا حِيلَةَ لَنَا فَقَالَ يَا أَمَةَ اللهِ هَلْ لَكِ أَنْ أُحْيِيَهَا لَكِ فَأُلْهِمَتْ أَنْ قَالَتْ نَعَم يَا عَبْدَ اللهِ فَتَنَحى وصَلى رَكْعَتَيْنِ ثُم رَفَعَ يَدَهُ هُنَيْئَةً وحَركَ شَفَتَيْهِ ثُم قَامَ فَصَوتَ بِالْبَقَرَةِ فَنَخَسَهَا[٢] نَخْسَةً أَو ضَرَبَهَا بِرِجْلِهِ فَاسْتَوَتْ عَلَى الْأَرْضِ قَائِمَةً فَلَما نَظَرْتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الْبَقَرَةِ صَاحَتْ وقَالَتْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ورَب الْكَعْبَةِ فَخَالَطَ الناسَ وصَارَ بَيْنَهُمْ ومَضَى عليه السلام)[٣].

ومن ذلك ما رواه أحمد البزاز قال: (إن الرشيد لعنه الله لما أحضر موسى عليه السلام إلى بغداد وفكر في قتله، فلما كان قبل قتله

---

(١) الكافي، ج١ ص٥٢٦.

(٢) نخس الدابّة غرز جنبها أو مؤخرها بعود ونحوه فهاجت. منه

(٣) الكافي، ج١، ص٥٣٢.

بيومين، قال للمسيب وكان من الحراس عليه لكنه كان من أوليائه، وكان الرشيد لعنه الله قد سلم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك لعنه الله وأمره أن يقيده بثلاثة قيود من الحديد وزنها ثلاثين رطلًا، قال: فاستدعى المسيب نصف الليل وقال: إني ظاعن عنك في هذه الليلة إلى المدينة لأعهد إلى من بها عهدًا يعمل به بعدي، فقال المسيب: يا مولاي كيف أفتح لك الأبواب والحرس قيام؟

فقال: ما عليك، ثم أشار بيده إلى القصور المشيدة والأبنية العالية، والدور المرتفعة، فصارت أرضًا، ثم قال لي: يا مسيب كن على هيئتك فإني راجع إليك بعد ساعة، فقلت: يا مولاي ألا أقطع لك الحديد؟ قال: فنفضه وإذا هو ملقى، قال: ثم خطا خطوة فغاب عن عيني، ثم ارتفع البنيان كما كان.

قال المسيب: فلم أزل قائمًا على قدمي حتى رأيت الأبنية والجدران قد خرت ساجدة إلى الأرض، فإذا بسيدي قد أقبل وعاد إلى محبسه وأعاد الحديد إليه، فقلت: يا سيدي، أين قصدت؟ فقال: كل محب لنا في الأرض شرقًا وغربًا حتى الجن في البراري ومختلف الملائكة)[1].

ومن ذلك ما رواه صفوان بن مهران قال: (أمرني سيدي أبو عبد الله عليه السلام يومًا أن أقدم ناقته على باب الدار، فجئت بها، قال: فخرج أبو الحسن موسى مسرعًا وهو ابن ست سنين فاستوى على ظهر الناقة وأثارها وغاب عن بصري، قال: فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وما أقول لمولاي إذا خرج يريد ناقته، قال: فلما مضى من النهار ساعة إذا الناقة قد انقضت كأنها شهاب وهي ترفض عرقًا، فنزل

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٥.

عنها ودخل الدار فخرج الخادم، وقال: أعد الناقة مكانها وأجب مولاك، قال: ففعلت ما أمرني ودخلت عليه، فقال: يا صفوان إنما أمرتك بإحضار الناقة ليركبها مولاك أبو الحسن، فقلت في نفسك: كذا وكذا فهل علمت يا صفوان أين بلغ عليها في هذه الساعة؟ إنه بلغ ما بلغه ذو القرنين وجاوزه أضعافًا مضاعفة وأبلغ كل مؤمن ومؤمنة سلامي)[١].

ومن ذلك ما رواه المسيب أن الرشيد لعنه الله (لما أراد قتل موسى أرسل إلى عماله في الأطراف فقال: التمسوا لي قومًا لا يعرفون الله أستعين بهم في مهم لي، فأرسلوا إليه قومًا يقال لهم العبدة، فلما قدموا عليه وكانوا خمسين رجلًا أنزلهم في بيت من بيوت داره قريب المطبخ، ثم أرسل[٢] إليهم المال والثياب والجواهر والأشربة والخدم، ثم استدعاهم وقال: من ربكم؟

فقالوا: ما نعرف ربًا وما سمعنا بهذه الكلمة، فخلع عليهم، ثم قال للترجمان: قل لهم إن لي عدوًا في هذه الحجرة فادخلوا إليه فقطعوه، فدخلوا بأسلحتهم على أبي الحسن موسى عليه السلام والرشيد ينظر ماذا يفعلون، فلما رأوه رموا أسلحتهم وخروا له سجدًا فجعل موسى يمر يده على رؤوسهم وهم ينكسون، وهو يخاطبهم بألسنتهم، فلما رأى الرشيد ذلك غشي عليه وصاح بالترجمان أخرجهم، فأخرجهم وهم يمشون القهقرى إجلالًا لموسى عليه السلام، ثم ركبوا خيولهم وأخذوا الأموال ومضوا)[٣].

(١) المصدر السابق.
(٢) في المصدر: حمل.
(٣) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٦.

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام

فمن ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ أَخِيهِ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى الرضَا عليه السلام فِي بَيْتٍ دَاخِلٍ فِي جَوْفِ بَيْتٍ لَيْلًا فَرَفَعَ يَدَهُ فَكَانَتْ كَأَن فِي الْبَيْتِ عَشَرَةَ مَصَابِيحَ واسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَخلى يَدَهُ ثُم أَذِنَ لَهُ)[1].

وفيه عَنْ عَلِي بْنِ مُحمدٍ الْقَاشانِي قَالَ: (أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنهُ حَملَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرضَا عليه السلام مَالًا لَهُ خَطَرٌ فَلَمْ أَرَهُ سُر بِهِ قَالَ: فَاغْتَمَمْتُ لِذَلِكَ وقُلْتُ فِي نَفْسِي قَدْ حَملْتُ مثل هَذَا الْمَالَ ولَمْ يُسَر بِهِ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ الطسْتَ والْمَاءَ، قَالَ فَقَعَدَ عَلَى كُرْسِي وقَالَ بِيَدِهِ وقَالَ لِلْغُلَامِ صُب عَلَيَّ الْمَاءَ قَالَ فَجَعَلَ يَسِيلُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فِي الطسْتِ ذَهَبٌ ثُم الْتَفَتَ إِلَي فَقَالَ لِي مَنْ كَانَ هَكَذَا لَا يُبَالِي بِالذِي حَملْتَهُ إِلَيْهِ)[2].

ومن ذلك أن الرضَا عليه السلام لَما قَدِمَ خُرَاسَانَ تَوَجهَتْ إِلَيْهِ الشيعَةُ مِنَ الْأَطْرَافِ وكَانَ عَلِيُ بْنُ أَسْبَاطٍ قَدْ تَوَجهَ إِلَيْهِ بِهَدَايَا وتُحَفٍ فَأُخِذَتِ الْقَافِلَةُ وأُخِذَ مَالُهُ وهَدَايَاهُ وضُرِبَ عَلَى فِيهِ فَانْتَثَرَتْ نَوَاجِذُهُ فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَةٍ هُنَاكَ فَنَامَ فَرَأَى الرضَا عليه السلام فِي مَنَامِهِ وهو يَقُولُ: (لَا تَحْزَنْ إِن هَدَايَاكَ ومَالَكَ وَصَلَتْ إِلَيْنَا وأَما غمكَ بِثَنَايَاكَ فَخُذْ مِنَ السعْدِ الْمَسْحُوقِ واحْشُ بِهِ فَاكَ قَالَ فَانْتَبَهَ مَسْرُورًا وأَخَذَ مِنَ السعْدِ وحَشَا بِهِ

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٦.

(٢) الكافي، ج١ ص٥٣٩.

فاهُ فَرد اللهُ عَلَيْهِ نَواجِذَهُ قالَ فَلَما وَصلَ إِلَى الرضَا عليه السلام ودَخلَ عَلَيْهِ قَالَ قَدْ وَجَدْتَ مَا قُلْنَاهُ لَكَ فِي السعْدِ حَقًا فَادْخُلْ هَذِهِ الْخِزَانَةَ فَانْظُرْ فَدَخلَ فَإِذَا مَالُهُ وهَدَايَاهُ كُلها عَلَى حِدَتِهِ)[1].

ومن ذلك أَن رَجُلًا مِنَ الْوَاقِفَيةِ جَمعَ مَسَائِلَ مُشْكِلَةً فِي طُومَارٍ وقَالَ: (فِي نَفْسِهِ إِنْ عَرفَ [الرضَا عليه السلام] مَعْنَاهُ فهو وَلِي الْأَمْرِ، فَلَما أَتى الْبَابَ وَقَفَ لِيَخِفّ الْمَجْلِسُ فَخَرجَ إِلَيْهِ الْخَادِمُ وبيَدِهِ رُقْعَةٌ فِيهَا جَوَابُ مَسَائِلِهِ بِخَط الْإِمَامِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ أَيْنَ الطومَارُ فَأَخْرَجَهُ فَقَالَ لَهُ: يَقُولُ لَكَ وَلِي اللهِ هَذَا جَوَابُ مَا فِيهِ فَأَخَذَهُ ومَضَى)[2].

ومن ذلك أن الرضا عليه السلام قَالَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ: (لَا إِلَهَ إِلا اللهُ مَاتَ فُلَانٌ ثم صَبرَ هُنَيْئَةً وقَالَ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ [غُسلَ وكُفنَ وحُمِلَ إِلَى حُفْرَتِهِ ثُم صَبرَ هُنَيْئَةً] وقَالَ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وسُئِلَ عَنْ ربهِ فَأَجَابَ ثُم سُئِلَ عَنْ نَبيهِ فَأَقَر ثُم سُئِلَ عَنْ إِمَامِهِ فأخبر وعن العترة فَعدهُمْ حَتى وَقَفَ عِنْدِي فَمَا بَالُهُ وَقَفَ وكَانَ الرجُلُ وَاقِفِيًا)[3].

ومن ذلك ما رواه الراوندي في كتابه عن إسماعيل قال: (كنت عند الرضا عليه السلام فمسح يده على الأرض فظهرت سبايك من فضة، ثم مسح يده فغابت، فقلت: أعطني واحدة منها، فقال: إن هذا الأمر ما آن وقته)[4].

ومن ذلك ما رواه أبو الصلت الهروي قال: (بينما أنا واقف بين يدي أبي الحسن الرضا عليه السلام إذ قال لي: سيحفر لي هاهنا قبر فتظهر

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٧.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

صخرة لو اجتمع عليها كل معول بخراسان لم يقدروا على قلعها، فمرهم أن يحفروا لي سبع مراقي إلى أسفل، وأن يشق لي ضريح فإن الماء ينبع حتى يمتلئ اللحد وترى فيه حيتانا صغارا، ثم تخرج حوت كبيرة تلتقط الحيتان الصغار ثم تغيب، فضع يديك على الماء وتكلم بهذا الكلام فإنه ينضب لك ولا يبقى منه شيء، ولا تفعل ذلك إلّا بحضرة المأمون، ثم قال لي: يا أبا الصلت غدا أدخل إلى هذا الفاجر، فإن خرجت مكشوف الرأس فتكلم أكلمك، وإن خرجت مغطى الرأس فلا تكلمني.

قال أبوالصلت: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه، وجلس في محرابه، فجاء غلام المأمون وقال: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله ورداءه، وقام يمشي وأنا أتبعه، ثم دخل على المأمون وبين يديه أطباق فاكهة، وبيده عنقود من عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه، فلما رآه مقبلا وثب قائما وعانقه وأجلسه، ثم ناوله العنقود، وقال: يا ابن رسول الله هل رأيت أحسن من هذا العنب؟

فقال: قد يكون في بعض الجنان أحسن منه، ثم قال له: كل منه، فقال له الرضا عليه السلام: أعفني، فقال: لا بد من ذلك، ثم قال: وما يمنعك أتتهمني؟ ثم تناول العنقود منه وأكل منه، وناوله الرضا عليه السلام فأكل منه ثلاث حبات، ثم رمى به وقام، وقال له المأمون: إلى أين؟

فقال له الرضا عليه السلام: إلى حيث وجهتني، ثم خرج عليه السلام مغطى الرأس حتى دخل الدار ثم أمر أن تغلق الأبواب، ثم نام على فراشه.

قال: فكنت واقفا في صحن الدار باكيًا حزينًا إذ دخل إليَّ شاب حسن الوجه أشبه الناس بالرضا فبادرت إليه وقلت: من أين دخلت والباب مغلوق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق، فقلت: من أنت؟

فقال عليه السلام: أنا حجة الله يا أبا الصلت، أنا محمد بن علي، ثم مضى نحو أبيه علي الرضا عليه السلام فدخل، وأمرني بالدخول، فلما نظر إليه الرضا عليه السلام نهض إليه ليعتنقه، ثم سحبه سحبا إلى فراشه وأكب عليه محمد بن علي عليهما السلام فقبله فسر إليه سرا لا أفهمه، ورأيت على شفتي الرضا بياضًا أشد بياضًا من الثلج، ورأيت أبا جعفر عليه السلام يلحسه بلسانه ثم أدخل يده بين صدره وثوبه فاستخرج منه شيئًا يشبه العصفور فابتلعه، ثم قضى الرضا عليه السلام فقال لي: يا أبا الصلت ايتني المغسل والماء من الخزانة، فقلت: ما في الخزانة مغسل ولا ماء، فقال: ائتمر بما آمرك به.

قال: فدخلت الخزانة فإذا فيها مغسل وماء فأتيته بها، ثم شمرت ثيابي لأعاونه، فقال: تنح فإن لي من يساعدني، ثم قال لي: أدخل الخزانة وأخرج السفط الذي فيه كفنه وحنوطه، فدخلت فإذا أنا بسفط لم أره من قبل ذلك فأخرجته إليه فكفنه وصلى عليه، ثم قال: ائتني بالتابوت، فقلت: أأمضي إلى النجار؟

فقال: إن في الخزانة تابوتًا، فدخلت فإذا تابوت لم أر مثله قط، فأخرجته إليه فوضعه فيه بعد أن صلى عليه، تبعد عنه وصلى ركعتين، فإذا بالتابوت قد ارتفع فانشق السقف وغاب التابوت.

فقلت: يا ابن رسول الله الساعة يأتي المأمون ويسألنا عن الرضا عليه السلام فماذا نقول؟

فقال: اسكت يا أبا الصلت، سيعود، إنه ما من نبي في شرق الأرض ويموت ووصيه في غربها إلّا جمع الله بين روحيهما.

فما تم الحديث حتى عاد التابوت، فقام فاستخرج الرضا عليه السلام من التابوت ووضعه على فراشه كأن لم يكفن ولم يغسل، ثم قال: افتح

الباب للمأمون، ففتحت الباب، فإذا أنا بالمأمون والغلمان على الباب، فدخل باكيًا حزينًا قد شق جيبه ولطم رأسه، وهو يقول: وا سيداه، ثم جلس عند رأسه، وقال: خذوا في تجهيزه، وأمر بحفر القبر، فظهر جميع ما ذكر الرضا عليه السلام.

فقلت: أمرني أن أحفر له سبع مراقي، وأن أشق ضريحه، قال: فافعل، ثم ظهر الماء والحيتان، فقال المأمون لعنه الله: لم يزل الرضا عليه السلام يرينا عجائبه في حياته حتى أرانا بعد وفاته.

فقال له وزير كان معه: أتدري ما أخبرك به؟

قال: لا.

قال: أخبرك أن ملككم يا بني العباس مع كثرتكم وطول مدتكم مثل هذه الحيتان، حتى إذا انقضت دولتكم وولت أيامكم سلط الله عليكم رجلا فأفناكم عن آخركم.

فقال له المأمون: صدقت، ثم دفن الرضا صلوات الله عليه ومضى)[1].

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار
أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليهما السلام

فمن ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عن محمّد بن حسان عن علي بن خالد قال محمّد: وكان زيديًا، قال: (كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلًا محبوسًا أتي به من ناحية الشام مكبولًا وقالوا: إنه

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٤٩.

تنبّأ، قال علي بن خالد: فأتيت الباب وداريت البوابين والحجبة حتى وصلت إليه فإذا رجل له فهم، فقلت: يا هذا ما قصتك وما أمرك؟ قال: إني كنت رجلًا بالشام أعبد اللّه في الموضع الذي يقال له موضع رأس الحسين عليه السلام، فبينما أنا في عبادتي إذ أتاني شخص فقال لي: قم فقمت معه، فبينا أنا معه إذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟

فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة، قال: فصلى وصليت معه فبينا أنا معه إذا أنا في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله بالمدينة، فسلّم على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وصلى وصليت معه وصلّى على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فبينا أنا معه إذا أنا بمكة فلم أزل معه حتى قضى مناسكه وقضيت مناسكي معه، فبينا أنا معه إذا أنا في الموضع الذي كنت أعبد اللّه فيه بالشام، ومضى الرجل فلما كان في العام القابل إذا أنا به ففعل مثل فعلته الأولى، فلما فرغنا من مناسكنا وردّني إلى الشام وهمّ بمفارقتي قلت: سألتك بحق الذي أقدرك على ما رأيت إلّا أخبرتني من أنت؟ قال: أنا محمّد بن علي بن موسى، قال فترقى الخبر حتى انتهى إلى محمّد بن عبد الملك الزيات، فبعث إليّ وأخذني وكبّلني في الحديد، وحملني إلى العراق.

قال: فقلت له: فارفع القصة إلى محمّد بن عبد الملك ففعل، وذكر في قصته ما كان، فوقّع في قصته: قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة وردّك من مكة إلى الشام، أن يخرجك من حبسك هذا.

قال علي بن خالد: فغمّني ذلك من أمره، ورققت له وأمرته بالعزاء والصبر ثم بكرت عليه، فإذا الجند وصاحب الحرس وخلق

اللّه، فقلت: ما هذا؟ فقالوا المحمول من الشام الذي يتنبّأ افتقد البارحة، فلا يدرى أخسفت به الأرض أو اختطفه الطير)(١).

وفيه عَنْ مُحمدِ بْنِ الريانِ قَالَ: (احْتَالَ الْمَأْمُونُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام بِكُل حِيلَةٍ فَلَمْ يُمْكِنْهُ فِيهِ شيء فَلَما اعْتَل وأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ عَلَيْهِ ابْنَتَهُ دَفَعَ إِلَى مِائَتَيْ وَصِيفَةٍ مِنْ أَجْمَلِ مَا يَكُونُ إِلَى كُل وَاحِدَةٍ مِنْهُن جَامًا فِيهِ جوْهَرٌ يَسْتَقْبِلْنَ أَبَا جعْفَرٍ عليه السلام إِذَا قَعَدَ فِي مَوْضِعِ الْأَخْيَارِ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِن، وكَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُخَارِقٌ صَاحِبُ صَوْتٍ وعُودٍ وضَرْبٍ طَوِيلُ اللحْيَةِ فَدعَاهُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنْ كَانَ فِي شيء مِنْ أَمْرِ الدنْيَا فَأَنَا أَكْفِيكَ أَمْرَهُ، فَقَعَدَ بيْنَ يَدَيْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَشَهَقَ مُخَارِقٌ شَهْقَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الدارِ وجَعَلَ يَضْرِبُ بِعُودِهِ ويُغَني فَلَما فَعَلَ سَاعَةً وإِذَا أَبُوجَعْفَرٍ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ لَا يَمِينًا ولَا شِمَالًا، ثُم رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ وقَالَ: اتقِ اللهَ يَا ذَا الْعُثْنُونِ(٢)، قَالَ فَسَقَطَ الْمِضْرَابُ مِنْ يَدِهِ والْعُودُ فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِيَدَيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ، قَالَ: فَسَأَلَهُ الْمَأْمُونُ عَنْ حَالِهِ قَالَ: لَما صَاحَ بِي أَبُو جَعْفَرٍ فَزِعْتُ فَزْعَةً لَا أُفِيقُ مِنْهَا أَبَدًا)(٣).

ومن ذلك ما رواه الخاصة والعامة من أن الْمَأْمُونَ رَكِبَ يَوْمًا لِلصيْدِ فَمَر بِبَعْضِ أَزِقةِ بَغْدَادَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَطْفَالِ فَخَافُوا وهَرَبُوا وتَفَرقُوا وبَقِيَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي مَكَانِهِ فَتَقَدمَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ وقَالَ لَهُ: (كَيْفَ لَمْ تَهْرُبْ كَمَا هَرَبَ أَصْحَابُكَ فَقَالَ: لِأَن الطرِيقَ لَيْسَ ضَيقًا فَيَتسِعَ بِذَهَابِي ولَا لِي عِنْدَكَ ذَنْبٌ فَأَخَافَكَ لِأَجْلِهِ فَلِأَي شيء أَهْرُبُ فَأَعْجَبَ

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٤١.
(٢) العثنون ـ بالثاء المثلثة بعد العين المهملة ثمّ النونين ـ: اللحية او ما فضل منها بعد العارضين أو طولها.
(٣) الكافي ج١، ص٤٩٥.

كَلَامُهُ الْمَأْمُونَ فَلَما خَرجَ إِلَى خَارِجِ بَغْدَادَ أَرْسَلَ صَقْرَهُ فَارْتَفَعَ فِي الْهواءِ ولَمْ يَسْقُطْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَتى رَجَعَ وفِي مِنْقَارِهِ سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ فَتعَجبَ الْمَأْمُونُ مِنْ ذَلِكَ فَلَما رَجعَ تَفَرقَ الْأَطْفَالُ وهَرَبُوا إِلّا ذَلِكَ الطفْلَ فَإِنهُ بَقِيَ فِي مَكَانِهِ كَمَا فِي الْمَرةِ الْأُولَى فَتقَدمَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ وهو ضَام كَفهُ عَلَى السمَكَةِ وقَالَ لَهُ قُلْ أَي شيء فِي يَدِي فَقَالَ عليه السلام إِن الْغَيْمَ حِينَ يأخذ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ يدَاخَلَهُ سَمَكٌ صِغَارٌ فَتَسْقُطُ مِنْهُ فَيَصْطَادُهَا صقور الْمُلُوكُ فَيمْتَحِنُونَ بِهَا سُلَالَةَ النبُوةِ فَأَدْهَشَ ذَلِكَ الْمَأْمُونَ فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا مُحَمدُ بْنُ عَلِي الرضَا وكَانَ ذَلِك بَعْدَ وَاقِعَةِ الرضَا عليه السلام وكَانَ عُمرُهُ عليه السلام فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِحْدَى عَشْرَةَ وقِيلَ عَشْرَ سَنَةٍ فَنزَلَ الْمَأْمُونُ عَنْ فَرَسِهِ وقَبلَ رَأْسَهُ وتَذَللَ لَهُ ثُم زَوجَهُ ابْنَتَهُ)[1].

ومن ذلك ما اشتهر من أَن الْمَأْمُونَ لَما أَرَادَ أَنْ يُزَوجَهُ ابْنَتَهُ أُم الْفَضْلِ قَالَ لَهُ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ: إِنهُ صَغِيرُ السن لَمْ يَتَعمقْ فِي الْعِلْم فَاتْرُكْهُ لِيكْتَسِبَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ ثُم افْعَلْ مَا بَدَا لَكَ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: إِن عِلْمَ هَؤُلَاءِ عِلْمٌ لَدُني لَا كَسْبِي فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا صِدْقَ مَقَالَتِي فَاسْأَلُوهُ عَما شِئْتُمْ ثُم عقَدَ الْمَأْمُونُ مَجْلِسًا عَظِيمًا لِإِيقَاعِ الْعَقْدِ وأَجْلَسَ الْعُلَمَاءَ وأَكَابِرَ بَنِي الْعَباسِ كُلًا فِي مَرْتَبَتِهِ وأَجْلَسَ الْجَوادَ عليه السلام فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وجَلَسَ هو بَيْنَ يَدَيْهِ ثُم قَالَ: سَلُوهُ مَا شِئْتُمْ فَتَقَدمَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ الْقَاضِي وقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ يَا ابْنَ رسُولِ اللهِ فِي مُحْرِمٍ قَتلَ صَيْدًا؟

فَقَالَ عليه السلام: (قَتلَهُ فِي حِل أَو حَرَمٍ مُحِلا أَو مُحْرِمًا عَالِمًا أَو جَاهِلًا

---

(١) بحار الأنوار ج٥٦، ص٣٩٨.

خَطأً أَو عَمْدًا حُرًا أَو عَبْدًا مُبْتَدِئًا أَو مُعِيدًا والصيْدُ بري أَو بَحْرِي مِنَ الطيُورِ أَو مِنْ غَيْرِهَا مِنْ صِغَارِ الصيْدِ أَو كِبَارِهِ، فَتحَيرَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَم وتَلَجْلَجَ ولَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ ثُم إِنهُ عليه السلام بَينَ الْجَوَابَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الشقُوقِ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: الْآنَ عَلِمْتُمْ صِدْقَ مَقَالَتِي ثُم قَامَ وخَطَبَ ثُم قَالَ اشْهَدُوا أَني قَدْ زَوجْتُ ابْنَتِي أُم الْفَضْلِ لمُحَمدِ بْنِ عَلِي بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمدِ بْنِ عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ سلام الله عليهم فَواللهِ لَو تُلِيَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الشرِيفَةُ عَلَى صَخْرَةٍ لَانْفَلَقَتْ)(١).

ومن ذلك ما روي عنه أَنهُ جِيءَ بِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الرضا عليه السلام وهو طِفْلٌ، فَجَاءَ إِلَى الْمِنْبَرِ ورَقِيَ مِنْهُ دَرَجَةً ثُم نَطَقَ فَقَالَ: (أَنَا مُحَمدُ بْنُ عَلِي الرضَا أَنَا الْجَوَادُ أَنَا الْعَالِمُ بِأَنْسَابِ الناسِ فِي الْأَصْلَابِ أَنَا أَعْلَمُ بِسَرَائِرِكُمْ وظَوَاهِرِكُمْ ومَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ عِلْمٌ مَنَحَنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وبَعْدَ فَنَاءِ السمَاوَاتِ والْأَرَضِينَ ولَولَا تَظَاهُرُ أَهْلِ الْبَاطِلِ ودَوْلَةُ أَهْلِ الضلَالِ ووُثُوبُ أَهْلِ الشك لَقُلْتُ قَوْلًا يعَجبَ مِنْهُ الْأَولُونَ والْآخِرُونَ ثُم وَضَعَ يَدَهُ الشرِيفَةَ عَلَى فِيهِ وقَالَ يَا مُحَمدُ اصْمُتْ كَمَا صَمَتَ آبَاؤُكَ مِنْ قَبْلُ)(٢).

ومن ذلك ما رواه أبو جَعْفَرٍ الْهَاشِمِي قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الثانِي عليه السلام بِبَغْدَادَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَاسِرٌ الْخَادِمُ يَوْمًا وقَالَ يَا سَيدَنَا إِن سَيدَتَنَا أُم جَعْفَرٍ تَسْتَأْذِنُكَ أَنْ تَصِيرَ إلى سيدتنا أم الفضل فَقَالَ لِلْخَادِمِ:

---

(١) تفسير القمي، ج١ ص٢٠٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٠ ص١١٠.

ارْجِعْ فَإِني فِي الْأَثَرِ ثُم قَامَ وركِبَ الْبَغْلَةَ وأَقْبَلَ حَتى قَدِمَ الْبَابَ قَالَ فَخَرَجَتْ أُم جَعْفَرٍ أُخْتُ الْمَأْمُونِ وسَلمَتْ عَلَيْهِ وسَأَلَتْهُ الدخُولَ عَلَى أُم الْفَضْلِ بِنْتِ الْمَأْمُونِ وقَالَتْ يَا سَيدِي أُحِب أَنْ أَرَاكَ مَعَ ابْنَتِي فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَتَقَر عَيْنِي قَالَ فَدَخَلَ والستُورُ تُشَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ رَاجِعًا وهو يَقُولُ فَلَما رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ قَالَ: ثُم جَلَسَ فَخَرَجَتْ أُم جَعْفَرٍ تَعْثُرُ فِي ذُيُولِهَا فَقَالَتْ يَا سَيدِي أَنْعَمْتَ عَلَي بِنِعْمَةٍ فَلَمْ تُتِممهَا فَقَالَ لَهَا: أَتى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ إِنهُ قَدْ حَدَثَ مَا لَمْ يَحْسُنْ إِعَادَتُهُ فَارْجِعِي إِلَى أُم الْفَضْلِ فَاسْتَخْبِرِيهَا عَنْهُ فَرَجَعَتْ أُم جَعْفَرٍ فَأَعَادَتْ عَلَيْهَا مَا قَالَ فَقَالَتْ يَا عمةِ ومَا أَعْلَمَهُ بِذَلِكِ ثُم قَالَتْ كَيْفَ لَا أَدْعُو عَلَى أَبِي وقَدْ زَوجَنِي سَاحِرًا ثُم قَالَتْ واللهِ يَا عَمةِ إِنهُ لَما طَلَعَ عَلي جَمالُهُ حَدَثَ لِي مَا يَحْدُثُ لِلنسَاءِ فَضَرَبْتُ يَدِي إِلَى أَثْوَابِي فَضَمَمْتُهَا قَالَ فَبُهِتَتْ أُم جَعْفَرٍ مِنْ قَوْلِهَا ثُم خَرَجَتْ مَذْعُورَةً وقَالَتْ يَا سَيدِي ومَا حَدَثَ لَهَا قَالَ: هو مِنْ أَسْرَارِ النسَاءِ فَقَالَتْ يَا سَيدِي تَعْلَمُ الْغَيْبَ قَالَ لَا قَالَتْ فَنَزَلَ إِلَيْكَ الْوَحْيُ قَالَ لَا قَالَتْ فَمِنْ أَيْنَ لَكَ عِلْمُ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ وهِيَ فَقَالَ وأَنَا أيضًا أعْلَمُهُ مِنْ عِلْمِ اللهِ قَالَ فَلَما رَجَعَتْ أُم جَعْفَرٍ قُلْتُ له يَا سَيدِي ومَا كَانَ إِكْبَارُ النسْوَةِ قَالَ هو مَا حَصَلَ لِأُم الْفَضْلِ فعلمت أنه الْحَيْضِ)(١).

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار أبي الحسن الهادي عليه السلام

فمن ذلك مَا رُوِيَ (مِنْ أَن الْمُتَوَكلَ أَرَادَ الِانْتِقَاصَ بِشَأْنِهِ عليه السلام فَرَكِبَ إِلَى مَكَانٍ عَينهُ وأَمَرَ جَمِيعَ الْأُمَرَاءِ والْأَشْرَافِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٠ ص٨٤.

وغَيْرِهِمْ أَنْ يَمْشُوا قُدامَهُ وعَنْ جانِبَيْهِ ولا يَرْكَبَ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطْعًا وكَانَ قَصْدُهُ بِذَلِكَ احْتِقَارَ شَأْنِهِ عليه السلام وإنما أَمَرَ الْجَمِيعَ بِالْمَشْيِ لِئَلا يُظَن أَن مَقْصُودَهُ إنمَا هو الإمَامُ عليه السلام وكَانَ يَوْمًا شَدِيدَ الْحر وكَانَ عليه السلام يَتَوكَأُ عَلَى عَبِيدِهِ عَلَى هَذَا تَارَةً وعَلَى ذَاكَ أُخْرَى لِمَا أَصَابَهُ مِنَ التعَبِ والْعَرَقِ فرَآهُ بَعْضُ أَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَقَالَ لَهُ إن هَذَا الْحَالَ لَيْسَ مُخْتَصًا بِكَ والْخَلِيفَةُ لَمْ يَقْصِدْكَ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِكَ فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ عليه السلام واللهِ مَا نَاقَةُ صَالِحٍ بِأَعَز مِني عِنْدَ اللهِ تَعَالَى تَمَتعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيام ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فَلَمْ تَمْضِ إلا ثَلاثَةُ أَيامٍ حَتى مات الْمُتَوَكلُ فِي الليْلَةِ الرابِعَةِ وتَشَيعَ ذَلِكَ الرجُلُ)[١].

ومن ذلك ما رواه مُحمدِ بْنِ الْحَسَنِ الْجُهَنِي قَالَ: (حَضَرَ مَجْلِسَ الْمُتَوَكلِ مُشْعَبِذٌ هِنْدِي فَلَعِبَ عِنْدَهُ بِالْحُقق فَأَعْجَبَهُ فَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكلُ يا هِنْدِي الساعَةَ يَحْضُرُ مَجْلِسَنَا رَجُلٌ شَرِيفٌ فَإِذَا حَضَرَ فَالْعَبْ عِنْدَهُ بِمَا يُخْجِلُهُ قَالَ فَلَما حَضَرَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام الْمَجْلِسَ لَعِبَ الْهِنْدِي فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا شَرِيفُ مَا يُعْجِبُكَ لَعِبِي كَأَنكَ جَائِعٌ ثُم أَشَارَ إِلَى صُورَةٍ مُدَورَةٍ فِي الْبِسَاطِ عَلَى شَكْلِ الرغِيفِ وقَالَ يَا رَغِيفُ مُر إِلَى هَذَا الشرِيفِ فَارْتَفَعَتِ الصورَةُ فَوَضَعَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام يَدَهُ عَلَى صُورَةِ سَبُعٍ فِي الْبِسَاطِ وقَالَ: قُمْ فَخُذْ هَذَا فَصَارَتِ الصورَةُ سَبُعًا وابْتَلَعَ الْهِنْدِي وعَادَ إِلَى مَكَانِهِ فِي الْبِسَاطِ فَسَقَطَ الْمُتَوَكلُ لِوَجْهِهِ وهَرَبَ مَنْ كَانَ قَائِمًا)[٢].

ومن ذلك ما رواه مُحمد بْن دَاوُدَ الْقُمي ومُحَمد الطلْحِي قَالا:

---

(١) مفتاح الفلاح، ص١٧٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٠ ص٢١٣.

(حَمَلْنَا مَالًا مِنْ خُمُسٍ ونَذْرٍ وهَدَايَا وجَوَاهِرَ اجْتَمَعَتْ فِي قُم وبِلَادِهَا وخَرَجْنا نُرِيدُ بِهَا سَيدَنَا أَبَا الْحَسَنِ الْهَادِيَ عليه السلام فَجَاءَنَا رَسُولُهُ فِي الطريقِ أَنِ ارْجِعُوا فَلَيْسَ هَذَا وَقْتَ الْوُصُولِ إلينا فَرَجَعْنَا إِلَى قُم وأَحْرَزْنَا مَا كَانَ عِنْدَنَا فَجَاءَنَا أَمْرُهُ بَعْدَ أيام أَنْ قَدْ أَنْفَذْنَا إِلَيْكُمْ إبلًا عِيرًا فَاحْمِلُوا عَلَيْهَا مَا عِنْدَكُمْ وخَلوا سَبِيلَهَا قَالَ فَحَمَلْنَاها وأَوْدَعْنَاها اللهَ فَلَما كَانَ مِنْ قَابِلٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى مَا حَمَلْتُمْ إِلَيْنَا فَنَظَرْنَا فَإِذَا الْمَنَائِحُ[1] كَمَا هِيَ)[2].

ومن ذلك ما رواه صَالِح بْن سَعِيدٍ قَالَ: (دَخَلْتُ على أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فِي كُل الْأُمُورِ أَرَادُوا إِطْفَاءَ نُورِكَ والتقْصِيرَ بِكَ حَتى أَنْزَلُوكَ هَذَا الْخَانَ الْأَشْنَعَ خَانَ الصعَالِيكِ فَقَالَ هَاهُنَا أنزل [أَنْتَ] يَا ابْنَ سَعِيدٍ ثُم أَوْمَأَ بِيَدِهِ فَقَالَ: انْظُرْ فَنَظَرْتُ فَإِذَا أنا بِرَوْضَاتٍ آنِقَاتٍ ورَوْضَاتٍ باسرات فِيهِن خَيْرَاتٌ عَطِرَاتٌ ووِلْدَانٌ كَأَنهُن اللؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ وأَطْيَارٌ وظِبَاءٌ وأَنْهَارٌ تَفُورُ فَحَارَ بَصَرِي وحَسَرَتْ عَيْنِي فقَالَ حَيْثُ كُنا فَهَذَا لَنَا عَتِيدٌ ولَسْنَا فِي خَانِ الصعَالِيكِ)[3].

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام

فمن ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عَنْ مُحَمدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْكُرْدِي عَنْ مُحَمدِ بْنِ عَلِي بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ

(١) المنابح: جمع المنيحة، الهدايا والعطايا.
(٢) بحار الأنوار، ج٥٠ ص١٨٧.
(٣) الكافي، ج١ص ٥٤٦.

جَعْفَرٍ قَالَ: (ضَاقَ بِنَا الأَمْرُ فَقَالَ لِي أَبِي: امْضِ بِنَا حتى نَصِيرَ إِلَى هَذَا الرجُلِ يَعْنِي أَبَا مُحَمدٍ فَإِنهُ قَدْ وُصِفَ عَنْهُ سَمَاحَةٌ، فَقُلْتُ تَعْرِفُهُ فَقَالَ مَا أَعْرِفُهُ ولَا رَأَيْتُهُ قَط، قَالَ: فَقَصَدْنَاهُ فَقَالَ لِي وهو فِي طَرِيقِهِ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ يَأْمُرَ لَنَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَم مِائَتَا دِرْهَم لِلْكِسْوَةِ ومِائَتَا دِرْهَم لِلدينِ ومِائَةٌ لِلنفَقَةِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْتَهُ أَمَرَ لِي بِثَلَاثِمِائَةِ دِرْهَم مِائَةٌ أَشْتَرِي بِهَا حِمَارًا ومِائَةٌ لِلنفَقَةِ ومِائَةٌ لِلْكِسْوَةِ وأَخْرُجَ إِلَى الْجَبَلِ قَالَ فَلَما وَافَيْنَا الْبَابَ خَرَجَ إِلَيْنَا غُلَامُهُ فَقَالَ يَدْخُلُ عَلِي بْنُ إِبْرَاهِيم ومُحَمدٌ ابْنُهُ فَلَما دَخَلْنَا عَلَيْهِ وسَلمْنَا قَالَ لِأَبِي يَا عَلِي مَا خَلفَكَ عَنا إِلَى هَذَا الْوَقْتِ فَقَالَ يَا سَيدِي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَلْقَاكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَلَما خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ جَاءَنَا غُلَامُهُ فَنَاوَلَ أَبِي صُرةً فَقَالَ هَذِهِ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَم مِائَتَانِ لِلْكِسْوَةِ ومِائَتَانِ لِلدينِ ومِائَةٌ لِلنفَقَةِ وأَعْطَانِي صُرةً فَقَالَ هَذِهِ ثَلَاثُمِائَةِ دِرْهَم اجْعَلْ مِائَةً فِي ثَمَنِ حِمَارٍ ومِائَةً لِلْكِسْوَةِ ومِائَةً لِلنفَقَةِ ولَا تَخْرُجْ إِلَى الْجَبَلِ وصِرْ إِلَى سُورَاءَ فَصَارَ إِلَى سُورَاءَ وتَزَوجَ بِامْرَأَةٍ فَدَخْلُهُ الْيَوْمَ أَلْفُ دِينَارٍ ومَعَ هَذَا يَقُولُ بِالْوَقْفِ فَقَالَ مُحَمدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فَقُلْتُ لَهُ وَيْحَكَ أَتُرِيدُ أَمْرًا أَبْيَنَ مِنْ هَذَا قَالَ فَقَالَ هَذَا أَمْرٌ قَدْ جَرَيْنَا عَلَيْهِ)[١].

ومن ذلك ما رواه فيه عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِي قَالَ: (شَكَوْتُ إِلَى أَبِي مُحَمدٍ عليه السلام الْحَاجَةَ فَحَك بِسَوْطِهِ الْأَرْضَ قَالَ وأَحْسَبُهُ غَطاهُ بِمِنْدِيلٍ وأَخْرَجَ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ فَقَالَ يَا أَبَا هَاشِمٍ خُذْ وأَعْذِرْنَا)[٢].

ومن ذلك ما رواه فيه عن إِسْحَاق قَالَ: حَدثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمدِ بْنِ عَلِي بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِي بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَباسِ بْنِ عَبْدِ

(١) الكافي، ج١، ص٥٥٤.
(٢) الكافي، ج١ ص٥٥٥.

الْمُطلِبِ، قَالَ: (قَعدْتُ لِأَبِي مُحمدٍ عليه السلام على ظَهْرِ الطرِيقِ، فَلَما مر بِي شَكَوْتُ إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، وحَلَفْتُ لَهُ أَنهُ لَيْسَ عِنْدِي دِرْهَمٌ فَمَا فَوْقَهُ، ولَا غَدَاءٌ، ولَا عَشَاءٌ.

قَالَ: فَقَالَ: «تَحْلِفُ بِاللهِ كَاذِبًا؛ وقَدْ دَفَنْتَ مِائَتَيْ دِينَارٍ، ولَيْسَ قَوْلِي هذَا دَفْعًا لَكَ عَنِ الْعَطِيةِ، أَعْطِهِ يَا غُلَامُ مَا مَعَكَ»، فَأَعْطَانِي غُلَامُهُ مِائَةَ دِينَارٍ، ثُم أَقْبَلَ عَلَي، فَقَالَ لِي: «إِنكَ تُحْرَمُهَا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا» ـ يَعْنِي الدنَانِيرَ التِي دَفَنْتُ ـ وصَدَقَ عليه السلام، وكَانَ كَمَا قَالَ، دَفَنْتُ مِائَتَيْ دِينَارٍ، وقُلْتُ: يَكُونُ ظَهْرًا وكَهْفًا لَنَا، فَاضْطُرِرْتُ ضَرُورَةً شَدِيدَةً إِلى شيء أُنْفِقُهُ، وانْغَلَقَتْ عَلَي أَبْوَابُ الرزْقِ، فَنَبَشْتُ عَنْهَا، فَإِذَا ابْنٌ لِي قَدْ عَرَفَ مَوْضِعَهَا، فَأَخَذَهَا وهَرَبَ، فَمَا قَدَرْتُ مِنْهَا عَلى شيء)(١).

وفيه عن إِسْحَاق قَالَ حدثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي مُسْلِم قَالَ: (قَدِمَ عَلَيْنَا بِسُر مَنْ رَأَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ يُقَالُ لَهُ سَيْفُ بْنُ الليْثِ ـ يَتَظَلمُ إِلَى الْمُهْتَدِي فِي ضَيْعَةٍ لَهُ قَدْ غَصَبَهَا إِياهُ، شَفِيعٌ الْخَادِمُ وأَخْرَجَهُ مِنْهَا فَأَشَرْنَا عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى أَبِي مُحمدٍ عليه السلام يَسْأَلُهُ تَسْهِيلَ أَمْرِهَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُحمدٍ عليه السلام لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ضَيْعَتُكَ تُرَد عَلَيْكَ فَلَا تَتَقَدمْ إِلَى السلْطَانِ والْقَ الْوَكِيلَ الذي فِي يَدِهِ الضيْعَةُ وخَوفْهُ بِالسلْطَانِ الْأَعْظَمِ اللهِ رَب الْعَالَمِينَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ الْوَكِيلُ الذي فِي يَدِهِ الضيْعَةُ قَدْ كُتِبَ إِلَي عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ أَنْ أَطْلُبَكَ وأَرُد الضيْعَةَ عَلَيْكَ فَرَدهَا عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْقَاضِي ابْنِ أَبِي الشوَارِبِ وشَهَادَةِ الشهودِ ولَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يَتَقَدمَ إِلَى الْمُهْتَدِي فَصَارَتِ الضيْعَةُ لَهُ وفِي يَدِهِ ولَمْ يَكُنْ لَهَا خَبَرٌ بَعْدَ

(١) الإرشاد، ج٢ ص٣٣٢.

ذَلِكَ قَالَ وحدثَنِي سَيْفُ بْنُ الليْثِ هَذَا قَالَ خَلفْتُ ابْنًا لِي عَلِيلًا بِمِصْرَ عِنْدَ خُرُوجِي عَنْهَا وابْنًا لِي آخَرَ أَسَن مِنْهُ كَانَ وَصِيي وقَيمِي عَلَى عِيَالِي وفِي ضِيَاعِي فَكَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحمدٍ ﷤ أَسْأَلُهُ الدعَاءَ لِابْنِيَ الْعَلِيلِ فَكَتَبَ إِلَي قَدْ عُوفِيَ ابْنُكَ الْمُعْتَل ومَاتَ الْكَبِيرُ وَصِيكَ وقَيمُكَ فَاحْمَدِ الله فلَا تَجْزَعْ فَيحْبَطَ أَجْرُكَ فَورَدَ عَلَي الْخَبَرُ أَن ابْنِي قَدْ عُوفِيَ مِنْ عِلتِهِ ومَاتَ الْكَبِيرُ يَوْمَ وَرَدَ عَلَي جَوَابُ أَبِي مُحَمدٍ ﷤)[1].

ومن ذلك ما رواه عَلِي بْن عَاصِمٍ الْأَعْمَى الْكُوفِي قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُحمدٍ الحسن الْعَسْكَرِي ﷤ فَقَالَ لِي: يَا عَلِي بْنَ عَاصِمٍ انْظُرْ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ فَإِنكَ عَلَى بِسَاطٍ قَدْ جَلَسَ عليه كَثِيرٌ مِنَ النبِيينَ والْمُرْسَلِينَ والْأَئِمةِ الراشِدِينَ قَالَ فَقُلْتُ: يَا سَيدِي لَا أَنْتَعِلُ مَا دُمْتُ فِي الدنْيَا إِكْرَامًا لِهَذَا الْبِسَاطِ فَقَالَ: يَا عَلِي إِن هَذَا النعْلَ الذِي فِي رِجْلِكَ نَعْلٌ نَجِسٌ مَلْعُونٌ لَا يُقِر بِوَلَايَتِنَا قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْتَنِي أَرَى هَذَا الْبِسَاطَ فَعَلِمَ مَا فِي ضَمِيرِي فَقَالَ ادْنُ مِني فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَمَسَحَ يَدَهُ الشرِيفَةَ عَلَى وَجْهِي فَصِرْتُ بَصِيرًا قَالَ فَرَأَيْتُ فِي الْبِسَاطِ أَقْدَامًا وصُوَرًا فَقَالَ: هَذَا قَدَمُ آدَمَ ﷤ ومَوْضِعُ جُلُوسِهِ وهَذَا أَثَرُ هَابِيلَ وهَذَا أَثَرُ شَيْثٍ وهَذَا أَثَرُ نُوحٍ وهَذَا أَثَرُ قَيْدَارَ وهَذَا أَثَرُ مَهْلَائِيلَ وهَذَا أَثَرُ يَارَدَ وهَذَا أَثَرُ اخنُوخَ وهَذَا أَثَرُ إِدْرِيسَ وهَذَا أَثَرُ مُتَوَشْلِخُ وهَذَا أَثَرُ سَامٍ وهَذَا أَثَرُ أَرْفَخْشَدَ وهَذَا أَثَرُ هودٍ وهَذَا أَثَرُ صَالِحٍ وهَذَا أَثَرُ لُقْمَانَ وهَذَا أَثَرُ إِبْرَاهِيمَ وهَذَا أَثَرُ لُوطٍ وهَذَا أَثَرُ إِسْمَاعِيلَ وهَذَا أَثَرُ إِلْيَاسَ وهَذَا أَثَرُ إِسْحَاقَ وهَذَا أَثَرُ يَعْقُوبَ وهَذَا أَثَرُ يُوسُفَ وهَذَا أَثَرُ شُعَيْبٍ وهَذَا أَثَرُ مُوسَى وهَذَا أَثَرُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وهَذَا أَثَرُ طَالُوتَ وهَذَا أَثَرُ دَاوُدَ وهَذَا

---

(١) الكافي، ج١ص ٥٥٩.

أَثَرُ سُلَيْمَانَ وهذَا أَثَرُ الْخَضِرِ وهَذَا أَثَرُ دَانِيَالَ وهَذَا أَثَرُ الْيَسَعِ وهَذَا أَثَرُ ذِي الْقَرْنَيْنِ الْإِسْكَنْدَرِ وهَذَا أَثَرُ شَابُورَ بْنِ أَرْدَشِيرَ وهَذَا أَثَرُ لُوَي وهَذَا أَثَرُ كِلَابِ وهَذَا أَثَرُ قُصَي وهَذَا أَثَرُ عَدْنَانَ وهَذَا أَثَرُ عَبْدِ مَنَافٍ وهَذَا أَثَرُ عَبْدِ الْمُطلِبِ وهَذَا أَثَرُ عَبْدِ اللهِ وهَذَا أَثَرُ عَبْدِ مَنَافٍ وهَذَا أَثَرُ سَيدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ وهَذَا أَثَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وهَذَا أَثَرُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى الْمَهْدِي عليه السلام لِأَنهُ قَدْ وَطأَهُ وجَلَسَ عَلَيْهِ ثُم قَالَ انْظُرْ إِلَى الْآثَارِ واعْلَمْ أَنهَا آثَارُ أنصار دِينِ اللهِ وأَن الشاك فِيهِمْ كَالشاك فِي اللهِ ومَنْ جَحَدَهُمْ كَمَنْ جحَدَ اللهَ ثُم قَالَ: اخْفِضْ طَرْفَكَ يَا عَلِي فَرَجَعْتُ مَحْجُوبًا كَمَا كُنْتُ)(١).

ومن ذلك ما رواه الْحَسَن بْن حَمْدَانَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْكَرْخِي قَالَ: (كَانَ أَبِي بَزازًا فِي الْكَرْخِ فَجهزنِي بِقُمَاشٍ إِلَى سُر مَنْ رَأَى فَلَما دَخلْتُ إِلَيْهَا جَاءَنِي خَادِمٌ فَنَادَانِي بِاسْمِي واسْمِ أَبِي وقَالَ أَجِبْ مَوْلَاكَ فقُلْتُ ومَنْ مَوْلَايَ حَتى أُجِيبَهُ فَقَالَ مَا عَلَى الرسُولِ إِلا الْبَلَاغُ قَالَ فَتَبِعْتُهُ فَجَاءَ بِي إِلَى دَارٍ عَالِيَةِ الْبِنَاءِ لَا أَشُك أَنهَا الْجَنةُ وإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَى بِسَاطٍ أَخْضَرَ ونُورُ جلاله يَغْشَى الْأَبْصَارَ فَقَالَ لِي إِن فِيمَا حَمَلْتَ مِنَ الْقُمَاشِ حِبَرَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا فِي مَكَانِ كَذَا والْأُخْرَى فِي مَكَانِ كَذَا فِي السفَطِ الْفُلَانِي وفِي كُل وَاحِدَةٍ مِنْهُن رُقْعَةٌ مَكْتُوبَةٌ فِيهَا ثَمَنُهَا ورِبْحُهَا وثَمَنُ إِحْدَاهُمَا ثَلَاثَةٌ وعِشْرُونَ دِينَارًا والربْحُ دِينَارَانِ وثَمَنُ الْأُخْرَى ثَلَاثَةَ عَشَرَ دِينَارًا والربْحُ كَالْأُولَى فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهِمَا قَالَ الرجُلُ فَرَجَعْتُ فَجِئْتُ بِهِمَا إِلَيْهِ فَوَضَعْتُهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِيَ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ لَا أَسْتَطِيعُ النظَرَ إِلَيْهِ إِجْلَالًا لِهَيْبَتِهِ قَالَ فَمَد يَدَهُ إِلَى طَرَفِ

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٥٥.

الْبِسَاطِ ولَيْسَ هُنَاكَ شيء فقَبَضَ قَبْضَةً وقَالَ هَذَا ثَمَنُ حِبرَتَيْك وربْحُهُمَا قَالَ فَخَرَجْتُ وعَدَدْتُ الْمَالَ فِي الْبَابِ فَكَانَ الْمُشْتَرَى والربْحُ كَمَا كَتَبَ وَالِدِي لَا يَزِيدُ ولَا يَنْقُصُ)[١].

ومن ذلك ما ذَكَرَ أَصْحَابُ السيَرِ مِنَ الْخَاصةِ والْعَامةِ أَنهُ كَانَ لِلْخَلِيفَةِ فِي سَامَراءَ بِرْكَةٌ عَظِيمَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالسبَاعِ الضوَارِي تُسَمى بِرْكَةَ السبَاعِ وكَانَ يُلْقِي مَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ إِلَيْهَا فَتَفْتَرِسُهُ فِي آنٍ وَاحِدٍ فَأَمَرَ أَتْبَاعَهُ بِإِلْقَاءِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِي عليه السلام فِيهَا لَيْلًا فَلَما أَصْبَحُوا وَجَدُوهُ عليه السلام قَائِمًا يُصَلي سَالِمًا مِنَ السبَاعِ وهِيَ خَاضِعَةٌ حَوْلَهُ مُتَوَاضِعَةٌ لَدَيْهِ[٢].

فصل
في الإشارة إلى بعض أسرار الإمام المهدي محمد بن الحسن عليهم السلام

فمن ذلك ما رواه الحسن بن حمدان عن حكيمة بنت محمد بن علي الهادي قالت: (كان مولد القائم عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة سبعة وخمسين ومائتين وأمه نرجس بنت ملك الروم، قالت حكيمة: فلما وضعته سجد، فإذا على عضده مكتوب بالنور: جاء الحق وزهق الباطل، قالت: فجئت به إلى الحسن عليه السلام فمسح يده الشريفة على وجهه وقال: تكلم يا حجة الله وبقية الأنبياء، وخاتم الأوصياء، وصاحب الكرة البيضاء، والمصباح من البحر العميق الشديد الضياء، تكلم يا خليفة الأتقياء، ونور الأوصياء.

فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٥٦.

(٢) مفتاح الفلاح، ص٥٠٥.

وأشهد أن عليا ولي الله، ثم عد الأوصياء إليه، فقال له الحسن عليه السلام: اقرأ ما نزل على الأنبياء، فابتدأ بصحف إبراهيم فقرأها بالسريانية، ثم قرأ كتاب نوح وإدريس، وكتاب صالح، وصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وفرقان محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين، ثم قص قصص الأنبياء إلى عهده عليه السلام)[١].

وفي الكافي بإسناده عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ أَنهُ رَآهُ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ والناسُ يَتَجَاذَبُونَ عَلَيْهِ وهو يَقُولُ مَا بِهَذَا أُمِرُوا[٢].

وفيه عن عَلِي بْن مُحَمدٍ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدَائِنِ قَالَ: (كُنْتُ حَاجًا مَعَ رَفِيقٍ لِي فَوَافَيْنَا إِلَى الْمَوْقِفِ فَإِذَا شَاب قَاعِدٌ عَلَيْهِ إِزَارٌ ورِدَاءٌ وفِي رِجْلَيْهِ نَعْلٌ صَفْرَاءُ قَومْتُ الْإِزَارَ والرِدَاءَ بِمِائَةٍ وخَمْسِينَ دِينَارًا ولَيْسَ عَلَيْهِ أَثَرُ السفَرِ فَدَنَا مِنا سَائِلٌ فَرَدَدْنَاهُ فَدَنَا مِنَ الشاب فَسَأَلَهُ فَحَمَلَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ ونَاوَلَهُ فَدَعَا لَهُ السائِلُ واجْتَهَدَ فِي الدعَاءِ وأَطَالَ فَقَامَ الشاب وغَابَ عَنا فَدَنَوْنَا مِنَ السائِلِ فَقُلْنَا لَهُ وَيْحَكَ مَا أَعْطَاكَ فَأَرَانَا حَصَاةَ ذَهَبٍ مُضرسَةً قدرنَاهَا عِشْرِينَ مِثْقَالًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَوْلَانَا عِنْدَنَا ونَحْنُ لَا نَدْرِي ثُم ذَهَبْنَا فِي طَلَبِهِ فَدُرْنَا الْمَوْقِفَ كُلهُ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ فَسَأَلْنَا كُل مَنْ كَانَ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ مَكةَ والْمَدِينَةِ فَقَالُوا شَاب عَلَوِي يَحُج فِي كُل سَنَةٍ مَاشِيًا)[٣].

ومن ذلك ما رواه المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام: (إن سيدنا القائم عليه السلام إذا ظهر أسند ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ويَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ وشَيْثٍ، فَهَا أَنَا ذَا آدَمُ وشَيْثٌ.

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص١٥٧.
(٢) الكافي، ج١ ص٣٣١.
(٣) الكافي، ج١ ص٣٣٢.

أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نُوحٍ ووَلَدِهِ سَامٍ، فَهَا أَنَا ذَا نُوحٌ وسَامٌ.

أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ، فَهَا أَنَا ذَا إِبْرَاهِيمُ وإِسْمَاعِيلُ.

أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُوسَى ويُوشَعَ، فَهَا أَنَا ذَا مُوسَى ويُوشَعُ.

أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِيسَى وشَمْعُونَ، فَهَا أَنَا ذَا عِيسَى وشَمْعُونُ.

أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُحَمدٍ وأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صلى الله عليهما وآلهما، فَهَا أَنَا ذَا مُحَمدٌ وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صلى الله عليهما وآلهما.

أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ عليهما السلام، فَهَا أَنَا ذَا الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ عليمها السلام.

أَلَا ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأَئِمةِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليهم السلام، فَهَا أَنَا ذَا الْأَئِمةُ عليهم السلام فها أنا ذا ويعد واحدا بعد واحد إلى الحسن عليه السلام.

فلينظر ويسألني فإني أنبيء بما أنبأوا به.

أَجِيبُوا إِلَى مَسْأَلَتِي فَإِني أُنبئُكُمْ بِهِ ومَا لَمْ تُنبئُوا بِهِ.

ومَنْ كَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ والصحُفَ فَلْيَسْمَعْ مِني، ثُم يَبْتَدِئُ بِالصحُفِ التِي أَنْزَلَهَا اللهُ عز وجل عَلَى آدَمَ وشَيْثٍ عليهما السلام، فتَقُولُ أُمةُ آدَمَ وشَيْثٍ هِبَةِ اللهِ: هَذِهِ واللهِ الصحُفُ حَقًا، ولَقَدْ أَرَانَا منها مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُهُ فِيهَا، ومَا كَانَ خَفِيَ عَلَيْنَا ومَا كَانَ أُسْقِطَ مِنْهَا وبُدلَ وحُرف.

ثُم يَقْرَأُ صُحُفَ نُوحٍ وصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام والتوْرَاةَ والْإِنْجِيلَ والزبُورَ، فَيَقُولُ أَهْلُ التوْرَاةِ والْإِنْجِيلِ والزبُورِ: هَذِهِ واللهِ صُحُفُ نُوحٍ

وإِبْـرَاهِـيـمَ عليه السلام حَـقًـا، ومَـا أُسْـقِـطَ وبُـدلَ وحُـرفَ، هَـذِهِ واللهِ الـتـوْرَاةُ الْجَامِعَةُ والزبُورُ التام والْإِنْجِيلُ الْكَامِلُ، وإِنها أَضْعَافُ مَا قَرأْنَا مِنْهَا.

ثُم يَتْلُو الْقُرْآنَ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: هَذَا واللهِ الْقُرْآنُ حَقًا، الذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مُحمدٍ صلى الله عليه وآله ومَا أُسْقِطَ مِنْهُ وحُرفَ وبُدلَ.

ثُم تَظْهَرُ الدابةُ بَيْنَ الركْنِ والْمَقَامِ، فَتكْتَبُ فِي وَجْهِ الْمُؤْمنِينِ، مُؤْمِنٌ، وفِي وَجْهِ الْكَافِرِين: كَافِرٌ)[(١)].

ومن ذلك ما رواه المفضل عنه عليه السلام قَالَ: قَالَ أبو عبد الله عليه السلام: (كَأَنِي أَنْظُرُ إِلَى الْقَائِمِ عليه السلام عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ وحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وثَلَاثَةَ عَشَرَ عِدةَ أَهْلِ بَدْرٍ وهُمْ أَصْحَابُ الْأَلْوِيَةِ وهُمْ حُكامُ اللهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى خَلْقِهِ حتى يَسْتَخْرِجَ مِنْ قَبَائِهِ كِتَابًا مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ ذَهَبٍ عَهْدٌ مَعْهودٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَيُجْفِلُونَ عَنْهُ إِجْفَالَ الْغَنَمِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلا الْوَزِيرُ وأَحَدَ عَشَرَ نَقِيبًا كَمَا بَقُوا مَعَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام فَيَجُولُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَذْهَبًا فَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فواللهِ إِني لَأَعْرِفُ الْكَلَامَ الذِي يَقُولُ لَهُمْ فَيَكْفُرُونَ بِهِ)[(٢)].

وفي حديث آخر قال: (يَا مُفَضلُ يُسْنِدُ الْقَائِمُ عليه السلام ظَهْرَهُ إِلَى الْحَرَمِ ويَمُد يَدَهُ المباركة فَتُرَى بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ويَقُولُ هَذِهِ يَدُ اللهِ وعَين اللهِ وبِأَمْرِ اللهِ ثُم يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ إِن الذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا، فَيَكُونُ أَولُ مَنْ يُقَبلُ يَدَهُ جَبْرَئِيلَ عليه السلام ثُم يُبَايِعُهُ وتُبَايِعُهُ الْمَلَائِكَةُ ونُجَباءُ الْجِنِ ثُم النقَبَاءُ)[(٣)]. الحديث.

---

(١) مختصر البصائر، ص٤٤٣.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢؛ ص٣٢٦.

(٣) بحار الأنوار؛ ج٥٣؛ ص٨.

أقول: قوله عليه السلام: (فوالله إني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به) في الحديث الأول، وكذا قوله عليه السلام في الحديث الثاني: (ثم يتلوهذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، الآية) يشير إلى باطن ما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جواب كميل بن زياد حين سأله عن الحقيقة، فرشح على كميل ظاهره، وذلك حرف من باطن الباطن لا يجوز كشفه إلّا عند ظهور القائم عليه السلام وعجل الله فرجه، فافهم.

فصل

أقول: هذه بقية الله في خلقه وحجة الله على بريته، ووجهه الذي يتقلب في الأرض في أي صورة شاء الله، وهو وديعته المستحفظة وكلمة الباقية والدرة اليتيمة البيضاء، وإحدى آياته الكبرى، وبقية أغصان شجرة طوبى وسدرة المنتهى، وحجاب الله الأعظم الأعلى، والسبب المتصل من الأرض إلى السما، ووجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء، ووليه الذي بيده رزق الورى، وببقائه بقيت الدنيا وثبتت الأرض والسماء، وهو نسخة الوجود وسر المعبود وغوث المؤمنين وخاتم الوصيين وبقية الله في خلقه أجمعين، وهو إمامنا وسيدنا المنتظر والخلف المشتهر، آخر الأقمار الساطعة وأول الشموس الطالعة، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه ولا تفرق بيننا وبينه طرفة عين أبدا، آمين رب العالمين.

وقد تبين مما ذكرنا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وما أشرنا إليه في الأبواب السابقة والفصول اللاحقة، أن

الصراط المستقيم الذي من سلكه أوصله إلى المقصود وحصل له المطلوب وعرف المعبود، وهو سبيل معرفتهم عليهم السلام بالنورانية، والدخول في ولايتهم المطلقة التي هي ولاية الله القديمة الأزلية الأبدية، والتزام طاعتهم والقيام بأمرهم ونهيهم، وأداء واجب حقهم وشكر إحسانهم وإنعامهم، وأن من لم يعرفهم عليهم السلام بالمعرفة النورانية فهو إما غال مفرِط أو قال مقصر مفرِّط، ولهذا فسر الصراط المستقيم بما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير فاستقام، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (هلك في اثنان محب مفرط ومبغض مفرط).

وقال لسلمان: (لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يعرفني بالنورانية، وإذا عرفني بذلك فهو مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفًا بدينه مستبصرًا، ومن قصر عن ذاك فهو شاك مرتاب، يا سلمان ويا جندب، إن معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدين الخالص) إلى أن قال: (يا سلمان ويا جندب، المؤمن الممتحن الذي لم يرد عليه شيء من أمرنا، إلّا شرح الله صدره لقبوله، ولم يشك ولم يرتب، ومن قال لم وكيف فقد كفر، فسلموا لله أمره، فنحن أمر الله، يا سلمان ويا جندب، إن الله جعلني أمينه على خلقه، وخليفته في أرضه وبلاده وعباده، وأعطاني ما لم يصفه الواصفون، ولا يعرفه العارفون، فإذا عرفتموني هكذا فأنتم مؤمنون).

ثم قال بعد كلمات عجيبة: (يا سلمان، بنا شرف كل مبعوث، فلا تدعونا أربابًا، وقولوا فينا ما شئتم، ففينا هلك من هلك وبنا نجا من نجا. يا سلمان، من آمن بما قلت وشرحت فهو مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان، ورضي عنه، ومن شك وارتاب فهو ناصب، وإن ادعى ولايتي فهو كاذب.

يا سلمان أنا والهداة من أهل بيتي سر الله المكنون، وأولياؤه المقربون، كلنا واحد، وأمرنا واحد وسرنا واحد، فلا تفرقوا فينا فتهلكوا، فإنا نظهر في كل زمان بما شاء الرحمن، فالويل كل الويل لمن أنكر ما قلت، ولا ينكره إلّا أهل الغباوة، ومن ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة)[١] الحديث.

وهذا يكفي إن شاء الله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولنرجع إلى تفسير ما بقي من السورة المباركة.

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام؛ ص٢٥٧.

[تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾]

[تفسيرقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾]

قوله عز وجل: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ في تفسير الإمام عليه السلام، وفي المعاني بإسناده عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِي بْنِ مُحَمدِ بْنِ عَلِي بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمدِ بْنِ عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام فِي قَوْلِ اللهِ عَز وجَلَ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: (أَيْ قُولُوا إهْدِنَا صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالتوْفِيقِ لِدِينِكَ وطَاعَتِكَ، وهُمُ الذِينَ قَالَ اللهُ عَز وجَل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

وحُكِيَ هَذَا [بِعَيْنِهِ] عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ ثُم قَالَ: لَيْسَ هَؤُلَاءِ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْمَالِ وصِحةِ الْبَدَنِ، وإِنْ كَانَ كُل هَذَا نِعْمَةً مِنَ اللهِ ظَاهِرَةً، أَلَا تَرَوْنَ أَن هَؤُلَاءِ قَدْ يَكُونُونَ كُفارًا أَو فُساقًا، فَمَا نُدِبْتُمْ إِلَى أَنْ تَدْعُوْا بِأَنْ تُرْشَدُوا إِلَى صِرَاطِهِمْ، وإِنمَا أُمِرْتُمْ بِالدعَاءِ بِأَنْ تُرْشَدُوا إِلَى صِرَاطِ الذِينَ أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وتَصْدِيقِ رَسُولِهِ وبِالْوَلَايَةِ لِمُحَمدٍ وآلِهِ الطيبين [الطاهِرِينَ] وأَصْحَابِهِ الْخَيرِينَ الْمُنْتَجَبِينَ، وبِالتقِيةِ الْحَسَنَةِ التِي يُسْلَمُ بِهَا مِنْ شَر عِبَادِ اللهِ، ومِنَ الزيَادَةِ فِي آثَامِ أَعْدَاءِ اللهِ وكُفْرِهِمْ بِأَنْ تُدَارِيَهُمْ ولَا تُغْرِيَهُمْ بِأَذَاكَ وأَذَى الْمُؤْمِنِينَ، وبِالْمَعْرِفَةِ بِحُقُوقِ الْإِخْوَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنهُ مَا مِنْ عَبْدٍ ولَا أَمَةٍ وَالَى مُحَمدًا وآلَ مُحَمدٍ عليهم السلام وأصحاب محمد وعَادَى مَنْ

عَادَاهُمْ إلا كَانَ قَدِ اتخذَ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِصْنًا مَنِيعًا وجُنةً حَصِينَةً، ومَا مِنْ عَبْدٍ ولَا أَمَةٍ دَارَى عِبَادَ اللهِ فَأَحْسَنَ الْمُدَارَاةَ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا فِي بَاطِلٍ ولَمْ يَخْرُجْ بِهَا مِنْ حَق إلا جَعَلَ اللهُ عز وجل نَفَسَهُ تَسْبِيحًا وزَكى عَمَلَهُ وأَعْطَاهُ بَصِيرَةً عَلَى كِتْمَانِ سِرنَا واحْتِمَالِ الْغَيْظِ لِمَا يَسْمَعُهُ مِنْ أَعْدَائِنَا ثَوَابَ الْمُتَشَحطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ومَا مِنْ عَبْدٍ أَخَذَ نَفْسَهُ بِحُقُوقِ إِخْوَانِهِ فَوَفاهُمْ حُقُوقَهُمْ جُهْدَهُ، وأَعْطَاهُمْ مُمْكِنَهُ، ورَضِيَ عَنْهُمْ بِعَفْوِهِمْ، وتَرَكَ الِاسْتِقْصَاءَ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَكُونُ مِنْ زَلَلِهِمْ واغْتَفَرَهَا لَهُمْ، إلا قَالَ اللهُ لَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ: يَا عَبْدِي قَضَيْتَ حُقُوقَ إِخْوَانِكَ ولَمْ تَسْتَقْصِ عَلَيْهِمْ فِيمَا لَكَ عَلَيْهِمْ فَأَنَا أَجْوَدُ وأَكْرَمُ وأَوْلَى بِمِثْلِ مَا فَعَلْتَهُ مِنَ الْمُسَامَحَةِ والْكَرَمِ، فَإِني أَقْضِيكَ الْيَوْمَ عَلَى حَق مَا وَعَدْتُكَ بِهِ، وأَزِيدُكَ مِنْ فَضْلِيَ الْوَاسِعِ، ولَا أَسْتَقْصِي عَلَيْكَ فِي تَقْصِيرِكَ فِي بَعْضِ حُقُوقِي، قَالَ فَيُلْحِقُهُمْ بِمُحَمدٍ وآلِهِ وأصحابه ويَجْعَلُهُ من خِيَارِ شِيعَتِهِمْ.

ثُم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا عَبْدَ اللهِ أَحِب فِي اللهِ وأَبْغِضْ فِي اللهِ ووَالِ فِي اللهِ وعَادِ فِي اللهِ، فَإِنهُ لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إلا بِذَلِكَ، ولَا يَجِدُ أحد طَعْمَ الْإِيمَانِ وإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وصِيَامُهُ حتى يَكُونَ كَذَلِكَ، وقَدْ صَارَتْ مُؤَاخَاةُ الناسِ يَوْمَكُمْ هَذَا أَكْثَرُهَا فِي الدنْيَا، عَلَيْهَا يَتَوَادونَ وعَلَيْهَا يَتَبَاغَضُونَ وذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

فَقَالَ الرجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَني قَدْ وَالَيْتُ وعَادَيْتُ فِي اللهِ، ومَنْ وَلِي اللهِ حَتى أُوَالِيَهُ، ومَنْ عَدُو الله حَتى أُعَادِيَهُ.

فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَلِي بن أبي طالب عليه السلام فَقَالَ أَلا تَرى هَذَا قَالَ بَلَى قَالَ فإن وَلِي هَذَا وَلِي اللهِ فَوَالِهِ وعَدُو هَذَا عَدُواللهِ فَعَادِهِ

ووَالِ وَلِي هَذَا ولو أنهُ قَاتِلُ أَبِيكَ ووَلَدِكَ، وعَادِ عَدُو هَذَا ولوأنهُ أَبُوكَ أَو وَلَدُكَ)(١)، انتهى ما في تفسير الإمام والمعاني.

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام قَالَ: (قَوْلُ اللهِ عَز وجَل فِي الْحَمْدِ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَعْنِي مُحَمدًا وذُريتَهُ صلوات الله عليهم)(٢).

وفيه أيضًاعن رسول الله صلى الله عليه وآله (فِي قَوْلِ اللهِ عَز وجَل صِراطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضالينَ قَالَ شِيعَةُ عَلِي عليه السلام الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِوَلَايَةِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهِمْ ولَمْ يَضِلوا)(٣).

أقول: قوله عز وجل: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بدل من قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ بدل الكل من الكل، وهو في حكم تكوير العامل من حيث أنه المقصود بالنسبة، كأنه قيل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ اهدنا ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وفائدته التوكيد والتنصيص على أن الطريق المشهود عليه بالاستقامة هو طريق المؤمنين، الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لأن قوله تعالى هذا جعل كالتفسير والبيان لقوله ذلك، فكأنه من البيّن الذي لا خفاء فيه أن الصراط المستقيم والطريق المستوي هو صراط هؤلاء المذكورين وطريقهم لا غير.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الإمام عليه السلام أراد بقوله: (أي قولوا اهدنا

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٥٧. معاني الأخبار، ص١٣١.
(٢) معاني الأخبار، ص٣٦.
(٣) معاني الأخبار، ص٣٦.

صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك...إلخ)، أن المراد بالنعمة التي أنعم الله بها عليهم، هي النعمة الحقيقية الباقية التي يتنعمون بها في الدنيا والآخرة أبد الآبدين ودهر الداهرين، وهي ما أنعم الله عليهم بفضله وجوده وكرمه من التوفيق لدينه وطاعته، ومما أفاض عليهم من بركاته ومَنَّ عليهم من معرفته ومعرفة أوليائه، ومما أبلاهم من معرفة حمده وشكره بحقيقة ما هم أهله، لا ما أنعم الله بها على أهل الدنيا إتماما للحجة عليهم، مما أمدهم به من كثرة الأموال والبنين وصحة الأبدان وكثرة الأعوان، والتقلب في البلاد والتعزيز على العباد، والتلذذ بالطيبات والتمكن على الشهوات.

فصراط الذين أنعم الله تعالى عليهم بالنعم الحقيقية، ووفقهم لدينه وطاعته معرفته تعالى، والإيمان به والتصديق له والإخلاص في توحيده والاعتراف بفضله وعدله، والإقرار برسله والتصديق بكتبه وبما أوتي النبيون من ربهم وبما جاءوا به من أحكام الدارين وأحوال النشأتين، والتدبر في آيات الله والتفكر في خلقه وفيما أراهم من عجائب صنعه وآثار قدرته وعلامات سلطانه، والخوف من سطوته والرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه، وعدم القنوط من رحمته وعدم الأمن من مكره، والعدل والإنصاف لجميع خلقه، والرضا بقضائه وقدره والتسليم لأمره والتفويض إلى مشيته وإرادته، والتوكل عليه والالتجاء إليه، وصحة العلم واستقامة الفهم واستعمال العقل وتكميل النفس وتطهير الظاهر وتعمير الباطن وتنوير القلب وتحلية الصدر وتجلية الروح وتخلية الفؤاد، والسلوك في الشريعة والاستقامة على الطريقة والطلب للحقيقة، والتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور، والاستعداد للموت قبل نزوله، وأداء الأمانات إلى أهلها،

والحب في الله والبغض لأجله، والعزلة عن الناس والهجرة إلى رب الناس والتعزز بملك الناس والتعوذ بإله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، وإحياء القلب بالموعظة وإماتته بالزهادة وتقويته باليقين وتنويره بالحكمة وتذليله بذكر الموت وتقريره بالفناء وتبصيره فجائع الدنيا وتحذيره صولة الدهر وتقلب الليالي والأيام وتنبيهه أخبار الماضين، وتذكيره بما أصاب من كان قبلهم من الأولين، والسير في ديارهم وآثارهم والنظر فيما فعلوا وعما انتقلوا، وأين حلوا ونزلوا، وحبس النفس على الطاعات، والاسترجاع عند المصيبات، والصدق والرفق والتواضع والصمت والاستسلام وترك التنازع واستعمال الخير، وهجران الشر وشكر النعم، واتباع السنن، ومجانبة البدع، وخوف الوقوع في الفتن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحياطة الإسلام وانتقاص الباطل وإذلاله، ونصرة الحق وإعزازه، وإرشاد الضال ومعاونة الضعيف وإدراك اللهيف، وتقليل الكلام وإفشاء السلام، ومسح رأس الأيتام والرحمة والرأفة، والمداراة مع كافة الأنام، والوفاء بالعقود، والبقاء على العهود، وعدم نقض الأيمان، والمواساة مع الإخوان، وسلامة الغيب، وترك المماكرة، وكتمان السر، والأخذ بالتقية، ومجانبة العادات المخالفة، والخروج عن الشهو ات المهلكة، وقلة الأكل والشرب والنوم والضحك والغفلة، وكثرة الفكر والذكر والبكاء والاستغفار والتوبة، وملازمة السكينة والوقار والطمأنينة واليقين والجد والجهد والاجتهاد، والتفقه في الدين، والإمساك من المال بقدر الضرورة، والتقديم للفضل ليوم الحاجة، والتستر والحياء والعفة والنشاط والفرح والألفة، وعدم

التهور، وترك التجبر، وكراهة الرفعة، وشناءة السمعة، وحب الخمول، وترك الفضول، وكثرة البلوى، وقلة الشكوى، وحفظ الغيوب، وستر العيوب، وإقالة العثرات ومغفرة الزلات، وتذكير العالِم وتعليم الجاهل، وحفظ الرواية، وصون الحديث، وتمييز الطيب من الخبيث، والسكوت في فكرة، والنظر في عبرة، والنطق في حكمة، والنصيحة في سر وعلانية، والتوقر عن الهزاهز، والتثبت حين الزلازل، والتصبر عند الشدائد، وقوة في الدين وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وعلم في حلم، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة، وتجمل في فقر، وعفو في قدرة، وانتهاء في شهو ة، وورع في رغبة، وبذل في غير إسراف، وإطعام المساكين والفقراء، وتفقد أحوال اليتامى والضعفاء، وإغاثة الزمِن والأرملة، وإعانة ذوي الحاجة والمسكنة، وتحصيل مكارم الأخلاق ومحامد الصفات وكرائم الأفعال وصوالح الأعمال، كالسخاوة والشجاعة والصبر والقناعة والتوكل واليقين والشكر والعلم والحلم وحسن الخلق وطلاقة الوجه والغيرة والمروة والورع والتقوى والخوف والرجاء، وإخلاص النية لله، وحسن الظن بالله، والاعتراف بالتقصير، وعفة البطن والفرج، واجتناب المحارم، والاقتصاد في المأكل والملبس والمنكح والعبادة، وترك الشقاوة، وتحصيل السعادة، وحسن البشر، وكظم الغيظ، والعفو عن الزلة، والزهد في الدنيا، وحب الكفاف من الرزق، وتعجيل فعل الخير، والاستغناء عن الناس، وصلة الرحم، والبر بالوالدين، والاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم، وجلب النفع إليهم، ودفع الضرر عنهم، وإجلال كبيرهم، وتوقير مشايخهم، وأداء حق المؤمن، وكف الأذية عن

المسلم، وزيارة الإخوان ومصافحتهم ومعانقتهم، والتقبيل في موضع النور من جبهتهم، وتذاكر الإخوان، والتعاون على البر والتقوى، ومجالسة العلماء، ومجانبة السفهاء، وإدخال السرور على المؤمن بأي شيء كان ولو بتمرة أو بشربة، وقضاء حاجة المؤمن والسعي فيها وتفريج كربه وكتمان سره وستر عيبه، وعدم اغتيابه، وأداء دينه، وإطعامه وإكساؤه وإلطافه وإكرامه وخدمته، وإكرام الضيف، وفك الرقاب، وقول الصواب، وعدم الأخذ بالرأي والقياس، والإصلاح بين الناس، وإحياء نفس محترمة وصيانتها من حرق أو غرق أو هدم، وإخراجها من فقر إلى غنى، أومن جهل إلى علم، أومن شك إلى يقين، أو من ضلالة إلى هداية، أو من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وأداء الفرائض واستواء العمل والمداومة عليه، وإقامة الصلاة والمحافظة عليها، وإيتاء الزكاة والمبادرة إليها، واستقبال الصوم والتهيؤ للحج، والعدة للجهاد، والتقرب بالنوافل لتحصيل محبة الله عز وجل، والسبق إلى الخيرات، والتنافس في الدرجات، وحضور الجمعة والجماعات، وعيادة المرضى وتشييع الجنازات، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، والإسراج في المساجد والمشاهد، وبناء القناطر والخانات، وسد الثغور لدفع الفساد، وغرس الأشجار لمنفعة العباد، وزرع الخير ليوم الحصاد، وتحصيل التقوى لزاد المعاد، والعمل بكل ما هو راجح فعله ومرجوح تركه وبالعكس، مثل تقديم الرجل اليمنى عند دخول المسجد ولبس النعال، واليسرى عند دخول الخلاء وخلع النعال، والتعمم قائما والتسرول قاعدًا وتجنب التمشط بمشط مكسور، وكنس البيت في الليل، وترك الدعاء بعد الصلاة للوالدين، وحرق قشر

البصل، وترك بيت العنكبوت في البيت، وإزالة المرأة له بل يزيله الرجل، والقعود على العتبة، والبول على حافة النهر، ورد السائل، والتجاوز عن بر مطروح، والنوم على الوجه وعلى يد اليسرى وفي خراب، والاطلاع في فرج، ومسح الوجه بالذيل، والجلوس على زبالة، والتختم بخاتمين وأمثال ذلك، وهي كثيرة.

اعلم أن هذه المذكورات وأشباهها من الاعتقادات الصحيحة والأخلاق الرغيبة والأفعال الكريمة والأعمال الصالحة والآداب الحسنة، من النعم الحقيقية الباقية التي أنعم الله بها على عبادة المؤمنين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجعلها صراطهم وطريقهم إليه، وصراطه وطريقه إليهم، ووصفه بالاستقامة لموافقته لأمر الله ومطابقته لمشيئته وإرادته ورضاه، فإذا لوحظ أن مصدر هذه المذكورات ومبدءها شيء واحد وهو نور الله الذي خلق منه المؤمن المعبر عنه بالوجود والفؤاد، يعبر عنه باللفظ المفرد ويقال أنه سبيل الله وصراطه إلى خلقه وسبيلهم وصراطهم إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ وهو النور المذكور الذي بابه ووجهه ووزيره العقل، وإذا لوحظ أن تلك المذكورات كل واحد منها سبيل إلى الله عز وجل يعبر عنها بلفظ الجمع كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهنا كلام طويل في تفسير الآيتين بحسب الظاهر والباطن الظاهر وباطن الباطن والتأويل وباطن التأويل حيث أثبت الله في الآية الأولى له سبيلًا واحدا ونهى عن اتباع السبل، وأثبت في الثانية له سبلًا ووعد المجاهدين فيه تعالى بالهداية، ولكن أعرضنا عنه خوفًا للإطالة فتدبر.

بيان صراط المغضوب عليهم والضالين

وبالجملة إذا كان ما أشرنا إليه من المذكورات وأمثالها سبيل الذين أنعم الله عليهم وصراطهم، فصراط المغضوب عليهم عكس ما ذكرنا من العقائد والأخلاق والأفعال والأعمال والآداب وضدها، وكذلك صراط الضالين مثل صراط المغضوب عليهم في الانعكاس والانحراف، فالمؤمنون يمشون سويًا بتحريك العقائد الصحيحة وحركة الأخلاق الرغيبة، وقدم الأفعال والأعمال الصالحة على الطريقة المستقيمة إلى مقصودهم ومعبودهم، وغيرهم من المغضوب عليهم والضالين يمشون بعكس المؤمنين قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ﴾ وذلك لأن عقائد المغضوب عليهم والضالين وأخلاقهم وأفعالهم وأعمالهم، بل هم وجميع ما منهم وعنهم وبهم وفيهم ولهم وإليهم، عكس من أنعم الله عليهم من المؤمنين، فصراطهم وطريقتهم الإنكار والكفر والجحود والشرك والنفاق وإسناد الظلم والجور إلى الله عز وجل ـ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ـ، وتكذيب الأنبياء والرسل والكتب وبما جاؤوا به من ربهم، والإعراض عن الآيات والتعامي عن البينات والاستهزاء بها، والجرأة على الله في معصيته، وعدم الرغبة في ثوابه، وعدم الخوف والرهبة من عقابه، والقنوط واليأس من روحه ورحمته، والأمن من مكره، والظلم والجور والسخط بقضائه وقدره، والشك والريب في أمره، والحرص في جمع المال والاتكال والاعتماد على غيره، والجهل والحماقة والنكراء والشيطنة ومتابعة النفس الأمارة وخطوات الشيطان، وتغيير الخلقة وتبديل الفطرة، وعدم التجنب عن النجاسة والقذارة، وترك ظاهر الشريعة، والانحراف عن الطريقة المستقيمة، وعدم الوصول إلى

الحقيقة، والاغترار بالحياة الدنيا الدنية، والإعراض عن نعيم الآخرة، ونسيان سكرة الموت، وحسرة الفوت والخيانة، وترك أداء الأمانة، وحب ما أبغضه الله، وبغض ما أحبه الله، وترك العزلة، والوحشة من الوحدة والتعرب بعد الهجرة، والأنس بالناس، والتعزز بأشباه الناس وعدم التعوذ بإله الناس، من شر الوسواس الخناس الذي يسوس في صدور الناس من الجنة والناس، وإماتة القلب بترك سماع الموعظة، وإحياء النفس بالانهماك في الشهوة والرغبة، وتضعيف القلب بالشك والارتياب، وتسويده بفضول الكلام وعدم النطق بالصواب، وتعزيزه بعدم ذكر هادم اللذات، وتقريره بالبقاء في دار الفناء، وتعميته بفجايع الدنيا، وعدم تحذيره من صولة الدهر وتقلب الليالي والأيام وإغفاله عن أخبار الماضين وإنساؤه عما أصاب من كان قبلهم من الأولين، والسكون في مساكن الظلمة، مع عدم العبرة والنظر والفكرة فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا وكيف انتقلوا عن الأحبة وحلوا ونزلوا ديار الغربة وقد تبين لهم كيف فعل الله بهم وضرب لهم الأمثال وإلقاء النفس في الموبقات المهلكات وعدم التنبه عند المصيبات والكذب والخرق والكبر والاستكبار وفضول الكلام وكثرة التنازع وحب الترافع واستعمال الشر، وهجران الخير، وكفران النعمة، ومجانبة السنة، واتباع البدع، وترك السنن، والوقوع في الفتن، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وعدم حراسة الإسلام، وإعزاز الباطل، وإكرام أهله، وترك نصرة الحق وإذلال أهله، وإضلال الناس وإلقاؤهم في الالتباس، وإعانة الظلمة والأقوياء، وإهانة المظلومين والضعفاء، وعدم إدراك اللهيف واللهفاء، وكثرة الكلام، وقلة السلام، وأكل مال الأيتام، وقساوة

القلب، وشدة الغضب، والمكاشفة والغدر، وعدم الوفاء بالشروط والعهود، ونقض الأيمان، ومنع حقوق الإخوان، والمماكرة، والمخادعة، وإفشاء السر، وترك التقية، ومتابعة العادات، والانهماك في الشهوات، وكثرة الأكل والشرب والنوم والضحك، والغفلة وقلة الفكر والذكر، وجمود العين والإصرار على المعاصي، وترك التوبة، والعجلة، والخفة والتردد، والاضطراب، والريبة، والكسالة، والبقاء على الجهالة، وجمع المال بلا ضرورة وتخليفها للورثة، والتبرج والخلع والفجور، والبطر والتهور والتجبر وحب الرفعة والسمعة وكثرة الفضول والشكوى، وقلة الصبر والبلوى، وإظهار الغيوب، وإبراز العيوب، ومتابعة العثرات، والمؤاخذة بالزلات، ونبذ الكتاب والسنة، ومتابعة أقوال الرجال، وآراء أهل البدعة وعدم التميّز بين الحق والباطل والمحق والمبطل والصلاح والفساد والمفسد والمصلح والجيد والردي والعالم والجاهل والطيب والخبيث والناصح والغاش والأعمى والبصير والهادي والمضل والغني والفقير والضار والنافع والمحسن والمسيء والخير والشر والسواد والبياض وإظلام نور الفكرة، وإطفاء ضياء العبرة، ومحو طرائف الحكمة وهدم بناء العقل، وتخريب الدين والدنيا والآخرة، والغش في الأمور، وعدم استواء السر والعلانية والخفة عند الهزاهز، والجزع عند الشدائد، والأخذ بغير الحق، والإعطاء لغير المستحق، وترك الإنفاق والإشفاق، وإظهار الإيمان مع النفاق، والإسراف والإتلاف والكفاف، وترك إطعام الفقراء والمساكين، وعدم تفقد حال الضعيف والمستكين، والاتصاف بذمائم الخصال ورذائل الأخلاق وقبائح الأفعال وطوالح الأعمال كالبخل والطمع وسوء الظن بالله والبلادة

والحماقة والغباوة وسوء الخلق وعدم المروة والغيرة والكذب والنميمة وهيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة الخلق وإلحاح الشهوة وملكة الحمية ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المآثم، واستصغار المعصية، واستكبار الطاعة، ومباهاة المكثرين، والإزراء بالمقلين، وسوء الولاية لمن تحت أيديهم، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندهم، وقصد ما ليس لمن قصده بحق، والقول في العلم بغير علم، والإعجاب بالأعمال، والمد في الآمال، وتعظيم الأغنياء، وتصغير الفقراء، وترك إجلال الشيخ الكبير وعدم الترحم على الطفل الصغير، وترك زيارة العلماء، ومجالسة السفهاء والجهلاء، والتعاون على الإثم والعدوان، وإلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإيمان، والفساد في الأرض، وقطع الطريق، ونقص المكيال، وعدم القسط في الميزان، وتحريم الحلال وتحليل الحرام، وركوب المحارم واكتساب الآثام، كقرب الزنا، وإرادة اللواط، وقصد شرب المسكر، والتلعب بالميسر، واستماع الغنا، والاشتغال بالملاهي، والرغبة في المناهي، وشهادة الزور وكتمان الشهادة، وتضييع الأمانة، وحب الفتنة، وغيبة المؤمن وعداوته وإهانته وعدم السعي في حاجته وإطفاء نوره وهتك عرضه وإفشاء سره وإظهار غيبه وإبراز عيبه، وعدم حضور الجمعة والجماعة، وترك متابعة أهل العصمة، وإضاعة الصلاة ومنع الزكاة والإفطار في يوم الصيام ونبذ الميثاق، والنكول عن الحج، وإرادة العاجلة وإيثار الدنيا على الآخرة، وترك ولاية أهل البيت عليهم السلام، وحب الدنيا الملعونة فإنه رأس كل خطيئة.

هذه المذكورات وأشباهها من الصفات والأفعال والأعمال والأخلاق الرذيلة والاعتقادات الفاسدة، صراط المغضوب عليهم والضالين وطريقهم وسيرتهم، يمشون بقدم أعمالهم وأفعالهم وحركة أخلاقهم وتحريك اعتقاداتهم وأغراضهم الفاسدة مكبين على وجوههم إلى مقاصدهم ومطالبهم الدنياوية، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، ولا يرجون لقاء ربهم ولا يعملون عملًا صالحًا يرفعه الله، ولا يقولون كلمة طيبة تصعد إليه تعالى، فإن آمن بعضهم بظاهره فهو مشرك في باطنه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾(١) وإن أظهروا كلمة الشهادة بألسنتهم فهم منكرون بما يقولون في قلوبهم، قال الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾(٢) وقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾(٣) وقال الإمام عليه السلام: (هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون)(٤) فإذا لم يؤمنوا بالآخرة لم يعملوا عملًا لها، أو لم يكن لهم مقصود ولا مطلوب إلّا الدنيا، فأعمالهم منحصرة فيها ولها، وهي: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾(٥) وذلك لأنهم ما عملوا للآخرة شيئًا، فما لهم في الآخرة من خلاق، وهؤلاء من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾(٦)

---

(١) يوسف ١٠٦.

(٢) المنافقون ١.

(٣) آل عمران ١٦٧.

(٤) الكافي، ج١ص ٢٣٠.

(٥) النور ٣٩.

(٦) المؤمنون ٧٤.

وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(١) أي الصراط المستقيم، فبقدر ما خرجت أنت عن الاعتقادات الصحيحة وانحرفت عن الأخلاق الرغيبة وتركت من الأعمال الصالحة التي قلنا أنها صراط المؤمنين، وأنها هي النعمة الحقيقية الباقية التي أنعم الله بها عليهم، ودخلت في العقائد الفاسدة وأخذت بالأخلاق الرذيلة، وعملت بالأعمال الطالحة التي قلنا أنها صراط المغضوب عليهم والضالين وطريقهم وسيرتهم، كَبَوْتَ عن الصراط وضللت عن سواء السبيل، ومشيت مكبًا على وجهك، وتركت مشيك سويًا على صراط مستقيم، فافهم ثبتك الله تعالى.

قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: (والإنعام إيصال النعمة، وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان، فأطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين، ونعم الله تعالى وإن كانت لا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾(٢)، تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي.

والأول قسمان، موهبي وكسبي.

والموهبي قسمان:

روحاني: كنفخ الروح فيه، وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى الحالة، كالفهم والفكر والنطق.

وجسماني: كتخليق البدن والقوى الحالة فيه، والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الأعضاء.

---

(١) المائدة ٧٧.

(٢) النحل ١٨.

والكسبي: تزكية النفس عن الرذائل، وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة، وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال.

والثاني: أن يعفو[١] ما فرط منه ويرضى عنه، ويبوؤه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين.

والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر، فإن [ما عدا] ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر)[٢]، انتهى.

أقول: قد أشرنا إلى أقسام نعم الله تعالى في الجملة عند تفسيرنا لاسم الجلالة بما يكفيك إن شاء الله تعالى فراجع.

(١) في المصدر: أن يغفر له ما فرط منه.

(٢) تفسير البيضاوي، ج١ ص٣١.

[تفسير قوله تعالى:
﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾]

[تفسير قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾]

قوله عز وجل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

في تفسير الإمام عليه السلام قَالَ: (قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَرَ اللهُ عز وجل عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ طَرِيقَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، وهُمُ النبيونَ والصديقُونَ والشهَدَاءُ والصالِحُونَ، وأَنْ يَسْتَعِيذُوا عن طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وهُمُ الْيَهودُ الذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ وأَنْ يَسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ طَرِيقِ الضالينَ، وهُمُ الذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهُمُ النصَارَى.

ثُم قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: كُل مَنْ كَفَرَ بِاللهِ فَهو مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وضَال عَنْ سَبِيلِ اللهِ عَز وجَل.

وقَالَ الرضَا عليه السلام كَذَلِكَ، وزَادَ فِيهِ، فَقَالَ: ومَنْ تَجَاوزَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْعُبُودِيةَ فَهو مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ومِنَ الضالينَ.

وقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا تَتَجَاوَزُوا بِنَا الْعُبُودِيةَ، ثُم قُولُوا مَا شِئْتُمْ ولَنْ تَبْلُغُوا وإِياكُمْ والْغُلُو كَغُلُو النصَارَى، فَإِني بَرِيءٌ مِنَ الْغَالِينَ.

قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ صِفْ لَنَا ربكَ، فَإِن مَنْ قِبَلَنَا قَدِ اخْتَلَفُوا عَلَيْنَا.

فَقَالَ الرضَا عليه السلام: إنهُ مَنْ يَصِفُ رَبهُ بِالْقِيَاسِ، لَا يَزَالُ فِي الدهْرِ فِي الِالْتِبَاسِ مَائِلًا عَنِ الْمِنْهَاجِ، ظَاعنًا فِي الِاعْوِجَاجِ، ضَالًا عَنِ السبِيلِ، قَائِلًا غَيْرَ الْجَمِيلِ.

ثُم قَالَ عليه السلام: أُعَرفُهُ بِمَا عَرف [بِهِ] نَفْسَهُ، أُعَرفُهُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وأَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ، لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاس، ولَا يُقَاسُ بِالناسِ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ بَعِيدٌ بِغَيْرِ تَشْبِيهٍ، ومُتَدَانٍ فِي بُعْدِهِ لَا بنَظِيرٍ، يتوهم دنوه ولا يمثل تعليته(١)، ولَا يَجُورُ فِي قَضِيتِهِ، الْخَلْقُ إِلَى مَا عُلِمَ مِنْهُمْ مُنْقَادُونَ، وعَلَى مَا سَطَرَهُ فِي الْمَكْنُونِ مِنْ كِتَابِهِ مَاضُونَ لَا يَعْمَلُونَ بِخِلَافِ مَا عَلِمَ مِنْهُمْ ولَا غَيْرَهُ يُرِيدُونَ فَهو قَرِيبٌ غَيْرُ مُلْتَزِقٍ، وبَعِيدٌ غَيْرُ مُتَقَصٍ، يُحَققُ ولَا يُمَثلُ، يُوَحدُ ولَا يُبَعضُ، يُعْرَفُ بِالْآيَاتِ، ويُثْبَتُ بِالْعَلَامَاتِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعالِ.

فَقَالَ الرجُلُ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمي يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، فَإِن مَعِي مَنْ يَنْتَحِلُ مُوَالاتِكُمْ يَزْعُمُ أَن هَذِهِ كُلهَا صِفَاتُ عَلِي عليه السلام، وأَنهُ هو اللهُ رَب الْعَالَمِينَ.

قَالَ: فَلَما سَمِعَهَا الرضَا عليه السلام ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ وتَصَبب عَرَقًا، وقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَما يَقُولُ الظالِمُونَ الْكَافِرُونَ، أَولَيْسَ هو [عَلِي عليه السلام] كَانَ آكِلًا فِي الْآكِلِينَ، وَشَارِبًا فِي الشارِبِينَ، ونَاكِحًا فِي الناكِحِينَ، ومُحْدِثًا فِي الْمُحْدِثِينَ وكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُصَليًا خَاشِعًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَز وجَل ذَلِيلًا وإِلَيْهِ أَواهًا مُنِيبًا، أَفَمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ يَكُونُ إِلَهًا! فَإِنْ كَانَ هَذَا إِلَهًا فَلَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا وهو إِلَهٌ لِمُشَارَكَتِهِ لَهُ فِي هَذِهِ الصفَاتِ الدالاتِ عَلَى حُدُوثِ كُل مَوْصُوفٍ بِهَا.

---

(١) هكذا في المخطوط، وفي المصدر: لَا يُتَوَهمُ دَيْمُومِيتُهُ ولَا يُمَثلُ بِخَلِيقَتِهِ.

ثُم قَالَ عليه السلام: حَدثَنِي أَبِي، عَنْ جَدي، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنهُ قَالَ: مَا عَرَفَ اللهَ تَعَالَى مَنْ شَبهَهُ بِخَلْقِهِ، ولَا عَدلَهُ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ.

فَقَالَ الرجُلُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ إِنهُمْ يَزْعُمُونَ أَن عَلِيًا عليه السلام لَما أَظْهَرَ مِنْ نَفْسِهِ الْمُعْجِزَاتِ التِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُ اللهِ تَعَالَى دَل ذَلِكَ عَلَى أَنهُ إِلَهٌ، ولَما ظَهَرَ لَهُمْ بِصِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ الْعَاجِزِينَ لبس بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وامْتَحَنَهُمْ لِيَعْرِفُوهُ، ولِيَكُونَ إِيمَانُهُمْ بِهِ اختبارا من إيمانهم به اخْتِيَارًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

فَقَالَ الرضَا عليه السلام: أَولُ مَا هَاهُنَا أَنهُمْ لَا يَنْقصون مِمنْ قُلِّبَ هَذَا عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ: لَما ظَهَرَ مِنْهُ الْفَقْرُ والْفَاقَة دَل عَلَى أَن مَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ وشَارَكَهُ فِيهَا الضعَفَاءُ الْمُحْتَاجُونَ لَا تَكُونُ الْمُعْجِزَاتُ فِعْلَهُ، فَعُلِمَ بِهَذَا أَن الذِي ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ إِنمَا كَانَتْ فِعْلَ الْقَادِرِ الذِي لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقِينَ، لَا فِعْلَ الْمُحْدَثِ الْمُحْتَاجِ الْمُشَارِكِ لِلضعَفَاءِ فِي صِفَاتِ الضعْفِ.

ثُم قَالَ الرضَا عليه السلام: لَقَدْ ذَكرْتَنِي بِمَا حَكَيْتَ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وقَوْلِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام.

أَما قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَمَا حَدثَنِيهِ أَبِي، عَنْ جَدي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَن اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا [يَنْتَزِعُهُ] مِنَ الناسِ، ولَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَترك عَالِمٌ إِلَى عَالِم ما يَصْرِفُ عَنْهُ طلب حُطَامَ الدنْيَا وحَرَامِهَا، ويَمْنَعُونَ الْحَق أَهْلَهُ، ويَجْعَلُونَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ، اتخَذَ الناسُ رُؤَسَاءَ جُهالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلوا وأَضَلوا.

وأَما قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَهو قَوْلُهُ: يَا مَعْشَرَ شِيعَتِنَا والْمُنْتَحِلِينَ محبتنا وموالاتنا إياكُمْ وأَصْحَابَ الرأْيِ، فَإِنهُمْ أَعْدَاءُ السنَنِ، تَفلت مِنْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا وأَعْيَتْهُمُ السنةُ أَنْ يَعُوهَا، فَاتخَذُوا عِبَادَ اللهِ خَوَلًا، ومَالَهُم دُوَلًا، فَذَلتْ لَهُمُ الرقَابُ وأَطَاعَهُمُ الْخَلْقُ أَشْبَاهُ الْكِلَابِ، ونَازَعُوا الْحَق أَهْلَهُ، وتَمَثلُوا بِالْأَئِمةِ الصادِقِينَ وهُمْ مِنَ الْجُهالِ والْكُفارِ والْمَلاعِينِ، فَسُئِلُوا عما لَا يَعْلَمُونَ، فَأَنِفُوا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِأَنهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَعَارَضُوا الدينَ بِآرَائِهِمْ فَضَلوا وأَضَلوا، أَما لَو كَانَ الدينُ بِالْقِيَاسِ لَكَانَ بَاطِنُ الرجْلَيْنِ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ ظَاهِرِهِمَا.

وأَما قَوْلُ عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فَإِنهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُم الرجُلَ قَدْ حَسُنَ سَمْتُهُ وهَدْيُهُ، وتَمَاوَتَ فِي مَنْطِقِهِ، وتَخَاضَعَ فِي حَرَكَاتِهِ، فَرُوَيْدًا لَا يَغُرنكُمْ، فَمَا أَكْثَرَ مَا يُعْجِزُ تَنَاوُل الرجل الدنْيَا، ورُكُوب الْمَحَارِمِ مِنْهَا، لِضَعْفِ بُنْيَتِهِ ومَهَانَتِهِ وجُبْنِ قَلْبِهِ فَنَصَبَ الدينَ فَخًا لَهَا، فَهو لَا يَزَالُ يَخْتِلُ الناسَ بِظَاهِرِهِ، فَإِنْ تَمكنَ مِنْ حَرَامٍ اقْتَحَمَهُ، فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِف مِنَ الْمَالِ الْحَرَام فَرُوَيْدًا لَا يَغُرنكُمْ، فَإِن شَهواتِ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَنْبُو عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ وإِنْ كَثُرَ، ويَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى شَوْهَاءَ قَبِيحَةٍ، فَيَأْتِي مِنْهَا مُحَرمًا.

فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِف عَنْ ذَلِكَ، فَرُوَيْدًا لَا يَغُرنكُمْ حَتى تَنْظُرُوا مَا عقْدَه قلبه فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ، ثُم لَا يَرْجِعُ إِلَى عَقْلٍ مَتِينٍ، فَيَكُونُ مَا يُفْسِدُهُ بِجَهْلِهِ أَكْثَرَ مِما يُصْلِحُهُ بِعَقْلِهِ.

فَإِذَا وَجَدْتُمْ عَقْلَهُ مَتِينًا فَرُوَيْدًا لَا يَغُرنكُمْ حَتى تَنْظُرُوا مَعَ هواهُ يَكُونُ عَلَى عَقْلِهِ أَو يَكُونُ مَعَ عَقْلِهِ عَلَى هواهُ وكَيْفَ مَحَبتُهُ لِلرئَاسَاتِ الْبَاطِلَةِ وزُهْدُهُ فِيهَا فَإِن فِي الناسِ مَنْ خَسِرَ الدنْيا والْآخِرَةَ بِتَرْكِ الدنْيَا

لِلدنْيَا، ويَرَى أَن لَذةَ الرئَاسَةِ الْبَاطِلَةِ أَفْضَلُ مِنْ لَذةِ الْأَمْوَالِ والنعَم الْمُبَاحَةِ الْمُحللَةِ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ طَلَبًا لِلرئَاسَةِ، حَتى إِذَا قِيلَ لَهُ: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

فَهو يَخْبِطُ عَشْوَاءَ، يَقُودُهُ أَولُ بَاطِلٍ إِلَى أَبْعَدِ غَايَاتِ الْخَسَارَةِ، ويَمُد يَدَهُ بَعْدَ طَلَبِهِ لِمَا لَا يَقْدِرُ فِي طُغْيَانِهِ، فَهو يُحِل مَا حَرمَ اللهُ، ويُحَرمُ مَا أَحَل اللهُ لَا يُبَالِي مَا فَاتَ مِنْ دِينِهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ رِئَاسَتُهُ التِي قَدْ شَقِيَ مِنْ أَجْلِهَا، فَأُولَئِكَ الذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ولَعَنَهُمْ وأَعد لَهُمْ عَذابًا مُهِينًا.

ولَكِن الرجُلَ كُل الرجُلِ، نِعْمَ الرجُلُ هو الذِي جَعَلَ هواهُ تَبَعًا لِأَمْرِ اللهِ، وقُوَاهُ مَبْذُولَةً فِي رِضَاءِ اللهِ تَعَالَى، يَرَى الذل مَعَ الْحَق أَقْرَبَ إِلَى عِز الْأَبَدِ مِنَ الْعِز فِي الْبَاطِلِ، ويَعْلَمُ أَن قَلِيلَ مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَرائِهَا يُؤَدِيهِ إِلَى دَوَام النعَم فِي دَارٍ لَا تَبِيدُ ولَا تَنْفَدُ، وإِن كَثِيرَ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ سَرائِهَا إِنِ اتبَعَ هواهُ يُؤَدِيهِ إِلَى عَذَابٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ ولَا زَوَالَ.

فَذَلِكُمُ الرجُلُ نِعْمَ الرجُلُ، بِهِ فَتَمَسكُوا، وبِسُنتِهِ فَاقْتَدُوا، وإِلَى رَبكُمْ بِهِ فَتَوَسلُوا، فَإِنهُ لَا تُرَد لَهُ دَعْوَةٌ، ولَا تُخَيبُ لَهُ طَلِبَةٌ.

ثُم قَالَ الرضَا عليه السلام: إِن هَؤُلَاءِ الضلالَ الْكَفَرَةَ مَا أُتُوا إِلا مِنْ جَهْلِهِمْ بِمَقَادِيرِ أَنْفُسِهِمْ، حَتى اشْتَد إِعْجَابُهُمْ بِهَا، وكَثُرَ تَعْظِيمُهُمْ لِمَا يَكُونُ مِنْهَا، فَاسْتَبَدوا بِآرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ، واقْتَصَرُوا عَلَى عُقُولِهِمُ الْمَسْلُوكِ بِهَا غَيْرَ السبِيلِ الْوَاجِبِ، حَتى اسْتَصْغَرُوا قَدْرَ اللهِ، واحْتَقَرُوا أَمْرَهُ، وتَهَاوَنُوا بِعَظِيمِ شَأْنِهِ، إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنهُ الْقَادِرُ بِنَفْسِهِ، الْغَنِي بِذَاتِهِ الذِي لَيْسَتْ قُدْرَتُهُ مستفادة(١)، ولَا غِنَاهُ مُسْتَفَادًا، والذِي مَنْ

---

(١) في المصدر: مُسْتَعَارَةً.

شَاءَ أَفْقَرَهُ، ومَنْ شَاءَ أَغْنَاهُ، ومَنْ شَاءَ أَعْجَزَهُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ وأَفْقَرَهُ بَعْدَ الْغِنَى.

فَنظَرُوا إِلَى عَبْدٍ قَدِ اخْتَصهُ اللهُ بِقُدْرَتِهِ لِيُبين بِهَا فَضْلَهُ عِنْدَهُ، وآثَرهُ بِكَرَامَتِهِ لِيُوجِبَ بِهَا حُجتَهُ عَلَى خَلْقِهِ، ولِيَجْعَلَ مَا آتَاهُ مِنْ ذَلِكَ ثَوَابًا عَلَى طَاعَتِهِ، وبَاعِثًا عَلَى اتبَاعِ أَمْرِهِ، ومُؤْمِنًا عِبادَهُ الْمُكَلفِينَ مِنْ غَلَطِ مَنْ نَصبَهُ عَلَيْهِمْ حُجةً ولَهُمْ قُدْوَةً، فَكَانُوا كَطُلابِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدنْيَا، يَنْتَجِعُونَ فَضْلَهُ، ويُؤَملُونَ نَائِلَهُ، ويَرْجُونَ التفَيؤَ بِظِلهِ، والاِنْتِعَاشَ بِمَعْرُوفِهِ، والاِنْقِلَابَ إِلَى أَهْلِيهِمْ بِجَزِيلِ عَطَائِهِ الذِي يُغْنِيهِمْ عَنْ كَلَبِ الدنْيَا، ويُنْقِذُهُمْ مِنَ التعَرضِ لِدَنِي الْمَكَاسِبِ وخَسِيسِ الْمَطَالِبِ، فَبَيْنَا هُمْ يَسْأَلُونَ عَنْ طَرِيقِ الْمَلِكِ لِيَتَرَصدُوهُ، وقَدْ وَجهوا الرغْبَةَ نَحْوَهُ، وتَعَلقَتْ قُلُوبُهُمْ بِرُؤْيَتِهِ إِذْ قِيلَ: إِنهُ سَيَطْلُعُ عَلَيْكُمْ فِي جُيُوشِهِ ومَوَاكِبِهِ وخَيْلِهِ ورَجِلِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْطُوهُ مِنَ التعْظِيمِ حَقهُ، ومِنَ الإنزال[1] بِالْمَمْلَكَةِ وَاجِبَهُ، وإِياكُمْ أَنْ تُسَموا بِاسْمِهِ غَيْرَهُ، أَو تُعَظمُوا سِوَاهُ كَتَعْظِيمِهِ، فَتَكُونُوا قَدْ بَخَسْتُمُ الْمَلِكَ حَقهُ وأَزْرَيْتُمْ عَلَيْهِ، واسْتَحْقَقْتُمْ بِذَلِكَ مِنْهُ عَظِيمَ عُقُوبَتِهِ.

فَقَالُوا: نَحْنُ كَذَلِكَ فَاعِلُونَ جَهْدَنَا وطَاقَتَنا، فَمَا لَبِثُوا أَنْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ عَبِيدِ الْمَلِكِ فِي خَيْلٍ قَدْ ضَمهَا إِلَيْهِ سَيدُهُ، ورَجِلٍ قَدْ جَعَلَهُمْ فِي جُمْلَتِهِ، وأَمْوَالٍ قَدْ حَبَاهُ بِهَا، فَنَظَرَ هَؤُلَاءِ وهُمْ لِلْمَلِكِ يطلبون، فَاسْتَكْثَرُوا مَا رَأَوْا بِهَذَا الْعَبْدِ مِنْ نِعَمِ سَيدِهِ، ورَفَعُوهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ [الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ بِمَا وَجَدُوا مَعَهُ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يُحَيونَهُ تَحِيةَ الْمَلِكِ، ويُسَمونَهُ بِاسْمِهِ، ويَجْحَدُونَ] فَوْقَهُ مَلِكٌ أَو لَهُ مَالِكٌ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ

---

(١) في المصدر: الإِقْرَارِ.

الْعَبْدُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ، وسَائِرُ جُنُودِهِ، بِالزجْرِ والنهْيِ عَنْ ذَلِكَ، والْبَرَاءَةِ مِما يُسَمونَهُ بِهِ، ويُخْبِرُونَهُمْ بِأَن الْمَلِكَ هو الذِي أَنْعَمَ بِهَذَا عَلَيْهِ، واخْتَصهُ بِهِ، وإِن قَوْلَكُمْ مَا تَقُولُونَ يُوجِبُ عَلَيْكُمْ سَخَطَ الْمَلِكِ وعَذَابَهُ، ويُفِيتُكُمْ كُلمَا أَملْتُمُوهُ مِنْ جِهَتِهِ، وأَقْبَلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يُكَذبُونَهُمْ ويَرُدونَ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، فَمَا زَالَوا كَذَلِكَ حَتى غَضِبَ الْمَلِكُ لِمَا وَجَدَ هَؤُلَاءِ وقَدْ سَاووا بِهِ عَبْدَهُ وأَزْرَوْا عَلَيْهِ فِي مَمْلَكَتِهِ، وبَخَسُوهُ حَق تَعْظِيمِهِ، فَحَشَرَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَى حَبْسِهِ، ووَكلَ بِهِمْ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ وَجَدُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَبْدًا أَكْرَمَهُ اللهُ لِيُبَينَ فَضْلَهُ ويُقِيمَ حُجتَهُ، فَصَغُرَ عِنْدَهُمْ خَالِقُهُمْ أَنْ يَكُونَ جعَلَ عَلِيًا لَهُ عَبْدًا، وأَكْبَرُوا عَلِيًا أَنْ يَكُونَ اللهُ عَز وجَل لَهُ رَبًا، فَسَموْهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَنَهَاهُمْ هو وأَتْبَاعُهُ مِنْ أَهْلِ مِلتِهِ وشِيعَتِهِ وقَالُوا لَهُمْ: يَا هَؤُلَاءِ إِن عَلِيًا ووُلْدَهُ عِبادٌ مُكْرَمُونَ، مَخْلُوقُونَ مُدَبرُونَ لَا يَقْدِرُونَ إِلا عَلَى مَا أَقْدَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ رَب الْعَالَمِينَ، ولَا يَمْلِكُونَ إِلا مَا مَلَكَهُمُ اللهُ لا يَمْلِكُونَ مَوْتًا ولا حَياةً ولا نُشُورًا، ولَا قَبْضًا ولَا بَسْطًا ولَا حَرَكَةً ولَا سُكُونًا إِلا مَا أَقْدَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ وطَوقَهُمْ، وإِن رَبهُمْ وخَالِقَهُمْ يَجِل عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ، ويَتَعَالَى عَنْ نُعُوتِ الْمَحْدُودِينَ، وإِن مَنِ اتخَذَهُمْ أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَهو مِنَ الْكَافِرِينَ، وقَدْ ضَل سَواءَ السبِيلِ، فَأَبَى الْقَوْمُ إِلا جِمَاحًا وامْتَدوا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهونَ، فَبَطَلَتْ أَمَانِيهُمْ، وخَابَتْ مَطَالِبُهُمْ وبَقُوا فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ)[١]، انتهى ما في تفسير الإمام عليه السلام.

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٥٠ ـ ٥٨.

والقمي عن الصادق عليه السلام: (إن المغضوب عليهم النصاب والضالين أهل الشكوك[١] الذين لا يعرفون الإمام)[٢].

وفي الحديث عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله سبحانه نصب عليًا علمًا بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنًا ومن أنكره كان كافرًا ومن جهله كان ضالًا ومن ساواه بغيره كان مشركًا ومن جاء بولايته كان فائزًا ودخل الجنة آمنًا ومن جاء بعداوته دخل النار صاغرًا)[٣].

وفي رواية أخرى: (من يعرفه فهو مشرك، ومن لم يعرفه ولم ينكره فهو ضال)[٤].

وفي الزيارة الجامعة الكبيرة: (سَعِدَ واللهِ مَنْ وَالاكُمْ وهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ وخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وضَل مَنْ فَارَقَكُم)، وفيها أيضًا: (وأُشْهِدُكُمْ أَني مُؤْمِنٌ بِكُمْ وبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوكُمْ وبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُم)، وفيها أيضًا: (بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرضْوَانِ وعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَايَتَكُمْ غَضَبُ الرحْمَن)[٥].

وفي المجالس عَنِ الْحَكَمِ بْنِ الصلْتِ عَنْ الإمام أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: (خُذُوا بِحُجْزَةِ هَذَا الْأَنْزَعِ يَعْنِي عَلِيًا فَإِنهُ الصدِيقُ الْأَكْبَرُ وهو الْفَارُوقُ الأعظم الذي

---

(١) في المصدر: الشكاك.

(٢) تفسير القمي، ج١ ص٢٩.

(٣) مشارق أنوار اليقين، ص٧٧.

(٤) هكذا جاء في المخطوطة، ولا شك أن فيه خطأ من الناسخ، ولم أجد ما يقرب منه، فالظاهر أن (يعرفه) الأولى هي (أنكره) أو ما يقرب منها حتى يستقيم النص.

(٥) الزيارة الجامعة الكبيرة.

يُفَرقُ بَيْنَ الْحَق والْبَاطِلِ مَنْ أَحَبهُ هَدَاهُ اللهُ ومَنْ أَبْغَضَهُ أبغضه اللهُ ومَنْ تَخلفَ عَنْهُ مَحَقَهُ اللهُ ومِنْهُ سِبْطَا أُمتِي الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ وهُمَا ابْنَايَ ومِنَ الْحُسَيْنِ أَئِمةُ هُدَاة أَعْطَاهُمُ اللهُ فَهْمِي وعِلْمِي [فَأَحِبوهُمْ] فتَوَلوْهُمْ ولَا تَتخِذُوا وَلِيجَةً مِنْ دُونِهِمْ فَيَحِل عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبكُمْ ومَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبٌ مِنْ رَبهِ فَقَدْ هوى ومَا الْحَياةُ الدنْيا إِلا مَتاعُ الْغُرُور)[(١)] وصلى الله على رسوله محمد وآله الطاهرين.

أقول: المستفاد من قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ومما ذكرنا من أخبارهم عليهم السلام في تفسير هذه الآية، أن الله سبحانه خلق خلقه فريقين:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾، أي هداهم لما قبلوا هدايته باختيارهم بحقيقة ما هم أهله إلى صراط مستقيم، الذي هو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير فاستقام، وهؤلاء من أهل الهداية والاستقامة والإنعام الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الطريقة التي هي ولاية علي أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾[(٢)]، أي أضلهم الله تعالى بعدم قبولهم هدايته تعالى باختيارهم بحقيقة ما هم أهله عن صراطه المستقيم، وهداهم إلى صراط الجحيم الذي هو طريق جهنم، وهم الذين غضب الله عليهم من الكافرين الذين كفروا بالله وباليوم الآخر، والمشركين

---

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج١ ص٥٣.
(٢) الأعراف ٣٠.

الذين أشركوا بالله ظاهرًا أو باطنًا، والمنافقين الذين قالوا آمنا وما هم بمؤمنين، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، والغالين الذين غلوا في دينهم وقالوا على الله غير الحق، والمقصرين الذين لم يعرفوا فضل كل ذي فضل، ولم يعطوا حق كل ذي حق، أو قدموا من أخرهم الله، وأخروا من قدمهم الله، أو ساووا بين أهل الحق والباطل، وأهل الشكوك والضلالة الذين لا يعرفون إمام زمانهم، وأهل البدع والآراء والأهواء ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾(١)، وأهل الظلم والعلو والطغيان الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لهم كيف فعل الله بهم وضرب لهم الأمثال(٢)، وأهل اللذات العاجلة الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا واستمتعوا بها بحيث لم يبق لهم في الآخرة إلّا عذاب الهون بما كانوا يستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كانوا يفسقون، وأهل الرئاسات الباطلة الذين خسروا الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا لرأيهم وزعمهم أن لذة الرئاسة بالباطل التي هي مورد اللعنة ومنبت الشقاوة أفضل من كل لذة وأعلى من كل نعمة، وكل من أنكر نبوة محمد ﷺ ولم يصدق بما جاء به من ربه، أو أنكر نبوة أحد من الأنبياء الذين كانوا قبله ﷺ ولم يؤمن بما جاءوا به من ربهم، وكل من نصب العداوة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام أو واحد من أهل بيته الطاهرين، وكل من فارقهم أو خالفهم أو أنكر فضلهم أو جحد ولايتهم أو اتخذ وليجة دونهم، وكل من كذب بآيات الله تعالى أو

---

(١) الكهف ١٠٤.

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ إبراهيم، ٤٥.

استهزأ بها أو أنكر نعمة الله بعد معرفتها أو جحد الحق بعدما تبين له الهدى، وكل من ترك متابعة أهل العصمة عليهم السلام في الاعتقاد والعمل، وكل من ترك ولايتهم عليهم السلام ولم يبرأ من أعدائهم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لهم الجاحدين لحقهم والمارقين من ولايتهم والغاصبين لإرثهم والشاكين فيهم المنحرفين عنهم ومن كل وليجة دونهم وكل مطاع سواهم ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار، فهؤلاء من الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا أليما، ومن الضالين الذين خذلهم الله وأضل أعمالهم وتركهم في ظلمات جهالاتهم وضلالاتهم لا يبصرون وإلى الحق لا يهتدون، وذلك لأنهم خذلهم الله لما تبين لهم الرشد من الغي فاتخذوا سبيل الغي وتركوا سبيل الرشد بسوء اختيارهم، وهداهم الله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى، وأراهم آياته فأعرضوا عنها وكذبوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا، وقال لهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾(١)، فلم يتبعوا سبيله بل صدوا عن سبيله وظلموا أنفسهم، وصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، ولم يتبعوا سبيل المؤمنين الذين لم يتبعوا إبليس، أبعدهم عن رحمته وغضب عليهم ولعنهم وخذلهم حتى ضلوا ضلالًا بعيدًا وخسروًا خسرانًا مبينًا، وضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، وهداهم إلى صراط الجحيم لأنه ليس بعد الحق إلّا الضلال قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟

---

(١) الأنعام، ١٥٣.
(٢) الأعراف ١٤٦.

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[2] فالصراط المستقيم الذي من سلكه أوصله إلى معرفة الله ومعرفة أوليائه وإلى محبة الله ومحبة أوليائه وإلى طاعة الله وطاعة أولياءه وإلى مرضاة الله وإلى مرضاة أوليائه ويبلغه إلى الجنة التي هي دار كرامته ونعمته ورحمته، وينجيه من النار التي هي دار سخطه وغضبه، هو صراط المؤمنين الذين أنعم الله عليهم بالنعم الحقيقية التي أشرنا إليها سابقًا، فيدخل في صراط المنعم عليهم كل وسط واستقامة، في اعتقاد أو علم أو عمل أو خلق أو حركة أو سكون، ويدخل في صراط المغضوب عليهم كل تفريط وتقصير فيها ولاسيما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وكما فعل مشركو العرب وبعض هذه الأمة به ﷺ وبآله في حياته وبعد وفاته، وكما فعل أهل الخلاف ويفعلون بالمؤمنين إلى يوم الوقت المعلوم، ويدخل في صراط الضالين كل إفراط وغلو وتجاوز عن حد الاعتدال، ولا سيما إذا كان عن جهل كما فعلت اليهود بعزير، والنصارى بعيسى، والغلاة من هذه الأمة بعلي عليه السلام وبالأئمة المعصومين عليهم السلام، حيث تجاوزوا بهم العبودية، واتخذوهم أربابًا من دون الله، وكما فعل أهل التصوف بأنفسهم حيث جاوزا بها العبودية وألحدوا في أسمائه تعالى، وذلك لأن الغضب يلزمه البعد والطرد من الرحمة، والمقصر هو المدبر

---

(١) النساء ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٢) النساء ١١٥.

المعرض فهو البعيد المطرود، والضلال هو الغيبة عن المقصود والخروج عن طريقه، والمفرط هو المقبل المجاوز فهو الذي غاب عنه المطلوب، وكل من مال عن القرآن كتاب الله إلى غيره، أو خرج عن قول رسول الله صلى الله عليه وآل وعما شرع من الدين فهو خارج عن طريق الاستقامة داخل في صراط المغضوب عليهم والضالين قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، وقال تعالى: ﴿يسٓ * وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، وقال في شأن كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ﴾[3].

---

(١) يس ١ ـ ٤.

(٢) الإسراء ٩.

(٣) الأحقاف ٢٩ ـ ٣٠.

[فضل سورة الفاتحة]

والعياشي عن النبي صلى الله عليه وآله: (إن أم الكتاب أفضل سورة أنزلها الله في كتابه، وهي شفاء من كل داء إلّا السام يعني الموت)(١).

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام: (من لم يبرؤه الحمد لم يبرؤه شيء).

وعن الصادق عليه السلام: (لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان عجبًا)(٢).

وفي رواية: (إنها من كنوز العرش)(٣).

[شرح الحديث القدسي الوارد أن فاتحة الكتاب قسمت بين الحق تعالى وعبده وبيان جملة من النكات والأسرار]

وفي تفسير الإمام عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قَالَ: (لقد سمعت رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله يقول قَالَ اللهُ عز وجل: قَسَمْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بَيْنِي

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله: (يا جابر إلّا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه، قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علمنيها، قال: فعلمه الحمد لله أم الكتاب، قال: ثم قال له: يا جابر ألا أخبرك عنها، قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني، قال: هي شفاء من كل داء إلّا السام يعني الموت) تفسير العياشي، ج١ ص٢٠.

(٢) مكارم الأخلاق، ص٣٦٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص٢٧٠.

وبَيْنَ عَبْدِي نصفين فَنِصْفُهَا لِي ونِصْفُهَا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ، إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ جَل جَلالُهُ: بَدَأَ عَبْدِي بِاسْمِي وحَق عَلَي أَنْ أُتَممَ لَهُ أُمُورَهُ وأُبَارِكَ لَهُ فِي أَحْوَالِهِ، فَإِذَا قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ جَل جَلَالُهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي وعَلِمَ أَن النعَمَ التِي لَهُ مِنْ عِنْدِي وأَن الْبَلَايَا التِي إِنْ دُفِعَتْ عَنْهُ فَبِتَطَولِي أُشْهِدُكُمْ أَني أُضِيفُ لَهُ إِلَى نِعَم الدنْيَا نِعَمَ الْآخِرَةِ وأَدفَعُ عَنْهُ بَلَايَا الْآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلَايَا الدنْيَا، وإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ جَل جَلَالُهُ: شَهِدَ لِي عبدي بِأَني الرحْمَنُ الرحِيمُ أُشْهِدُكُمْ لَأُوَفرَن مِنْ رَحْمَتِي حَظهُ ولَأُجْزِلَن مِنْ عَطَائِي نَصِيبَهُ، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ اللهُ عَز وجَل: أُشْهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ أَني أَنَا مَالِكُ يَوْمِ الدينِ لَأُسَهلَن يَوْمَ الْحِسَابِ حِسَابَهُ ولَأَتَقبلَن حَسَنَاتِهِ ولَأَتَجَاوَزَن عَنْ سَيئَاتِهِ، فَإِذَا قَالَ العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قَالَ اللهُ عز وجَل: صَدَقَ عَبْدِي إِيايَ يَعْبُدُ أُشْهِدُكُمْ لَأُثِيبَنهُ عَلَى عِبَادَتِهِ ثَوَابًا يَغْبِطُهُ كُل مَنْ خَالَفَهُ فِي عِبَادَتِهِ لِي فَإِذَا قَالَ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ اللهُ عَز وجَل: بِيَ اسْتَعَانَ والْتَجَأَ أُشْهِدُكُمْ لَأُعِينَنهُ عَلَى أَمْرِهِ ولَأُغِيثَنهُ فِي شَدَائِدِهِ ولَآخُذَن بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إِلَى آخِرِ السورَةِ قَالَ اللهُ جَل جَلَالُهُ: هَذَا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ قَدِ اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي وأَعْطَيْتُهُ مَا أَملَ وآمَنْتُهُ مِما مِنْهُ وَجِلَ)[1].

أقول: الذي يظهر من هذه السورة المباركة أن يكون بعضها لله عز وجل وبعضها لعبده، وبعضها مشتركًا بينه تعالى وبين عبده، لأن الظاهر أن يكون أول السورة وهو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ إلى

---

(١) الأمالي للصدوق، ص١٧٤.

قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ مختصًا بالله تعالى، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ مشتركًا بينه تعالى وبين العبد، وقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة مختصًا بالعبد، ولكنه عز وجل قال: (قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي) وسكت عن الاشتراك لما في لفظ الاشتراك من لزوم الشركة المنفية عن الوحدة الحقية، ومع هذا لا ينافي ما ذكرنا التقسيم الحقيقي والتصنيف الواقعي، وذلك لأن قوله تعالى: (قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي) إلى آخره لا يخلوأن يكون التقسيم والتصنيف على حسب اللفظ أو المعنى، وعلى الأول إما أن يكون بحسب عدد الحروف أو الكلمات والجمل أو الآيات، وعلى الثاني إما أن يكون التقسيم بحسب ظاهر التفسير أو تأويله أو الباطن أو باطن الباطن، وعلى كل تقدير يكون التقسيم والتصنيف تحقيقيًا لا تقريبيًا، فهنا وجوه:

الأول: أن يكون التقسيم بحسب عدد حروف السورة فالنصف الذي لله عز وجل قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهذه مختصة به تعالى وعدد حروفها ثلاثة وستون حرفًا، بإدخال الألفين الملفوظين في اسمي الرحمن في عدد الحروف، والنصف الذي للعبد قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، وهذه مختصة بالعبد وعدد الحروف أيضًا ثلاثة وستون حرفًا، ولهذا قال النبي ﷺ: (فإذا قال العبد إهدنا الصراط المستقيم إلى آخره قال الله عز وجل هذا لعبدي)، وأما قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فهو وإن كان مشتركًا بينه تعالى وبين عبده إلّا أن نصف حروف هذه الآية لله سبحانه ونصفها للعبد، وذلك لأن

قوله: (إياك) (وإياك) بعد اليائين المشددتين عشرة حروف، وهي لله عز وجل وقوله: (نعبد ونستعين) أيضًا عشرة حروف للعبد، وأما العاطفة أي لفظة الواو الداخلة على قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الواسطة بين الجملتين المشتركتين فهي مشتركة بينه تعالى وبين عبده لفظًا ومعنى، أما لفظًا فظاهر، وأما معنى فلعطفه تعالى على عبده المؤمن وانعطاف عبده المؤمن إليه، فهذه أيضًا نصفها لله ونصفها للعبد، فالتقسيم والتصنيف بحسب الحروف تحقيقي لا تقريبي.

الثاني: أن يكون التقسيم والتصنيف بحسب الكلمات والجمل، فالذي لله سبحانه من الكلمات في هذه السورة المباركة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ﴾ فهذه أربع عشر كلمات طيبات مختصة بالله عز وجل، والذي للعبد ﴿نَعْبُدُ﴾ وَ﴿نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾(١) فهذه أيضًا أربع عشر كلمات وجمل للعبد، وأما ما تكررت من كلمة (إياك) فليس لها اعتبار في هذا التقسيم، لأن أهل التوحيد لا يجعلون إياك وإياك اثنتين لأن المقصود بهما واحد بكل اعتبار وفرض، بل هو أحدي المعنى أي واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله واحد في عبادته، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ﴾(٢) فالتقسيم بحسب الكلام أيضًا تحقيقي لا تقريبي.

الثالث: أن يكون التقسيم بحسب عدد الآيات، وهذا إنما يتمشى

---

(١) سورة الفاتحة.
(٢) النحل ٥١.

بضرب من التأويل، وهو أن هذه السورة سبع آيات وقد عرفت أن آية منها وهي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تكون مشتركة بين الله سبحانه وبين عبده، فبقيت ست آيات، فأربع منها لله عز وجل وهي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ واثنان منها للعبد وهما: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، وإنما قلنا أن لله سبحانه أربع آيات وللعبد آيتين مع أن التقسيم الحقيقي يقتضي أن يكون لله تعالى ثلاث آيات وللعبد أربع، لئلّا يلزم أن تكون القسمة قسمة ضيزى وأن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لأن كل ما نسب إلى الله سبحانه ذكر، أي فاعل وفعل وتأثير ليس فيه جهة إمكان وتأثر وانفعال، وكل ما نسب إلى العبد بالنسبة إلى فعل الله تعالى فهو أنثى، أي جهة مفعوليه وانفعال وتأثر، فإذا كان ما للعبد أنثى فحظه آيتان من أم الكتاب، وإذا كان ما لله ذكرا فله أربع آيات منه، قال تعالى في باب تقسيم المواريث: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[١]، وقال في باب آخر: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾[٢] وأما الآية المشتركة فقد عرفت حكمها، فالتقسيم بحسب الآيات أيضًاحقيقي واقعي.

الرابع: أن يكون التقسيم والتصنيف جاريًا على حسب المعنى، فللّه سبحانه في هذه السورة المباركة الألوهية والرحمانية وصفة الرحيمية والمحمودية والربوبية المطلقة والمالكية الحقيقية والمعبودية المستلزمة للإعانة، فهذه صفات سبعة كمالية له تعالى مختصة به سبحانه، وما للعبد التبرك باسمه تعالى والتمدح بحمده والافتخار

(١) النساء ١١.
(٢) النجم ٢٢.

بعبادته والاستعانة به وطلب الهداية والانغمار في نعمته والسلامة في غضبه ومن الضلالة عن سبيله، فهذه أيضًا صفات سبعة كمالية للعبد مختصة به، فالتقسيم على هذا المعنى هنا أيضًاتحقيقي لا تقريبي، وإن أضيف هذا الوجه على الوجوه التي ذكروا في باب تسمية هذا السورة بسبع المثاني كان حسنًا.

الخامس: أن يكون التقسيم معنويًا أيضًا، بأن يكون للعبد الابتداء باسمه تعالى في كل أمر ذي بال، والتبرك به في كل حال، وعلى الله تعالى أن يتمم له أموره ويبارك له في أحواله، وللعبد أن يحمده في السراء والضراء موقنا بأن النعم كلها من عند الله، وأن البلايا التي صرفت عنه بفضل الله، وعلى الله أن يضيف له نعم الدنيا إلى نعم الآخرة، ويدفع عنه بلايا الآخرة كما دفع عنه بلايا الدنيا، وللعبد أن يشهد لله بالرحمانية والرحيمية، وعلى الله أن يوفر من رحمته حظه ويجزل من عطائه نصيبه، وللعبد أن يعترف بأنه تعالى هو المالك يوم الدين والمحاسب للخلق أجمعين، وعليه تعالى أن يسهل يوم الحساب عليه حسابه ويتقبل حسناته ويتجاوز عن سيئاته، وللعبد أن يعبد الله ولا يشرك بعبادته أحدًا، وعلى الله أن يثيبه على عبادته ثوابًا يغبطه كل من خالف في عبادته، وللعبد أن يستعين بسيده على جميع أموره ويلتجئ إليه عند الشدائد، وعلى الله أن يعينه على أموره ويغيثه في شدائده ويأخذ بيده يوم نوائبه، وللعبد أن يسأله الهداية إلى معرفته تعالى ومعرفة أوليائه، والبصيرة في دينه، والتوفيق لطاعته وعبادته، والسلامة من غضبه ومن الضلالة عن طريقه، وعلى الله أن يستجيب دعاءه وأن لا يرد سؤاله، وأن يعطيه آماله، وينجيه من دار غضبه، وأن لا يتركه وهواه فيضل عن سواء السبيل، فهذا أيضًا تقسيم معنوي حقيقي.

والسادس: أن يكون المراد بالعبد في قوله تعالى: (قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي) العباد المكرمون المؤمنون، الذين آمنوا بالله بحقيقة الإيمان ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أصلا، وهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون من أهل العصمة عليهم السلام، وعلى هذا فالمراد من قوله تعالى: (فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل) أن لهم عليهم السلام كل ما سألوه منه تعالى، أوجب الله سبحانه على نفسه لطفًا بهم بحقيقة ما هم أهله أن لا يسألوه شيئًا من أمور دنياهم وآخرتهم إلّا أن يجيبهم ويعطيهم ما سألوه فدعوتهم المستجابة، وهم الذين كانوا بهداية الله على صراط مستقيم، وهم المقصودون حقيقة وأولًا وبالذات من قوله: (فإذا قال العبد إهدنا الصراط المستقيم... إلى آخره) (قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل قد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمل وأمنته مما منه وجل) وإلى هذه الهداية العظمى والعطية الكبرى أشار سبحانه حيث أشاد ذكرهم في كتابه وبين فضلهم لعباده بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾(١) فهم عباده المؤمنون حقيقة الذين قسم الله عز وجل فاتحة كتابه بينه

---

(١) الأنعام ٨٣ ـ ٩٠.

وبينهم، فجعل نصفه له تعالى ونصفه لهم ولهم كلما سألوه، وذلك لأنهم عليهم السلام لم يشركوا بعبادة ربهم أحدًا، وحبسوا جميع إراداتهم لله عز وجل فلم يريدوا إلّا ما أراد الله، ولم يفعلوا إلّا ما فيه رضى الله، ولم يعملوا إلّا ما أحبه الله، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أي بطاعة الولي الحق الذي نصبه الله علما بينه وبين خلقه، وهو محمد وآله صلى الله عليه وآله لضاع وبطل وصار هباء منثورًا ما كانوا يعملون ويكسبون، بحيث لا يقدرون على شيء مما كسبوا ولا ينتفعون بشيء مما عملوا، وهؤلاء هم المؤمنون حقًا، وأما غيرهم من المؤمنين فإيمانهم من شعاع إيمانهم، وأعمالهم الصالحة من فاضل أعمالهم، وما آمنوا إلّا بتبعية إيمانهم عليهم السلام، فغيرهم من المؤمنين المطيعين لله المعتصمين بالله المخلصين دينهم لله سبحانه فهم معهم عليهم السلام مصاحبون لهم لاحقون بهم إن شاء الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(٢).

والحاصل أن الله سبحانه قسم هذه السورة المباركة أي فاتحة الكتاب بينه وبينهم ولهم ما سألوا كل بحسب مقامه ورتبته مما له، وليس المراد أن لهم جميع ما سألوه مما ليس لهم بحق، وإن كانوا عليهم السلام لا يسألون ما ليس لهم من مرتبة من هو فوقهم، ألا ترى قوله تعالى لأبينا آدم عليه السلام: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا

---

(١) النساء ٦٩.

(٢) النساء ١٤٦.

حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، أي شجرة علم آل محمد ﷺ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١) وقوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(٢).

السابع: أن يكون المراد بالعبد الذي قسم الله سبحانه فاتحة الكتاب بينه وبين العبد المؤمن الذي قال تعالى في شأنه: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) وهو محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام خاصة، وهم الذين وسعت قلوبهم جميع شئونات الحق جل وعلا وإراداته، ومحل مشيئته، وألسن إرادته، ومظهر قدرته، وعيبة علمه، ومفاتح غيبه، وخزان جوده وكرمه، وباب فيضه وإفاضته على جميع من سواهم من عباده وخلقه، وهم المؤمنون حقا بحقيقة الإيمان الذي ليس فوقه إيمان، بل الإيمان لا يتحقق إلّا فيهم وبهم وعنهم ولهم ومنهم وإليهم، بل الخلق كلهم أجمعون ممن سواهم ما أمروا إلّا بالإيمان بهم والإقرار لهم، وقد أخذ الله تعالى ميثاق جميع خلقه بالإيمان بهم وقبول ولايتهم والقيام بنصرتهم والامتثال بطاعتهم والموافقة لأمرهم والانتهاء عند نهيهم قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ

(١) الأعراف ١٩.
(٢) المائدة ١١٦.

يُرۡجَعُونَ ﴾(١)، فإذا كان المراد بالعبد المؤمن الذي قسم الله هذه السورة المباركة التي هي أم الكتاب بينه تعالى وبين ذلك العبد هم عليهم السلام، فلهم كل ما سألوه وجميع ما أعطاه أنبياءه ورسله وسائر عباده المؤمنين وزادهم، فآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، بحيث طأطأ كل شريف لشرفهم، وبخع كل متكبر لطاعتهم، وخضع كل جبار لفضلهم، وذل كل شيء لهم، وأشرقت الأرض بنورهم، وفاز الفائزون بولايتهم، بهم يسلك إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتهم غضب الرحمن، فسعد والله من والاهم، وهلك من عاداهم، وخاب من جحدهم، وضل من فارقهم، وفاز من تمسك بهم، وأمن من لجأ إليهم، وسلم من صدقهم، وهدي من اعتصم بهم، من اتبعهم فالجنة مأواه، ومن خالفهم فالنار مثواه، ومن جحدهم كافر، ومن حاربهم مشرك، ومن رد عليهم فهو في أسفل درك من الجحيم، وهم الذين كانت أرواحهم ونورهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقهم الله أنوارًا فجعلهم بعرشه محدقين، حتى من علينا وعلى جميع عباده المؤمنين بهم، فجعلهم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل صلواتنا عليهم وما خصنا به من ولايتهم طيبًا لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا، فكنا عنده مسلمين بفضلهم، ومعروفين بتصديقنا إياهم، فبلغ الله بهم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا

---

(١) آل عمران ٨١ ـ ٨٣.

فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلّا عرفهم جلالة أمرهم، وعظم خطرهم، وكبر شأنهم، وتمام نورهم ومنزلتهم، وصدق مقاعدهم، وثبات مقامهم، وشرف محلهم ومنزلتهم عنده، وكرامتهم عليه، وخاصتهم لديه، وقرب منزلتهم منه، وهم الذين هداهم الله حقيقة بالهداية الكبرى إلى صراطه المستقيم، وهم الذين جعلهم الله حقيقة على صراط مستقيم، وهم الذين جعلهم صراطه المستقيم فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، وهم الذين جعلهم الله سبيله إلى خلقه وسبيل خلقه إليه، وهم الذين جعل الله تعالى سبيلهم سبيله فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(١)، وهم الذين جعل الله عز وجل عددهم عدد حروف الصراط المستقيم، فالصراط المستقيم في الصراط المستقيم، وهم الذين أنعم الله عليهم حقيقة، فقد ورد عنهم عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾(٢) أن المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وآله، والمراد بالصديقين هنا علي عليه السلام، والمراد بالشهداء الحسن والحسين عليهما السلام، والمراد بالصالحين الأئمة الثمانية من ذرية الحسين عليهم السلام، وحسن أولئك رفيقًا هو القائم عليه السلام(٣).

ومن جملة ما أنعم الله تعالى عليهم من بركات هذه السورة المقسومة أن خلقهم عليهم السلام لأجله وخلق ما سواهم لهم، قال تعالى: (خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (نحن صنايع الله والخلق بعد صنائع لنا)(٤).

---

(١) الأنعام ١٥٣.
(٢) النساء ٦
(٣) بحار الأنوار، ج٢٤ ص٣٣.
(٤) شرح الأربعين، ص٤٣٧. الكلمات المكنونة، ص١٣٣.

ومن جملة ما آتاهم أن جعل لهم ملكًا عظيما بأن أوجب على من سواهم طاعتهم فقال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١) وقال ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢)، وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

الثامن: أن يكون المراد بفاتحة الكتاب محمدًا ﷺ افتتح الله به كتابه التكويني والتدويني، فعلى هذا فمعنى قوله تعالى: (قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي) أنه تعالى قسمه ﷺ بينه وبين جميع عباده، فجعل نصفه الأعلى وجهته العليا وقلبه الواسع الأوعى له تعالى، فأودع فيه ما أودع من أسراره وملأه مما ملأ من أنواره، وسقاه كأسه الأوفى، وأوحى إلى عبده ما أوحى، وجعله محل مشيئته ولسان إرادته، وغاية محبته، ومعدن حكمته، ومسكن بركته، وخزانة رحمته، وحامل كتابه، وترجمة وحيه، ومبلغ رسالته، ثم أرسله إلى عباده يبلغهم رسالاته ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويدعوهم إلى دار السرور، فجعل نصفه له تعالى ونصفه لعباده.

فإن قلت: سلمنا ما ذكرت من التأويل وأنه ﷺ فاتحة الكتاب، وأن الله تعالى قسمه بينه وبين عباده، ولكن عليك ببيان ما في الحديث الشريف من قوله: (فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل بدأ عبدي باسمي وحق عليَّ أن أتمم له أموره وأبارك له في أحواله، فإذا قال كذا قال الله عز وجل كذا...إلى آخره)، وانطباق ما في ظاهر الحديث على ما ذكرت من التأويل.

---

(١) الحشر ٧.
(٢) ص٣٩.

أقول: لولا خوف الإطالة والفضح بالحكمة لذكرت لك مشروحًا مبينًا كل ما أشرت إليه من الوجوه التي ذكرتها في ظاهر الحديث من التقسيم والتصنيف بحسب الحروف والكلمات والآيات، وما ذكرت من التعميم في لفظ العبد ومعناه والتخصيص فيهما وغير ذلك، ثم طبقتها على ما أشرت إليه من التأويل، ولكن أشير إلى شيء منها وعليك بفهم الباقي.

فأقول: قوله ﷺ : (إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل بدأ عبدي باسمي... إلى آخره)، معناه بناء على هذا التأويل أن العبد المؤمن الذي آمن بالله وبملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من ربهم، وأقر بنبوة محمد ﷺ وبما جاء به من ربه، الذي من جملته وعمدته الإقرار بولاية وصيه علي أمير المؤمنين عليه السلام وولاية الأئمة الطاهرين المعصومين من عترته صلى الله عليه أجمعين، إذا بدأ في أموره بالاسم المكنون الأكبر الأعز الأجل الأعظم الأكرم الذي يحبه الله ويهواه ويرضى به عمن دعاه، واستجاب له دعاءه، وحق عليه أن لا يرد سائله، ولا يخيب آمله، وهو اسم الله محمد ﷺ الذي أشرقت به السموات والأرضون، واستمد به الأنبياء والمرسلون، وتبركت به الملائكة المقربون، واستعان به عباده المؤمنون، وفتح الله به كتابه التكويني والتدويني، وسماه فاتحة الكتاب، فتبرك به في أحواله، واستعان به على جميع أموره، ثم استعان بأكرم الأسماء عليه تعالى، وأحبها إليه، وأقربها منه وسيلة، وأشرفها عنده منزلةً، وأجزلها لديه ثوابًا، وأسرعها في الأمور إجابةً، وهو اسم الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فضلًا وعدلًا، وهو الاسم الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وهو الذي

قال الله في شأنه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾(١)، ثم استعان بأسمائه الحسنى وأمثاله العليا ونعمه التي لا تحصى، وهو اسم الرحيم الذي كتب رحمته الخاصة للمتقين وكان بالمؤمنين رحيمًا، فإذا بدأ العبد المؤمن بباطن بسم الله الرحمن الرحيم الباطني، وتبرك به في أحواله واستعان به على جميع أموره، قائلًا بلسانه الظاهر والباطن بسم الله الرحيم الرحيم الظاهري، (قال الله عز وجل بدأ عبدي باسمي وحق علي أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله).

وقوله ﷺ : (فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال الله عز وجل: حمدني عبدي... إلى آخره)، معناه على ما عرفت من التأويل أن العبد إذا اعتقد بقلبه أن كل فرد من أفراد الحمد والثناء، الذي صدر عن كل حامد، وظهر من كل شيء، بلسان حقيقته وحاله ومقاله وأفعاله وأعماله وذاته وصفاته، فهو من إشراق لواء الحمد الكامل وأشعة الثناء الشامل، الذي أعطاه الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ ، وكان وصيه علي أمير المؤمنين عليه السلام حامله، وكلها لله رب العالمين، وقال بلسانه الحمد لله رب العالمين عارفًا بأن ذواتهم عليهم السلام وصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم وأعمالهم وأمثالهم وأشكالهم وأركانهم وجوارحهم، وكل ما عنهم ومنهم وبهم ولهم وإليهم، من ذوات الخلق وصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم وأعمالهم وأمثالهم وأشكالهم وأركانهم وجوارحهم، ومن كل شيء سوى الله عز وجل مما هو في عالم الملك والملكوت والجبروت واللاهوت، وكل ما يطلق عليه

---

(١) الزخرف ٤.

اسم الشيئية مما سوى الله الذي هو الشيء بحقيقة الشيئية، كلها ألسنة فصيحة ناطقة بحمد الله سبحانه، معلنة لشكره، مظهرة لشأنه، ومسبحة بحمده ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾(١)، قال الله عز وجل: (حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له من عندي وأن البلايا التي اندفعت عنه بتطولي، أشهدكم يا ملائكتي أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعيم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا) وقس على هذا ما بقي من الآيات وما ذكر في الحديث.

التاسع: أن يكون المراد بفاتحة الكتاب المقسومة بين الله تعالى وبين عبده المؤمن عليًا عليه السلام، لما تقدم من قوله في بعض خطبه: (أنا سورة الحمد)، فيكون المعنى أنه تعالى قسمه بينه وبين عبده على نحو ما ذكرنا في شأن النبي صلى الله عليه وآله فيجري له عليه السلام كل ما يجري لمحمد صلى الله عليه وآله إلّا النبوة، وهنا وجهان آخران:

الأول: أن يكون المراد بالفاتحة عليًا، والمراد بالعبد المؤمن محمدًا صلى الله عليه وآله خاصة، والمعنى أنه تعالى قسمه بينه وبين نبيه صلى الله عليه وآله فجعل نصفه له تعالى، ليكون مظهر قدرته وحامل ولايته وعلم هدايته، ونصفه الآخر لنبيه صلى الله عليه وآله، ليكون آية نبوته وموضع رسالته وحافظ شريعته وداعي رعيته وفاروق أمته، وملجأهم وكهفهم، وباب حطتهم وإمامهم، وحلال مشكلاتهم، وسفينة نجاتهم، ووسيلة قبول حسناتهم وطاعتهم، وسبب غفران سيئاتهم وزلاتهم وعثراتهم.

والثاني: أن يكون المراد من الفاتحة ما ذكرنا، والمراد بالعبد جميع عباده المؤمنين، بمعنى أنه تعالى قسمه نصفين، فجعل نصفه له

---

(١) الإسراء ٤٤.

تعالى أي لمحمد ﷺ لما ذكرنا، ونصفه لسائر عباده المؤمنين، لينتفعوا به ويهتدوا بنور هدايته ويدخلوا بقبول ولايته في دار كرامته لله وسعة رحمته، ويتخلصوا بالبراءة من أعدائه من حلول غضب الله عليهم وسخطه.

والعاشر: أن يكون المراد بفاتحة الكتاب الأئمة عليهم السلام لقولهم: (نحن السبع المثاني التي أعطاها الله نبينا ﷺ)، والمعنى ما ذكرنا في علي عليه السلام بعينه.

والحادي عشر: أن يكون المراد بالفاتحة سيدتنا فاطمة عليها السلام، لأنها صلوات الله عليها أم الكتاب الذي قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، وهي الليلة المباركة التي فيها يفرق كل أمر حكيم، فعن مولانا الكاظم عليه السلام أنه سأله نصراني عن تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ * وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾(١) في الباطن، فقال عليه السلام: (أما (حم) فهو محمد ﷺ وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين عليه السلام، وأما الليلة المباركة ففاطمة عليها السلام، وأما قوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ يقول يخرج منها خير كثير، فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم)(٢) الحديث.

أقول: فمعنى قوله تعالى: (قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي... إلى آخره) هو ما ذكرنا في حق أبيها عليهما السلام إلّا النبوة، وفي حق بعلها وبنيها عليهم السلام.

---

(١) الدخان ١ ـ ٤.

(٢) الكافي، ج١ ص٤٧٩.

ويجوز أن يراد بالعبد المؤمن الذي جعل الله تعالى له نصف هذه السورة المباركة التي هي أم الكتاب وأم الأئمة المعصومين وأم المؤمنين علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى أولاده الطيبين، فهي صلوات الله عليها رحمة الله المقسومة لعباده المؤمنين وبركته النازلة عليهم أجمعين وهي مشكاة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾(١)، إمام بعد إمام، أي رجل حكيم بعد رجل حكيم أي ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢).

والثاني عشر: أن يكون المراد بفاتحة الكتاب العقل الكلي المحمدي صلى الله عليه وآله، لأنه فاتحة كتاب الله التكويني خلقه الله في أول الوجود وفتح به باب فيضه على كل موجود، وقسمه بينه وبين خلقه فجعل نصفه له ونصفه لعبده، فبه يعرّف نفسه لعباده المؤمنين وهم به يعرفونه، وبه يأمرهم ويحثهم على عبادته وهم به يعبدونه، وبه يهديهم إلى سبيل النجاة وهم به يهتدون، وبه يأمرهم وينهاهم وهم به يأتمرون وينتهون، وبه يثيبهم ويعاقبهم وهم به ثوابه يطلبون وعن عقابه يتقون، وبه يتم لهم أمورهم ويبارك لهم في أحوالهم وهم به يستعينون عليها ويطلبون منه البركة فيها، وبه ينبههم ويبصرهم وهم به يتنبهون ويبصرون، وبه يكمل دينهم ويصلح ما فسد من دنياهم وهم به

---

(١) النور ٣٥.

(٢) النور ٣٧ ـ ٣٨.

يشكرونه على هذه النعمة ويحمدون، وبه يدعوهم ويهديهم إلى جنته ودار كرامته وهم به يدخلونها وهم فيها خالدون ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾(١).

والحاصل أنه تبارك وتعالى قسم هذه السورة المباركة أعني فاتحة الكتاب بينه وبين عبده المؤمن بكل معنى، فبه هداه إلى صراط مستقيم، وبه خلقه في أحسن تقويم، وبه أفاض عليه من فضله العظيم، وبه أنشر عليه من رحمته وأنزل عليه من بركاته، وبه أنعم عليه في دنياه وآخرته، وبه أدخله ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٢) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٣).

[مسك الختام]

اعلم أن ما ذكرنا من الوجوه في تفسير قوله تعالى (قسمت فاتحة الكتاب... إلى آخره) من خصائص هذا الكتاب كنظائرها من بديع المعاني وبيان المباني، ولطيف الإشارات وشريف العبارات، وأزهار الأسرار وأبكار الأفكار، وقد جمعت فيه ما تحتاج إليه من علم السلوك والتقوى، وبينت كيفية تهذيب الأخلاق، وأوضحت لك سبيل معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وتوحيده والإخلاص في عبادته، ومعرفة أنبيائه ورسله عليهم السلام، وأشرت إلى حقيقة الملك والشيطان ومصدر كل واحد منهما، وأشرت إلى المقامات السبعة التي فيها معرفة الله ومعرفة المعاني والأبواب والإمام والأركان والنقباء

(١) الأعراف ٤٣.
(٢) القمر ٥٤ ـ ٥٥.
(٣) القمر ١٧.

والنجباء، ومعرفة النفس التي من عرفها فقد عرف ربه، وأشرت إلى كثير من المذاهب الباطلة ومقامات التوحيد الحق ومراتب التوحيد الباطل، وذكرت أصول المعاملات وما يجب عليك من أداء كل ذي حق حقه ومعرفة كل ذي فضل فضله، وبينت كيفية الموت الإرادي والاختياري المستلزم للخروج عن الشهوات النفسانية والتجنب عن رذائل الصفات الحيوانية البهيمية والأحوال الشيطانية والتخلق بالأخلاق الروحانية، وغير ذلك مما يطول بيانه وقد حواه مكانه، ولقد ذكرت من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده الطيبين الطاهرين المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، وأشرت إلى بعض أسرارهم عليهم السلام ما تشمئز منه القلوب وتقشعر منه الجلود ولا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وأخرجه من ظلمات الجهل والشك والإنكار وأرجعه منها إليهم بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار، فكم من لآلئ فضائلهم عليهم السلام ودرر مناقبهم نثروها على رؤوس عرائس عباراتهم وفرقوها في أذيال إشاراتهم، جمعتها ونظمتها في سلك التحرير والتقرير، وكم من جواهر الأسرار وخباياها المكتومة عن الأغيار وجدتها في بطون الآيات والأخبار، فأخرجتها ووضعتها في زوايا كتابنا هذا (جوامع التفسير)، ملتمسًا ممن نقص جوهره عن العيار وليس له مطهر إلّا النار أن لا يبادر إلى الإنكار، فكيف ينكر فضيلة من كتم فضائلهم أعداؤهم حسدًا وكتم مناقبهم أولياؤهم خوفًا فظهر بين الكتمين ما ملأ الخافقين، ومن اقشعر جلده مما ذكرناه واشمأز قلبه مما أسمعناه فليعلم أنه بعيد عن الإيمان قريب من الشيطان، لأن عليًا وآله عليهم السلام هم المحك وحبهم إيمان وبغضهم

كفر بلا شك، فمن تخالجه الشك فيه وفي بينه أو تداخله الريب مما ورد من الفضائل فيهم وفيه، وما نقلنا عنه وعنهم وعن أخيه صلى الله عليهم فليسأل أمه عن أبيه.

تم الكتاب بعون الله.

تم المجلد الأول من الكتاب على يد الكاتب أقل السادات محمود بن محمد أمير شفيع الحسيني غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات بعون الملك الوهاب، في يوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني من الهجرة النبوية، ألف ومائتان وخمسين وسبع سنين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين إلى يوم الدين.

تفسير
سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته وخاتم أنبيائه محمد وعلى الأصفياء من آله وعترته، وأما بعد فهذا أوان الشروع في المجلد الثاني من الجوامع في تفسير سورة البقرة.

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قد مضى تفسيرها، وأن التسمية في أول كل سورة آية منها، وإنما كان يعرف انقضاء السورة بنزولها ابتداء الأخرى، وما أنزل الله كتابًا من السماء إلّا وهي فاتحته.

[معنى أن القرآن مأدبة الله تعالى]

وفي تفسير الإمام عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن هذا القران مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبة الله عز وجل ما استطعتم فإنه النور المبين والشفاء النافع، تعلموه فإن الله تعالى يشرفكم بتعليمه، تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإن أخذهما بركة، وتركهما حسرة، ولا يستطيعهما البطلة أي السحرة)[1] الحديث.

أقول: المأدبة طعام صنع لدعوة أو عرس كذا في القاموس.

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٦٠.

وفي الكافي عن مولانا الباقر عليه السلام أنه قيل له في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ ما طعامه؟ قال: (علمه الذي يأخذه عمن يأخذه)[١].

ففسر عليه السلام طعام الإنسان بعلمه الذي يأخذه، وأمر بأن ينظر إليه من أين جاءه وعمن يأخذه، وذلك لأن الطعام يشمل طعام البدن وطعام الروح جميعًا، كما أن الإنسان يشمل البدن والروح معًا، فكما أنه مأمور بأن ينظر إلى غذائه الجسماني ليعلم أنه نزل من السماء من عند الله عز وجل، بأن صب الماء صبًا ثم شق الأرض شقًا فأنبت فيها حبًا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخلًا وحدائق غلبًا وفاكهة وأبًا متاعًا لعباده ولأنعامهم، فكذلك مأمور بأن ينظر إلى غذائه الروحاني الذي هو العلم بحقائق الأشياء كما هي، ليعلم أنه ماء نزل من سماء قدرته وجهة العلو من مشيته، بأن صب أمطار الوحي إلى أرض النبوة وشجرة الرسالة وينبوع الحكمة التي هي قلب محمد صلى الله عليه وآله ، فأخرج من أرض قلبه الواسعة المباركة قرآنا مشتملا على حبوب الحقائق الإلهية، وأعناب المعارف المسكرة الربانية، وقضب علوم الشريعة الغراء، وزيتون علم الطريقة الوسطى المسمى بعلم اليقين والتقوى وتهذيب الأخلاق، ونخل معرفتها هياكل التوحيد، وحدائق العلوم الكثيرة لأهل التحقيق والتدقيق، وأنواع فواكه المعارف التي يتفكهون فيها من القصص والأمثال والأحكام، وقشور العلم الذي يتمتع به العوام، فقوله عليه السلام: (علمه الذي يأخذه عمن يأخذه) أي ينبغي له بل يجب عليه أن يأخذ علمه من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة، الذين هم

---

(١) الكافي، ج١ ص٥٠ باب النوادر.

مهبط الوحي ومعدن الحكمة وينبوع العلم والمعرفة، الآخذون علومهم من مأدبة الله سبحانه الذي هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، حتى يصلح لأن يصير غذاء لروحه، دون غيرهم ممن لا رابطة بينه وبين الله من حيث الوحي والإلهام وسماع الكلام من الملك العلام، فإن علوم غيرهم عليهم السلام إما حفظ أقاويل الرجال ليس في أقوالهم حجة، وإما آلة جدال لا مدخل لها في المحجة، وليس شيء منها من الله سبحانه بل صدر عن العيون الكدرة التي يفرغ بعضها في بعض، وعن الشياطين الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فلا يصلح غذاء للروح الإنساني، فقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبة الله عز وجل ما استطعتم) يعني أن هذا القرآن طعام صنعه الله عز وجل لعباده المؤمنين، وجعل ظاهره حكمًا وباطنه علمًا، وجعله نورًا مبينًا وشفاء نافعًا، ثم دعاهم إلى مأدبته وطعامه الذي فيه شفاء أمراضهم وبه قوام أرواحهم، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[(١)].

وقوله صلى الله عليه وآله: (فتعلموا من مأدبة الله عز وجل ما استطعتم) فيه وجهان:

الأول: أنه صلى الله عليه وآله أمرهم أن يتدبروا في القرآن ويتفكروا في آياته ولا يقتصروا على ظاهره، بل أمرهم أن يتعمقوا بقدر طاقتهم ووسعهم في ظاهر القرآن وظاهر ظاهره، وفي باطنه وباطن باطنه، وفي تأويله وباطن تأويله وهكذا، لأن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فيه ألوان الطعام وأنواع العلوم والأحكام وحقائق المعارف ولطائف الكلام.

---

(١) الإسراء، ٨٢.

والثاني: أنه صلى الله عليه وآله أمرهم أن يتعلموا من القرآن ويأخذوا منه جميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم، وأن لا يلتمسوا الهدى في غيره لأن القرآن يكفيه، فإن فيه تبيان كل شيء وفيه من العجائب ما فيه، ولقد روى العياشي بإسناده عن الحارث بن الأعور قال: (دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين إنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نسد به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي.

قال: أوقد فعلوها؟.

قال: قلت: نعم.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمد صلى الله عليه وآله سيكون في أمتك فتنة، قلت: فما المخرج منها، فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبار[1] فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهوالذكر الحكيم، وهوالصراط المستقيم لا تزيغه الأهوية، ولا تلبسه الألسنة ولا يخلق على الرد، ولا ينقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وهوالذي لم تناه[2] الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيم، هو الكتاب العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[3].

---

(١) الجبار بالضم والتخفيف الهدر، أي البطالة، وبالفتح والتشديد الذي يقتل على الغضب (منه قدس الله نفسه).

(٢) لم تناه الجن من النأي وهو البعد (منه قدس الله نفسه).

(٣) تفسير العياشي، ج١ ص٣ في فضل القرآن. تفسير الصافي، ج١ ص١٦.

وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأجداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، [فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله للقرآن]، وما عدل أحد عن القرآن إلّا إلى النار)[١].

وروى أيضًا بإسناده عنه عليه السلام أنه قال: (عليكم بالقرآن فما وجدتم آية مما نجا بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه مما هلك بها من كان قبلكم فاجتنبوه)[٢].

وفي تفسير الإمام عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره[٣] أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به، ومعوله الذي ينتهي إليه، أداه الله إلى جنات النعيم، والعيش السليم)[٤].

---

(١) تفسير العياشي، ج١ ص٥ في فضل القرآن. الكافي، ج٢ ص٦٠٠.
(٢) تفسير العياشي، ج١ ص٥.
(٣) الدثار كل ما كان من الثياب فوق الشعار، والشعار ما ولي الجسد من الثياب (منه قدس سره).
(٤) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٤٤٩.

والحاصل أن هذا القرآن العظيم الشأن مأدبة الله الكريم المنان ومائدته التي أنزلها من السماء، وطعامه الذي لا يشبع منه العلماء، ولا يؤثر شيئًا مما سواه عليه العقلاء، فمن أطعمه الله تعالى من هذه المأدبة، ورزقه من هذه المائدة، وعلمه مما فيها ووفقه للعمل بها، وبصره بها عيوب الدنيا وكثرة مخازيها، فزهده في الدنيا وما فيها ورغبه في الآخرة، وشوقه إلى مأدبة الجنة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام، فهو ممن أدخلهم الله في الدنيا باطنا في جنات النعيم والعيش السليم، وأطعمهم من مأدبتها ونجاهم من طعام الأثيم ومن ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، وسيدخلهم في الآخرة ظاهرًا في تلك الجنات ويطعمهم من مأدبتها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: (سبحانك خالقًا ومعبودًا بحسن بلائك عند خلقك، خلقت دارًا وجعلت فيها مأدبة مشربًا ومطعمًا، وأزواجًا وخدمًا وقصورًا وأنهارًا وزروعًا وثمارًا، ثم أرسلت إليهم داعيًا يدعو إليها، فلا الداعي أجابوا، ولا فيما رغبت فيه رغبوا، ولا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا، أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق شيئًا أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه، فهو عبد لها ولمن في يده شيء منها، حيث ما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها، لا ينزجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ)[1] الخطبة.

---

(١) نهج البلاغة (للصبحي صالح) ص١٥٩.

أقول: المراد بالداعي في قوله عليه السلام: (ثم أرسلت إليهم داعيًا يدعو إليها) رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو إلى المأدبتين، القرآن الذي هو مأدبة الله عز وجل لعباده المؤمنين في الدنيا، والجنة التي هي مأدبته تعالى لهم في الآخرة، ويجوز أن يكون القرآن داعيًا إليهما أيضًا، والمعنى واحد، ويجوز التعميم ليشمل كل داع إلى الله وإلى دار رضاه التي هي الجنة من الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين الهادين وسائر العلماء والوعّاظ من أهل الله الذين يدعون إلى الله وإلى جنته إلى يوم الدين، ومن لم يجب داعي الله ولم يطعم من مأدبة الله ولم يشرب مما نزله الله من القرآن من ماء العلم الذي هوشفاء لمرض الجهل ورحمة للمؤمنين، ولم يرغب فيما رغبه الله فيه من مأدبة الجنة، ولم يشتق إلى ما شوّقه إليه من دار الآخرة ونعيمها، بل أقبل على جيفة الدنيا وشرب من نهر ابتلاه الله به فقال: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾[1] فشرب من ذلك النهر وازداد الجهل بشربه، وأكل من تلك الجيفة التي قد افتضح بأكلها، واتخذ دينه لهوًا ولعبًا وغرتّه الحياة الدنيا، فهو ممن حرم الله عليهم مأدبة الجنة وماء الكوثر، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ * ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ * وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ وإلى تلك الحسرة العظمى أشار بقوله صلى الله عليه وآله: (تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإن أخذهما بركة وتركهما حسرة).

---

(١) البقرة ٢٤٩.

وفي تفسير الإمام عليه السلام في الحديث الذي رواه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ذكرنا صدره، قال عليه السلام حكاية عن جده صلى الله عليه وآله، (وإنهما) أي سورة البقرة وآل عمران (ليجيئان يوم القيامة ويُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا، ويُحَاجُّهُمَا رَبُّ الْعِزَّةِ يَقُولَانِ: يَا رَبَ الأَرْبَابِ إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا قَرَأَنَا، وأَظْمَأْنَا نَهارَهُ، وأَسْهَرْنَا لَيْلَهُ، وأَنْصَبْنَا بَدَنَهُ.

فيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الْقُرْآنُ فَكَيْفَ كَانَ تَسْلِيمُهُ لِمَا أَنْزَلْتُهُ فِيكَ مِنْ تَفْضِيلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

فيَقُولَانِ: يَا رَبَّ الْأَرْبَابِ وإِلَهَ الْآلِهَةِ، وَالاهُ، ووَالَى أَوْلِيَاءَهُ، وعَادَى أَعْدَاءَهُ، إِذَا قَدَرَ جهَرَ، وإِذَا عَجَزَ اتَّقَى وأَسَرَّ.

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: فَقَدْ عَمِلَ إِذًا بِكُمَا كَمَا أَمَرْتُهُ، وعَظَّمَ مِنْ حَقِّكُمَا مَا عَظَّمْتُهُ.

يَا عَلِيُّ أَمَا تَسْمَعُ شَهَادَةَ الْقُرْآنِ لِوَلِيِّكَ هَذَا.

يَقُولُ عَلِيٌّ عليه السلام: بَلَى يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: فَاقْتَرِحْ لَهُ مَا تُرِيدُ.

فَيَقْتَرِحُ لَهُ مَا يَزِيدُ عَلَى أَمَانِيِّ هَذَا الْقَارِئِ مِنَ الْأَضْعَافِ الْمُضَاعَفَاتِ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ.

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا اقْتَرَحْتَ يَا عَلِيُّ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: وإِنَّ وَالِدَي الْقَارِئِ لَيُتَوَّجَانَ بِتَاجِ الْكَرَامَةِ، يُضِيءُ نُورُهُ مِنْ مَسِيرَةِ عَشَرَةِ آلَافِ سَنَةٍ، ويُكْسَيَانِ حُلَّةً لَا يَقُومُ لِأَقَلِّ سِلْكٍ مِنْهَا مِائَةُ أَلْفِ ضِعْفِ مَا فِي الدُّنْيَا، بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرَاتِهَا.

ثُمَّ يُعْطَى هَذَا الْقَارِئُ الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ فِي كِتَابٍ، والْخُلْدَ بِشِمَالِهِ فِي كِتَابٍ، يَقْرَأُ مِنْ كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ: قَدْ جعلتك مِنْ أَفَاضِلِ مُلُوكِ الْجِنَانِ،

ومِنْ رُفقَاءِ مُحمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وعَلِيٍ خَيْرِ الْأَوْصِيَاءِ، والْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمَا سَادَةِ الْأَتْقِيَاءِ.

ويَقْرَأُ مِنْ كِتَابِهِ بِشِمَالِهِ: قَدْ أَمِنْتَ الزَّوَالَ والِانْتِقَالَ عَنْ هَذَا الْمُلْكِ، وأُعِذْتَ مِنَ الْمَوْتِ والْأَسْقَامِ وكُفِيتَ الْأَمْرَاضَ والْأَعْلَالَ، وجُنِّبْتَ حَسَدَ الْحَاسِدِينَ، وكَيْدَ الْكَائِدِينَ.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، ومَنْزِلتك عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا.

فَإِذَا نَظَرَ وَالِدَاهُ إِلَى حِلْيَتَيْهِمَا وتَاجَيْهِمَا قَالا: رَبَّنَا أَنَّى لَنَا هَذَا الشَّرَفُ ولَمْ تَبْلُغْهُ أَعْمَالُنَا.

فَقَالَ لَهُمَا كِرَامُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: هَذَا لَكُمَا لِتَعْلِيمِكُمَا وَلَدَكُمَا الْقُرْآن)[١].

أقول: قوله ﷺ (يَقُولَانِ: يَا رَبَ الْأَرْبَابِ إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا قَرَأْنَا، وأَظْمَأْنَا نَهَارَهُ، وأَسْهَرْنَا لَيْلَهُ، وأَنْصَبْنَا بَدَنَهُ) يعني قرأنا حق قراءتنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢] أوجب على نفسه الصيام ليكون من المتقين (وَأَظْمَأْنَا نَهَارَهُ).

ولما قرأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾[٣] ألزم نفسه قيام الليل طمعا وشوقا إلى ما لا ﴿تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، (وَأَسْهَرْنَا لَيْلَهُ).

ولما قرأ ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٦٨.

(٢) البقرة، ١٨٣.

(٣) السجدة، ١٦.

مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾(١) وقرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢) وأمثال هذه الآيات، اجتهد في طاعة الله وأتعب نفسه في عبادته (وَأَنْصَبْنَا بَدَنَهُ).

وقوله صَلَّىٰاللهُعَلَيۡهِوَآلِهِ : (فيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الْقُرْآنُ فَكَيْفَ كَانَ تَسْلِيمُهُ لِمَا أَنْزَلْتُهُ فِيكَ مِنْ تَفْضِيلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ) بعد قولهما (أَظْمَأْنَا نَهارَهُ، وأَسْهَرْنَا لَيْلَهُ، وأَنْصَبْنَا بَدَنَهُ)، تنصيص وتصريح من الله ورسوله أن شرط قبول الأعمال من الصلاة والصيام والحج والجهاد وغير ذلك من العبادات التي أتعب فيها الإنسان بدنه ونفسه هو ولاية علي أمير المؤمنين عَلَيۡهِالسَّلَامُ ، والتسليم لأمره، والإقرار بفضائله، وموالاة أوليائه والبراءة من أعدائه.

ففي الكافي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيۡهِالسَّلَامُ قَالَ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والْحَجِّ والصَّوْمِ والْوَلَايَةِ، قَالَ زُرَارَةُ: فَقُلْتُ: وأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ والْوَالِي هُوالدَّلِيلُ عَلَيْهِن) إلى أن قال عَلَيۡهِالسَّلَامُ : (ذِرْوَةُ الْأَمْرِ وسَنَامُهُ ومِفْتَاحُهُ وبَابُ الْأَشْيَاءِ ورِضَا الرَّحْمَنِ الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ أَمَا لَو أَنَّ رَجُلًا قَامَ لَيْلَهُ وصَامَ نَهَارَهُ وتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ وحَجَّ جَمِيعَ دَهْرِهِ ولَمْ يَعْرِفْ وَلَايَةَ وَلِيِّ اللَّهِ فَيُوَالِيَهُ ويَكُونَ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ بِدَلَالَتِهِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وعَزَّ حَقٌّ فِي ثَوَابِهِ ولَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَان)(٣).

---

(١) البقرة، ٢١٤.

(٢) العنكبوت، ٦٩.

(٣) الكافي، ج٢ ص١٨.

أقول: فإذا لم يكن من أهل الإيمان، لم يكن من أهل التقوى، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: (لَا يُبَالِي النَّاصِبُ صَلَّى أَمْ زَنَى وهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيهِمْ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[٢])[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال (كل ناصب وإن تعبد واجتهد فمنسوب إلى هذه الآية﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾[٤] الآية.

وفي رواية القمي: (كل من خالفكم وإن تعبد واجتهد فمنسوب إلى هذه الآية ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾)[٥] الآية.

وقوله صلى الله عليه وآله: (يقول الله عز وجل فقد عمل إذا بكما كما أمرته وعظم من حقكما ما عظمته) نصّ من الله ومنه صلى الله عليه وآله على أن الله عز وجل ما أمر في كتابه إلّا بولايته عليه السلام والبراءة من أعداءه، وموالاته عليه السلام ومعاداة أعدائه، وإجهار هذا الأمر عند القدرة وإسراره عند التقية، وأنه عز وجل لم يكلف عباده إلّا الولاية لأن كل ما سواها من التكاليف فهي من فروع الولاية، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾[٦] وهذه الواحدة هي الولاية، وقال تعالى ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[٧]، يعني إن شكرتم لله على

---

(١) المائدة، ٣٧.
(٢) الغاشية، ٣ ـ ٤.
(٣) الكافي، ج٨ ص١٨٤.
(٤) الأمالي للصدوق، ص٧٢٦.
(٥) تفسير القمي، ج٢ ص٤١٩.
(٦) سبأ، ٤٦.
(٧) النساء، ١٤٧.

ما أنعم عليكم بولاية علي أمير المؤمنين وآمنتم به، فولايته عليه السلام والبراءة من أعدائه والتسليم لأمره هي تعظيم حق القرآن، بل ما أنزل الله القرآن إلّا في ولايته من أول الكتاب إلى آخره.

وقوله صلى الله عليه وآله : (ثم يعطى هذا القارئ الملك بيمينه في كتاب والخلد بيساره في كتاب... إلخ) إشارة إلى ما أمر المؤمن أن يقول عند غسل يديه في الوضوء: (اللهم أعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان بيساري)، وبيان السر فيه أن اليمين يطلق تارة على الولي عليه السلام ، لأنه يد الله ويمينه الذي يفعل به ما يشاء، ويطلق أخرى على العقل الذي هو جهة اليمين من الإنسان، كما أن اليسار يطلق مرة على الشمال الذي هو ظاهر الولي الذي من قبله العذاب لا باطنه الذي فيه الرحمة والثواب، ويطلق أخرى على النفس الأمارة التي هي جهة الشمال واليسار من الإنسان، والمؤمن لما قبل ولاية الولي بعقله وعمل بمقتضاها دخل في أصحاب اليمين وأوتي كتابه بيمينه، وجعل من أفاضل ملوك الجنان ومن رفقاء محمد وآله صلى الله عليه وآله ، ولما نهى النفس عن الهوى الذي يدعوه إلى ولاية الغير، بل هو ولاية الغير بل هو الغير على التفسيرات للهوى، وترك متابعة النفس وخطوات الشيطان، وحبس نفسه على تحمل مكاره مخالفتها، خرج من أصحاب الشمال وأعطي براءة الخلد في الجنان بيساره آمنا من الزوال والانتقال وتقلب الأحوال، سالمًا من الموت والأسقام والأمراض والأعلال.

وقوله صلى الله عليه وآله : (ثم يقال اقرأ وارق ومنزلتك عند آخر آية تقرأها) له وجوه:

الأول: إن درجات المؤمن في الجنة بعدد آيات القرآن، وتلك الدرجات بعضها فوق بعض، وأعلى درجاته عندما ينتهي إليه آخر آية من آيات القرآن.

والثاني: إن درجاته بعدد كل آية قرأها المؤمن في الدنيا من القرآن، فبكل آية قرأها في الدنيا رفع الله بها له درجة في الجنة ومنزلته عند آخر آية قرأها.

والثالث: أن يقال له اقرأ وارق أبد الآبدين ومنزلتك عند آخر آية تقرأها، وهذا أظهر لأن درجات أهل الجنة لا تتناهى في الإمكان كما وكيفا، والمؤمن في الجنة دائما في الزيادة من كل جهة.

والرابع: إن تفاوت الدرجات وتفاضلها بحسب تفاوت مراتب القراء في إدراكاتهم لمعاني القرآن من الظاهر وظاهر الظاهر والباطن وباطن الباطن والتأويل وباطن التأويل وهكذا، وأعمالهم بها قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾(١) وقال: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾(٢) وقال علي عليه السلام: (قيمة كل إمرئ ما يحسنه)(٣).

والحاصل درجة كل شخص وقيمة كل إمرئ ما يحسن من علم القرآن الذي هو مأدبة الله والعمل به ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(٤).

---

(١) الإسراء، ٢١.

(٢) الأنعام، ١٣٢.

(٣) الخصال، ص٤٣٤.

(٤) الصافات، ٣٩.

[تفسير قوله تعالى:
﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾]

[تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾]

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾](١).

في تفسير الإمام عليه السلام: (كَذَّبَتْ قُرَيْشٌ والْيَهُودُ بِالْقُرْآنِ وقَالُوا: هذا سِحْرٌ مُبِينٌ [تَقَوَّلَهُ]، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَ: «الم ذلِكَ الْكِتابُ» أَيْ يا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَيْكَ هُو بالْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ الَّتِي مِنْهَا: أَلِفٌ، لَامٌ، مِيمٌ، وهُوبِلُغَتِكُمْ وحُرُوفُ هِجَائِكُمْ، «فَأْتُوا بِمِثْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» واسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِسَائِرِ شُهَدَائِكُمْ.

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾(٢).

ثُمَّ قَالَ: قال اللَّهُ عَزَّ وجَلَ: «الم» هُوالْقُرْآنُ الَّذِي افْتَتَحَ بـ «الم»، هُو «ذلِكَ الْكِتابُ» الَّذِي أَخْبَرْتُ بِهِ مُوسَى ومَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَخْبَرُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي سَأُنْزِلُهُ عَلَيْكَ يا مُحَمَّدُ، كِتَابًا عَزِيزًا، لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، ولا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ «لا رَيْبَ

---

(١) البقرة، ١ ـ ٢.

(٢) الإسراء: ٨٨.

فِيهِ» لَا شَكَّ فِيهِ لِظُهُورِهِ عِنْدَهُمْ، كَمَا أَخْبَرَهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا يَنْزِلُ عَلَيْهِ كِتَابا لَا يَمْحُوهُ الماء يَقْرَؤُهُ هُو وأُمَّتُهُ عَلَى سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ.

«هُدىً» بَيَانٌ مِنَ الضَّلَالَةِ.

«لِلْمُتَّقِينَ» الَّذِينَ يَتَّقُونَ الْمُوبِقَاتِ، ويَتَّقُونَ تَسْلِيطَ السَّفَهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى إِذَا عَلِمُوا مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ علمه عَمِلُوا بِمَا يُوجِبُ لَهُمْ رِضَاءُ رَبِّهِمْ.

قَالَ: فقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام ثُمَّ الْأَلِفُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ قَوْلِكَ «اللَّهُ» دُلَّ بِالْأَلِفِ عَلَى قَوْلِكَ: اللَّهُ، ودُلَّ بِاللَّامِ عَلَى قَوْلِكَ: الْمَلِكُ الْعَظِيمُ، الْقَاهِرُ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، ودُلَّ بِالْمِيمِ عَلَى أَنَّهُ الْمَجِيدُ الْمَحْمُودُ فِي كُلِّ أَفْعَالِهِ، وجُعِلَ هَذَا الْقَوْلُ حُجَّةً عَلَى الْيَهُودِ، وذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام ثُمَّ من بعده مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ إِلَّا من أَخَذُوا عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ والْمَوَاثِيقَ لَيُؤْمِنُنَّ بِمُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ الْأُمِّيِّ الْمَبْعُوثِ بِمَكَّةَ، الَّذِي يُهَاجِرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، يَأْتِي بِكِتَابٍ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ افْتِتَاحَ بَعْضِ سُوَرِهِ، يَحْفَظُهُ أُمَّته، فَيَقْرَءُونَهُ قِيَامًا وقُعُودًا ومُشَاةً وعَلَى كُلِّ حَالٍ، يُسَهِّلُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ حِفْظَهُ عَلَيْهِمْ، ويَقْرِنُونَ بِمُحَمَّدٍ أَخَاهُ ووَصِيَّهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام الْآخِذَ عَنْهُ عُلُومَهُ الَّتِي عَلَّمَهَا، والْمُتَقَلِّدَ عَنْهُ الْأَمَانَةَ الَّتِي قَلَّدَهَا، ويُذَلِّلَ كُل مَنْ عَانَدَ مُحَمَّدًا بِسَيْفِهِ الْبَاتِرِ ويفحم كُل مَنْ جَادَلَهُ وخَاصَمَهُ بِدَلِيلِهِ الْقَاهِرِ، يُقَاتِلُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى تَنْزِيلِ كِتَابِ محمد صلى الله عليه وآله حَتَّى يَقُودَهُمْ إِلَى قَبُولِهِ طَائِعِينَ وكَارِهِين.

حتى إِذَا صَارَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وارْتَدَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ أَعْطَاهُ ظَاهِرَ الْإِيمَانِ، وحَرَّفُوا تَأْوِيلَاتِهِ، وغَيَّرُوا مَعَانِيَهُ، ووَضَعُوهَا عَلَى خِلَافِ وُجُوهِهَا، قَاتَلَهُمْ بَعْد عَلَى تَأْوِيلِهِ حَتَّى يَكُونَ

إِبْلِيسُ الْغَاوِي لَهُمْ هُوالْخَاسِئُ الذَّلِيلُ الْمَطْرُودُ المغلول الْمَلْعُونُ الْمَغْلُوبُ.

قَالَ: فَلَمَّا بَعثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وأَظْهرَهُ بِمكَّةَ، وسَيَّرَهُ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ وأَظْهرَهُ بِهَا ثم أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وجَعلَ افْتِتَاحَ سُورَتِهِ الْكُبْرَى بِ «الم» يَعْنِي «الم ذلِكَ الْكِتابُ» وهُو الْكِتَابُ الَّذِي أَخْبَرْتُ بِهِ أَنْبِيَائِيَ السَّالِفِينَ أَنِّي سَأُنْزِلُهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ «لا رَيْبَ فِيهِ»، فَقَدْ ظَهرَ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا يَنْزِلُ عَلَيْهِ كِتَابٌ مُبَارَكٌ لَا يَمْحُوهُ الْماء يَقْرَؤُهُ هُو وأُمَّتُهُ عَلَى سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ، ثُمَّ أن الْيَهُود يُحَرِّفُونَهُ عَنْ جِهَتِهِ، ويَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ، ويَتَعَاطَوْنَ التَّوَصُّلَ إِلَى عِلْمِ مَا قَدْ طَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ حَالِ أَجَلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وكَمْ مُدَّةُ مُلْكِهِمْ.

فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ، فَوَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا عليه السلام مُخَاطَبَتَهُمْ فَقَالَ قَائِلُهُمْ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، فَقَدْ عَلِمْنَا كَمْ قَدْرُ مُلْكِ أُمَّتِهِ، هُو إِحْدَى وسَبْعُونَ سَنَةً: الْأَلِفُ وَاحِدٌ، واللَّامُ ثَلَاثُونَ، والْمِيمُ أَرْبَعُونَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِ «المص» وقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ قَالُوا: هَذِهِ إِحْدَى وسِتُّونَ ومِائَةُ سَنَةٍ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَمَا تَصْنَعُونَ بِ «الر» وقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ.

فَقَالُوا: هَذِهِ مِائَتَانِ وإِحْدَى وثَلَاثُونَ سَنَةً.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِ «المر» وقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ قَالُوا: هَذِهِ أَكْثَرُ، هَذِهِ مِائَتَانِ وإِحْدَى وسَبْعُونَ سَنَةً.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَوَاحِدَةٌ لَهُ مِنْ هَذِهِ، أَوجَمِيعُهَا لَهُ، فَاخْتَلَطَ كَلَامُهُمْ، فَبَعْضُهُمْ قَالَ: لَهُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا، وبَعْضُهُمْ قَالَ: بَلْ يُجْمَعُ لَهُ

كُلُّهَا وذَلِكَ سَبْعُمِائَةٍ وأَرْبَعٌ وثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يَرْجِعُ الْمُلْكُ إِلَيْنَا. يَعْنِي إِلَى الْيَهُودِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَكِتَابٌ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ نَطَقَ بِهَذَا، أَمْ آرَاؤُكُمْ دَلَّتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كِتَابُ اللَّهِ نَطَقَ بِهِ. وقَالَ آخَرُونَ: بَلْ آرَاؤُنَا دَلَّتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَنْطِقُ بِمَا تَقُولُونَ.

فَعَجَزُوا عَنْ إِيرَادِ ذَلِكَ.

وقَالَ لِلْآخَرِينَ: فَدَلُّونَا عَلَى صَوَابِ هَذَا الرَّأْيِ.

فَقَالُوا: صَوَابُ رَأْيِنَا ودَلِيلُهُ عليه أَنَّ هَذَا حِسَابُ الْجُمَّلِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: وكَيْفَ دَلَّ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ولَيْسَ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ إِلَّا مَا قد اقْتَرَحْتُمْ بِلَا بَيَانٍ! أَرَأَيْتُمْ إِنْ قِيلَ لَكُمْ: إِنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ لَيْسَتْ دَالَّةً عَلَى هَذِهِ الْمُدَّةِ ـ لِمُلْكِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ولَكِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دَيْنًا بِعَدَدِ هَذَا الْحِسَابِ دَرَاهِمَ أَودَنَانِيرَ، أَو عَلَى أَنَّ لِعَلِيٍّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دَيْنًا عَدَدَ مَالِهِ مِثْلَ عَدَدِ هَذَا الْحِسَابِ، أَوعَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لُعِنَ بِعَدَدِ هَذَا الْحِسَابِ.

قَالُوا: يَا أَبَا الْحَسَنِ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتَهُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ فِي «الم» و«المص» و«الر» و«المر».

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: ولَا شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُمُوهُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ فِي «الم» و«المص» و«الر» و«المر» فَإِنْ بَطَلَ قَوْلُنَا بِمَا قُلْتُمْ، بَطَلَ قَوْلُكُمْ بِمَا قُلْنَا.

فَقَالَ خَطِيبُهُمْ ومِنْطِيقُهُمْ: لَا تَفْرَحْ يَا عَلِيُّ بِأَنْ عَجزْنَا عَنْ إِقَامَةِ حُجَّةٍ عَلَى دَعْوَانَا، فَأَيُّ حُجَّةٍ لَكَ فِي دَعْوَاكَ إِلَّا أَنك تَجْعَل عَجْزنَا حُجَّتَكَ، فَإِذًا مَا لَنَا حُجَّةٌ فِيمَا نَقُولُ ولَا لَكُمْ حُجَّةٌ فِيمَا تَقُولُونَ.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: لَا سَوَاءٌ إِنَّ لَنَا حُجَّةً هِيَ الْمُعْجِزَةُ الْبَاهِرَةُ.

ثُمَّ نَادَى جِمَالَ الْيَهُودِ: يَا أَيَّتُهَا الْجِمَالُ اشْهَدِي لِمُحَمَّدٍ ولِوَصِيِّهِ.

فَنَادَتِ الْجِمَالُ: صَدَقْتَ صَدَقْتَ يَا وَصِيَّ مُحَمَّدٍ، وكَذَبَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْيَهُودِ، يَا ثِيَابَ الْيَهُودِ اشْهَدِي لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولِوَصِيِّهِ.

فَنَطَقَتْ ثِيَابُهُمْ كُلُّهَا: صَدَقْتَ صَدَقْتَ يَا عَلِيُّ، نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا حقًا، وأَنَّكَ يَا عَلِيُّ وَصِيُّهُ حَقًّا، لَمْ يُثْبِتْ مُحَمَّدٌ قَدمًا فِي مَكْرُمَةٍ إِلَّا وَطِئْتَ عَلَى مَوْضِع قَدَمِهِ بِمِثْلِ مَكْرُمَتِهِ، فَأَنْتُمَا شَقِيقَانِ مِنْ أَشْرَفِ أَنْوَارِ اللَّهِ تَعَالَى، وأَنْتُمَا فِي الْفَضَائِلِ شَرِيكَانِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

فَعِنْدَ ذَلِكَ خَزِيَتِ الْيَهُودُ، وآمَنَ بَعْضُ النَّظَّارَةِ مِنْهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وغَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْيَهُودِ وبَعْضِ النَّظَّارَةِ، فَذَلِكَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «لا رَيْبَ فِيهِ» إِنَّهُ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله ووَصِيُّ مُحَمَّدٍ عَنْ قَوْلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، عَنْ قَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ قَالَ: «هُدىً» بَيَانٌ وشِفَاءٌ «لِلْمُتَّقِينَ» مِنْ شِيعَةِ مُحَمَّدٍ وعَلِيٍّ صلى الله عليهما وآلهما، اتَّقَوْا أَنْوَاعَ الْكُفْرِ فَتَرَكُوهَا، واتَّقَوْا الذُّنُوب الْمُوبِقَاتِ فَرَفَضُوهَا، واتَّقَوْا إِظْهَارَ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى وأَسْرَارِ أَزْكِيَاءِ

عِبَادِهِ الْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَتَمُوهَا، واتَّقَوْا سَتْرَ الْعُلُومِ عَنْ أَهْلِهَا الْمُسْتَحِقِّينَ لَهَا، ففِيهِمْ نَشَرُوهَا)[1]. انتهى ما في تفسير الإمام عليه السلام.

وفي المعاني عن سفيان قال: قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَ: (الـم) و(المص) و(الر) و(المر) و(كهيعص) و(طه) و(طس) و(طسم) و(يس) و(ص) و(حم) و(حم) * (عسق) و(ق) و(ن).

قَالَ عليه السلام: (أَمَّا (ألم) فِي أَوَّلِ الْبَقَرَةِ فَمَعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ، وأَمَّا (الم) فِي أَوَّلِ آلِ عِمْرَانَ فَمعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ الْمَجِيدُ، و(المص) فَمَعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ الْمُقْتَدِرُ الصَّادِقُ، والر فَمَعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ الرَّءُوفُ، و(المر) فَمَعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الرَّازِقُ، و(كهيعص) فَمَعْنَاهُ أَنَا الْكَافِي الْهَادِي الْوَلِيُّ الْعَالِمُ الصَّادِقُ الْوَعْدِ، وأَمَّا (طه) فَاسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ومَعْنَاهُ يَا طَالِبَ الْحَقِّ الْهَادِي إِلَيْهِ ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى بَلْ لِتَسْعَدَ بِهِ، وأَمَّا (طس) فَمَعْنَاهُ أَنَا الطَّالِبُ السَّمِيعُ، وأَمَّا (طسم) فَمَعْنَاهُ أَنَا الطَّالِبُ السَّمِيعُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ، وأَمَّا (يس) فَاسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ومَعْنَاهُ يَا أَيُّهَا السَّامِعُ لِلْوَحْيِ والْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، وأَمَّا (ص) فَعَيْنٌ تَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ وهِيَ الَّتِي تَوَضَّأَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا عُرِجَ بِهِ ويَدْخُلُهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام كُلَّ يَوْمٍ دَخْلَةً فَيَغْتَمِسُ فِيهَا ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا فَيَنْفُضُ أَجْنِحَتَهُ فَلَيْسَ مِنْ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ أَجْنِحَتِهِ إِلَّا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى مِنْهَا مَلَكًا يُسَبِّحُ اللَّهَ ويُقَدِّسُهُ ويُكَبِّرُهُ ويُحَمِّدُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وأَمَّا حم فَمَعْنَاهُ الْحَمِيدُ

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٧٥.

الْمَجِيدُ، وأَمَّا (حم) * (عسق) فَمَعْنَاهُ الحكيم الْمُثِيبُ الْعَالِمُ السَّمِيعُ الْقَادِرُ الْقَوِيُّ، وأَمَّا (ق) فَهُوالْجَبَلُ الْمُحِيطُ بِالْأَرْضِ وخُضْرَةُ السَّمَاءِ مِنْهُ وبِهِ يُمْسِكُ اللَّهُ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، وأَمَّا (ن) فَهُو نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: اجْمُدْ فَجَمُدَ فَصَارَ مِدَادًا ثُمَّ قَالَ عَزَّ وجَلَّ لِلْقَلَمِ اكْتُبْ فَسَطَرَ الْقَلَمُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا كَانَ ومَا هُوكَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَالْمِدَادُ مِدَادٌ مِنْ نُورٍ والْقَلَمُ قَلَمٌ مِنْ نُورٍ واللَّوْحُ لَوْحٌ مِنْ نُورٍ.

قَالَ: سُفْيَانُ فَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بَيِّنْ لِي أَمْرَ اللَّوْحِ والْقَلَمِ والْمِدَادِ فَضْلَ بَيَانٍ، وعَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ.

فَقَالَ: يَا ابْنَ سَعِيدٍ لَولَا أَنَّكَ أَهْلٌ لِلْجَوَابِ مَا أَجَبْتُكَ، فَنُونٌ مَلَكٌ يُؤَدِّي إِلَى الْقَلَمِ وهُو مَلَكٌ، والْقَلَمُ يُؤَدِّي إِلَى اللَّوْحِ وهُو مَلَكٌ، واللَّوْحُ يُؤَدِّي إِلَى إِسْرَافِيلَ، وإِسْرَافِيلُ يُؤَدِّي إِلَى مِيكَائِيلَ، ومِيكَائِيلُ يُؤَدِّي إِلَى جَبْرَئِيلَ، وجَبْرَئِيلُ يُؤَدِّي إِلَى الْأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ صلوات الله عليهم، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي قُمْ يَا سُفْيَانُ فَلَا آمَنُ عَلَيْكَ)[١].

وعن مولانا الباقر عليه السلام في (عسق) قال عليه السلام: (عسق عدد سني القائم صلوات الله عليه، وقاف جبل محيط بالدنيا من زمردة خضراء فخضرة السماء من ذلك الجبل، وعلم كل شيء في عسق)[٢].

وفي الإكمال عن الحجة القائم في حديث أنه سئل عَنْ تَأْوِيلِ (كهيعص) فقال: (هَذِهِ الْحُرُوفُ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ أَطْلَعَ اللَّهُ [عَلَيْهَا] عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ثُمَّ قَصَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ المصطفى صلى الله عليه وآله).

(١) معاني الأخبار، ص١١٦.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ج٢ ص١٠٦.

إلى أن قال: (فَأَنْبَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قِصَّتِهِ وقَالَ (كهيعص) فَالْكَافُ اسْمُ كَرْبَلَاءَ، والْهَاءُ هَلَاكُ الْعِتْرَةِ، والْيَاءُ يَزِيدُ لعنه الله وهُو ظَالِمُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، والْعَيْنُ عَطَشُهُ، والصَّادُ صَبْرُه عليه السلام)[١] الحديث.

وفيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((الم) هُو حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الْمُقَطَّعِ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي يُؤَلِّفُهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أو الْإِمَامُ فَإِذَا دَعَا بِهِ أُجِيب)[٢].

وفيه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يُحَدِّثُ أَنَّ حُيَيًّا وأَبَا يَاسِرٍ ابْنَيْ أَخْطَبَ ونَفَرًا مِنْ يَهُودِ أَهْلِ نَجْرَانَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا لَهُ: أَلَيْسَ فِيمَا تَذْكُرُ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ (الم) قَالَ: بَلَى، قَالُوا: أَتَاكَ بِهَا جَبْرَئِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: لَقَدْ بُعِثَتْ أَنْبِيَاءُ قَبْلَكَ ومَا نَعْلَمُ نَبِيًّا مِنْهُمْ أَخْبَرَ ما مُدَّةَ مُلْكِهِ ومَا أَجَلُ أُمَّتِهِ غَيْرَكَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ: الْأَلِفُ وَاحِدٌ واللَّامُ ثَلَاثُونَ والْمِيمُ أَرْبَعُونَ فَهَذِهِ إِحْدَى وسَبْعُونَ سَنَةً فَعَجَبٌ مِمَّنْ يَدْخُلُ فِي دِينٍ مُدَّةُ مُلْكِهِ وأَجَلُ أُمَّتِهِ إِحْدَى وسَبْعُونَ سَنَةً قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وآله هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فهَاتِهِ قَالَ: المص قَالَ: هَذِهِ أَثْقَلُ وأَطْوَلُ الْأَلِفُ وَاحِدٌ واللَّامُ ثَلَاثُونَ والْمِيمُ أَرْبَعُونَ والصَّادُ تِسْعُونَ فَهَذِهِ مِائَةٌ وإِحْدَى وسِتُّونَ سَنَةً ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَهَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ قَالَ نَعم قَالَ هَاتِهِ قَالَ صلى الله عليه وآله: الر، قَالَ: هَذِهِ أَثْقَلُ وأَطْوَلُ الْأَلِفُ وَاحِدٌ واللَّامُ ثَلَاثُونَ والرَّاءُ مِائَتَانِ ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَهَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ قَالَ

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٩١.

(٢) لم أجده في كمال الدين وإنما في معاني الأخبار، ص١١٧.

نَعَمْ قَالَ هَاتِهِ قَالَ: المر قَالَ: هَذِهِ أَثْقَلُ وأَطْوَلُ الْأَلِفُ وَاحِدٌ واللَّامُ ثَلَاثُونَ والْمِيمُ أَرْبَعُونَ والرَّاءُ مِائَتَانِ ثُمَّ قَالَ لَهُ هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ قَالَ نَعَمْ قَالُوا قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ فَمَا نَدْرِي مَا أُعْطِيتَ ثُمَّ قَامُوا عَنْهُ ثُمَّ قَالَ أَبُو يَاسِرٍ لِلْحُيَيِّ أَخِيهِ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ مُحَمَّدًا قَدْ جُمِعَ لَهُ هَذَا كُلُّهُ وأَكْثَرُ مِنْهُ قَالَ: فَذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ أُنْزِلَتْ فِيهِمْ ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ قَالَ وهِيَ تَجْرِي فِي وَجْهٍ آخَرَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِ حُيَيٍّ وأَبِي يَاسِرٍ وأَصْحَابِهِمَا)(١).

وفيه عن أَبِي جُمُعَةَ رَحْمَةُ بْنُ صَدَقَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وكَانَ زِنْدِيقًا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَقَالَ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ فِي كِتَابِهِ: (المص) أَيَّ شَيْءٍ أَرَادَ بِهَذَا؟ وأَيُّ شَيْءٍ فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ والْحَرَامِ؟ وأَيُّ شَيْءٍ فِيهِ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ؟ قَالَ فَاغْتَاظَ مِنْ ذَلِكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام [فَقَالَ: (أَمْسِكْ وَيْحَكَ الْأَلِفُ وَاحِدٌ واللَّامُ ثَلَاثُونَ والْمِيمُ أَرْبَعُونَ والصَّادُ تِسْعُونَ كَمْ مَعَكَ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَحَدٌ وثَلَاثُونَ ومِائَةٌ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام]: إِذَا انْقَضَتْ سَنَةُ إِحْدَى وثَلَاثِينَ ومِائَةٍ انْقَضَى مُلْكُ أَصْحَابِكَ قَالَ فَنَظَرْنَا فَلَمَّا انْقَضَتْ سَنَةُ إِحْدَى وثَلَاثِينَ ومِائَةٍ يَوْمَ عَاشُورَاءَ دَخَلَ الْمُسَوِّدَةُ الْكُوفَةَ وذَهَبَ مُلْكُهُمْ)(٢).

أقول: المراد بالمسودة هم بنوا العباس، وإنما سموا بالمسودة لأنهم كانوا يلبسون الثياب السود ولهذا ورد النهي في لبسها.

وفيه عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: (حَضَرْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ كهيعص فَقَالَ عليه السلام:

---

(١) معاني الأخبار، ص١١٨.

(٢) معاني الأخبار، ص١٢٢.

كَافٌ كَافٍ لِشِيعَتِنَا، هَا هَادٍ لَهُمْ، يَا وَلِيٌّ لَهُمْ، عَيْنٌ عَالِمٌ بِأَهْلِ طَاعَتِنَا، صَادٌ صَادِقٌ لَهُمْ وَعْدَهُ حَتَّى يَبْلُغَ بِهِمُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي وَعَدَهَا إِيَّاهُمْ فِي بَطْنِ الْقُرْآن)(١).

وفي المجمع عن سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في دعائه: (يا كهيعص).

وفي المعاني في باب معاني حروف المعجم عن علي بن الحسين بن علي بن فضّال عن أبيه عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام قَالَ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله عَزَّ وجَلَّ لِيُعَرِّفَ بِهِ خَلْقَهُ الْكِتَابَةَ حُرُوفُ الْمُعْجَم وإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ضُرِبَ عَلَى رَأْسِهِ بِعَصًا فَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يُفْصِحُ بِبَعْضِ الْكَلَام فَالْحُكْمُ فِيهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ حُرُوفُ الْمُعْجَمِ ثُمَّ يُعْطَى الدِّيَةَ بِقَدْرِ مَا لَمْ يُفْصِحْ مِنْهَا ولَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي ألف ب ت ث أَنَّهُ قَالَ: الْأَلِفُ آلَاءُ اللَّهِ والْبَاءُ بَهْجَةُ اللَّهِ والتَّاءُ تَمَامُ الْأَمْرِ بِقَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله والثَّاءُ ثَوَابُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، ج ح خ فَالْجِيمُ جَمَالُ اللَّهِ وجَلَالُ اللَّهِ والْحَاءُ حِلْمُ اللَّهِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ والْخَاءُ خُمُولُ [ذِكْرِ] أَهْلِ الْمَعَاصِي عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، د ذ فَالدَّالُ دِينُ اللَّهِ والذَّالُ مِنْ ذِي الْجَلَالِ، ر ز فَالرَّاءُ مِنَ الرَّؤُوفِ الرَّحِيم والزَّاءُ زَلَازِلُ يوم الْقِيَامَةِ، س ش فَالسِّينُ سَنَاءُ اللَّهِ والشِّينُ شَاءَ اللَّهُ مَا شَاءَ وأَرَادَ مَا أَرَادَ وما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ، صض قال فَالصَّادُ مِنْ صَادِقِ الْوَعْدِ فِي حَمْلِ النَّاسِ عَلَى الصِّرَاطِ وحَبْسِ الظَّالِمِينَ عِنْدَ الْمِرْصَادِ والضَّادُ ضَلَّ مَنْ خَالَفَ مُحَمَّدًا

---

(١) معاني الأخبار، ص١٢٢.

وآلَ مُحَمَّدٍ، ط ظ فَالطَّاءُ طُوبَى لِلْمُؤْمِنِينَ وحُسْنُ مَآبٍ والظَّاءُ ظَنُّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ خَيْرًا وظَنُّ الْكَافِرِينَ بِه سُوءًا، ع غ فَالْعَيْنُ مِنَ الْعَالِمِ والْغَيْنُ مِنَ الْغَنِيِّ، ف ق فَالْفَاءُ فَوْجٌ مِنْ أَفْوَاجِ النَّارِ والْقَافُ قُرْآنٌ عَلَى اللَّهِ جَمْعُهُ وقُرْآنُهُ، ك ل فَالْكَافُ مِنَ الْكَافِي واللَّامُ لعن الْكَافِرِينَ فِي افْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ م ن فَالْمِيمُ مُلْكُ اللَّهِ يَوْمَ لَا مَالِكَ غَيْرُهُ ويَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَل لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ثُمَّ يُنْطِقُ أَرْوَاحَ أَنْبِيَائِهِ ورُسُلِهِ وحُجَجِهِ فَيَقُولُونَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ، والنُّونُ نَوَالُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ ونَكَالُهُ بِالْمنافقين، وهـ فَالْوَاو وَيْلٌ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ والْهَاءُ هَانَ عَلَى اللَّهِ مَنْ عَصَاهُ، لا ي لَامْ أَلِفْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَهَا مُخْلِصًا إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، ي يَدُ اللَّهِ فَوْقَ خَلْقِهِ بَاسِطَةً بِالرِّزْقِ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ثُمَّ قَالَ عليه السلام إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَدَاوَلُهَا جَمِيعُ الْعَرَبِ ثُمَّ قَالَ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ والْجِنُّ على أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوكانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا)(١).

وفيه بإسناده عن مولانا موسى بن جعفر عليهما السلام عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام قال: (جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وعِنْدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: مَا الْفَائِدَةُ فِي حُرُوفِ الْهِجَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ عليه السلام أَجِبْهُ وقَالَ: اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ وسَدِّدْهُ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: مَا مِنْ حَرْفٍ إِلَّا وهُو اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ

(١) معاني الأخبار، ص١٣٨.

اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الْأَلْفُ فَ اللَّهُ الذي لا إِلهَ إِلَّا هُو الْحَيُّ الْقَيُّومُ وأَمَّا الْبَاءُ فَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ وأَمَّا التَّاءُ فَالتَّوَّابُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وأَمَّا الثَّاءُ فَالثَّابِتُ الْكَائِنُ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ [فِي الْحَياةِ الدُّنْيا الْآيَةَ] وأَمَّا الْجِيمُ فَجَلَّ ثَنَاؤُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وأَمَّا الْحَاءُ فَحَقٌّ حَيٌّ حَلِيمٌ وأَمَّا الْخَاءُ فَخَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُ الْعِبَادُ وأَمَّا الدَّالُ فَدَيَّانٌ يَوْمَ الدِّينِ وأَمَّا الذَّالُ فَ ذُو الْجَلالِ والْإِكْرام وأَمَّا الرَّاءُ فَرَءُوفٌ بِعِبَادِهِ وأَمَّا الزَّايُ فَزَيْنُ الْمَعْبُودِينَ وأَمَّا السِّينُ فَالسَّمِيعُ الْبَصِيرُ وأَمَّا الشِّينُ فَالشَّاكِرُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وأَمَّا الصَّادُ فَصَادِقٌ فِي وَعْدِهِ ووَعِيدِهِ وأَمَّا الضَّادُ فَالضَّارُّ النَّافِعُ وأَمَّا الطَّاءُ فَالطَّاهِرُ الْمُطَهِّرُ وأَمَّا الظَّاءُ فَالظَّاهِرُ الْمُظْهِرُ لِآيَاتِهِ وأَمَّا الْعَيْنُ فَعَالِمٌ بِعِبَادِهِ وأَمَّا الْغَيْنُ فَغِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ [مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ] وأَمَّا الْفَاءُ فَفالِقُ الْحَبِّ والنَّوى وأَمَّا الْقَافُ فَقَادِرٌ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وأَمَّا الْكَافُ فَالْكَافِي الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ولَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ وأَمَّا اللَّامُ فَلَطِيفٌ بِعِبَادِهِ وأَمَّا الْمِيمُ فَمالِكُ الْمُلْكِ وأَمَّا النُّونُ فَنُورُ السَّمَاوَاتِ والأرض مِنْ نُورِ عَرْشِهِ وأَمَّا الْوَاو فَوَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ وأَمَّا الْهَاءُ فَهَادٍ لِخَلْقِهِ وأَمَّا اللَّامُ أَلِفٌ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وأَمَّا الْيَاءُ فَيَدُ اللَّهِ بَاسِطَةٌ عَلَى خَلْقِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا هُوالْقَوْلُ الَّذِي رَضِيَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لِنَفْسِهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ فَأَسْلَمَ الْيَهُودِيُّ)[١].

وفيه في باب معاني حروف الجمل عن أبي الجارود زياد بن المنذر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: (لَمَّا وُلِدَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام كَانَ ابْنَ يَوْمٍ كَأَنَّهُ ابْنُ شَهْرَيْنِ فَلَمَّا كَانَ ابْنَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ

---

(١) المصدر السابق.

أَخَذَتْ وَالِدَتُهُ بِيَدِهِ [وجاءَتْ بِهِ] إِلَى الْكُتَّابِ وأَقْعَدَتْهُ بَيْنَ يَدَي الْمُؤَدِّبِ فَقَالَ لَهُ الْمُؤَدِّبُ: قُلْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ: عِيسَى عليه السلام بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ لَهُ: الْمُؤَدِّبُ قُلْ أَبْجَدْ فَرَفَعَ عِيسَى عليه السلام رَأْسَهُ فَقَالَ: وهَلْ تَدْرِي مَا أَبْجَدْ فَعَلَاهُ بِالدِّرَّةِ لِيَضْرِبَهُ فَقَالَ: يَا مُؤَدِّبُ لَا تَضْرِبْنِي إِنْ كُنْتَ تَدْرِي وإِلَّا فَاسْأَلْنِي حَتَّى أُفَسِّرَ لَكَ قَالَ فَسِّرْهُ لِي فَقَالَ عِيسَى عليه السلام: الْأَلْفُ آلَاءُ اللَّهِ والْبَاءُ بَهْجَةُ اللَّهِ والْجِيمُ جَمَالُ اللَّهِ والدَّالُ دِينُ اللَّهِ هَوَّزْ الْهَاءُ هَوْلُ جَهَنَّمَ والْوَاو وَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ والزَّايُ زَفِيرُ جَهنَّمَ حُطِّي حُطَّتِ الْخَطَايَا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِينَ كَلَمَنْ كَلَامُ اللَّهِ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ سَعْفَصْ صَاعٌ بِصَاعٍ والْجَزَاءُ بِالْجَزاءِ قَرَشَتْ قَرَشَهُمْ فَحَشَرَهُمْ فَقَالَ الْمُؤَدِّبُ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ خُذِي بِيَدِ ابْنِكِ فَقَدْ عُلِّمَ فَلَا حَاجَةَ لَهُ فِي الْمُؤَدِّبِ)(١).

وفيه عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: سَأَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ تَفْسِيرِ أَبْجَدْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (تعَلَّمُوا تَفْسِيرَ أَبْجَدْ فَإِنَّ فِيهِ الْأَعَاجِيبَ كُلَّهَا وَيْلٌ لِعَالِمٍ جهِلَ تَفْسِيرَهُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَفْسِيرُ أَبْجَدْ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: أَمَّا الْأَلِفُ فَآلَاءُ اللَّهِ حَرْفٌ [مِنْ حُرُوفِ أَسْمَائِهِ] بحرف وأَمَّا الْبَاءُ فَبَهْجَةُ اللَّهِ وأَمَّا الْجِيمُ فَجَنَّةُ اللَّهِ وجَلَالُ اللَّهِ وجَمَالُهُ وأَمَّا الدَّالُ فَدِينُ اللَّهِ وأَمَّا هَوَّزْ فَالْهَاءُ هَاءُ الْهَاوِيَةِ فَوَيْلٌ لِمَنْ هَوَى فِي النَّارِ وأَمَّا الْوَاو فَوَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ وأَمَّا الزَّايُ فَزَاوِيَةٌ فِي النَّارِ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّا فِي الزَّاوِيَةِ يَعْنِي زَوَايَا جهَنَّمَ وأَمَّا حُطِّي فَالْحَاءُ حُطُوطُ الْخَطَايَا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِينَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ومَا نَزَلَ بِهِ جَبْرَئِيلُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ وأَمَّا الطَّاءُ فَطُوبى لَهُمْ

---

(١) معاني الأخبار، ص١٤٠.

وحُسْنُ مَآبٍ وهِيَ شَجَرَةٌ غَرَسَهَا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ ونَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ وإِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ تَنْبُتُ بِالْحُلِيِّ والْحُلَلِ مُتَدَلِّيَةً عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وأَمَّا الْيَاءُ فَيَدُ اللَّهِ فَوْقَ خَلْقِهِ باسطة سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ وأَمَّا كَلَمَنْ فَالْكَافُ كَلَامُ اللَّهِ لا تبديل لِكَلِماتِ اللَّهِ ولَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا وأَمَّا اللَّامُ فَإِلْمَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَيْنَهُمْ فِي الزِّيَارَةِ والتَّحِيَّةِ والسَّلَامِ وتَلَاوُمُ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وأَمَّا الْمِيمُ فَمُلْكُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَزُولُ ودَوَامُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَفْنَى وأَمَّا النُّونُ فَ ن والْقَلَم وما يَسْطُرُونَ فَالْقَلَمُ قَلَمٌ مِنْ نُورٍ وكِتَابٌ مِنْ نُورٍ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ وكَفى بِاللَّهِ شَهِيدًا وأَمَّا سَعْفَصْ فَالصَّادُ صَاعٌ بِصَاعٍ وفَصٌّ بِفَصٍّ يَعْنِي الْجَزَاءَ بِالْجَزَاءِ وكَمَا تَدِينُ تُدَانُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبادِ وأَمَّا قَرَشَتْ يَعْنِي قَرَشَهُمُ اللَّهُ فَحَشَرَهُمْ ونَشَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ)[(١)].

وفيه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (تعلموا تفسير أبي جاد فإن فيه الأعاجيب كلها)[(٢)] وذكر الحديث مثله سوى حرفًا بحرف.

ورُوِيَ فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّ شَمْعُونَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ أَخْبِرْنِي مَا أَبُو جَادٍ ومَا هَوَّزْ ومَا حُطِّي ومَا كَلَمَنْ ومَا سَعْفَصْ ومَا قَرَشَاتْ ومَا كَتَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَّا أَبُو جَادٍ فَهُو كُنْيَةُ آدَمَ عليه السلام أَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ فَجَادَ فَأَكَلَ وأَمَّا هَوَّزْ هَوَى مِنَ السَّمَاءِ فَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ وأَمَّا حُطِّي أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وأَمَّا كَلَمَنْ كلمة[(٣)] اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ وأَمَّا سَعْفَصْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ صَاعٌ بِصَاعٍ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ وأَمَّا قَرَشَاتْ أَقَرَّ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني الأخبار.

(٣) في المصدر: كلم.

بِالسَّيِّئَاتِ فَغَفَرَ لَهُ وأَمَّا كَتَبَ فَكَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عِنْدَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ إِنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ وعِيسَى عليه السلام خُلِقَ بِغَيْرِ أَبٍ وأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ تَصْدِيقَهُ إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ قَالَ صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ)[1].

وفيما رواه العياشي عن أبي لبيد المخزومي قال أبو جعفر عليه السلام: (يا با لبيد إنه يملك من ولد العباس اثنا عشر، يقتل بعد الثامن منهم أربعة فتصيب أحدهم الذبحة فتذبحه، هم فئة قصيرة أعمارهم، [قليلة مدتهم]، خبيثة سيرتهم منهم الفويسق الملقب بالهادي، والناطق والغاوي، يا با لبيد إن في حروف القرآن المقطعة لعلما جما، إن الله تبارك وتعالى أنزل (الم ذلِكَ الْكِتابُ)، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته، وولد يوم ولد، وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين، ثم قال: وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من حروف مقطعة حرف تنقضي أيامه إلّا ويقام قائم من بني هاشم عند انقضائه، ثم قال: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فذلك مائة وإحدى وستون، ثم كان بدو خروج الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام الم الله، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند (المص)، ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ(المر) فافهم ذلك وعه واكتمه)[2].

وفي المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي)[3].

---

(١) معاني الأخبار، ص١٤١.

(٢) تفسير العياشي، ج٢ ص٣.

(٣) تفسير مجمع البيان، ج١ ص٧٥.

[توضيح وبيان
حول الحروف المقطعة في القرآن الكريم]

أقول: المستفاد من هذه الروايات أن بين الله سبحانه وبين رسوله والراسخين في العلم من أهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين أسرار يبيّنها لهم في الحروف المقطعات، وإشارات يشير بها إلى أمور لم يقصد بها إفهام غيره وغيرهم عليه وعليهم السلام، وليس بيان تلك الأسرار والإشارة إلى تلك الأمور منحصرة في حساب الجمل، بل يجري على وجوه من التأويل، ولهذا كانت من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم عليهم السلام، فتارة تجري على حساب الجمل، وأخرى يشار بها إلى أسماء الله سبحانه، بأن يؤخذ من أول الاسم أو وسطه أو آخره حرف ثم يشار به إلى ذلك الاسم، كالألف المأخوذ من قولك الله، وكالطاء المأخوذ من قولك الطاهر المطهر، والظاء المأخوذ من قولك الظاهر المظهر، وكالياء المأخوذ من قولك العلي الولي، وربما يشار بحرف واحد إلى اسمين أو أسماء متعددة، كالراء المشار به إلى الرؤوف الرحيم، والميم المشار به إلى المبدئ المعيد، وكالحاء المشار به إلى الحق الحي الحليم الحكيم، وتارة يشار بها إلى صفاته تعالى، كالجيم المشار إلى جماله تعالى وجلاله، والعين المشار به إلى علمه، والحاء المشار به إلى حلمه،

وأخرى يشار بها إلى أمور محتومة أو وقائع معهودة، كالزاء المشار به إلى زلازل يوم القيامة أو زفير جهنم أو زاوية من زوايا النار، وكالكاف المشار به إلى واقعة كربلاء، والهاء إلى هلاك العترة، والياء إلى يزيد لعنه الله، والعين إلى عطش الحسين عليه السلام، والصاد إلى صبره على تلك المصيبة العظمى والبلية الكبرى، ومرة يشار بها إلى ابتداء دولة حق أو انقضاء دولة باطل وبالعكس، أو إلى مدة ملك قوم أو مهلة قوم آخرين، أو إلى أمور مرموزة، كالشين المشار به إلى قولك شاء الله ما شاء وأراد ما أراد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(١)، وكالضاد المشار به إلى ضلالة كل من خالف محمدًا وآل محمد صلى الله عليهم أجمعين، ومرة يشار بها إلى أسرار مكتومة وأسماء معلومة، كالنون المشار به إلى نهر في الجنة، والصاد إلى عين نابعة تحت العرش، وكالعين والسين والقاف المشار بها إلى علي ومحمد والقائم صلوات الله عليهم، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: (وعلم كل شيء في عسق) على وجه من وجوه التأويل، ومرة يشار بها إلى حروف الاسم الأعظم في الظاهر، وأخرى إلى حروفه في الباطن، وهكذا يشار بها إلى أمور وأسرار بين الله وبين أوليائه عليهم السلام مما يطول ذكرها ولا يعلم تأويلها وتفصيلها إلّا الله والراسخون في العلم.

وذلك لأن الحروف والكلمات عالم تام كعالم المعاني، وبناء الكلمات على الحروف، ومبنى الحروف على الألف، ومبدأ الألف النقطة، سواء كانت الكلمات والحروف والنقطة معنوية أو لفظية، وأول كلمة خلقها الله سبحانه بنفسها هي المشيئة، ومبنى هذه الكلمة

---

(١) التكوير، ٢٩.

الطيبة التامة على الحروف العاليات المسماة برؤوس المشيئة ووجوهها، ومبنى الحروف العاليات على الألف اللينة المسماة بالنفَس الرحماني الأولي بفتح الفاء السارية في الممكنات بالقيومية الصدورية، وفي الحروف العاليات بالقيومية الركنية، ومبدأ الألف اللينة النقطة المعبر عنها بالرحمة الحقيقية الرحمانية، التي هي قطب رحى الإمكان ومركز دائرة الأكوان والأعيان، وهذه الكلمة أي الكلمة الفعلية الإيجادية خلقها سبحانه بنفسها وأمسكها بظلّها وأقامها بهويتها، ثم خلق بها الكلمة المفعولية، وهي مشتملة أيضًاعلى حروف كونية مبناها على الألف اللينة الثانية المسماة بالنّفَس الرحماني الثانوي بفتح الفاء، السارية في الموجودات بالقيومية الركنية، وفي الحروف الكونية بالقيومية الظهورية.

ومبدأ هذه الألف أيضًا النقطة المفعولية المعبر عنها بالدواة الأولى والمداد الأول والماء الذي به حياة كل شيء، وبالنون في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١)، وأول حرف من الحروف الكونية الذي صدر عن المشيئة بتنزل الألف اللينة الثانية هوالألف القائم المشار به إلى العقل الأول والقلم الأعلى، وهو عقل الكل والعقل المحمدي ﷺ، ثم صدر عنها به الباء التي ظهرت الموجودات منه المشار به إلى النفس الكلية واللوح المحفوظ المكنون، الذي كتب فيه وسطّر ما كان وما يكون وهو الحرف الثاني من الحروف الكونية، وهكذا صدر عنها حرف بعد حرف بواسطة الألف القائم إلى آخر الحروف على ترتيب الحروف الأبجدية، وهي ثمانية وعشرون حرفًا

(١) القلم، ١.

كونيًا، فلما خلق الله سبحانه الكلمة الفعلية التامة المشتملة على الحروف العاليات بنفسها، وخلق بها الكلمة المفعولية المشتملة على الحروف الكونية، وهما العالمان التّامّان المعبر عن أحدهما بعالم الأمر المشار إليه بقوله تعالى: (كن)، وعن ثانيهما بعالم الخلق المشار إليه بقوله تعالى: (فيكون)، خلق عالم الحروف اللفظية للبيان والدلالة وهو عالم تام أيضًا مطابق للعالمين حرفًا بحرف، ثم ركب الحروف اللفظية وأنزلها قرآنًا مشتملًا على الثمانية والعشرين حرفًا لفظيًا، وجعله تبيانًا لكل شيء، كما ركب الحروف الكونية التي هي معاني الحروف اللفظية، وجعلها إنسانًا مشتملًا على الثمانية والعشرين حرفًا كونيًا، وجعله كتابًا جامعًا لكل نور وفيء، فخلق الإنسان الكامل أولًا وهو الكتاب الناطق وأجرى على لسانه القرآن الشامل ثانيًا وهوالكتاب الصامت، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾، فالإنسان مشتمل على الحروف الثمانية والعشرين، كما أن القرآن مشتمل عليها، ومبنى حروف الإنسان على الألف القائم الذي هو العقل، كما أن مبنى حروف القرآن على الألف القائم الذي هو صورة العقل أي اللفظ الدال عليه، ومبدأ الألف القائم في الإنسان أي عقله المعبر عنه بالقلم هو الألف اللينة التي هي انبساط النقطة المفعولية المعبر عنها بالدواة الأولى وبالنون في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾، وهو الحامل للعقل أي الاسم الذي أشرقت به السموات والأرضون وهو مداد النور الذي يستمد منه القلم فيما سطّر في اللوح ما كان وما يكون، ومبدأ الألف القائم في القرآن الذي هو أول الحروف الثلاثة التي هي براعة سورته الكبرى هو الألف اللينة الظاهرة بالألف المبسوطة المسماة بالباء الموضوعة تحته النقطة

الحاملة للباء في قوله تعالى ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فمرجع فاتحه فاتحة الكتاب التكويني الإنسان إلى النقطة أي نقطة الوجود المطلق المعبر عنها بالرحمة، وهي النقطة الفعلية تحت الباء الذي هو بهاء الله السرمدي، ومرجع حروف فاتحة الكتاب التكويني أي الحروف العاليات إلى الألف المعبر عنه بالنفس الرحماني الأولي، الذي ترجع إليه الحروف العاليات الحامل للواء الحمد، ومرجع الكتاب التكويني الإنسان أيضًا إلى النقطة أي نقطة الوجود المقيد المعبر عنها بالماء، الذي هو آثار رحمة الله وهي النقطة المفعولية تحت الباء الذي هو بهاء الله الدهري، المشار به إلى أول ما خلق الله وهو العقل، الذي ترجع إليه الحروف الكونية، ومرجع فاتحة فاتحة الكتاب التدويني إلى النقطة، أي النقطة التي هي تحت باء ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في سورة الفاتحة، ومرجع حروف الفاتحة إلى الألف الداخل على قولك: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر السورة، ومرجع حروف الكتاب التدويني أيضًا إلى النقطة تحت الباء، أي باء ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في سورة البقرة، ثم إلى الألف القائم في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ الذي هو أحد الحروف المقطعة.

ولما كان الكتاب التدويني القرآني مشتملًا على الثمانية والعشرين حرفًا كالكتاب التكويني الإنساني ومطابقًا له حرفًا بحرف، جعل الله سبحانه عدد السور المتوجة بالحروف المقطعة في القرآن تسعًا وعشرين سورة، وجعل واحدة منها وهي آخر السور المتوجة متوجة بالنون والقلم وما يسطرون، المشار به إلى النقطة التي افتتح بها الكتاب التكويني والتدويني إشارة إلى أن كل واحد من الكتابين

مشتمل على الثمانية والعشرين حرفًا، وإن النقطة تحت الباء هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو مبدأ الحروف الثمانية والعشرين المشار إليها بعدد السور المتوجة بالحروف المقطعة بإسقاط سورة واحدة منها وهي المتوجة بالنون المشار به إلى النقطة السارية في الحروف فافهم.

وأنا أذكر لك أسماء وجوه الحروف الكونية وعكسها في الإنسان لتعرفها وتطابقها بما في القرآن.

فأقول: الألف في الإنسان هو العقل وهو ظاهر الوجود ووجهه وعكسه الجهل.

والباء فيه هو النفس أي الصدر الأول وعكسه الثرى.

والجيم هو الطبيعة وعكسه الطمطام، والدال هو الهباء وعكسه جهنم، والهاء هو الشكل وعكسه الريح العقيم، والواو هو الجسم الكل منك وعكسه هو البحر، والزاء هو الفلك الأطلس وهو العرش وهو قلبك الصنوبري وعكسه الحوت، والحاء هو الكرسي وهو صدرك الثاني وعكسه الثور، والطاء هو الفلك البروج وعكسه الصخرة وهو سجين وطينة خبال، والياء هو فلك المنازل وعكسه الملك حامل الأرض، والكاف فلك زحل وهو العقل الجزئي وعكسه أرض الشقاوة، واللام فلك المشتري وهو العلم الثاني وعكسه أرض الإلحاد، والميم فلك المريخ وهو الوهم وعكسه أرض الطغيان، والنون هو فلك الشمس وهو الوجود الثاني الجسمي وعكسه أرض الشهوة، والسين هو فلك الزهرة وهو الخيال وعكسه أرض الطبع، والعين هو فلك عطارد وهو الفكر وعكسه أرض العادات، والفاء هو فلك القمر وهو الحياة وعكسه أرض الممات وهي أرض الدنيا،

والصاد هو كرة النار والمرة الصفراء وريح الدبور وعكسه كمثل الكلب، والقاف هو كرة الهواء والدم وريح الجنوب وعكسه السموم، والزاء هو كرة الماء وهو البلغم وريح الصبا وعكسه الماء الأجاج، والشين هو كرة التراب والمرة السوداء وريح الشمال وعكسه أرض السبخة، والتاء هو المعدن وعكسه ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾(١)، والثاء هو النبات وعكسه النبات المر، والخاء هو الحيوان وعكسه المسوخ، والذال هو الملك كالمؤيد والحفظة وعكسه هو الشياطين، والضاد هو الجن المؤمنون منك وعكسه هو شياطين الجن، والطاء هو الإنس فأنت الإنسان وعكسه شياطين الإنس، والغين هو الإنسان الكامل الجامع وعكسه إبليس.

إذا عرفت هذا فاعلم أن أول ما خلق الله من كتابه الناطق هو العقل كما أن أول ما خلقه من كتابه الصامت هو الألف، فلما خلق العقل أودع فيه غيوب الأشياء وهي معاني جميع الخلق ثم أمره بالإدبار والإقبال، فلما أدبر وأقبل أخرج منه رقائقها وصورها إلى قوابلها فيما لا يزال، ولما خلق الألف أودع فيه أسرار الحروف ومعانيها ثم أمره بالإدبار والإقبال، فلما أدبر وأقبل أخرج منه أسرارها ومعانيها فيما لا يزال، فالحروف معانيها في العقل ورقائقها في الروح وصورها في النفس وانتقاشها في القلب وقوتها الناطقة في اللسان وأصواتها القارعة في الأسماع وأشباحها المثالية في بنطاسيا وأشكالها المنقوشة في الألواح وقواها العددية في الأرقام، والعقل واحد بسيط وبه تركب الحروف الكونية، كما أن الألف واحد بسيط

(١) الإسراء، ٥٠ ـ ٥١.

وبه تركيب الحروف اللفظية، وكل واحد منهما خال عن المواد عار عن القوة والاستعداد، لأن مواد الأشياء واستعداداتها إنما كانت بالعقل كما أن مواد الحروف واستعداداتها إنما كانت بالألف، فهما مستغنيان عما هومحتاج في وجوده إليهما، ولو قَبِلا المواد تكثرًا في الكم، ولو قَبِلا الاستعداد بعد إيجادهما تكثرًا في الكيف، وليس كذلك، وما يتوهم من زيادة العقل الجزئي بالرياضات واكتساب الكمالات فليس كما يظن، وإنما الزيادة في محالها بسبب إصلاحها، فظهر فيها ذلك الوجه الخاص بها من العقل الكلي ظهورًا أشد مما قبل الإصلاح، فالزيادة في الظهور والمظهر لا في الظاهر، والعقل هو الظاهر، وكذلك الألف في الحروف، ألا ترى إلى الشمس إذا أشرقت على الأرض وعلى المرآة ينعكس عن المرآة مثل الشمس ولم ينعكس عن الأرض، وليس من جهة أنها أشرقت على المرآة أكثر مما أشرقت على الأرض، بل الأكثرية من جهة القابلية، فلو صقلت تلك الأرض كصقالة المرآة ظهر عنها كما ظهر عن المرآة، فهما لسبقهما وعليتهما في الحروف الكونية والحروف اللفظية استحقا البساطة الحقيقية وكانا مجازا وسبيلا للبساطة الحقية فافهم.

والحاصل الحروف المقطعة في القرآن فيها أسرار وإشارات، ومن جملة أسرارها أن عدد حروفها بعد حذف المكررات أربعة عشر حرفًا بعدد حروف الصراط المستقيم، وعدد الكلمات المختصة لله عز وجل في فاتحة الكتاب بعد حذف المكرر كما عرفت سابقًا، وعدد المعصومين صلى الله على محمد آله أجمعين، وهي الحروف النوارنية يجمعها قولك: (علي صراط حق نمسكه) أو (صراط علي حق نمسكه).

ومن جملة الإشارات فيها أن قوله عز وجل: (الم) إشارة إلى قولك الله الملك المجيد، وإلى مظاهر هذه الأسماء الثلاثة الجبروت وهو عالم العقول، والملكوت وهو عالم النفوس، والملك وهو عالم الأجسام، وإلى كتاب الله الصامت ظاهرًا وباطنًا، وإلى كتابه الناطق ظاهرًا وباطنًا، وإلى اللوح المحفوظ، وإلى أم الكتاب، وإلى فاتحة الكتاب، وذلك لأن الألف لام ميم بحسب حروف الهجاء إشارة إلى القرآن وهو ظاهر كتاب الله الصامت، وزبر ألف إشارة إلى الألف القائم وهو العقل وهو باطن القرآن، وبينات ألف وهي المائة والعشرة إشارة إلى كتاب الله الناطق وهو علي عليه السلام.

[تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾]

وقد روى العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ قال: (كتاب علي لا ريب فيه)[١]، والإضافة هنا بيانية، يعني ذلك الكتاب الذي هو علي عليه السلام لا شك فيه، وذلك لأن من قرأ ذلك الكتاب وتدبر في آياتة التي أراها الله خلقه فيه وتفكر في كمالاته وصفاته التي عجز الواصفون عن وصفها، ونظر في فضائله التي منصوص عليها من الله ورسوله، تبين له أنه الحق المبين، وأن ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، وإطلاق الكتاب على الإنسان الكامل حقيقة شائع في عرف أهل الله وخواص أوليائه، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وقال عليه السلام أيضًا: (الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله عل خلقة وهي الكتاب الذي كتبه بيده) الحديث.

وقد عرفت سابقًا مما أشرنا إليه أن الكتاب التكويني الإنساني

---

(١) تفسير العياشي، ج١ ص٣٣.

طبق الكتاب التدويني القرآني حرفًا بحرف، فكما أن الكتاب الصامت الذي هو القرآن لا ريب فيه إنه تنزيل من رب العالمين، كذلك الكتاب الناطق الذي هو الإنسان الكامل لاريب فيه إنه تنزيل من رب العالمين وخالق الخلق أجمعين، وكما أن القرآن هو نبأ عظيم والناس عنه معرضون، كذلك علي عليه السلام هو النبأ العظيم والخلق عنه غافلون وعن آياته معرضون، وكما أن القرآن معجزة النبي صلى الله عليه وآله وقد عجزت الإنس والجن عن الإتيان بمثله فهو عليه السلام أيضًامعجزة النبي صلى الله عليه وآله وآية نبوته ولا يقدرون على أن يأتوا بمثله، بل هو أكبر آيات الله وأظهر معجزات رسوله وأعظم أنباء الله الذي أنبأ به عباده، قال عليه السلام: (أنا آية نبوة محمد صلى الله عليه وآله)(١)، وقال عليه السلام: (ليس لله آية هي أكبر مني ولا نبأ هو أعظم مني)(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾(٣).

وزبر لام إشارة إلى اللوح المحفوظ، وبيناتها إشارة إلى أم الكتاب، وزبر ميم إشارة إلى المثاني وهي فاتحة الكتاب وبيناته وهي خمسون إشارة إلى النون الذي يعبّر عنه بالدواة الأولى، والمداد الأول من النور، وبالنقطة التي هي قطب رحى الوجود، وبالماء الذي به حياة كل شيء، وهو باطن كتاب الله الناطق الذي يستمد منه القلم، وهو العقل المحمدي الذي هو باطن كتاب الله الصامت، وهو الكاتب في اللوح ما كان وما يكون الذي هو: ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أَلَسْتُ آيَةَ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَدَلِيلَ رِسَالاتِهِ) المناقب، ج٢، ص٢٠٢.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص٣٤٥.

(٣) ص، ٦٧ ـ ٦٨.

ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[(١)]، قـال تـعـالـى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[(٢)].

ومن جملة الأسرار المكتومة عن الأغيار المحجوبة بالأستار أن كون الألف في أول قوله تعالى: (الم) المشار به إلى الحروف المؤلف منها الكتاب التدويني وظهوره في أولها بالرتبة والذات منفصلًا عن الحروف وبطونه في اللام بالصورة، وكونه في آخر الميم بالصورة الراكدة، إشارة إلى أن الألف في الكتاب التدويني هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وأن سره ومعناه الذي هو العقل الساري في الممكنات، والقلم الجاري في الموجودات، أيضًا هو الأول والآخر والظاهر والباطن في الكتاب التكويني، فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ إشارة إلى ما أشرنا إليه من أسرار هذه الحروف التي براعة هذه السورة المباركة التي هي مأدبة الله تبارك وتعالى.

و﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ أنه من عند الله ولو كان من عند غيره تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، ولم يعجزوا عن الإتيان بمثله وكان بعضهم لبعض ظهيرًا.

وقيل في قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب فيه العاقل بعد النظر في كونه وحيًا بالغًا حد الإعجاز، لا أن أحدًا لا يرتاب فيه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ الآية، فإنه ما أبعد عنهم الريب بل عرّفهم الطريق المزيح له وهو أن يجتهدوا في معارضة نجم من

---

(١) الواقعة، ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) القلم، ١.

نجومه، ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة.

وقيل: (معناه لا ريب فيه للمتقين (وهدى) حال من الضمير المجرور، والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي، والريب في الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها، سمي به الشك لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة، وفي الحديث: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة، ومنه ريب الزمان لنوائبه)[١] انتهى.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج١ص ٣٦.

[تفسير قوله تعالى: ﴿هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ﴾]

وقوله تعالى: ﴿هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

الهدى في الأصل مصدر كالسرى والتقى، ومعناه الدلالة والبيان من الضلالة، ولهذا جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ واختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به والمشفعون بما فيه، والمستشفون داءهم بدوائه، وإن كانت دلالته عامّة لكل ناظر من مسلم أو كافر، إلّا أن من ظلم نفسه ولم يستعمل عقله في تدبر آياته والنظر في بيّناته واستحب العمى على الهدى لا يزيده إلّا خسارا، وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

والمتقون على ما في تفسير الإمام عليه السلام (هم الذين يتقون الموبقات)، أي كبائر الذنوب المهلكات، (ويتقون تسليط السفه على أنفسهم حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم)، فالتقوى على هذا هو التجنب عن كبائر الذنوب والاحتراز عن تسليط السفه والجهل على النفس وتحصيل ما يجب من العلم والعمل به، والعلم الواجب تحصيله ثلاثة، آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة، والعمل الموجب لعامله رضا ربه هوالعمل الصالح الذي يرفعه.

وقد أشرنا إلى هذه في المجلد الأول من الكتاب فراجع.

وقيل: (المتقي اسم فاعل من قولهم وقاهم فاتقى، والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة، وله ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبريء عن الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بأنه التقوى في الشرع، وهوالمعنيّ بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾.

والثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق، ويتبتل إليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾.

وقد فسّر قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ على الأوجه الثلاثة)[1] انتهى.

أقول: قوله (الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الشرك) يعني أن من تبرأ عن الشرك بقوله لا إله إلّا الله التي هي كلمة التقوى، ودخل في دين الإسلام فقد وقى نفسه عن العذاب المخلد وكان من أهل التقوى، لتحصيله أول مرتبة من مراتب التقوى، التي هي شرط قبول الأعمال فيصدق عليه أنه من المتقين الذين قال الله في شأنهم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ هذا ما عنده على زعمه.

وأما ما عندنا فلا يصدق اسم التقوى إلّا على من اتقى ولاية الغير وتبرأ عن الشرك في الولاية الحق، بقوله لا إله إلّا الله مخلصًا مع شروطها والولاية من شروطها، فكل من لم يدخل في دين الله الذي

---

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج١ ص١٠٩.

هو الإسلام الحقيقي الذي هو الدخول في السلم أي الولاية، فما وقى نفسه عن العذاب المخلد ولم يتقبل الله عمله ولم يحصل لنفسه مرتبة من مراتب التقوى، والدخول في الولاية هو التوقي عن العذاب المخلد وهو دين الإسلام الذي قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَٰخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١) وهو دين الله الخالص الذي قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(٢) وهو التبري عن الشرك الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾(٣) الآية، والولاية هي كلمة التقوى التي ألزمها الله شيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام حين تركوا ولاية الغير وكفروا بالجبت والطاغوت وآمنوا بالله العلي العظيم.

وقوله: (والثانية التجنب عن كل ما يؤثم) إلى آخره، كان الأنسب والأَوْلى أن يقول هنا وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بدل قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ لأنه في صدد بيان مراتب التقوى مستشهدًا بقوله تعالى، ولهذا أشار في أعلى مراتبه بقوله: (وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾.

[وقفة مع قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾]

اعلم أنهم ذكروا في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ثلاثة وجوه:

---

(١) آل عمران، ٨٥.
(٢) الزمر، ٣.
(٣) النساء، ٤٨.

الأول: وهوأحسنها أن معناها أن يطاع ولا يعصى، ويشكر ولا يكفر، ويذكر ولا ينسى.

والثاني: أنه المجاهدة في الله ولا تأخذه فيه لومة لائم، وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن.

والثالث: أن يتقي جميع معاصي الله.

وقيل على الوجه الثاني والثالث أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، ولو قيل أنها منسوخة على الثالث خاصة لم يكن بعيدًا، لأن المجاهدة في الله لا تنافي تقوى الله على الاستطاعة، بل ولو قيل أنها غير منسوخة على الثالث أيضًا لم يكن بعيدًا، لأن ذلك لا ينافي التقوى بالاستطاعة، والمروي عنهما عليهما السلام أن الآية المذكورة منسوخة، وليس هذا لأن معناها أحد الوجوه الثلاثة المذكورة، بل لأن معناها أنه سبحانه قد حكم أن لا يقوم له أحد من خلقه بحقه، فلو كان التكليف على حسب حق الله سبحانه وتعالى لكان تكليفا بما لا يطيقه الخلق، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] ومما يدل على أن أحدا من الخلق لا يقوم لله تعالى بحقه قول علي بن الحسين سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام في السجود بعد الرابعة من صلاة الليل فتأمل قوله عليه السلام تجد أن الله سبحانه كما لا يعدله شيء كذلك لا يقوم بحقه أحد، قال عليه السلام: (إِلَهِي وعِزَّتِكَ وجَلَالِكَ لَو أَنِّي مُنْذُ بَدَعْتَ فِطْرَتِي مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ عَبَدْتُكَ دَوَامَ خُلُودِ رُبُوبِيَّتِكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ سَرْمَدَ الْأَبَدِ بِحَمْدِ الْخَلَائِقِ وشُكْرِهِمْ أَجْمَعِينَ لَكُنْتُ مُقَصِّرًا فِي بُلُوغِ أَدَاءِ شُكْرِ خفي نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِكَ عَلَيَّ ولَو أَنِّي يا

---

(١) البقرة، ٢٨٦.

إلهي كَرَبْتُ مَعَادِنَ حَدِيدِ الدُّنْيَا بِأَنْيَابِي وحَرَثْتُ أَرْضَهَا بِأَشْفَارِ عَيْنِي وبَكَيْتُ مِنْ خَشْيَتِكَ مِثْلَ بُحُورِ السَّمَاوَاتِ والْأَرَضِين دَمًا وصَدِيدًا لَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا فِي كَثِيرِ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّكَ عَلَيَّ ولَو أَنَّكَ يا إِلَهِي عَذَّبْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِعَذَابِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ وعَظَّمْتَ لِلنَّارِ خَلْقِي وجِسْمِي ومَلَأْتَ طبقات جهنم مِنِّي حَتَّى لَا يَكُونَ فِي النَّارِ مُعَذَّبٌ غَيْرِي ولَا [يَكُونَ] لِجَهَنَّمَ حَطَبٌ سِوَايَ لَكَانَ ذَلِكَ بِعَدْلِكَ عَلَيَّ قَلِيلًا فِي كَثِيرِ ما اسْتَوْجَبْتُهُ مِنْ عُقُوبَتِكَ)[١] انتهى.

فانظر بعين البصيرة في ما ذكر عليه السلام هل يمكن حصول هذا من أحد من المكلفين، بل يمتنع وقوع ذلك، ومع هذا لم يجعله حالة تقوى الله حق تقاته، بل كما هو الواقع تقصير في حق الجبار جل جلاله، بحيث لو عذب فاعل ذلك الذي لا يمكن وقوعه من المكلف لكان قليلا في جانب عدله على ذلك الفاعل لتقصيره في تلك الحال في خدمة الملك المتعال جل جلاله، فيكون هذا وجه تطرق النسخ على الآية من جهة أن التكليف بها لا يحسن في الملة السمحة السهلة لا ما ذكر في الوجه الثاني والثالث.

وقيل أن الآية الثانية مبينة للمراد من الأولى لا ناسخة، يعني اتقوا الله حق تقاته الذي تقدرون عليه على جهة الملة الحنيفية السهلة السمحة، التي هي جهة الاستطاعة، وهذا القول حسن إذا لم يلاحظ مدلول العبارة الظاهرة، ثم على تسليم صحة هذا الوجه فما الفائدة في العدول عن النسخ إلى التبيين، لأن النسخ هنا لا يراد منه نفي التقوى بالكلية وإنما يراد منه التخصيص، ولا معنى للتبيين المذكور

---

(١) مفتاح الفلاح، ص٢٤٦.

إلّا تخصيص ذلك العموم، فإذا كانت الآية المذكورة منسوخة على المعنى الذي ذكرناه فمرجع التقوى المطلوبة من العباد هي جهة الاستطاعة، والعباد الذين هم من أهل التقوى في هذه الجهة أي جهة الاستطاعة مختلفون.

[مراتب التقوى]

فمراتب التقوى في نفسها وباعتبار العاملين بها مختلفة غير محصورة في العدد إلّا أنها ترجع إلى ثلاث مراتب كلية:

الأولى: تقوى العوام وهي فعل الواجبات وترك المحرمات الظاهرة التي تضمنتها الشريعة الحقة على ما قرره أهل العصمة ﰷ، مما فرضه الله أو حرمه وما شرعه من الدين ما وصى به نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء ﰷ.

والثانية: تقوى الخواص وهي فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات الظاهرة.

والثالثة: تقوى خواص الخواص وهي فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات التي تضمنتها الشريعة، وعمل الواجبات الأخلاقية ومندوباتها وترك المحرمات الأخلاقية ومكروهاتها التي تضمنتها علوم الطريقة المعبر عنها بالفريضة العادلة، وإقامة منارة التوحيد بتوحيده في ذاته تعالى وصفاته وأفعاله وعبادته، والعمل بمقتضاه فيها، فإنها لازمة على السابقين واجبة على المقربين الذين هم خواص الخواص، لأنهم لايرضون لأنفسهم ترك ماهو راجح الفعل وفعل ماهو راجح الترك، حتى أنهم يدعون ما لا بأس به حذرا مما فيه بأس، لأنهم لما قراءوا ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ

إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(١)، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(٢)، وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٣)، وأمثال هذه عرفوا أن من بيّن الله له في نفسه شيئًا حتى رأى أن فعله أرجح من تركه بوجه ما، فلم يعمل به ولم يبادر إليه فقد أعرض عنه، ومن أعرض عما ينبغي إلى ما لا ينبغي فقد كذب بالحق الذي جاءه، لأنه إن كان صادقا في ما يدعيه من معرفة هذا الشيء أنه ينبغي له أن يعمل به وأن تركه مرجوح وتركه لا لمرجح لتركه وإن كان من دليل خارج صحيح، فقد كذب بالحق الذي يعرفه بأن فعله أرجح من تركه، ومن كذب بالحق عملا مع التصديق به في نفسه علما فقد استهزأ بالله وآياته ورسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾(٤) ومن استهزأ بالله بتركه الطاعة له فيما أمره به بعد التعريف والبيان والتصديق بالجنان والإقرار باللسان والمعاهدة على الوفاء بعمل الأركان، واستهزأ بآياته التي بيّنها له وأقر بها واعترف وعاهد عليها، واستهزأ برسوله بالإجابة له حين دعاه إلى الإسلام والإيمان والتصديق، واعترف بما عرفه وعاهد عليه مرة بعد أخرى، ثم لم يعمل بما عاهد عليه الله فسوف يأتيه أنباء ما كان به يستهزيء، فلما عرفوا ذلك تركوا جميع محرمات الشريعة ومكروهاتها وفعلوا جميع واجباتها ومندوباتها، وتركوا جميع محرمات الطريقة

---

(١) الأنعام، ٤ ـ ٥.

(٢) يوسف، ١٠٥.

(٣) فصلت، ٥٣.

(٤) التوبة، ٦٥.

ومرجوحاتها، وعملوا بواجباتها ومندوباتها، وقالوا ربنا الله ثم استقاموا على الطريقة الوسطى حتى أسقاهم الله ماء غدقا من علم التقوى، فتركوا الدنيا وما فيها لأهلها ولم يمدوا أعينهم إلى ما متع الله به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ليفتنهم فيه، وأقبلوا بشراشرهم إلى معبودهم، وفرحوا بما رزقهم من التوفيق لعبادته الذي هو خير وأبقى، وأمروا أهلهم بالصلاة واصطبروا عليها، وعلموا أن قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١) حق، وأن وعده في إيصال الرزق إليهم صدق، وأن العاقبة للتقوى، وإلى ما أشرنا إليه من مراتب التقوى.

ومن أن التقوى هو ما أسقاهم الله من العلم الإشارة في قول الصادق عليه السلام كما في مصباح الشريعة قال عليه السلام: (التَّقْوَى عَلَى ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ تَقْوَى بِاللَّهِ وهُو تَرْكُ الحلال فَضْلًا عَنِ الشُّبْهَةِ وهُو تَقْوَى خَاصِّ الْخَاصِّ، وتَقْوَى مِنَ اللَّهِ تَعالَى وهُو تَرْكُ الشُّبُهَاتِ فَضْلًا عَنِ الْحَرَامِ وهُو تَقْوَى الْخَاصِّ، وتَقْوَى مِنْ خَوْفِ النَّارِ والْعِقَابِ وهُو تَرْكُ الْحَرَامِ وهُو تَقْوَى الْعَامِّ، ومَثَلُ التَّقْوَى كَمَاءٍ يَجْرِي فِي نَهرٍ، ومَثَلُ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ الثَّلَاثِ فِي مَعْنَى التَّقْوَى كَأَشْجَارٍ مَغْرُوسَةٍ عَلَى حَافَّةِ ذَلِكَ النَّهَرِ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وجِنْسٍ، وكُلُّ شَجَرَةٍ مِنْهَا تَسْتَمِصُّ الْمَاءَ مِنْ ذَلِكَ النَّهَرِ عَلَى قَدْرِ جَوْهَرِهِ وطَبعِه ولَطَافَتِهِ وكَثَافَتِهِ، ثُمَّ مَنَافِعُ الْخَلْقِ مِنْ ذَلِكَ الْأَشْجَارِ والثِّمَارِ عَلَى قَدْرِهَا وقِيمَتِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعالَى صِنْوانٌ وغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ ونُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ، الآية، فَالتَّقْوَى لِلطَّاعَاتِ كَالْمَاءِ لِلْأَشْجَارِ، ومَثَلُ طَبَائِعِ الْأَشْجَارِ

(١) الذاريات، ٥٦.

والْأَثْمَارِ فِي لَوْنِهَا وطَعْمِهَا مَثَلُ مَقَادِيرِ الْإِيمَانِ، فَمَنْ كَانَ أَعْلَى دَرَجَةً فِي الْإِيمَانِ وأَصْفَى جَوْهَرَةً بِالرُّوحِ كَانَ أَتْقَى، ومَنْ كَانَ أَتْقَى كَانَتْ عِبَادَتُهُ أَخْلَصَ وأَطْهَرَ، ومَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَقْرَبَ، وكُلُّ عِبَادَةٍ مُؤَسَّسَةٍ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى فَهِيَ هَبَاءٌ مَنْثُورٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ ورِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ على شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ والله لا يهدي القوم الظالمين وتَفْسِيرُ التَّقْوَى تَرْكُ مَا لَيْسَ بِأَخْذِهِ بَأْسٌ حَذَرًا مِمَّا بِهِ الْبَأْسُ وهُو فِي الْحَقِيقَةِ طَاعَةٌ بِلَا عِصْيَانٍ وذِكْرٌ بِلَا نِسْيَانٍ وعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ مَقْبُولٌ غَيْرُ مَرْدُود)[١] انتهى.

[بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾]

وهذه المراتب الثلاث من التقوى المذكورة في قوله عليه السلام هي الثلاث المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] والمحسنون هم الذين جمعوا المراتب الثلاث من التقوى وقاموا بما يراد فيها، وللآية وجوه أخرى بحسب التأويل في معنى التقوى.

الأول: أنه ليس على الذين آمنوا بالله ورسوله بألسنتهم وعملوا

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص٣٩.
(٢) المائدة، ٩٣.

الصالحات من الأعمال الظاهرة جناح فيما طعموا من ظاهر نهر الدنيا، إذا ما اتقوا الله في نفوسهم وآمنوا به بقلوبهم وعملوا بما أمرهم من الأعمال الصالحة، ثم اتقوا وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله ، ثم اتقوا وأحسنوا بقبولهم ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الطيبين، والله يحب المحسنين وهم شيعة علي عليهم السلام.

والثاني: أنه ليس على هؤلاء المذكورين جناح في ما طعموا إذا ما اتقوا عن مخالفة أمر الله في ما أمرهم من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، وآمنوا أي صدقوا رسول الله صلى الله عليه وآله حين نصب عليا عليه السلام علما بين الله وبين خلقه، وإماما يقتدى به في أيام حياته كما نصبه يوم الغدير، ثم اتقوا عن مخالفته بعد وفاته صلى الله عليه وآله وآمنوا به عليه السلام ولم ينكروه، ثم اتقوا عن مخالفة أمر الله ورسوله في ما أمروا من ولاية الأئمة المعصومين من ذرية أمير المؤمنين عليه السلام ، وأحسنوا بقبول ولايتهم عليهم السلام واحدًا بعد واحد إلى قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ، والله يحب المحسنين وهم الفرقة المحقة الناجية الإثني عشرية من الشيعة، في المعاني عن الصادق عليه السلام في تفسير المتقين قال عليه السلام : (المتقون شيعتنا)[1] فلا يصدق هذا الاسم أي لفظ المتقي إلّا على شيعتهم في الباطن بل في الظاهر أيضًاعندنا.

والثالث: أن المراد بالتقوى الثلاث، تقوى الله سبحانه، وتقوى الناس، وتقوى النفس.

أما تقوى الله فأن تعرفه بما وصف به نفسه لك بك وتصفه كما وصفه عباده المخلصون، وتنزهه عن غير وصفهم قال تعالى:

---

(١) تفسير العياشي، ج١ ص٣٣.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(١) ثم تنزه ذاته المقدسة عن وصفك ووصفهم قال سبحانه: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٢)، وأن توحده في مراتب الأربع من التوحيد المشتملة عليها كلمة الإخلاص الجامعة لجميع مراتب التوحيد، وهي توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة، وأن لا تعتمد على شيء سوى الله عز وجل، وأن لا تخاف معه شيئًا، وأن لا ترى لما سواه شيئية إلّا به تعالى، وأن تطيعه فيما أمرك ونهاك، وأن تصدقه بما بشرك من الثواب أو أنذرك من العقاب.

وتقوى الناس أن تكون عارفًا بأهل زمانك مقبلًا على شأنك مشتغلًا بعبادة ربك، فلا تطع أحدا من الخلق في معصية الخالق، ولا ترضهم بما فيه سخط ربك، ولا توافقهم في شهواتهم، ولا تسير معهم في أرض عاداتهم، ولا تتبع أهواءهم، ولا تجالس أهل الغفلة منهم، واتق إظهار أسرار الله وأسرار أوليائه عليهم السلام فاكتمها عن غير أهلها، واتق سر العلوم الحقيقية والمعارف الربانية عن أهلها المستحقين لها فانشرها في أهلها، واجعل نفسك ميزانا بينك وبين غيرك، فلا ترض لغيرك ما لا ترضى لنفسك، ولا تقل فيه ما لا تحب أن يقال فيك، وفرّ من شرار الناس كفرارك من الأسد وكن من خيارهم على حذر.

وأما تقوى النفس فأن تخافها كما تخاف من أعدى عدوك، فلا تتركها وهواها فتوردك موارد الهلكة، وجاهدها في الله حق الجهاد.

---

(١) الصافات، ١٥٩ ـ ١٦٠.
(٢) الصافات، ١٨٠.

واعلم أنك إذا جمعت المراتب الثلاث من التقوى فأنت من المحسنين الذين قال الله عز وجل في شأنهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١)، ومن أهل التقوى الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٢)، أي يجعل له مخرجًا من ظلمة الجهل إلى نور العلم ومن ظلمة الشك إلى نور اليقين، ومن ظلمة الإنكار إلى ضياء المعرفة، ومن ذل المعصية إلى عز الطاعة، ومن ضيق الفقر والفاقة إلى سعة الغنى والمعيشة، ويرزقه ما يقوم به جسده من حلال الرزق، وما يقوم به روحه من طعام العلم من حيث لا يحتسب، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٣).

والحاصل مراتب التقوى متفاوتة مختلفة كمراتب أهلها، والناس يتفاضلون فيها على حسب مراتبهم وقدر جوهر أرواحهم وصفاء طينتهم، حتى تنتهي بهم المراتب إلى ما لا نهاية له في الإمكان وهو تقوى محمد ﷺ وآله ﵈، فهم المتقون حقيقة ثم الأنبياء والمرسلون على اختلاف مراتبهم، ثم الأمثل فالأمثل، وقيمة كل امرئ ما يحسنه.

[صفات المتقين]

وأنت إذا أردت أن تعرف المتقين فاعرفهم بسيماهم وصفاتهم وسيرتهم، فانظر فيما رواه بعض الرواة من كلام أمير المؤمنين ﵇ كما هو مذكور في نهج البلاغة قال: رُوِيَ أَنَّ صَاحِبًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﵇ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِدًا فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) العنكبوت، ٦٩.

(٢) الطلاق، ٢ ـ ٣.

(٣) الطلاق، ٣.

صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَتَثَاقَلَ عليه السلام عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ: (يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِذلك الْقَوْلِ حَتَّى عزَمَ عليه السلام فَحمِدَ اللَّهَ وأَثْنى عَلَيْهِ وصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ثُمَّ قَالَ عليه السلام أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حيث [حِينَ] خلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ ولَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ ووَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ومَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ ومَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ووَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ ولَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ وخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ والْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ويَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وأبصارهم واقشعرت منها جلودهم ووجبت منها قوتهم وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِمْ ورُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ

إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وأَمَّا النَّهار فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى ومَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ويَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا ولَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ ولَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ومِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ورَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ واجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ واغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وحَزْمًا فِي لِينٍ وإِيمَانًا فِي يَقِينٍ وحِرْصًا فِي عِلْمٍ وعِلْمًا فِي حِلْمٍ وقَصْدًا فِي غِنًى وخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وتَحَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وطَلَبًا فِي حَلَالٍ ونَشَاطًا فِي هُدًى وتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وهُو عَلَى وَجَلٍ يُمْسِي وهَمُّهُ الشُّكْرُ ويُصْبِحُ وهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِرًا ويُصْبِحُ فَرِحًا حَذِرًا لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ والرَّحْمَةِ إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ والْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلَله خَاشِعًا قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُورًا أَكْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيزًا دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا غَيْظُهُ الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ فِي الْغَافِلِينَ يَعْفُوعَمَّنْ ظَلَمَهُ ويُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ويَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِيدًا فُحْشُهُ لَيِّنًا قَوْلُهُ غَائِبًا مُنْكَرُهُ حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ مُقْبِلًا خَيْرُهُ مُدْبِرًا شَرُّهُ فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ وفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ولَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ ولَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ ولَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ ولَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ولَا

يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ولَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ولَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ وإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوالَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ ونَزَاهَةٌ ودُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ ورَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وعَظَمَةٍ ولَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وخَدِيعَةٍ.

قَالَ: فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ أَمَا واللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ أنت يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَقَالَ ﷺ: وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِك)[1] انتهى.

---

(١) نهج البلاغة، ج٢ ص١٦٥.

[تفسير قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾]

[تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾]

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

قال الإمام عليه السلام: (ثُمَّ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ هَذَا الْكِتَابُ هُدًى لَهُمْ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يَعْنِي بِمَا غَابَ عَنْ حَوَاسِّهِمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَلْزَمُهُمُ الْإِيمَانُ بِهَا، كَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَائِرِ مَا لَا يُعْرَفُ بِالْمُشَاهَدَةِ.

وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِدَلَائِلَ قَدْ نَصَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا كَآدَمَ، وَحَوَّاءَ، وَإِدْرِيسَ، وَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَلْزَمُهُمُ الْإِيمَانُ بِهِمْ بِحُجَجِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ لَمْ يُشَاهِدُوهُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُون.

وذَلِكَ أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ رحمة الله عليه مَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيْهِمْ، ويُحَدِّثَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله [فِي يَوْمِهِ هَذَا]، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ لِحِرْصِهِ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، فَقَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: يَا عِبَادِي أَولَيْسَ مَنْ لَهُ إِلَيْكُمْ حَوائِجُ كِبَارٌ لَا تَجُودُونَ بِهَا إِلَّا أَنْ يَتَحَمَّلَ عَلَيْكُمْ بِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ تَقْضُونَهَا كَرَامَةً لِشَفِيعِهِمْ، أَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَيَّ وأَفْضَلَهُمْ لَدَيَّ مُحَمَّدٌ وأَخُوهُ عَلِيٌّ، ومَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ هُمُ الْوَسَائِلُ إِلَيَّ.

أَلَا فَلْيَدْعُنِي مَنْ هَمَّته حَاجَة يُرِيدُ نَفْعَهَا، أَو دَهَتْهُ دَاهِيَةٌ يُرِيدُ كَشف

ضَرَرِهَا بِمُحَمَّدٍ وآلِهِ الأَفْضَلِينَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، أَقْضِهَا لَهُ أَحْسَنَ مِمَّا يَقْضِيهَا مَنْ تَسْتَشْفِعُونَ [إِلَيْهِ] بِأَعَزِّ الْخَلْقِ عَلَيْهِ.

فقَالُوا لِسَلْمَانَ وهُمْ يَسْخَرُونَ وَيَسْتَهْزِءُونَ بِهِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَمَا بَالُكَ لَا تَقْتَرِحُ عَلَى اللَّهِ، وتَتَوَسَّلُ بِهِمْ أَنْ يَجْعَلَكَ أَغْنَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

فَقَالَ سَلْمَانُ: قَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ بِهِمْ، وسَأَلْتُهُ مَا هُو أَجَلُّ وأَفْضَلُ وأَنْفَعُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا بحذافيرها [بِأَسْرِهَا] سَأَلْتُهُ بِهِمْ صلى الله عليهم أَنْ يَهَبَ لِي لِسَانًا بتوحيده ولِتَحْمِيدِهِ وتمجيده وثَنَائِهِ ذَاكِرًا، وقَلْبًا لِآلَائِهِ شَاكِرًا، وعَلَى الدَّوَاهِي الدَّاهِيَةِ لِي صَابِرًا، وهُو عَزَّ وجَلَّ قَدْ أَجَابَنِي إِلَى مُلْتَمَسِي مِنْ ذَلِكَ، وهُو أَفْضَلُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا، ومَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرَاتِهَا مِائَةَ أَلْفِ أَلْفِ مَرَّةٍ.

قَالَ عليه السلام: فَجعَلُوا يَهْزَءُونَ بِهِ ويَقُولُونَ: يَا سَلْمَانُ لَقَدِ ادَّعَيْتَ مَرْتَبَةً عَظِيمَةً [شَرِيفَةً] نَحْتَاجُ أَنْ نَمْتَحِنَ صِدْقَكَ مِنْ كَذِبِكَ فِيهَا، وهَا نَحْنُ إذا قَائِمُونَ إِلَيْكَ بِسِيَاطنا فَضَارِبُوكَ بِهَا، فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَكُفَّ أَيْدِيَنَا عَنْكَ.

فَجعَلَ سَلْمَانُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا، وجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ بِسِيَاطِهِمْ حَتَّى أَعْيَوْا ومَلُّوا، وجَعَلَ سَلْمَانُ لَا يَزِيدُ عَلَى قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا.

فَلَمَّا مَلُّوا وأَعْيَوْا، قَالُوا لَهُ: يَا سَلْمَانُ مَا ظَنَنَّا أَنَّ رُوحًا تَثْبُتُ فِي مَقَرِّهَا مَعَ شدة [مِثْلِ] هَذَا الْعَذَابِ الْوَارِدِ عَلَيْكَ، فَمَا بَالُكَ لَا تَسْأَلُ رَبَّكَ أَنْ يَكُفَّنَا عَنْكَ.

فَقَالَ: لِأَنَّ سُؤَالِي ذَلِكَ رَبِّي خِلَافُ الصَّبْرِ، بَلْ سَلَّمْتُ لِإِمْهَالِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ، وسَأَلْتُهُ الصَّبْرَ.

فَلَمَّا اسْتَرَاحُوا قَامُوا إِلَيْهِ بَعْدُ بِسِيَاطِهِمْ، فَقَالُوا: لَا نَزَالُ نَضْرِبُكَ بِسِيَاطِنَا حَتَّى تَزْهَقَ رُوحُكَ أَو تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ.

فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وإِنَّ احْتِمَالِي لِمَكَارِهِكُمْ لِأَدْخُلَ فِي جُمْلَةِ مَنْ مَدَحَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيَّ يَسِيرٌ.

فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ بِسِيَاطِهِمْ حَتَّى مَلُّوا، ثُمَّ قَعَدُوا، وقَالُوا: يَا سَلْمَانُ لَوكَانَ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ قَدْرٌ لِإِيمَانِكَ بِمُحَمَّدٍ لَاسْتَجَابَ دُعَاءَكَ وكَفَّنَا عَنْكَ.

فَقَالَ سَلْمَانُ: مَا أَجْهَلَكُمْ كَيْفَ يَكُونُ مُسْتَجِيبًا دُعَائِي إِذَا فَعَلَ بِي خِلَافَ مَا أُرِيدُ مِنْهُ، أَنَا أَرَدْتُ مِنْهُ الصَّبْرَ فَقَدِ أعطاني واسْتَجَابَ لِي وصَبَّرَنِي، ولَمْ أَسْأَلْهُ كَفَّكُمْ عَنِّي فَيَمْنَعَنِي حَتَّى يَكُونَ ضِدَّ دُعَائِي كَمَا تَظُنُّونَ.

فَقَامُوا إِلَيْهِ ثَالِثَةً بِسِيَاطِهِمْ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وسَلْمَانُ لَا يَزِيدُ عَلَى قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ صَبِّرْنِي عَلَى الْبَلَاءِ فِي حُبِّ صَفِيِّكَ وخَلِيلِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله .

فَقَالُوا لَهُ: يَا سَلْمَانُ وَيْحَكَ أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ قَدْ رَخَّصَ لَكَ أَنْ تَقُولَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ بِهِ بِمَا تَعْتَقِدُ ضِدَّهُ لِلتَّقِيَّةِ مِنْ أَعْدَائِكَ فَمَا بَالُكَ لَا تَقُولُ مَا نقترح عليك لِلتَّقِيَّةِ.

فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَخَّصَ لِي فِي ذَلِكَ ولَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيَّ، بَلْ أَجَازَ لِي أَنْ لَا أُعْطِيَكُمْ مَا تُرِيدُونَ، وأَحْتَمِلَ مَكَارِهَكُمْ وأَجْعَلَهُ أَفْضَلَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وأَنَا لَا أَخْتَارُ غَيْرَهُ.

ثُمَّ قَامُوا إِلَيْهِ بِسِيَاطِهِمْ، وضَرَبُوهُ ضَرْبًا كَثِيرًا، وسَيَّلُوا دِمَاءَهُ، وقَالُوا لَهُ وهُمْ سَاخِرُونَ: لَا تَسْأَلُ اللَّهَ كَفَّنَا عَنْكَ، ولَا تُظْهِرُ لَنَا مَا

نُرِيدُ مِنْكَ لِنَكُفَّ بِهِ عَنْكَ، فَادْعُ عَلَيْنَا بِالْهَلَاكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرُدُّ دُعَاءَكَ بِمُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَدْعُوَاللَّهَ بِهَلَاكِكُمْ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيُؤْمِنُ بَعْدُ، فَأَكُونَ قَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى اقْتِطَاعَهُ عَنِ الْإِيمَانِ.

فَقَالُوا: قُلْ: اللَّهُمَّ أَهْلِكْ مَنْ كَانَ فِي مَعْلُومِكَ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الْمَوْتِ عَلَى تَمَرُّدِهِ، فَإِنَّكَ لَا تُصَادِفُ بِهَذَا الدُّعَاءِ مَا خِفْتَهُ.

قَالَ: فَانْفَرَجَ لَهُ حَائِطُ الْبَيْتِ الَّذِي هُو فِيهِ مَعَ الْقَوْمِ، وشَاهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهُوَيَقُولُ: يَا سَلْمَانُ ادْعُ عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ، فَلَيْسَ منهمْ أَحَدٌ يُرْشَدُ، كَمَا دَعَا نُوحٌ ﵇ عَلَى قَوْمِهِ لَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.

فَقَالَ سَلْمَانُ: كَيْفَ تُرِيدُونَ أَنْ أَدْعُوعَلَيْكُمْ بِالْهَلَاكِ.

فَقَالُوا: تَدْعُواللَّهَ بِأَنْ يَقْلِبَ سَوْطَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَفْعًى تَعْطِفُ رَأْسَهَا، ثُمَّ تُمَشِّشُ عِظَامَ سَائِرِ بَدَنِهِ.

فَدَعَا اللَّهَ بِذَلِكَ، فَمَا مِنْ سِيَاطِهِمْ سَوْطٌ إِلَّا قَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَفْعًى لَهَا رَأْسَانِ تَتَنَاوَلُ بِرَأْسٍ مِنْهَا رَأْسَهُ، وبِرَأْسٍ آخَرَ يَمِينَهُ الَّتِي كَانَ فِيهَا سَوْطُهُ، ثُمَّ رَضَّضَتْهُمْ ومَشَّشَتْهُمْ وبَلَعَتْهُمْ والْتَقَمَتْهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهُو فِي مَجْلِسِهِ: مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَصَرَ أَخَاكُمْ سَلْمَانَ سَاعَتَكُمْ هَذِهِ عَلَى عِشْرِينَ مِنْ مَرَدَةِ الْيَهُودِ والْمُنَافِقِينَ، وقَلَّبَ سِيَاطُهُمْ أَفَاعِيَ رَضَّضَتْهُمْ ومَشَّشَتْهُمْ، وهَشَّمَتْ عِظَامَهُمْ والْتَقَمَتْهُمْ، فَقُومُوا بِنَا نَنْظُرْ إِلَى تِلْكَ الْأَفَاعِي الْمَبْعُوثَةِ لِنُصْرَةِ سَلْمَانَ.

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأَصْحَابُهُ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ، وقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهَا جِيرَانُهَا مِنَ الْيَهُودِ والْمُنَافِقِينَ لَمَّا سَمِعُوا ضَجِيجَ الْقَوْمِ بِالْتِقَامِ الْأَفَاعِي لَهُمْ، وإِذَا هُمْ خَائِفُونَ مِنْهَا نَافِرُونَ مِنْ قُرْبِهَا.

فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَرَجَتْ كُلُّهَا إليه من الْبَيْتِ إِلَى شَارِعِ الْمَدِينَةِ، وكَانَ شَارِعًا ضَيِّقًا، فَوَسَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وجَعَلَهُ عَشَرَةَ أَضْعَافِهِ.

ثُمَّ نَادَتِ الْأَفَاعِي: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلِيُّ يَا سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَى ذُرِّيَّتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ جُعِلُوا عَلَى الْخَلَائِقِ قَوَّامِينَ، هَا نَحْنُ سِيَاطُ هَؤُلَاءِ اليهود والْمُنَافِقِينَ قَلَبَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَفَاعِيَ بِدُعَاءِ هَذَا الْمُؤْمِنِ سَلْمَانَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يُضَاهِي بِدُعَائِهِ عِنْدَ كَفِّهِ، وعِنْدَ انْبِسَاطِهِ نُوحًا نَبِيَّهُ عليه السلام.

ثُمَّ نَادَتِ الْأَفَاعِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِ اشْتَدَّ غَضَبُنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ، وأَحْكَامُكَ وأَحْكَامُ وَصِيِّكَ عَلَيْنَا جَائِزَةٌ فِي مَمَالِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَفَاعِي جَهَنَّمَ الَّتِي نَكُونُ فِيهَا لِهَؤُلَاءِ مُعَذِّبِينَ كَمَا كُنَّا لَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُلْتَقِمِينَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ أَجَبْتُكُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَالْحَقُوا بِالطَّبَقِ الْأَسْفَلِ مِنْ جَهَنَّمَ بَعْدَ أَنْ تَقْذِفُوا مَا فِي أَجْوَافِكُمْ مِنْ أَجْزَاءِ أَجْسَامِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ لِيَكُونَ أَتَمَّ لِخِزْيِهِمْ، وأَبْقَى لِلْعَارِ عَلَيْهِمْ إِذَا كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مَدْفُونِينَ، يَعْتَبِرُ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمَارُّونَ بِقُبُورِهِمْ يَقُولُونَ:

هَؤُلَاءِ الْمَلْعُونُونَ الْمَخْزِيُّونَ بِدُعَاءِ وَلِيِّ مُحَمَّدٍ: سَلْمَانَ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَذَفَتِ الْأَفَاعِي مَا فِي بُطُونِهَا مِنْ أَجْزَاءِ أَبْدَانِهِمْ، فَجَاءَ أَهْلُوهُمْ فَدَفَنُوهُمْ، وأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنَ الْكَافِرِينَ، وأَخْلَصَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وغَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا: هذا سِحْرٌ مُبِينٌ.

ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَلْمَانَ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْتَ مِنْ خَوَاصِّ إِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ، ومِنْ أَحْبَابِ قُلُوبِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ، إِنَّكَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ والْحُجُبِ والْكُرْسِيِّ والْعَرْشِ ومَا دُونَ ذَلِكَ إِلَى الثَّرَى، أَشْهَرُ فِي فَضْلِكَ عِنْدَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ الطَّالِعَةِ فِي يَوْمٍ لَا غَيْمَ فِيهِ ولَا قَتَرٌ، ولَا غُبَارٌ فِي الْجَوِّ، أَنْتَ مِنْ أَفَاضِلِ الْمَمْدُوحِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[1] انتهى ما في تفسير الإمام عليه السلام.

أقول: قوله عليه السلام (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ يعني بما غاب عن حواسهم من الأمور التي تلزمهم الإيمان بها) تفسير للغيب الذي هو متعلق الإيمان وهو كل ما غاب عن الحواس من الأمور التي يجب الإيمان بها، سواء كانت مما من شأنها أن تشاهد وتدرك بالحواس، كوجود الأنبياء مثل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، وكالمعجزات التي أظهرها الله سبحانه على أيديهم تصديقا لدعواهم، وغيرها من الأمور الماضية التي وجب على المكلف الإيمان بها وإن لم يشاهدها في وقته لتأخر زمانه عنها،

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٨٠.

وكالأمور المستقبلة مثل سكرة الموت وحسرة الفوت وضغطة القبر وسؤال رومان فتان القبور ورؤية النكيرين وأحوال البرزخ ودخول المؤمنين في جنان الدنيا والكافرين في نيرانها والمكث فيهما إلى أن ينفخ في الصور ويبعث من في القبور، ومثل قيام القائم عليه السلام، والرجعة، وحشر الخلائق للحساب، ورجوعهم إلى من إليه الإياب، وتطاير الكتب، ونصب الموازين ونشر الدواوين، والمرور على الصراط، والجنة وما وعد الله فيها من النعيم، والنار وما أوعد الله فيها من العذاب الأليم، وتنعم أهل الجنة فيها أبدًا، وتألم أهل النار فيها سرمدًا، وغير ذلك من الأمور التي من شأنها أن تشاهد ولكن لم يشاهدها المكلف بعد، ويجب عليه الإيمان به.

أو لم يكن من شأنها أن تشاهد وتدرك بالحواس ويجب على كل مكلف أن يؤمن به، كوجود الصانع عز وجل وتوحيده في المراتب الأربع، هذا بالنسبة على ذاته المقدسة، وأما بالنسبة إلى آياته وعلامات قدرته وأدلة توحيده وآثار فعله فإنه سبحانه على كل شيء شهيد، يراه ويشاهده كل من كان له قلب حتى قال مولانا سيد الشهداء: (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك)[1] الدعاء.

فالغيب الذي من شأنها أن يشاهد، غيب باعتبار ومشاهد باعتبار آخر، وأما الغيب المطلق الذي هو غيب الغيوب فهو ذات الله سبحانه الذي لا تحيط به أوهام القلوب فضلًا أن تدركه أبصار العيون، وربما يفسر الغيب بما لم يكن والشهادة بما قد كان، ففي المعاني عن بعض

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٤ ص١٤٤.

أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَ عالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ فَقَالَ عليه السلام : (الْغَيْبُ مَا لَمْ يَكُنْ والشَّهَادَةُ مَا قَدْ كَانَ)(١).

فإذا خصصنا الغيب بما لم يكن فمعنى قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يؤمنون بما غاب عن حواسهم من الأمور الآتية التي يجب عليهم الإيمان بها من الأمور التي أشرنا إليها سوى أحوال الماضين من الأنبياء والمرسلين ومعجزاتهم وكتبهم وشرائعهم، وحينئذ يفهم وجوب الإيمان بهم وبما جاءوا به من ربهم من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وعلى التقديرين فالمؤمنون بالغيب على ما ذكرنا من أنه متعلق الإيمان هم الذين آمنوا بالله وبملائكته ورسله وكتبه، وبسائر الأمور التي يجب عليهم الإيمان بها، ومقابل هؤلاء الكفار الذين كفروا بجميع ما آمن به هؤلاء المؤمنون كفر جحود وإنكار.

ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إنهم يؤمنون بقلوبهم ولا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، كالمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم وظاهرهم وكفروا بباطنهم كفر نفاق، فقوله تعالى بعد: (إن الذين كفروا... الخ) مقابل لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ على التفسير الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾(٢) مقابل لقوله تعالى ذلك على التفسير الثاني.

وفي كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى ما ذكرنا حيث قال في آخر كلامه

---

(١) معاني الأخبار، ص٢٤٠.

(٢) البقرة، ٨.

في تفسير الإيمان بالغيب: (ويؤمنون بالغيب وهم من الساعه مشفقون) فتدبروا.

[الإشارة إلى منزلة سلمان الفارسي]

وقوله عليه السلام: (وذلك أن سلمان الفارسي رحمة الله عليه مر بقوم من اليهود).. وإلى آخر كلامه.

حاكيًا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله لسلمان رحمة الله عليه: (وأنت عند الملائكة المقربين من أفضل الممدوحين بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، إشارة إلى تفاوت مراتب الإيمان وتفاضل درجات المؤمنين على حسب إيمانهم، وإلى أن الإيمان يزيد وينقص، وأن سلمان رضى الله عنه من أفضل أهل الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين وبالأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وأنه رحمة الله عليه ما وصل إلى الدرجة العليا من الإيمان إلّا بولاية محمد صلى الله عليه وآله وشدة حبه لعلي أمير المؤمنين وأولاده الطيبين، وبالتثبت في الدين والتصبر على البلاء وتحمل الأذى من المخالفين والمنافقين، وبتركه الدنيا للدين حتى وصل إلى رتبة اليقين وصار من أفاضل المؤمنين الممتحنين ومن أهل أسرار الله وأسرار رسوله والأئمة الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنه: (الحمد الله الذي جعل من أمتي من يضاهي بدعائه عند كفه وعند انبساطه نوحًا نبيه عليه السلام)، بل قالوا عليهم السلام: (سلمان منا أهل البيت)[1] وليس شرف أعلى من هذا.

---

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ج١ ص١٠٠.

[تحقيق لطيف حول الفرق بين الإسلام والإيمان وبيان وجه كل منهما والجمع بين الروايات الواردة]

اعلم أن الله سبحانه علم خلقه بعلمه الإمكاني السابق على وجودهم أنهم فريقان كما خلقهم كذلك، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾(١)، فأشار سبحانه في أول كتابه الحكيم إلى ذكر الفريقين فمدح فريقًا منهم بصفة الإيمان الذي يوجب دخول الجنة التي هي دار رحمته ورضاه، وذم فريقًا آخر منهم بصفة الكفر الذي يوجب دخول النار التي هي دار غضبه وسخطه، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾(٢)، وقال: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾(٣) إلّا أن الكفر على قسمين، كفر جحود وإنكار، وكفر نفاق، فالمقام يقتضي ذكر الإيمان وبيان حقيقته الكاشفة عن أصوله، وذكر الكفر وبيان حقيقته الكاشفة عن أصوله، وذكر الإسلام بالمعنى الأعم الذي هو البرزخ والواسطة بين الكفر الإيمان الذي يعبر عنه بدار الأمان ظاهرا، وذلك لأن الإيمان دار، وهي دار النجاة والسلام

(١) التغابن، ٢.
(٢) الأعراف، ٣٠.
(٣) الشورى، ٧.

في الدنيا والآخرة، والكفر دار، وهي دار البوار والهلاك فيهما، والإسلام دار، وهي دار الإيمان في الدنيا خاصة، لأن الإسلام ما تحقن به الدماء وتستحل به الفروج وتؤدى به الأمانة وتؤخذ به المواريث وتحصل به الطهارة وغير ذلك من الأحكام التي تجري لمن دخل في دار الإسلام التي من دخلها كان آمنا في الدنيا من بعض المضار والمكاره، وأما دار الأمان الحقيقي التي من دخلها كان آمنا في الدنيا والآخرة فهي دار الإيمان، ونحن نذكر في هذا المقام بعض الأخبار الواردة في معنى الإسلام والإيمان، ثم نبين لك حقيقة الإيمان الكاشفة عن أصوله، ونشير إلى بعض مراتبه ودرجاته لتكون على بصيرة من أمرك وعلى هدى من ربك، وتعرف المؤمنين وتسلك سبيل المفلحين.

ففي الكافي في باب أن الصبغة هي الإسلام بإسناده عن عَبْدِاللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ قَالَ: (الْإِسْلَامُ)(١)، وقَالَ: فِي قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قَالَ: (هِيَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)(٢).

وفيه عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ قَالَ: (الصِّبْغَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ)، وقَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قَالَ: (هِيَ الْإِيمَانُ)(٣).

---

(١) الكافي، ج٢ ص١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

أقول: قوله عليه السلام الصبغة هي الإسلام، إشارة إلى الصبغة الظاهرة في الظاهر، أي صبغة ظاهر الوجود في الخلق الثاني وهو خلق التكليف، وذلك لأن الناس قبل التكليف كانوا أمة واحدة كالثوب الأبيض القابل للصبغ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين فمن قبل دعوتهم عليهم السلام وأقر بلسانه بالتوحيد والنبوة صبغ الله عز وجل لسانه في رحمته الظاهرة بإقراره الظاهر، فلما أقر بأركانه بالأعمال الظاهرة المأمورة صبغ الله تعالى ظاهره فيها بذلك، فدخل في دار الأمان وجرى له وعليه أحكام ظاهر الإسلام، وبقي قلبه خاليا عن الصبغة الباطنة مستعدا لقبولها بالاختيار أو إنكارها بلا إجبار، فإن سبقت له العناية من الله ووفقه لقبولها باطنًا كما وفقه لها ظاهرًا فقبل صبغ الله عز وجل قلبه وباطنه في رحمته الباطنة الخاصة المكتوبة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ﴾[٣] وقال الصادق عليه السلام: (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته، فالمؤمن أخ المؤمن من أبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)[٤] وقال النبي صلى الله عليه وآله: (أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة)[٥].

---

(١) الأعراف، ١٥٩.

(٢) المجادلة، ٢٢.

(٣) الحجرات، ١٤.

(٤) المحاسن، ج١ ص١٩١.

(٥) بحار الأنوار، ج١٠٩ ص١٧.

فقوله عليه السلام: (الصبغة هي الإسلام) يريد بالصبغة هنا الصبغة الظاهرة، ويريد بقوله في بيان خلق المؤمنين: (وصبغهم في رحمته) الصبغة الباطنة، وكلتاهما صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

وقوله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (إنها هي الإيمان) إشارة إلى الصبغة الباطنة وهي الولاية وهي العروة الوثقى وهي الإيمان بالله العلي العظيم، والإقرار بالنبي الرؤوف الرحيم، وقد ظهر مما ذكرنا أن الإسلام غير الإيمان، وقد دلّت عليه صريح قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ الآية.

ففي الكافي بإسناده عن جميل بن دراج قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فَقَالَ لِي: (أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِيمَانَ غَيْرُ الْإِسْلَامِ)[١].

وفيه عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ آمَنُوا فَقَدْ كَذَبَ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ لَمْ يُسْلِمُوا فَقَدْ كَذَبَ)[٢].

قوله عليه السلام: (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ لَمْ يُسْلِمُوا فَقَدْ كَذَبَ) صريح في أن الإسلام يتحقق بمجرد الإقرار باللسان وعمل الأركان في الجملة، بل يتحقق بالإقرار بدون العمل، كما في الكافي عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: (الْإِيمَانُ إِقْرَارٌ وعَمَلٌ والْإِسْلَامُ إِقْرَارٌ بِلَا عَمَلٍ)[٣].

---

(١) الكافي، ج٢ ص٢٤.
(٢) الكافي، ج٢ ص٢٥.
(٣) الكافي، ج٢ ص٢٤.

ولا تستبعد هذا، وانظر إلى سيرة أهل الإسلام فإن من دخل في دينهم بمجرد إظهاره الشهادتين حكموا بطهارته، وأجروا له وعليه أحكام الإسلام، حتى لو أنكر ما أقر به وأظهر من الشهادة حكموا بارتداده، لا بأن إنكاره بعد إقراره كاشف عن عدم إسلامه، فأول ما يدخل الرجل في دار الإسلام إذا أقر بلسانه وأظهر الشهادتين، ثم إذا ضمّ بإقراره ما يجب عليه من العمل، استقر إسلامه وإلا فلا.

ولهذا فسّر الإسلام بالشهادتين مقرونتين ببعض الأعمال الواجبة، كما في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام حين سأله رجل عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما فقال عليه السلام: (الْإِسْلَامُ هُو الظَّاهِرُ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ وإِقَامُ الصَّلَاةِ وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وحِجُّ الْبَيْتِ وصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَهَذَا الْإِسْلَامُ وقَالَ الْإِيمَانُ مَعْرِفَةُ هَذَا الْأَمْرِ مَعَ هَذَا فَإِنْ أَقَرَّ بِهَا ولَمْ يَعْرِفْ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مُسْلِمًا وكَانَ ضَالًّا)(١).

قوله عليه السلام: (وَلَمْ يَعْرِفْ هَذَا الْأَمْرَ) يعني جهله بالولاية لا إنكاره لها عن معرفة وإلا لم يكن مسلمًا أيضًا بالمعنى الأخص فافهم.

وفيه عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ والْإِيمَانِ أَهُمَا مُخْتَلِفَانِ؟ فَقَالَ: (إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ والْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فَقُلْتُ فَصِفْهُمَا لِي فَقَالَ الْإِسْلَامُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ والتَّصْدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ وعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاكِحُ والْمَوَارِيثُ وعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ والْإِيمَانُ الْهُدَى ومَا يَثْبُتُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ والْإِيمَانُ

---

(١) الكافي، ج٢ص ٢٤.

أَرْفَعُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ والْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فِي الْبَاطِنِ وإِنِ اجْتَمَعَا فِي الْقَوْلِ والصِّفَةِ)(١).

قوله عليه السلام: (وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ) يعني على ظاهر الإسلام جماعة الناس من العامة فإنهم على ظاهر الإسلام، لأن باطنه مشروط بالولاية، وليس من أهل الولاية.

فعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصَّوْمِ والْحَجِّ والْوَلَايَةِ ولَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ مَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ يَوْمَ الْغَدِيرِ)(٢).

وقوله عليه السلام: (والْإِيمَانُ الْهُدَى) أي المعرفة والبصيرة والإهتداء إلى الولاية، وقوله: (وَمَا يَثْبُتُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ) أي ما يكتب في القلوب من النور الحاصل من الأعمال الصالحة التي هي صفة الإسلام، وقوله عليه السلام: (وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ) يجوز أن يكون عطفًا تفسيريًا على قوله (صِفَةِ الْإِسْلَامِ)، ويجوز أن يكون عطفًا على قوله (الْهُدَى) أي الإيمان هو ما ظهر من العمل بناء على كون العمل جزء من حقيقة الإيمان، أو شرطا لتحققه كما هو الحق في المسألة.

وقوله عليه السلام: (إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ) أي في الإقرار باللسان، والعمل بالأركان والأحكام الظاهرة في الدنيا.

وقوله: (وَالْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فِي الْبَاطِنِ) أي في التصديق بالجنان والنور المكتوب في القلوب والثواب في الآخرة.

---

(١) الكافي، ج٢ ص٢٥.
(٢) الكافي، ج٢ ص٢١.

ففي الكافي بإسناده عَنِ الْقَاسِمِ [الصَّيْرَفِيِّ] شَرِيكِ الْمُفَضَّلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: (الْإِسْلَامُ يُحْقَنُ بِهِ الدَّمُ وتُؤَدَّى بِهِ الْأَمَانَةُ وتُسْتَحَلُّ بِهِ الْفُرُوجُ والثَّوَابُ عَلَى الْإِيمَانِ)(١).

وقوله عليه السلام في الحديث السابق: (وَإِنِ اجْتَمَعَا فِي الْقَوْلِ وَالصِّفَةِ) أي في القول والعمل.

وفي الكافي بإسناده عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ: كَتَبْتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ فَكَتَبَ إِلَيَّ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ: (سَأَلْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ والْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وعَقْدٌ فِي الْقَلْبِ وعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ والْإِيمَانُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ وهُوَ دَارٌ وكَذَلِكَ الْإِسْلَامُ دَارٌ والْكُفْرُ دَارٌ فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْلِماً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً ولَا يَكُونُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ مُسْلِماً فَالْإِسْلَامُ قَبْلَ الْإِيمَانِ وهُوَ يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فَإِذَا أَتَى الْعَبْدُ كَبِيرَةً مِنْ كَبَائِرِ الْمَعَاصِي أَو صَغِيرَةً مِنْ صَغَائِرِ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَنْهَا كَانَ خَارِجاً مِنَ الْإِيمَانِ سَاقِطاً عَنْهُ اسْمُ الْإِيمَانِ وثَابِتاً عَلَيْهِ اسْمُ الْإِسْلَامِ فَإِنْ تَابَ واسْتَغْفَرَ عَادَ إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ ولَا يُخْرِجُهُ إِلَى الْكُفْرِ إِلَّا الْجُحُودُ والِاسْتِحْلَالُ أَنْ يَقُولَ لِلْحَلَالِ هَذَا حَرَامٌ ولِلْحَرَامِ هَذَا حَلَالٌ ودَانَ بِذَلِكَ فَعِنْدَهَا يَكُونُ خَارِجاً مِنَ الْإِسْلَامِ والْإِيمَانِ دَاخِلاً فِي الْكُفْرِ وكَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ ثُمَّ دَخَلَ الْكَعْبَةَ وأَحْدَثَ فِي الْكَعْبَةِ حَدَثاً فَأُخْرِجَ عَنِ الْكَعْبَةِ وعَنِ الْحَرَمِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ وصَارَ إِلَى النَّارِ)(٢).

---

(١) الكافي، ج٢ص ٢٤.

(٢) الكافي، ج٢ ص٢٧.

أقول: الإيمان لغة التصديق، وكذلك في الشرع، إلّا أنه مخصوص بالتصديق بالله وبالرسول صلى الله عليه وآله وبجميع ما جاء به صلى الله عليه وآله مما علم مجيؤه به ضرورة، وهل الأعمال الصالحة جزء منه أم لا؟

قالت المعتزلة إنها جزء منه، فهو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

والأخبار دالة عليه كالحديث المذكور وغيره من الأحاديث، كالذي رواه في الكافي في حسنة حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (الْإِيمَانُ مَا اسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وأَفْضَى بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وصَدَّقَهُ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ والتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ)[1] الحديث.

وكما رواه فيه بإسناده عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: فَأَيْنَ فَرَائِضُ اللَّهِ)[2].

قَالَ وسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَقُولُ: (لَو كَانَ الْإِيمَانُ كَلَامًا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ صَوْمٌ ولَا صَلَاةٌ ولَا حَلَالٌ ولَا حَرَامٌ)[3].

قَالَ: وقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا يَقُولُونَ إِذَا شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَهُو مُؤْمِنٌ.

قَالَ: (فَلِمَ يُضْرَبُونَ الْحُدُودَ ولِمَ تُقْطَعُ أَيْدِيهِمْ ومَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ خُدَّامُ

---

(١) الكافي، ج٢ ص٢٦.
(٢) الكافي، ج٢ ص٣٣.
(٣) المصدر السابق.

الْمُؤْمِنِينَ وأَنَّ جِوَارَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وأَنَّ الْجَنَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ وأَنَّ الْحُورَ الْعِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَالَ فَمَا بَالُ مَنْ جَحَدَ الْفَرَائِضَ كَانَ كَافِرًا)[١].

وفيه عَنْ سَلَّام الْجُعْفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: (الْإِيمَانُ أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ فَلَا يُعْصَى)[٢].

أقول: هذه الروايات وأشباهها ناطقة بأن الأعمال جزء من الإيمان، بل تدل بعض الأخبار على أن الإيمان عمل كله، وأنه مبثوث لجوارح البدن كلها ومقسوم عليها.

ففي الكافي بإسناده عن أبي عَمْرٍو الزُّبَيْرِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْعَالِمُ أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا بِهِ قُلْتُ ومَا هُو قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُو أَعْلَى الْأَعْمَالِ دَرَجَةً وأَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً وأَسْنَاهَا حَظًّا قَالَ قُلْتُ أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْإِيمَانِ أَقَوْلٌ هُو وعَمَلٌ أَمْ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ فَقَالَ الْإِيمَانُ عَمَلٌ كُلُّهُ والْقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ الْعَمَلِ بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ بَيَّن فِي كِتَابِهِ وَاضِح نُورُهُ ثَابِتَة حُجَّتُهُ يَشْهَدُ لَهُ بِهِ الْكِتَابُ ويَدْعُوهُ إِلَيْهِ قَالَ قُلْتُ صِفْهُ لِي جُعِلْتُ فِدَاكَ حَتَّى أَفْهَمَهُ قَالَ الْإِيمَانُ حَالَاتٌ ودَرَجَاتٌ وطَبَقَاتٌ ومَنَازِلُ فَمِنْهُ التَّامُّ الْمُنْتَهَى تَمَامُهُ ومِنْهُ النَّاقِصُ الْبَيِّنُ نُقْصَانُهُ ومِنْهُ الرَّاجِحُ الزَّائِدُ رُجْحَانُهُ قُلْتُ إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَتِمُّ ويَنْقُصُ ويَزِيدُ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ وقَسَّمَهُ عَلَيْهَا وفَرَّقَهُ فِيهَا فَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وقَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا فَمِنْهَا قَلْبُهُ الَّذِي بِهِ يَعْقِلُ

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.

ويَفْقَهُ ويَفْهَمُ وهُو أَمِيرُ بَدَنِهِ الَّذِي لَا تَرِدُ الْجَوَارِحُ ولَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وأَمْرِهِ ومِنْهَا عَيْنَاهُ اللَّتَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وأُذُنَاهُ اللَّتَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا ويَدَاهُ اللَّتَانِ يَبْطِشُ بِهِمَا ورِجْلَاهُ اللَّتَانِ يَمْشِي بِهِمَا وفَرْجُهُ الَّذِي الْبَاهُ مِنْ قِبَلِهِ ولِسَانُهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ورَأْسُهُ الَّذِي فِيهِ وَجْهُهُ فَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وقَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وتعالى [اسْمُهُ] يَنْطِقُ بِهِ الْكِتَابُ لَهَا ويَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهَا فَفَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ وفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وفَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ وفَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ وفَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ وفَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ وفَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْوَجْهِ فَأَمَّا مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَالْإِقْرَارُ والْمَعْرِفَةُ والْعَقْدُ والرِّضَا والتَّسْلِيمُ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهًا وَاحِدًا لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولا وَلَدًا وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ﷺ والْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ نَبِيٍّ أَو كِتَابٍ فَذَلِكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ والْمَعْرِفَةِ وهُو عَمَلُهُ وهُو قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ ولكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا وقَالَ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ وقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وقَالَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ فَذَلِكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ والْمَعْرِفَةِ وهُو عَمَلُهُ وهُو رَأْسُ الْإِيمَانِ وفَرَضَ [اللَّه] عَلَى اللِّسَانِ الْقَوْلَ والتَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ وأَقَرَّ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وقَالَ وقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وإِلهُنا وإِلهُكُمْ واحِدٌ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَهَذَا مَا فَرَضَ

اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ وهُو عَمَلُهُ وفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ الِاسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَنْهُ والْإِصْغَاءِ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ فَقَالَ فِي ذَلِكَ وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها ويُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ثُمَّ اسْتَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ مَوْضِعَ النِّسْيَانِ فَقَالَ وإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وقَالَ فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ وقَالَ عَزَّ وجَلَ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ وقَالَ: وإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وقالُوا لَنا أَعْمالُنا ولَكُمْ أَعْمالُكُمْ وقَالَ وإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يُصْغِيَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ وهُو عَمَلُهُ وهُو مِنَ الْإِيمَانِ وفَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ وهُو عَمَلُهُ وهُو مِنَ الْإِيمَانِ فَقَالَ تَبارَكَ وتَعَالَى قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ فَنَهَاهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى عَوْرَاتِهِمْ وأَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ ويَحْفَظَ فَرْجَهُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ وقَالَ وقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَ مِنْ أَنْ تَنْظُرَ إِحْدَاهُنَّ إِلَى فَرْجِ أُخْتِهَا وتَحْفَظَ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهَا وقَالَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِ الْفَرْجِ فَهُو مِنْ الزِّنَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ فَإِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ ثُمَّ نَظَمَ مَا فَرَضَ الله عَلَى الْقَلْبِ واللِّسَانِ والسَّمْعِ والْبَصَرِ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ والْأَفْخَاذَ وقَالَ ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

والْبَصَرَ والْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ وهُو عَمَلُهُمَا وهُو مِنَ الْإِيمَانِ وفَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ أَنْ لَا يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وأَنْ يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ وفَرَضَ عَلَيْهِمَا مِنَ الصَّدَقَةِ وصِلَةِ الرَّحِم والْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ والطَّهُورِ لِلصَّلَاةِ فَقَالَ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وقَالَ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ لِأَنَّ الضَّرْبَ مِنْ عِلَاجِهِمَا وفَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ أَنْ لَا يَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وفَرَضَ عَلَيْهِمَا الْمَشْيَ إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ فَقَالَ ولا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ ولَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا وقَالَ واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ وقَالَ فِيمَا شَهِدَتِ الْأَيْدِي والْأَرْجُلُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وعَلَى أَرْبَابِهِمَا مِنْ تَضْيِيعِهِمَا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِهِ وفَرَضَهُ عَلَيْهِمَا الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ فَهَذَا أَيضًا مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ وعَلَى الرِّجْلَيْنِ وهُو عَمَلُهُمَا وهُو مِنَ الْإِيمَانِ وفَرَضَ عَلَى الْوَجْهِ السُّجُودَ لَهُ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ فَقَالَ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُمْ وافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فَهَذِهِ فَرِيضَةٌ جَامِعَةٌ عَلَى الْوَجْهِ والْيَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ وقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وقَالَ فِيمَا فَرَضَ عَلَى الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّهُورِ والصَّلَاةِ بِهَا وذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ لَمَّا صَرَفَ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَأَنْزَلَ

اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ وما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ حَافِظًا لِجَوارِحِهِ مُوفِيًا كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ مُسْتَكْمِلًا لِإِيمَانِهِ وهُو مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ومَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَو تَعَدَّى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فِيهَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ نَاقِصَ الْإِيمَانِ قُلْتُ قَدْ فَهِمْتُ نُقْصَانَ الْإِيمَانِ وتَمَامَهُ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ زِيَادَتُهُ فَقَالَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وقَالَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وزِدْناهُمْ هُدىً ولَو كَانَ كُلُّهُ وَاحِدًا لَا زِيَادَةَ فِيهِ ولَا نُقْصَانَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ عَلَى الْآخَرِ ولَاسْتَوَتِ النِّعَمُ فِيهِ ولَاسْتَوَى النَّاسُ وبَطَلَ التَّفْضِيلُ ولَكِنْ بِتَمَامِ الْإِيمَانِ دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ وبِالزِّيَادَةِ فِي الْإِيمَانِ تَفَاضَلَ الْمُؤْمِنُونَ بِالدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وبِالنُّقْصَانِ دَخَلَ الْمُفَرِّطُونَ النَّارَ)(١).

وفيه بإسناده عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: (الْإِيمَانُ لَهُ أَرْكَانٌ أَرْبَعَةٌ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ والرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ والتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ)(٢).

وفيه عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ لَقِيَهُ رَكْبٌ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ مَا أَنْتُمْ

---

(١) الكافي، ج٢ ص٣٧.

(٢) الكافي، ج٢ ص٤٧.

فَقَالُوا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكُمْ قَالُوا الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ والتَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ والتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْبِيَاءَ فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ ولَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(١).

وفي الكافي عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ الْإِيمَانَ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ والْيَقِينِ والْعَدْلِ والْجِهَادِ فَالصَّبْرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الشَّوْقِ والْإِشْفَاقِ والزُّهْدِ والتَّرَقُّبِ فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ومَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ومَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ ومَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ.

والْيَقِينُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ وتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ ومَعْرِفَةِ الْعِبْرَةِ وسُنَّةِ الْأَوَّلِينَ فَمَنْ أَبْصَرَ الْفِطْنَةَ عَرَفَ الْحِكْمَةَ ومَنْ تَأَوَّلَ الْحِكْمَةَ عَرَفَ الْعِبْرَةَ ومَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ عَرَفَ السُّنَّةَ ومَنْ عَرَفَ السُّنَّةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ مَعَ الْأَوَّلِينَ واهْتَدَى إِلَى الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ونَظَرَ إِلَى مَنْ نَجَا بِمَا نَجَا ومَنْ هَلَكَ بِمَا هَلَكَ وإِنَّمَا أَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ أَهْلَكَ بِمَعْصِيَتِهِ وأَنْجَى مَنْ أَنْجَى بِطَاعَتِهِ.

والْعَدْلُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ غَامِضِ الْفَهْمِ وغَمْرِ الْعِلْمِ وزَهْرَةِ الْحُكْمِ ورَوْضَةِ الْحِلْمِ فَمَنْ فَهِمَ فَسَّرَ جَمِيعَ الْعِلْمِ ومَنْ عَلِمَ عَرَفَ شَرَائِعَ الْحُكْمِ ومَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً.

---

(١) الكافي، ج٢ ص٥٣.

والْجِهَادُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ والصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ وشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظَهْرَ الْمُؤْمِنِ ومَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ وأَمِنَ كَيْدَهُ ومَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ومَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ غَضِبَ لِلَّهِ ومَنْ غَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ فَذَلِكَ الْإِيمَانُ ودَعَائِمُهُ وشُعَبُهُ)(١).

وفيه عَنْ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ هَلْ تَعْرِفُ مَوَدَّتِي لَكُمْ وانْقِطَاعِي إِلَيْكُمْ ومُوَالاتِي إِيَّاكُمْ؟ قَالَ: فَقَالَ: (نَعَمْ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةً تُجِيبُنِي فِيهَا فَإِنِّي مَكْفُوفُ الْبَصَرِ قَلِيلُ الْمَشْيِ ولَا أَسْتَطِيعُ زِيَارَتَكُمْ كُلَّ حِينٍ قَالَ هَاتِ حَاجَتَكَ قُلْتُ أَخْبِرْنِي بِدِينِكَ الَّذِي تَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ بِهِ أَنْتَ وأَهْلُ بَيْتِكَ لِأَدِينَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ بِهِ قَالَ إِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ فَقَدْ أَعْظَمْتَ الْمَسْأَلَةَ واللَّهِ لَأُعْطِيَنَّكَ دِينِي ودِينَ آبَائِيَ الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ بِهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله والْإِقْرَارَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ والْوَلَايَةَ لِوَلِيِّنَا والْبَرَاءَةَ مِنْ عَدُوِّنَا والتَّسْلِيمَ لِأَمْرِنَا وانْتِظَارَ قَائِمِنَا والِاجْتِهَادَ والْوَرَعَ)(٢).

وفيه عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ قَالَ: (قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَا يَنْسُبُهُ أَحَدٌ قَبْلِي ولَا يَنْسُبُهُ أَحَدٌ بَعْدِي إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوالتَّسْلِيمُ والتَّسْلِيمَ هُو الْيَقِينُ والْيَقِينَ هُوَ التَّصْدِيقُ والتَّصْدِيقَ هُو الْإِقْرَارُ والْإِقْرَارَ هُو الْعَمَلُ والْعَمَلَ هُو الْأَدَاءُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ ولَكِنْ أَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَخَذَهُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُرَى يَقِينُهُ

(١) الكافي، ج٢ ص٥٠.
(٢) الكافي، ج٢ ص٢٢.

فِي عَمَلِهِ والْكَافِرَ يُرَى إِنْكَارُهُ فِي عَمَلِهِ فَو الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَهُمْ فَاعْتَبِرُوا إِنْكَارَ الْكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ)[١].

وفيه عَنْ مُدْرِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (الْإِسْلَامُ عُرْيَانٌ فَلِبَاسُهُ الْحَيَاءُ وزِينَتُهُ الوفاء[٢] ومُرُوءَتُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وعِمَادُهُ الْوَرَعُ ولِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ وأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْت)[٣].

وفيه عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَرَاطِيسِي قَالَ: قَالَ لِي أَبُوعَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: (يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ إِنَّ الْإِيمَانَ عَشْرُ دَرجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ يُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقَاةً بَعْد مِرْقَاةٍ فَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الِاثْنَيْنِ لِصَاحِبِ الْوَاحِدِ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْعَاشِرِ فَلَا تُسْقِطْ مَنْ هُو دُونَكَ فَيُسْقِطَكَ مَنْ هُو فَوْقَكَ وإِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُو أَسْفَلُ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ فَارْفَعْهُ إِلَيْكَ بِرِفْقٍ ولَا تَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ مَا لَا يُطِيقُ فَتَكْسِرَهُ فَإِنَّ مَنْ كَسَرَ مُؤْمِنًا فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ)[٤].

وفيه عَنِ الصَّبَّاحِ بْنِ سَيَابَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (مَا أَنْتُمْ والْبَرَاءَةَ يَبْرَأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وبَعْضُهُمْ أَكْثَرُ صَلَاةً مِنْ بَعْضٍ وبَعْضُهُمْ أَنْفَذُ بَصَرًا مِنْ بَعْضٍ وهِيَ درجات)[٥].

أقول: المستفاد من هذه الروايات وأشباهها أن الإيمان كالإسلام له درجات بعضها فوق بعض وله إطلاقات.

---

(١) الكافي، ج٢ ص٤٥.

(٢) في المصدر: الْوَقَارُ.

(٣) الكافي، ج٢ ص٤٦.

(٤) الكافي، ج٢ ص٤٥.

(٥) المصدر السابق.

فمرة يطلق على الإسلام العام الذي هو قبول الرسول صلى الله عليه وآله في الجملة مع إنكار لذلك في باطنه على بصيرة ويقين وعدم تصديق بقلبه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1] فإنها نزلت في منافق كنّاه بعض الصادقين عليهم السلام بأبي الملاهي وسماه الله مؤمنًا بظاهر إقراره، مع أنه أهل قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ﴾[2] وهو عند الله كافر كفر نفاق، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[3].

ومرة يطلق عليه مع عدم إنكار في باطنه، كما أشار سبحانه إلى بعض أهل هذا الإيمان بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[4] فوصفهم بهذا الإيمان وأمرهم بالإيمان المقرون بالتصديق، وإطلاق الإسلام هنا أكثر وأنسب، ولهذا قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾.

ومرة يطلق عليه مع التصديق مطلقًا، كما في رواية محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ والْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ومَا اسْتَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ مِنَ التَّصْدِيقِ بِذَلِكَ قَالَ قُلْتُ: الشَّهَادَةُ أَلَيْسَتْ عَمَلًا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: الْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْإِيمَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ والْعَمَلُ مِنْهُ ولَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِعَمَلٍ)[5]، انتهى.

---

(١) الصف، ٢ ـ ٣.

(٢) النمل، ١٤.

(٣) المنافقون، ١.

(٤) النساء، ١٣٦.

(٥) الكافي، ج٢ص ٣٨.

فأبان عليه السلام ظاهرًا بأن الشهادة عمل وأن ذلك يكفي في ثبات الإيمان، ثم قرر مرتبة ثانية للإيمان ضمنًا، بقوله: (الْإِيمَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ) وإن كان الإقرار بالشهادتين عملًا وهو كافٍ في المرتبة الأولى، إلّا أن كل ما شفّع بالعمل والأوامر كان أكمل وأتم.

ومرة يطلق على الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان، مع معرفة ظاهر الولاية كما أشار الصادق عليه السلام في الحديث المتقدم إليه حين سأله رجل عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما، إلى أن قال فقال عليه السلام: (الْإِسْلَامُ هُوالظَّاهِرُ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ وإِقَامُ الصَّلَاةِ وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وحِجُّ الْبَيْتِ وصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَهَذَا الْإِسْلَامُ وقَالَ الْإِيمَانُ مَعْرِفَةُ هَذَا الْأَمْرِ مَعَ هَذَا) الحديث.

ومرة يطلق ويراد به جميع ما ذكر مع الاجتهاد والورع، واستعمال كل جارحة من الجوارح فيما وكلت به من الإيمان، والاستقامة على الطريقة الوسطى بين الإفراط والتفريط في الأخلاق، والتوكل على الله والتسليم لأمره والرضا بقضائه، وموالاة وليّ ولاة الأمر عليهم السلام، ومعاداة عدوهم، والتسليم لأمرهم، والاحتمال لسرهم، والاحتجاب بذمتهم، وانتظار دولتهم، والإقرار برجعتهم، وهذه أعلى درجات الإيمان وأكملها.

وأما أهل المرتبة الأولى فإنهم عند الله كفار ليس لهم من الإسلام نصيب في الباطن، فضلًا عن أن يكونوا مؤمنين قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1] بل هم أشد عذابًا

---

(١) البقرة، ٨.

من الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(١) وإن كان ذلك المنافق في الظاهر يجري عليه أحكام المسلمين ما لم يظهر منه مقتضى ما أبطنه ولو بالقول، وقد أشار الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى كما رواه في الكافي عن محمد بن حَفْصِ بْنِ خَارِجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: وسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِ الْمُرْجِئَةِ فِي الْكُفْرِ والْإِيمَانِ وقَالَ إِنَّهُمْ يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا ويَقُولُونَ كَمَا أَنَّ الْكَافِرَ عِنْدَنَا هُو الْكَافِرُ عِنْدَ اللَّهِ فَكَذَلِكَ نَجِدُ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَقَرَّ بِإِيمَانِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وكَيْفَ يَسْتَوِي هَذَانِ والْكُفْرُ إِقْرَارٌ مِنَ الْعَبْدِ فَلَا يُكَلَّفُ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِبَيِّنَةٍ والْإِيمَانُ دَعْوَى لَا تَجُوزُ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ وبَيِّنَتُهُ عَمَلُهُ ونِيَّتُهُ فَإِذَا اتَّفَقَا فَالْعَبْدُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ والْكُفْرُ مَوْجُودٌ بِكُلِّ جِهَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ نِيَّةٍ أَو قَوْلٍ أَو عَمَلٍ والْأَحْكَامُ تَجْرِي عَلَى الْقَوْلِ والْعَمَلِ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَشْهَدُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ ويَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُؤْمِنِينَ [وهُو عِنْدَ اللَّهِ كَافِرٌ وقَدْ أَصَابَ مَنْ أَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامَ الْمُؤْمِنِينَ] بِظَاهِرِ قَوْلِهِ وعَمَلِهِ)(٢). انتهى.

أقول: وأما أهل المرتبة الثانية فيطلق عليهم اسم الإيمان ظاهرًا، لظاهر إقرارهم، وقد عرفت أن إطلاق اسم الإسلام عليهم أكثر وأنسب، وهؤلاء أمرهم إلى الله.

وأما أهل المرتبة الثالثة وهم الذين أقرّوا بالشهادتين وبما جاء به النبي صلى الله عليه وآله في الجملة وهم مسلمون وكانوا ضالين، وإطلاق اسم الإيمان عليهم لتصديقهم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله في الجملة، وهؤلاء

---

(١) النساء، ١٤٥.

(٢) الكافي، ج٢ ص٤٠.

إن عملوا بما لا يختلف فيه، وردوا ما اختلف فيه إلى الله، ولم ينكروا الولاية، ولم يعرفوا أولي الأمر عليهم السلام، ولم يعادوهم ولم يعرفوا حقهم ولم يأتموا بهم، ودخلوا فيما دخل فيه الناس على غير بصيرة، فهم من الذين قال الله سبحانه فيهم ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾(١) وليسوا بكافرين، وعدم معرفتهم لهذا الأمر لا يخرجهم من الإسلام إلى الكفر.

ومن الأخبار الدالة على ذلك ما رواه الكليني في روضة الكافي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: (إِنَّ النَّاسَ لَمَّا صَنَعُوا مَا صَنَعُوا إِذْ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ لَمْ يُمْنَعْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنْ أَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا نَظَرًا لِلنَّاسِ تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَام فَيَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ ولَا يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وكَانَ الْأَحَبَّ إِلَيْهِ أَنْ يُقِرَّهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ جَمِيعِ الْإِسْلَام وإِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ رَكِبُوا مَا رَكِبُوا فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ ودَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ ولَا عَدَاوَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صلوات الله عليه فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُكْفِرُهُ ولَا يُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ ولِذَلِكَ كَتَمَ عَلِيٌّ عليه السلام أَمْرَهُ وبَايَعَ مُكْرَهًا حَيْثُ لَمْ يَجِدْ أَعْوَانًا)(٢) انتهى.

فانظر إلى صراحة هذه الرواية في أن من لم يعلم لا يكفّر بما فعل، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾(٣) ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٤)

---

(١) التوبة، ١٠٦.
(٢) الكافي، ج٨ ص٣٢٠.
(٣) التوبة، ١١٥.
(٤) الإسراء، ١١٥.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾[١]، وأمثال ذلك من الآيات المحكمات المجمع على مدلولها، ومن السنة أيضًا كثير مثل: (الناس في سعة ما لم يعلموا)[٢] (ليس على العباد أن يعلموا حتى يعلمهم الله) بل قد ورد ما يدل على أن من هؤلاء من يحتمل أن يدخل الجنة بل يدخلون بدون احتمال كما رواه القمي في تفسيره في سورة المؤمن لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾[٣]، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ ضُرَيْسٍ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا حَالُ الْمُوَحِّدِينَ الْمُقِرِّينَ بِنُبُوَّةِ رسول الله [مُحَمَّدٍ] صلى الله عليه وآله مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ ولَيْسَ لَهُمْ إِمَامٌ ولَا يَعْرِفُونَ وَلَايَتَكُمْ فَقَالَ: (أَمَّا هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ فِي حُفَرِهِمْ [لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا] فَمَنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ ولَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عَدَاوَةٌ فَإِنَّهُ يُخَدُّ لَهُ خَدًّا إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ بِالْمَغْرِبِ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ الرَّوْحُ فِي حُفْرَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ فَيُحَاسِبَهُ بِحَسَنَاتِهِ وسَيِّئَاتِهِ فَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وإِمَّا إِلَى النَّارِ فَهَؤُلَاءِ الْمَوْقُوفُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ قَالَ: وكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ والْبُلْهِ والْأَطْفَالِ وأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُم)[٤]، الحديث.

أقول: قوله: (ولا يعرفون ولايتكم) المراد بنفي المعرفة الجهل، لأن المراد بالمعرفة هنا العلم، وأما المعرفة الحقيقية التي ضدها ونفيها الإنكار فهو كما في قوله صلى الله عليه وآله: (من مات ولم يعرف إمام زمانه

---

(١) النساء، ١١٥.
(٢) المعتبر، ج٢ ص٤٧٨.
(٣) غافر، ٧٥.
(٤) تفسير القمي، ج٢ ص٢٦٠.

مات ميتة جاهلية)[١] قاله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[٢] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[٣] فهذا بيان حال من أطلق عليه اسم الإيمان والإسلام من المراتب الثلاث الأخر، فهم من نور واحد إلّا أنهم متفاوتون في الكم والكيف والرتبة والقرب والبعد من المنير، كأضواء السراج كلما كان أقرب منه كان أضوء وأشد، (ولكل درجات مما عملوا)[٤] وهؤلاء هم المؤمنون حقيقة، إلّا أن كون إيمانهم حقيقة بالنسبة إلى الظاهر.

وأما بالنسبة إلى الباطن وباطن الباطن فحقيقة الإيمان هي معرفة الله على ما هو عليه في ذاته مما تعرّف به لعباده العارفين به وبما وصف به نفسه لعباده المخلصين، ومعرفة صفاته وأفعاله، ومعرفة عبادته كذلك، والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله الذي من جملته الإقرار بالولاية والعمل بمقتضاها، والعبارة عن ذلك في الظاهر شهادة ألا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله وأن عليًا والأئمة من ذريته حجج الله وأوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع مرادات الله من الخلق، والعبارة عنه في الحقيقة وفي الباطن أن يقال أنه يدخل في شهادة ألا إله إلّا الله وعدله لاستلزامه لذلك، ويدخل في العدل الإيمان باليوم الآخر لاستلزامه لذلك، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الامتثال بجميع أوامر الله تعالى والاجتناب عن

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٣ ص١٨.
(٢) المؤمنون، ٦٩.
(٣) النحل، ٨٣.
(٤) الأنعام، ١٣٢.

جميع نواهيه، ويدخل في شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ الإقرار بجميع ما جاء به الذي من جملته التوحيد الذي فطر الله عليه العقول وأخذ به المواثيق وأرسل به الرسل وجعله أول فروضه ونهاية طاعته، والتوحيد فرع من فروع الشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ ، لأن التوحيد في الخليقة إنما هو توحيد الرسم لا الحقيقة، وذلك فرع الواسطة وباب الفيض والإفاضة والاستفاضة، وذلك الجميع عبارة عن الولاية المطلقة قال علي عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا) وقالوا عليهم السلام: (بنا عرف الله ولولانا ما عرف الله وبعبادتنا عبد الله)، وأشار إلى ذلك في باطن جوابه لكميل بن زياد حين سأله عن الحقيقة، فقال: (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) فنحن تلك الآثار ونفوسنا هياكل التوحيد، قال عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ولاحت أظلتنا وأشباحنا على هيئة أشباح التوحيد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾(١)، والنور المذكور أنوارهم وصبح الأزل أسرارهم وهياكل التوحيد آثارهم، قال الصادق عليه السلام: (إِنَّ أَمْرَنَا هُو الْحَقُ وحَقُ الْحَقِ وهُو الظَّاهِرُ وباطن الظاهر وبَاطِنُ الْبَاطِنِ وهُو السِّرُّ وسِرُّ السِّرِّ وسِرُّ الْمُسْتَسِرِّ وسِرٌّ مُقَنَّعٌ بِالسِّرِّ) انتهى.

فالتوحيد في الحقيقة توحيد الولاية في المقامات الأربعة، توحيد الذات قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (٢)، وتوحيد الصفات قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾(٣)، وتوحيد الأفعال قال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) الروم، ٣٠.

(٢) الأنعام، ١٩.

(٣) الشورى، ١١.

لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[(١)]، وتوحيد العبادة قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[(٢)]، والأصل في هذا أنه سبحانه خالق كل شيء منه بدؤه وبه قوامه وله ملكه وإليه مرجعه، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[(٣)] وهذه الأربعة الأركان هي أركان الوجود كله، ولله الولاية على ذلك كله وحده، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾[(٤)]، فالتوحيد التسليم والتفويض ونفي ما سوى الله من كل شيء في كل شيء، فمن لم يفوض لم يوحد، لأنه أثبت غير الله، والتفويض هو التسليم لولي الأمر وهو في الحقيقة هو الإسلام كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المتقدم بقوله: (لأنسبن الإسلام نسبة) الحديث، والإسلام هو صبغة الله كما أشار إليه الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ قال عليه السلام: (هي الإسلام).

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قال عليه السلام: (هي الإيمان بالله وحده لا شريك له).

ولا ريب أن المراد بها الولاية وهي الإسلام حقيقة وهي الإيمان حقيقة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (والذي بعثني بالحق ما آمن بي من كفر بك ولا أقر بالله من جحدك) فظهر أن التوحيد هو الإيمان، والإيمان هو التصديق، وإن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين

---

(١) سبأ، ٢٢.

(٢) الكهف، ١١٠.

(٣) الروم، ٤٠.

(٤) الكهف، ٤٤.

هو التصديق، وثبت أن التصديق هو الإقرار، وقد قال رسول الله ﷺ كما مر: (ولا أقر بالله من جحدك) وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[(١)] وقد دلّت النصوص على أن الولاية هي الأمانة وهي جميع ما يريد الله من العباد من الشهادتين وجميع أصول الدين وفروعه، وآثارها تظهر في أركان الوجود الأربعة الخلق والرزق والحياة والممات، وهي ولاية الله الأولية وحامل لوائها وهو لواء الحمد علي وأهل بيته المعصومون عليه وعليهم السلام، وهذا الذي أشرنا إليه هو حقيقة حقيقة الإيمان، وإلى هذا الإيمان الكامل أشار أمير المؤمنين عليه السلام لأهله سلمان وأبي ذر في حديث معرفته بالنورانية، وهو ما رواه سلمان وأبو ذر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (من كان ظاهره في ولايتي أكثر من باطنه خفّت موازينه ؛ يا سلمان لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يعرفني بالنورانية، وإذا عرفني بذلك فهو مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفا بدينه مستبصرًا، ومن قصر عن ذاك فهو شاك مرتاب، يا سلمان ويا جندب، إن معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدين الخالص، بقول الله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا﴾ بالتوحيد ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وهو الإخلاص، وقوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾ وهو الإقرار بنبوّة محمد ﷺ، وهو الدين الحنيف، وقوله: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وهي ولايتي، فمن والاني فقد أقام الصلاة، وهوصعب مستصعب.

---

(١) النساء، ٦٥.

يا سلمان ويا جندب المؤمن الممتحن الذي لم يرد عليه شيء من أمرنا، إلّا شرح الله صدره لقبوله، ولم يشك ولم يرتب، ومن قال لم وكيف فقد كفر، فسلموا لله أمره، فنحن أمر الله، يا سلمان ويا جندب، إنّ الله جعلني أمينه على خلقه، وخليفته في أرضه وبلاده وعباده، وأعطاني ما لم يصفه الواصفون، ولا يعرفه العارفون، فإذا عرفتموني هكذا فأنتم مؤمنون).

إلى أن قال: (ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغيّر، يا سلمان، بنا شرف كل مبعوث، فلا تدعونا أربابًا، وقولوا فينا ما شئتم، ففينا هلك من هلك وبنا نجا من نجا، يا سلمان من آمن بما قلت وشرحت فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ورضي عنه، ومن شك وارتاب فهو ناصب وإن ادعى ولايتي فهو كاذب)(١) الحديث.

وقد ذكرنا تمامه مشيرًا إلى بعض معناه في المجلد الأول من الكتاب فراجع.

فحقيقة التوحيد هي التوحيد في الولاية، وحقيقة الإيمان هي الإيمان بالولاية، وحقيقة الإسلام هي التسليم لأمر الولاية، وحقيقة صبغة الله هي الصبغ في الولاية، والتمسك بالعروة الوثقى التي هي الإيمان بالله وحده لا شريك له هو التمسك بالولاية، والصلاة التي هي عمود الدين إذا قبلت قبل ما سواها وإذا ردت رد ما سواها باطنها هي الولاية وظاهرها فرع الولاية، وإنها لكبيرة إلّا على الخاشعين من أهل الولاية، والطريقة التي أمر العباد بأن يستقيم عليها هي الولاية، والتسليم الذي أمروا بأن يدخلوها كافة هي الولاية، وذلك لأن إياب

---

(١) تقدم تخريجه.

الخلق إلى صاحب الولاية وحسابهم عليه قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(١)، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾(٣) ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٥) ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٦) وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(٧) وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾(٨) وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾(٩) إلى غير ذلك من الآيات والإشارات، والأصل فيه أن الولي الحق ليس له من نفسه عند نفسه اعتبار، وإنما هي صفات الله وشؤونه في خلقه يظهرها في من يشاء، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١٠)

---

(١) الغاشية، ٢٦.
(٢) القيامة، ١٧ ـ ١٩.
(٣) الأنعام، ٦٢.
(٤) الكهف، ٤٤.
(٥) الأنعام، ١٠٨.
(٦) الزمر، ٤٥.
(٧) الزخرف، ٤٥.
(٨) النساء، ١٧٢.
(٩) النساء، ١٧١.
(١٠) الأنفال، ١٧.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١).

وإذا أرت معرفة هذا ضربت لك مثلًا من نفسك وفي العالم الذين أشار إليهما سبحانه بأنهما آياته في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾(٢).

وبيان ذلك في نفسك أن كل ما يعمله زيد لجسدك وما ينسبه إليه فإنما هو عمل لنفسك ونسبته إليها حقيقة، بل ليس الجسد مقصودًا بذلك العمل والنسبة إلّا من جهة أنه وصلة إلى نفسك ودال عليها ووجه لها، فانظر في مثل هذه المرآة الصافية لترى وجه الأمر فيها علانية، وأيضًا أن الملوك يضعون بعض عبيدهم لإنفاذ أوامرهم ونواهيهم وإصلاح أمر رعيتهم تكرمًا منهم عن مباشرة ما لا يليق بمقام الملك وتعظمًا باحتجاب العزة، فيلبس العبد في جميع ما هو مأمور به وموكل عليه لباس سيده وتاج هيبته، فتمتثل الرعية أمر العبد لأنه أمر سيده، ولو عثروا في خلال ذلك الأمر على أقل قليل ليس عن سيده عارضوه وسقطت هيبته في ذلك الأمر القليل واستخفوا به، وضعفت في ذلك عزيمته وسطوته، والأصل في ذلك أن ما كان فيه من الهيبة والتسلط ليس من نفسه، وإنما هي هيبة الملك وتسلطه، فليس له إذ ذاك اعتبار من نفسه، ولهذا إذا اعتبر نفسه لم يكن له شيء من ذلك، لأن ذلك هي صفة الملك وولايته، ولهذا قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ لأن ولاية الولي هي ولاية الله القديمة الأزلية ظهر بتعلقها بالخلق الولي الحق، وقد أشار إلى هذا علي عليه السلام

---

(١) الفتح، ١٠.
(٢) فصلت، ٥٣.

في خطبته بقوله: (أنا صاحب الأزلية الأولية)، ولقد أشار إلى هذا المعنى بعض الأفاضل في قصيدته في نعت أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

ففي أزل الآزال نور الولاية الإلهيه العظمى

على نعت وحدة إلى أبد الآباد

ليس لنورها تعدد أوهام العقول

الضعيفة ولكن لها مجلى وذلك

واحد لدى أول الإبداع عند الإفاضة

ولكن أمير المؤمنين هو الذي لقد كان مجلى هذه ذاته الصمدية[(١)].

فقد ثبت مما ذكرنا أن حقيقة الإيمان وأصل دين الله الذي هو الإسلام الخاص الذي هو مرادف الإيمان الحقيقي هو الإقرار بالشهادتين، والعمل والتصديق بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من أحوال النشأتين، وأن أصل هذا وحقيقته معرفة هذا الأمر، ومعرفته أن يظهر لك أن لا تكليف بغيره، وأنه لا يراد من العباد سواه، وهنا مقامان بالنسبة إلى معرفة هذا الأمر فمن كان في المقام الأول وهو مقام ظاهر التوحيد كان مؤمنا، ويكفيه من معرفة هذا الأمر وصفه بما ظهر، ولهذا المقام مراتب لا تكاد تحصى، فمنهم من يشهد الشهادتين ويعمل بعض العمل ولاينفي هذا الأمر ولا ينكر ولاته وهو أدنى معرفته، ومنهم من يقول به ولا يدري ما يقول، ومنهم من يدري بلا دليل، ومنهم من له دليل غير معقول، ومنهم من له دليل معقول بلا معرفة وهكذا.

---

(١) قد تكون هذه هي ترجمة الأبيات باللغة العربية، لعدم وزنها الظاهري.

ومن كان في المقام الثاني وهومقام باطن التوحيد كان مؤمنًا ممتحنًا عارفًا على قدر معرفته لباطن هذا الأمر، وشرط معرفته هذا الأمر في الباطن أن تعرف الله سبحانه بما وصف لك نفسه بهم عليهم السلام، وتعلم أن لا سبيل إلى معرفته إلّا بهم عليهم السلام، قال عليه السلام: (نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا)، وتعلم أنهم عليهم السلام أسماؤه الحسنى وأمثاله العليا ونعمه التي لا تحصى كما دلت عليه الأخبار وشهد له صحيح الاعتبار، فإذا عرفت أنهم عليهم السلام أسماؤه وصفاته وأمثاله ونعمه، وعرفت أن الشيء لا يعرف إلّا بأسمائه وصفاته وأمثاله ونعمه إلّا أن يكون مصنوعا فيعرف بحقيقته، إذ (كل معروف بنفسه مصنوع)، وعرفت قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة الصغيرة: (يسبح الله بأسمائه جميع خلقه) وذكرت قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1]، وعرفت أن تسبيح كل شيء إنما هو بهم عليهم السلام وعنهم ومنهم وإليهم ولهم، وأنهم في الحقيقة المدلجون بين يدي المدلج من جميع المخلوقات في كل نحو من أنحاء الوجود، وأنهم الحجب وهو سبحانه المحتجب بهم عن خلقه، وأنهم الأسماء وهو المعنى، وأنهم صراط الله وطريقه إلى خلقه في جميع ما أفاض من خزائنه من الخلق والرزق والحياة والممات، وما يترتب على ذلك من الأوامر والنواهي، وأنهم الغيب ومفاتح الغيب الذي لا يعلمها إلّا هو، وغير ذلك مما به قوام النشأتين، وأن معرفتهم والكون معهم والسلوك في طريقتهم والاقتداء بهم والتسليم لهم والبراءة من أعدائهم هو طريق النجاة، وألا تكليف بغيره، وأنه لا

---

(١) الإسراء، ٤٤.

يراد منك ومن سائر العباد سواه، فقد حصل لك من معرفة هذا الأمر في الباطن ما يكفيك في هذا المقام وصرت من أفاضل الممدوحين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ومن المقصودين بقوله ﷺ: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[1]، فإذا آمنت بما عرفت وصدقت لما علمت وعملت بما أمرت فقد ذقت حلاوة الإيمان ووصلت إلى حقيقته وأنت حينئذ من المؤمنين الممتحنين.

وأما من آمن بذلك غير عالم فهو من المخبتين المبشرين، ومن اتبع على ذلك من غير علم ولا بصيرة وإنما هو للكون بين المؤمنين واتباعًا للوالدين فهم قسمان:

الأول: من عرف هذا الأمر مجملًا بأن علم في الجملة حسن اتباع آل محمد ﷺ من غير تفصيل، بل لأنهم ذرية الرسول ﷺ وقد سمع لهم فضائل عن الموالين لهم وعن خصمائهم، بحيث لا يشتهر عند الخصم طعن أحد منهم عليهم السلام كما اشتهر عند الموالين الطعن على غيرهم، ورسخ ذلك في نفسه حتى كانت تلك الأمور ملكة وطبيعة له لا يحول عنها إلى غيرها، ولم تختلجه الشكوك الاختبارية في ذلك بل لو جرت عليه وسوسته في شيء من ذلك تألم بها وخاف من عروضها، لأنه ليس بميت ولو كان ميتا لم يتألم بلهب النار ومسها، فهو من الذين يلحقون بالمخبتين.

والقسم الثاني: من لم يعرف من الأمور المجملة شيئًا إلّا ما اعتاده من سماع أهل مذهبه ومن أهله، وهؤلاء يسألون يوم القيامة عما خلقوا لأجله وهو الولاية، ويلحق كل منهم بمن خلق من فاضل طينته.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢ ص٢٤.

والفرق بينهم وبين أصحاب القسم الأول حيث حكمنا عليهم، أعني أصحاب القسم الثاني بالاختيار يوم القيامة ولم نحكم على هؤلاء أعني أصحاب القسم الأول به، أن هؤلاء كانوا مطمئنين في هذه الدنيا لموافقة ما كسبوا من المعتقدات لطينتهم وفطرتهم، فلم يكونوا في ريبهم مترددين ولا مع كل ريح مائلين، فهم وإن لم يستضيئوا بنور العلم واليقين لجأوا إلى ركن وثيق، ولا يكون ذلك إلّا بعناية ربانية، إذ لو خالف ما كسبوا من المعتقدات فطرتهم ما قبلوا ولمالوا مع كل ريح ولحصل لهم الاضطراب والتردد فافهم.

وأما أصحاب القسم الثاني إنما سكنوا في هذه الدنيا لعدم شعورهم بما حصل لهم من الاعتقاد، فلا تحصل منافاة بين ذلك وبين طينتهم وفطرتهم عاجلا، فإذا مسهم طائف من الشيطان يشك في ذلك لم يتذكروا ولم يتألموا منه لعدم حياتهم، فهم في هذه الدنيا أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، فهم من الموقوفين لأمر الله حتى تستنطق طبيعته عند كشف الأستار وإبداء الأسرار يوم لا تنفع الأعذار، فيلحق بأهل الجنة أو أهل النار ولا يظلم ربك أحدًا.

[تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾]

قوله عز وجل: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

قال الإمام عليه السلام في تفسيره ثم وصفهم بعد فقال: (ويقيمون الصلاه يعني بإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها وحدودها وصيانتها عما يفسدها وينقصها).

ثم قال الإمام صلوات الله عليه: (وحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ أَبُوذَرٍّ الْغِفَارِيُ، فَجَاءَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي غُنَيْمَاتٍ قَدْرَ سِتِّينَ شَاةً، فَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدُوَ فِيهَا، وأُفَارِقَ حَضْرَتَكَ وخِدْمَتَكَ، وأَكْرَهُ أَنْ أَكِلَهَا إِلَى رَاعٍ فَيَظْلِمَهَا ويُسِيءَ رِعَايَتَهَا فَكَيْفَ أَصْنَعُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: ابْدُ فِيهَا. [فَبَدَا فِيهَا] فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا أَبَا ذَرٍّ. فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَا فَعَلَتْ غُنَيْمَاتُكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَهَا قِصَّةً عَجِيبَةً. فَقَالَ: ومَا هِيَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا أَنَا فِي صَلَاتِي إِذْ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى غَنَمِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ صَلَاتِي، يَا رَبِّ غَنَمِي، فَآثَرْتُ صَلَاتِي عَلَى غَنَمِي فَأَخْطَرَ الشَّيْطَانُ بِبَالِي يَا «أَبَا ذَرٍّ أَيْنَ أَنْتَ إِنْ عَدَتِ الذِّئَابُ عَلَى غَنَمِكَ وأَنْتَ تُصَلِّي فَأَهْلَكَتْهَا كُلَّهَا، ومَا يَبْقَى لَكَ فِي الدُّنْيَا مَا تَتَعَيَّشُ بِهِ» فَقُلْتُ لِلشَّيْطَانِ يَبْقَى لِي تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى، والْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله،

ومُوَالاةُ أَخِيهِ سَيِّدِ الْخَلْقِ بَعْدَهُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، ومُوَالاةُ الْأَئِمَّةِ الْهَادِينَ الطَّاهِرِينَ مِنْ وُلْدِهِ، ومُعَادَاةُ أَعْدَائِهِمْ، وكُلُّ مَا فَاتَ مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ ذَلِكَ جَلَلٌ.

فَأَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي، فَجَاءَ ذِئْبٌ، فَأَخَذَ حَمَلًا وذَهَبَ بِهِ وأَنَا أَحُسُّ بِهِ، إِذَا أَقْبَلَ عَلَى الذِّئْبِ أَسَدٌ فَقَطَعَهُ نِصْفَيْنِ، واسْتَنْقَذَ الْحَمَلَ ورَدَّهُ إِلَى الْقَطِيعِ، ثُمَّ نَادَانِيَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَقْبِلْ عَلَى صَلَاتِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَكَّلَنِي بِغَنَمِكَ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ.

فَأَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي، وقَدْ غَشِيَنِي مِنَ التَّعَجُّبِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا فَجَاءَنِي الْأَسَدُ وقَالَ لِي: امْضِ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَأَخْبِرْهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَكْرَمَ صَاحِبَكَ الْحَافِظَ لِشَرِيعَتِكَ، ووَكَّلَ أَسَدًا بِغَنَمِهِ يَحْفَظُهَا.

فَتَعَجَّبَ مَنْ كَانَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : صَدَقْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ، ولَقَدْ آمَنْتُ بِهِ أَنَا وعَلِيٌّ وفَاطِمَةُ والْحَسَنُ والْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ: هَذَا بِمُوَاطَاةٍ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وأَبِي ذَرٍّ، يُرِيدُ أَنْ يَخْدَعَنَا بِغُرُورِهِ، واتَّفَقَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ رَجُلًا وقَالُوا: نَذْهَبُ إِلَى غَنَمِهِ ونَنْظُرُ إِلَيْهَا، ونَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا صَلَّى، هَلْ يَأْتِي الْأَسَدُ ويَحْفَظُ غَنَمَهُ، فَيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ كَذِبُهُ.

فَذَهَبُوا ونَظَرُوا وإِذَا أَبُوذَرٍّ قَائِمٌ يُصَلِّي، والْأَسَدُ يَطُوفُ حَوْلَ غَنَمِهِ ويَرْعَاهَا ويَرُدُّ إِلَى الْقَطِيعِ مَا شَذَّ عَنْهُ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ نَادَاهُ الْأَسَدُ: هَاكَ قَطِيعَكَ مُسَلَّمًا، وافِرَ الْعَدَدِ سَالِمًا.

ثُمَّ نَادَاهُمُ الْأَسَدُ: يَا مَعَاشِرَ الْمُنَافِقِينَ أَنْكَرْتُمْ لِوَلِيِّ مُحَمَّدٍ وعَلِيٍّ

وآلِهِ الطَّيِّبينَ والْمُتَوَسِّلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهِمْ أَنْ يُسَخِّرَنِيَ اللَّهُ رَبِّي لِحِفْظِ غَنَمِهِ، والَّذِي أَكْرَمَ مُحَمَّدًا وآلَهُ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِينَ لَقَدْ جَعَلَنِيَ اللَّهُ ربي عز وجل طَوْعَ يَدَيْ أَبِي ذَرٍّ حَتَّى لَو أَمَرَنِي بِافْتِرَاسِكُمْ وهَلَاكِكُمْ لَأَهْلَكْتُكُمْ والَّذِي لَا يُحْلَفُ بِأَعْظَمَ مِنْهُ لَو سَأَلَ اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيِّبينَ صلوات الله عليهم أجمعين أَنْ يُحَوِّلَ الْبِحَارَ دُهْنَ زَنْبَقٍ ولبَانٍ والْجِبَالَ مِسْكًا وعَنْبَرًا وكَافُورًا، وقُضْبَانَ الْأَشْجَارِ قُضُبَ الزُّمُرُّدِ والزَّبَرْجَدِ لَمَا مَنَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا جَاءَ أَبُوذَرٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ أَحْسَنْتَ طَاعَةَ اللَّهِ، فَسَخَّرَ اللَّهُ لَكَ مَنْ يُطِيعُكَ فِي كَفِّ الْعَوَادِي عَنْكَ، فَأَنْتَ مِنْ أَفْضَلِ مَنْ مَدَحَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِأَنَّهُ يُقِيمُ الصَّلَاةَ)(١) انتهى مافيه تفسير الإمام عليه السلام.

اعلم أنه لما كان المقصود من إنزال الكتاب الكريم وتنزيل القرآن العظيم هداية الخلق وتكميل نفوسهم، وإخراجهم عن حد البهيمية إلى حدود الإنسانية، التي يجمعها أمور خمسة كلية، يعبر عنها بلباس التقوى، أشار سبحانه في أول كتابه الكريم وخطابه الحكيم إلى من كان ذلك لباسهم وجعل كتابه هدى لهم وبين اختصاصهم بهدايته ثم وصفهم بتلك الأمور:

الأول: معرفته ومعرفة توحيده وما يتعلق به وهو المعبر عنه بالإيمان بالله.

والثاني: الإقرار بالعبودية لله سبحانه والتلبس بصورتها وهيئتها التي هي إقامة الصلاة.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٨٣.

والثالث: بذل الفواضل للمستحقين الذي فيه كمال النفس الإنسانية المعبر عنه بالإنفاق وإيتاء الزكاة.

والرابع: التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وبما أوتي النبيون من ربهم.

والخامس: الإيمان باليوم الآخر الذي هو يوم المعاد، وقد أشار سبحانه إلى هذه الأمور الخمسة يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾.

أما الأول من تلك الأمور وهو الإيمان بالله فقد عرفته عند تفسيرنا لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

[معنى الصلاة لغة]

وأما الثاني منها وهو إقامة الصلاة فاعلم أن الصلاة لغة الدعاء، وشرعًا هي ذات الركوع والسجود على ما هو محدود، وهي من أركان الإسلام والإيمان، وهي عمود الدين إذا قبلت قبل ما سواها وإذا ردت رد ما سواها، ووجوبها ثابت بالنص والإجماع، ومنكر وجوبها كافر يجب قتله، وما ندب الله بشيء من الأعمال كما ندب إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾(١) وقال: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۞ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾(٣) وقال سبحانه في حق نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ

---

(١) طه، ١٤.
(٢) مريم، ٣١.
(٣) مريم، ٥٥.

وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾(١) الآية، وقال في حق المؤمنين: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾(٢) وقال تعالى في حق الساهين: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾(٣) ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين، وقال تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾(٤)، وقال: ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا * فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾(٥) وغير ذلك من الآيات وهي كثيرة جدًا.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: (من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه)(٦).

وعن الصادق عليه السلام: (من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذبه)(٧) الحديث.

وقال بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله: كان النبي صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأن لم يعرفنا ولم نعرفه.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله، وكان عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون فقيل له: مالك

---

(١) طه، ١٣٢.
(٢) المؤمنون، ١ ـ ٢.
(٣) الماعون، ٤ ـ ٥.
(٤) النساء، ٤٣.
(٥) مريم، ٥٨ ـ ٥٩.
(٦) الحقائق في محاسن الأخلاق، ص٢٢١.
(٧) الكافي، ج٣ ص٢٧٠.

يا أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول: (جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها)[١].

[أصل اشتقاق الصلاة]

والحاصل أن الصلاة واجبة أوجبها الله على كل موجود بحسب مقامه ورتبته من الوجود فقال تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[٢] وهي خير موضوع، وهي مأخوذة من أمور:

الأول: أنها مأخوذة من الرحمة المكتوبة، فأمر الله تعالى عبده بها رحمة له وصبغة لوجوده، وإقامة العبد لها ترحم من الله تعالى وطلب منه سبحانه لما أعدّ لمن امتثل أمره من الرحمة في الدنيا، بدفع البلايا وإدرار الرزق والإنساء في العمر والمحبة في قلوب أولياء الله وقضاء حوائجه للدنيا والآخرة، وفي الآخرة بغفران ذنوبه وإدخاله الجنة التي هي دار رحمته ورضاه ومجاورة أوليائه عليهم السلام.

الثاني: من الاستغفار، لأنها سبب لمغفرة ذنوبه لأنها عمود الدين إذا قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها، ولأنها كالنهر الجاري للمصلي يغسل فيه ويطهر بها درن المعاصي والخطايا في أوقات صلواته، ولأن الملائكة تستغفر للمصلي لأنها الإيمان وسبيل الله وفرع سبيل الله، قال تعالى إخبارا عن ملائكته: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[٣]،

---

(١) المناقب، ج٢ ص١٢٤.
(٢) النور، ٤١.
(٣) غافر، ٧.

والدليل على أنها إيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ فافهم وتدبر، فإن هذه الكلمات القليلة لا تسع شرح ما أشرنا إليه، والإشارة تكفي أهلها إن شاء الله.

الثالث: أنها مأخوذة من الدعاء، وهو أن الله سبحانه دعا عباده إلى القرب من رحمته بهذه العبادة الخاصة، فهم يدعونه تعالى بنيّاتهم وتكبيراتهم وقراءتهم وركوعهم وسجودهم وقيامهم وقعودهم، وألسنتهم وعيونهم وأيديهم وأرجلهم، وجهرهم وإخفاتهم، وهيئاتهم وحركاتهم وسكونهم وطمأنينتهم، وجميع جوارح أعمالهم وآلات بسطهم وأدوات قبضهم، وظاهرهم وباطنهم وشاهدهم وغائبهم، ولا يكون دعاء أشمل من هذا ولا أقرب وأسرع استجابة منه، وإلى هذا يشير تأويل قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾[(١)].

الرابع: أنها مأخوذة من الصلة، لأنها صلة الله لعبده بمدده، ومن الوصلة لأنها سبيل الله إلى عبده فيما يمدّه، وسبيل العبد إلى الله تعالى في دعائه وقابليته لمدده وفي أعماله، ومن الوصل أي اتصال رحمة الرب سبحانه بعبده واتصال عبده بقربه، فهي معراج المؤمن إلى قريب المسافة لمن قصده كما يحبه سبحانه وتعالى.

فهذه أربعة أوجه، أخذت الصلاة منها على سبيل الاجتماع، بمعنى أن كلا منها ملحوظ لا أنها على سبيل الترديد، بمعنى أنها أخذت من أحدها هذا في الظاهر.

[بيان باطن الصلاة]

وأما في الباطن فإنها مأخوذة من الولاية، قال عليه السلام: (الصلاة

(١) الفرقان، ٧٧.

ولايتي فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة)، وفي بيان هذا الوجه مفسدة وللعاقل فيما أشرنا إليه كفاية، قال عليه السلام: (أبى الله أن يعبد إلّا سرًا)(١) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾(٢) وفي حديث سلمان في باب معرفة أمير المؤمنين بالنورانية قال عليه السلام: (معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ يَقُولُ مَا أُمِرُوا إِلَّا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَهُوَ الدِّينُ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ السَّمْحَة، وقوله: ويُقِيمُوا الصَّلاةَ وهي ولايتي، فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب).

إلى أن قال: (قَالَ سَلْمَانُ قُلْتُ: يَا أَخَا رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ أَقَامَ وَلَايَتَكَ أَقَامَ الصَّلَاةَ؟ قَالَ نَعَمْ يا سَلْمَانُ تَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ فَالصَّبْرُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالصَّلَاةُ إِقَامَةُ وَلَايَتِي قَالَ اللَّهُ تَعالَى وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ وَلَمْ يَقُلْ وَإِنَّهُمَا لَكَبِيرَةٌ لِأَنَّ الْوَلَايَةَ كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعُونَ هُمُ شيعتي الْمُسْتَبْصِرُون) الحديث.

ففيما قال سلمان ومن أقام ولايتك أقام الصلاة، وقوله عليه السلام نعم، تصريح بأن الولاية هي الصلاة، وإقامتها إقامة الصلاة، وفي قوله عليه السلام: (والصلاة إقامة ولايتي) إشارة بل تصريح أيضًا بأن الصلاة التي هي ذات الركوع والسجود هي الولاية، وأن إقامتها إقامة

---

(١) الكافي، ج١ ص٢٩٨.
(٢) البقرة، ٤٥.

الولاية، وذلك لأن الصلاة التي هي ذات الركوع والسجود عبادة جامعة مشروعة موضوعة في الوجود التشريعي أي التكليفي على هيئة ما في الوجود التكويني، ففي الخلق مثلًا ملائكة قيام كقيام الصلاة، وفيهم راكعون كركوعها، وفيهم ساجدون كسجودها، وفيهم قاعدون كقعودها، وفيهم متشهدون كتشهدها، وفيهم مكبرون كتكبيرها، وفيهم قارئون كقراءتها، وفيهم قانتون كقنوتها، وفيهم منتقلون كانتقال المصلي من حالة إلى أخرى.

وبالجملة فلم يكن أحد من الملائكة له تسبيح أو حال أو عبادة إلّا وفي الصلاة له مثال، وكذلك غير الملائكة.

فالمخلوقات منهم متحرك كحركة الهوي والقيام، وساكن كالطمأنينة، وذاكر كالقراءة، ومنشأ كالسجدة الأولى، ومقضي كالرفع منها، وميت كالسجدة الثانية، ومبعوث كالرفع منها، وقائم كالراجع بعد الموت في الرجعة وهكذا، ومحاسب كالمتشهد، ومفروغ من أمره كالمسلّم، وفي الخلق غيب كالنية، وشهادة كصورتها، وعالم مُلك كقيامها، وملكوت كركوعها، وجبروت كالسجود فيها.

والمصلي في جميع أحواله وأفعاله وأقواله وحركاته وسكناته وفي جميع هيئاته مسبّح لله عز وجل متلبس بحمده وثنائه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] و﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[2] وكل شيء ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[3] ولما كان الإنسان جامعًا لصفات ما في العالم من ملك وجن وطير ووحش وحوت ونبات

---

(١) الإسراء، ٤٤.

(٢) النور، ٤١.

(٣) النحل، ٤٨.

ومعدن وجماد وغير ذلك من الموجودات وأعراضها، وكان سبحانه يحب كل صفة حسنة جميلة من جميع خلقه، من حيوان ونبات وجماد لأنه جميل يحب الجميل، وكان لا يفعل إلّا الجميل، وقد أعدّ لكل ذي حُسن ثوابا، وكان الإنسان أقرب خلقه إليه وأحبهم إليه وأكرمهم عليه وأجزلهم ثوابا لديه ولأجله خلق ما خلق، قال تعالى: (يا بن آدم خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك)[١] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٢] وكان سبحانه أجرى عادته في الجزاء على حسب الأعمال، كلف الإنسان بهذه الصلاة التي جمعت جميع الإشارات إلى جميع ما في الخلق كلهم ليوصله إلى جميع أفراد محبته وثوابه دقيقها وجليلها، لأن الصلاة خير الأعمال وأزكاها وأشمل العبادات وأكملها، وهي من أعظم ما كرم الله به بني آدم وأفضل ما فضلهم به على غيرهم، بأن كلفهم بهذه العبادة التي هي أقرب الأعمال إليه وأحبها لديه.

فالصلاة صورة الولاية المطلقة، والولاية جارية على كل موجود بما هو عليه في وجوده التكويني والتشريعي، فلا يتحرك شيء أو يسكن أو ينتقل من حال إلى حال إلّا باقتضاء الولاية وتدبيرها من الولي، فقد تضمنت الولاية جميع ذرات الوجود التكويني والتشريعي، كما أشار سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٣].

(١) المقدمات من كتاب نص النصوص، ص٤١٦.
(٢) الإسراء، ٧٠.
(٣) الرعد، ٣٣.

فلما أخبر الحكيم العليم أن الصلاة هي ولايتي وأن إقامتها هي إقامة ولايتي، دلّ ذلك على أن ذات الركوع والسجود هي إقامة ولايته لأنها ظاهرها، وتدل على هيئتها وصورتها، فحقيقة الولاية أصل الإمام وحقيقة الصلاة فرعه عليه السلام، قال عليه السلام: (نحن أصل كل خير ومن فروعنا كل بر)[1] الحديث.

فالصلاة ولاية ظاهرة والولاية صلاة باطنة، والإمام هو الحامل لأسرار الباطنة والمتحمل لأعباء الظاهرة.

(١) الكافي، ج٨ ص٢٦٦.

[بعض أسرار الصلاة]

ونحن نشير إلى بعض أسرار الصلاة ونذكر بعض الأخبار الواردة فيها، ليكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فعن عبد الله بن سنان عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: (مَا مِنْ صَلَاةٍ يَحْضُرُ وَقْتُهَا إِلَّا نَادَى مَلَكٌ بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ: قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى ظُهُورِكُمْ فَأَطْفِئُوهَا بِصَلَاتِكُمْ)[١].

وروى أبوحمزة الثمالي عن أحدهما عليهما السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (والذي بعثني بالحق بشيرًا ونذيرًا إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل [عن صلاته] وعليه من ذنوبه شيء كيوم ولدته أمه، إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم فما ظن أحدكم لو كان على جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي)[٢].

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، ص٥٨٦.
(٢) تفسير العياشي، ج٢ ص١٦١.

وروي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ فَقَالَ الرَّجُلُ: إِلَيَّ هَذَا. فَقَالَ ﷺ: (لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ)(١).

وفي المعاني في باب معاني حروف الأذان والإقامة بإسناده عن أَبِي يَزِيدُ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ صَعِدَ الْمُؤَذِّنُ الْمَنَارَةَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَبَكَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ فَلَمَّا فَرَغَ الْمُؤَذِّنُ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ قُلْنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ ووَصِيُّهُ أَعْلَمُ قَالَ لَو تَعْلَمُونَ مَا يَقُولُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا فَلِقَوْلِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ مِنْهَا أَنَّ قَوْلَ الْمُؤَذِّنِ اللَّهُ أَكْبَرُ يَقَعُ عَلَى قِدَمِهِ وأَزَلِيَّتِهِ وأَبَدِيَّتِهِ وعِلْمِهِ وقُوَّتِهِ وقُدْرَتِهِ وحِلْمِهِ وكَرَمِهِ وجُودِهِ وعَطَائِهِ وكِبْرِيَائِهِ فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ والْأَمْرُ وبِمَشِيَّتِهِ كَانَ الْخَلْقُ ومِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ لِلْخَلْقِ وإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ وهُو الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَزَلْ والْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَزَالُ والظَّاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُدْرَكُ والْبَاطِنُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُحَدُّ وهُو الْبَاقِي وكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ فَانٍ، والْمَعْنَى الثَّانِي اللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ عَلَيْم بِمَا كَانَ ويَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، والثَّالِثُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ الْقَوِيُّ لِقُدْرَتِهِ

---

(١) مجمع البحرين، ج٢ص ٦٢.

الْمُقْتَدِرُ عَلَى خَلْقِهِ الْقَوِيُّ لِذَاتِهِ قُدْرَتُهُ قَائِمَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، والرَّابِعُ اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَعْنَى حِلْمِهِ وكَرَمِهِ يَحْلُمُ كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ويَصْفَحُ كَأَنَّهُ لَا يَرَى ويَسْتُرُ كَأَنَّهُ لَا يُعْصَى لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ كَرَمًا وصَفْحًا وحِلْمًا.

والْوَجْهُ الْآخَرُ فِي مَعْنَى اللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ الْجَوَادُ جَزِيلُ الْعَطَاءِ كَرِيمُ الْفَعَالِ.

والْوَجْهُ الْآخَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فِيهِ نَفْيُ [صِفَتِهِ و] كَيْفِيَّتِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِفُونَ قَدْرَ صِفَتِهِ الَّذِي هُو مَوْصُوفٌ بِهِ وإِنَّمَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ عَلَى قَدْرِهِمْ لَا عَلَى قَدْرِ عَظَمَتِهِ وجَلَالِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

والْوَجْهُ الْآخَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ أَعْلَى وأَجَلُّ وهُو الْغَنِيُّ عَنْ عِبَادِهِ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى أَعْمَالِ خَلْقِهِ.

وأَمَّا قَوْلُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِعْلَامٌ بِأَنَّ الشَّهَادَةَ لَا تَجُوزُ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ مِنَ الْقَلْبِ كَأَنَّهُ يَقُولُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ وأَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ بَاطِلٌ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وأُقِرُّ بِلِسَانِي بِمَا فِي قَلْبِي مِنَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَشْهَد أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ولَا مَنْجَى مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وفِتْنَةِ كُلِّ ذِي فِتْنَةٍ إِلَّا بِاللَّهِ، وفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَعْنَاهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا هَادِيَ إِلَّا اللَّهُ ولَا دَلِيلَ [لِي إِلَى الدِّينِ] إِلَّا اللَّهُ وأُشْهِدُ اللَّهَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [معناه] وأُشْهِدُ سُكَّانَ السَّمَاوَاتِ وسُكَّانَ الْأَرَضِينَ ومَا فِيهِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ومَا فِيهِنَّ مِنَ الْجِبَالِ والْأَشْجَارِ والدَّوَابِّ والْوُحُوشِ وكُلِّ رَطْبٍ ويَابِسٍ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ ولَا رَازِقَ ولَا مَعْبُودَ ولَا ضَارَّ ولَا نَافِعَ ولَا قَابِضَ ولَا بَاسِطَ ولَا مُعْطِيَ ولَا مَانِعَ ولَا نَاصِحَ

ولَا كَافِيَ ولَا شَافِيَ ولَا مُقدِّمَ ولَا مُؤَخِّرَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْخَلْقُ والْأَمْرُ وبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ تبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ.

وأَمَّا قَوْلُهُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ أُشْهِدُ اللَّهَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ونَبِيُّهُ وصَفِيُّهُ ونَجِيُّهُ أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِالْهُدى ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وأُشْهِدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ مِنَ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِينَ والْمَلَائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ وفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا حَاجَةَ لِأَحَدٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْغَنِيِّ عَنْ عِبَادِهِ والْخَلَائِقِ [والنَّاسِ] أَجْمَعِينَ وأَنَّهُ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا إِلَى النَّاسِ بَشِيرًا ونَذِيرًا وداعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وسِراجًا مُنِيرًا فَمَنْ أَنْكَرَهُ وجَحَدَهُ ولَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا أَبَدًا.

وأَمَّا قَوْلُهُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ أَيْ هَلُمُّوا إِلَى خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ودَعْوَةِ رَبِّكُمْ وسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وإِطْفَاءِ نَارِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا وفَكَاكِ رِقَابِكُمُ الَّتِي رَهَنْتُمُوهَا لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُبَدِّلَ سَيِّئَاتِكُمْ حَسنَاتٍ فَإِنَّهُ مَلِكٌ كَرِيمٌ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وقَدْ أَذِنَ لَنَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ بِالدُّخُولِ فِي خِدْمَتِهِ والتقديم [التَّقَدُّم] إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، وفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ أَيْ قُومُوا إِلَى مُنَاجَاةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ وعَرْضِ حَاجَاتِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ وتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ وتَشَفَّعُوا بِهِ وأَكْثِرُوا الذِّكْرَ والْقُنُوتَ والرُّكُوعَ والسُّجُودَ والْخُضُوعَ والْخُشُوعَ وارْفَعُوا إِلَيْهِ حَوَائِجَكُمْ فَقَدْ أَذِنَ لَنَا فِي ذَلِكَ.

وأَمَّا قَوْلُهُ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ فَإِنَّهُ يَقُولُ أَقْبِلُوا إِلَى بَقَاءٍ لَا فَنَاءَ مَعَهُ ونَجَاةٍ لَا هَلَاكَ مَعَهَا وتَعَالَوْا إِلَى حَيَاةٍ لَا مَوْتَ مَعَهَا وإِلَى نَعِيمٍ لَا نَفَادَ

لَهُ وإِلَى مُلْكٍ لَا زَوَالَ عَنْهُ وإِلَى سُرُورٍ لَا حُزْنَ مَعَهُ وإِلَى أُنْسٍ لَا وَحْشَةَ مَعَهُ وإِلَى نُورٍ لَا ظُلْمَةَ مَعَهُ وإِلَى سَعَةٍ لَا ضِيقَ مَعَهَا وإِلَى بَهْجَةٍ لَا انْقِطَاعَ لَهَا وإِلَى غِنًى لَا فَاقَةَ مَعَهُ وإِلَى صِحَّةٍ لَا سُقْمَ مَعَهَا وإِلَى عِزٍّ لَا ذُلَّ مَعَهُ وإِلَى قُوَّةٍ لَا ضَعْفَ مَعَهَا وإِلَى كَرَامَةٍ يَا لَهَا مِنْ كَرَامَةٍ واعْجَلُوا إِلَى سُرُورِ الدُّنْيَا والْعُقْبَى ونَجَاةِ الْآخِرَةِ والْأُولَى، وفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ فَإِنَّهُ يَقُولُ سَابِقُوا إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وإِلَى جَزِيلِ الْكَرَامَةِ وعَظِيمِ الْمِنَّةِ وسَنِيِّ النِّعْمَةِ والْفَوْزِ الْعَظِيمِ ونَعِيمِ الْأَبَدِ فِي جِوَارِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

وأَمَّا قَوْلُهُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ أَعْلَى وأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ لِعَبْدٍ أَجَابَهُ وأَطَاعَهُ وأَطَاعَ أَمْرَهُ وعَبَدَهُ وعَرَفَ وَعِيدَهُ واشْتَغَلَ بِهِ وبِذِكْرِهِ وأَحَبَّهُ وآمَنَ بِهِ واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ ووَثِقَ بِهِ وخَافَهُ ورَجَاهُ واشْتَاقَ إِلَيْهِ ووَافَقَهُ فِي حُكْمِهِ وقَضَائِهِ ورَضِيَ بِهِ، وفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ اللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ وأَعْلَى وأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مَبْلَغَ كَرَامَتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ وعُقُوبَتِهِ لِأَعْدَائِهِ ومَبْلَغَ عَفْوِهِ وغُفْرَانِهِ ونِعْمَتِهِ لِمَنْ أَجَابَهُ وأَجَابَ رَسُولَهُ ومَبْلَغَ عَذَابِهِ ونَكَالِهِ وهَوَانِهِ لِمَنْ أَنْكَرَهُ وجَحَدَهُ.

وأَمَّا قَوْلُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَعْنَاهُ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَيْهِمْ بِالرَّسُولِ والرِّسَالَةِ والْبَيَانِ والدَّعْوَةِ وهُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ فَمَنْ أَجَابَهُ فَلَهُ النُّورُ والْكَرَامَةُ ومَنْ أَنْكَرَهُ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ.

ومَعْنَى قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ فِي الْإِقَامَةِ أَيْ حَانَ وَقْتُ الزِّيَارَةِ والْمُنَاجَاةِ وقَضَاءِ الْحَوَائِجِ ودَرْكِ الْمُنَى والْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وإِلَى كَرَامَتِهِ وعَفْوِهِ ورِضْوَانِهِ وغُفْرَانِهِ).

قال في المعاني بعد ذكر هذا الحديث (قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه إنما ترك الراوي لهذا الحديث ذكر حي على خير العمل للتقية).

وقَدْ رُوِيَ فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّ الصَّادِقَ عليه السلام سُئِلَ عَنْ مَعْنَى حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ فَقَالَ (خَيْرُ الْعَمَلِ الْوَلَايَةُ وفِي خَبَرٍ آخَرَ خَيْرُ الْعَمَلِ بِرُّ فَاطِمَةَ ووُلْدِهَا عليهم السلام)(١).

وفيه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (أَتَدْرِي مَا تَفْسِيرُ حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ قال: قُلْتُ لَا قَالَ دَعَاكَ إِلَى الْبِرِّ أَتَدْرِي بِرَّ مَنْ قُلْتُ لَا قَالَ دَعَاكَ إِلَى بِرِّ فَاطِمَةَ ووُلْدِهَا عليهم السلام)(٢).

أقول: ينبغي للعبد إذا سمع نداء المؤذن أن يحضر في قلبه هول النداء يوم القيامة، وأن يتشمر بظاهره وباطنه للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فينبغي له أن يعرض قلبه على هذا النداء، فإن وجده مملوءً بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الإبتدار، فليعلم أنه يأتيه النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء، ولذلك قال سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله (أرحنا يا بلال) أي أرحنا بها وبالنداء إليها، إذ كانت قرة عينه فيها، وينبغي له أن يعتبر بفصول الأذان والإقامة وكلماتهما، كيف افتتحت بالله واختتمت بالله وأن يُوطِّنَ قلبه بتعظيمه عند سماع التكبير، وأن يستحقر الدنيا وما فيها عند تكبيرة الإحرام لئلّا يكون كاذبا في تكبيره.

---

(١) معاني الأخبار، ص١٣٢.

(٢) معاني الأخبار، ص١٣٥.

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: (فَإِذَا كَبَّرْتَ فَاسْتَصْغِرْ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى والثَّرَى دُونَ كِبْرِيَائِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اطَّلَعَ عَلَى قَلْبِ الْعَبْدِ وهُو يُكَبِّرُ وفِي قَلْبِهِ عَارِضٌ عَنْ حَقِيقَةِ تَكْبِيرِهِ قَالَ يَا كَذَّابُ أَتَخْدَعُنِي وعِزَّتِي وجَلَالِي لَأَحْرِمَنَّكَ حَلَاوَةَ ذِكْرِي ولَأَحْجُبَنَّكَ عَنْ قُرْبِي والْمَسَرَّةِ بِمُنَاجَاتِي)(١).

وينبغي للمصلي إذا توجه بالتكبيرات السبع أن يستحضر عظمة الله سبحانه في قلبه وصغر نفسه وخسة عبادته في جنب عظمته وانحطاط همته عن القيام بوظائف خدمته، وأن يتفكر عند قوله: (اللهم أنت الملك الحق المبين في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم)، ثم يرجع إلى نفسه بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والندم على ما سلف منه عند قوله: (عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت)، ويحضر دعوته له بالقيام بهذه الخدمة ويمثل نفسه بين يديه ويعلم أنه قريب منه يجيب دعوة الداع إذا دعاه وأنه بيده خير الدنيا والآخرة لا بيد غيره عند قوله: (لبيك وسعديك والخير في يديك) وينزهه من الظلم والشر عند قوله: (والشر ليس إليك) ويعتقد أن من لم يرد الله هدايته فما له من هاد عند قوله: (والمهدي من هديت) ويعترف له بالعبودية وأن قوامه ووجوده وبدأه منه ومعاده إليه بقوله: (عبدك وابن عبديك منك وبك ولك وإليك)، يعني أنا عبدك الذي لا يملك شيئًا، منك وجودي وبدأ قوامي ولك ملكي وإليك معادي، وينبغي للمصلي أن يكون قلبه متوجها إلى فاطر السموات والأرض، حين قوله: (وجهت وجهي للذي فطر السموات

---

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص٨٧.

والأرض)، وليس المراد بالوجه الظاهر فإنه إنما وجهه إلى جهة القبلة، والله سبحانه مقدس عن أن تحده الجهات، حتى يقبل بوجهه الظاهر عليه، وإنما المراد وجه القلب وهو الذي يتوجه به إلى فاطر السموات والأرض، فلينظر إلى قلبه أهو متوجه إلى أمانيه وهممه وأمر معاملته وزراعته وتجارته وكسبه وبيعه وشرائه في السوق وتدبير أمره في البيت والدكان ويتبع الشهوات، أم هو مقبل إلى فاطر الأرضين والسموات، معرض عن كل معبود سواه، لئلّا يكون في أول افتتاحه للصلاة التي هي معراج المؤمن ومناجاته مع ربه عز وجل كاذبا، بل يكون في قوله: (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) صادقًا، وإذا قال: (حنيفًا مسلمًا) فينبغي أن يكون قلبه مائلًا عن كل شاغل يشغله عن ذكر الله، سليما عن محبة ما سواه عز وجل، وأن يخطر بباله أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من يده ولسانه، فإن لم يكن كذلك فهو كاذب في قوله ذلك، وإذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فينبغي أن يخطر بباله الشرك الخفي، وأن لا يشرك بعبادة ربه أحدًا وأن يستشعر الخجل في قلبه أن وصف نفسه بعدم الشرك وأنه ليس من المشركين من غير براءة من هذا الشرك، فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه.

وإذا قال: ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فليعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود بسيده، وأنه إن صدر هذا القول عمن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائما للحال، وإذا قال: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فليعلم أن الشيطان عدوه المبين ومترصد لصرف قلبه عن الله عز وجل حسدا له على مناجاته مع الله وسجوده له، لأنه لُعِنَ بسبب

سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها، فليستعذ بالله منه بالإستعاذة الحقيقية التي أشرنا إليها سابقًا عند تفسيرها لا بمجرد القول فإنه لا ينفع، وإذا شرع في قراءة فاتحة الكتاب وقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى آخره، فليتذكر ما أشرنا إليه في تفسير السورة المباركة في المجلد الأول من الكتاب ولو إجمالا.

وليعلم أن المصلي في صلاته ودعائه مناج ربه كما هو معلوم، وقد ورد في الخبر أيضًا، ولا شك أن الكلام مع الغفلة وعدم حضور القلب ليس بمناجاة، لأن الكلام إعراب عما في الضمير، ولا يصح الإعراب عما في الضمير إلّا بحضور القلب، فأي سؤال في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إذا كان القلب غافلا، ولهذا قال الباقر عليه السلام: (إِنَ الْعَبْدَ لَيُرْفَعُ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ نِصْفُهَا أَو ثُلُثُهَا أَو رُبُعُهَا أَو خُمُسُهَا فَمَا يُرْفَعُ لَهُ إِلَّا مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ وإِنَّمَا أمروا بالنوافل[١] لِيَتِمَّ لَهُمْ بِهَا مَا نَقَصُوا مِنَ الْفَرِيضَةِ)[٢].

هذا حكم القراءة والذكر، وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا، والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة، وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلّا مجرد حركة الظهر والرأس، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به، ثم يجعل عمود الدين وخير موضوع والفاصل بين الكفر والإسلام، ويقدم على سائر العبادات، ويجعل خير الأعمال وأزكاها وعمدة الأعمال، بحيث لو قبلت قبل ما سواه ولوردت رد ما سواه.

---

(١) في المصدر: النافلة.
(٢) الكافي، ج٣ ص٣٦٧.

والحاصل إن حضور القلب وهو روح الصلاة، وإن أقل ما يبقى به الروح الحضور عند تكبيرة الإحرام، فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في أجزاء الصلاة، وكم من حي لا حراك به قريب من الموت، فصلاة الغافل وفي جميعها إلّا عند التكبير حي لا حراك به قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[١] فإذا لم يكن قلب المصلي حاضرًا في صلاته كيف يكون خاشعًا، قال رسول الله ﷺ وقَدْ رَأَى مُصَلِّيًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ: (أَمَّا هَذَا لَو خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ)[٢] فإن الرعية بحكم الراعي، وفي الدعاء: (اللهم أصلح الراعي والرعية)[٣] وهو القلب والجوارح.

وقد ورد عنهم عليهم السلام ما معناه: (كلما زيد خشوع الظاهر على الباطن فهو عندنا نفاق) فينبغي للمصلي أن يكون خاشعًا لله بظاهره وباطنه وقلبه وجوارحه.

وأن يجدد عند رفعه يديه بالتكبير للركوع في قلبه ذكر كبرياء الله وعظمته، وأن يكون متواضعًا لله بركوعه متذللًا لربه العظيم عند قوله: (سبحان ربي العظيم وبحمده) منزهًا له عن كل ما لا يليق بجلاله، معتقدًا بأن الركوع الذي هو التذلل والخضوع لا يجوز إلّا له، حامدًا له على ما وفقه لهذه العبادة، ثم يتجدد ذلك مرة بعد أخرى عند تكراره ذكر التسبيح، ثم يرفع رأسه عن الركوع راجيًا أنه راحم ذله سامع قوله وحمده فيقول: (سمع الله لمن حمده)، أي أجاب الله لمن شكره وأنعم على من حمده، ثم يُردف ذلك بالشكر الموجب للمزيد

---

(١) المؤمنون، ١ ـ ٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٨١ ص٢٦٣.
(٣) الحقائق في محاسن الأخلاق، ص٢٣٩.

فيقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ثم يزيد في الخضوع والتذلل فيقول: (أهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن معنى مدّ العنق في الركوع فقال: (تأويله آمنت بك ولو ضربت عنقي)[1].

وفي مصباح الشريعة قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (لَا يَرْكَعُ عَبْدٌ لِلَّهِ تَعَالَى رُكُوعًا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا زَيَّنَهُ اللَّهُ بِنُورِ بَهَائِهِ وأَظَلَّهُ فِي ظِلَالِ كِبْرِيَائِهِ وكَسَاهُ كِسْوَةَ أَصْفِيَائِهِ [والرُّكُوعُ أَوَّلٌ والسُّجُودُ ثَانٍ فَمَنْ أَتَى بِمَعْنَى الْأَوَّلِ صَلَحَ لِلثَّانِي] وفِي الرُّكُوعِ أَدَبٌ وفِي السُّجُودِ قُرْبٌ ومَنْ لَا يُحْسِنُ الْأَدَبَ لَا يَصْلُحُ لِلْقُرْبِ فَارْكَعْ رُكُوعَ خَاضِعٍ لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ بِقَلْبِهِ مُتَذَلِّلٍ وَجِلٍ تَحْتَ سُلْطَانِهِ خَافِضٍ لِلَّهِ بِجَوَارِحِهِ خَفْضَ خَائِفٍ حَزِينٍ عَلَى مَا يَفُوتُهُ مِنْ فائدة[2] الرَّاكِعِينَ.

وحُكِيَ أَنَّ رَبِيعَ بْنَ خُثَيْم رحمه الله كَانَ يَسْهَرُ بِاللَّيْلِ إِلَى الْفَجْرِ فِي رُكُوعٍ وَاحِدٍ فَإِذَا هو أَصْبَحَ زَفرَ وقَالَ: [أَوْهِ] سَبَقَ الْمُخْلِصُونَ وقُطِعَ بِنَا.

واسْتَوْفِ رُكُوعَكَ بِاسْتِوَاءِ ظَهْرِكَ وانْحَطَّ عَنْ هِمَّتِكَ فِي الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ إِلَّا بِعَوْنِهِ وفِرَّ بِالْقَلْبِ مِنْ وساوس الشَّيْطَانِ وخَدَائِعِهِ ومَكَايِدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ عِبَادَهُ بِقَدْرِ تَوَاضُعِهِمْ لَهُ ويَهْدِيهِمْ إِلَى أُصُولِ التَّوَاضُعِ والْخُضُوعِ والْخُشُوعِ بِقَدْرِ اطِّلَاعِ عَظَمَتِهِ عَلَى سِرِّهِم)[3].

ثم يهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة والقرب إلى

---

(١) الحقائق في محاسن الأخلاق، ص٢٤٠.

(٢) في المصدر: فوائد.

(٣) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص٨٩.

المعبود فيمكّن أعز أعضائه وهو الوجه من أذلّ الأشياء وهو التراب، وأن يمكنه أن لا يجعل بينهما حاجزا فيسجد على الأرض بفعله فإنه أجلب للخضوع، وأدلّ على الذّلّ، وإذا وضع نفسه موضع الذّلّ فليعلم أنه وضعها موضعها، وردّ الفرع إلى أصله فإنه من التراب خلق وإليه ومنه يخرج قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل ما معنى السجدة الأولى قال: (تأويلها اللهم إنك منها خلقتنا)(٢) يعني من الأرض، وتأويل رفع رأسك ومنها أخرجتنا، والسجدة الثانية وإليها تعيدنا، ورفع رأسك ومنها تخرجنا تارة أخرى.

وفي مصباح الشريعة قال مولانا الصادق عليه السلام: (مَا خَسِرَ واللَّهِ [تَعَالَى قَطُّ] مَنْ أَتَى بِحَقِيقَةِ السُّجُودِ ولَو كَانَ فِي العمر(٣) مَرَّةً وَاحِدَةً ومَا أَفْلَحَ مَنْ خَلَا بِرَبِّهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْحَالِ شَبِيهًا بِمُخَادِعِ نَفْسِهِ غَافِلًا لَاهِيًا عَمَّا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلسَّاجِدِينَ مِنَ أنس [الْبِشْرِ] الْعَاجِلِ ورَاحَةِ الْآجِلِ ولَا بَعُدَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَبَدًا مَنْ أَحْسَنَ تَقَرُّبَهُ فِي السُّجُودِ ولَا قَرُبَ إِلَيْهِ أَبَدًا مَنْ أَسَاءَ أَدَبَهُ وضَيَّعَ حُرْمَتَهُ بِتَعْلقِ قَلْبِهِ بِسِوَاهُ فِي حَالِ سجُودِهِ فَاسْجُدْ سُجُودَ مُتَوَاضِعٍ لِلَّهِ ذَلِيلٍ عَلِمَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ يَطَؤُهُ الْخَلْقُ وأَنَّهُ رُكِّبَ مِنْ نُطْفَةٍ يَسْتَقْذِرُهَا كُلُّ أَحَدٍ [وكُوِّنَ ولَمْ يَكُنْ] ولَقَدْ جَعَلَ الله مَعْنَى السُّجُودِ سَبَبَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْقَلْبِ والسِّرِّ والرُّوحِ فَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ بَعُدَ عَنْ غَيْرِهِ أَلَا تَرَى فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي حَالُ السُّجُودِ

(١) طه، ٥٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج١ص ٣٤٦.
(٣) في المصدر: عُمُرِهِ.

إِلَّا بِالتَّوَارِي عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ والاحتجاب عَنْ كُلِّ مَا تَرَاهُ الْعُيُونُ كَذَلِكَ [أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى] أَمْرَ الْبَاطِنِ فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا فِي صَلَاتِهِ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُو قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ بَعِيدٌ عَنْ حَقِيقَةِ مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ فِي صَلَاتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لا أَطَّلِعُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ مؤمن فَأَعْلَمُ فِيهِ حُبَّ الْإِخْلَاصِ لِطَاعَتِي لِوَجْهِي وابْتِغَاءِ مَرْضَاتِي إِلَّا تَوَلَّيْتُ تَقْوِيمَهُ وسِيَاسَتَهُ [وتَقَرَّبْتُ مِنْهُ] ومَنِ اشْتَغَلَ فِي صَلَاتِهِ بِغَيْرِي فَهُو مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِنَفْسِهِ اسْمُهُ مَكْتُوبٌ فِي دِيوَانِ الْخَاسِرِين)(١).

وإذا جلس المصلي للتشهد بعد هذه الأفعال الدقيقة والأسرار العميقة، المشتملة على الأخطار العظيمة فليستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل، أن يكون جميع ما سلف منه غير واقع على وجهه، فليجعل يده صفرًا خاليًا من فوائدها إلّا أن يتدارك الله تعالى برحمته ويقبل عمله الناقص بفضله وكرمه، فيرجع إلى مبدأ الآخر وأصل الدين، فيستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمنا، فيشهد له تعالى بالوحدانية والألوهية ويقر لنبيه ﷺ بالرسالة، ويجعله شفيعا وواسطة بينه وبين ربه عز وجل، ثم يتبرك بالصلاة عليه وعلى آله صلى الله عليهم أجمعين، لأنها مفتاح النجاة وسبب قبول الأعمال.

قال الصادق عليه السلام: (التَّشَهُّدُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ فَكُنْ عَبْدًا لَهُ فِي السِّرِّ خَاضِعًا لَهُ فِي الْفِعْلِ كَمَا أَنَّكَ عَبْدٌ لَهُ بِالْقَوْلِ والدَّعْوَى وصِلْ صِدْقَ

---

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص٩١.

لِسَانِكَ بِصَفَاءِ صِدْقِ سِرِّكَ فَإِنَّهُ خَلَقَكَ عَبْدًا وأَمَرَكَ أَنْ تَعْبُدَهُ بِقَلْبِكَ ولِسَانِكَ وجَوَارِحِكَ وأَنْ تُحَقِّقَ عُبُودِيَّتَكَ لَهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ لَكَ وتَعْلَمَ أَنَّ نَوَاصِيَ الْخَلْقِ بِيَدِهِ فَلَيْسَ لَهُمْ نَفَسٌ ولَا لَحْظَةٌ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ ومَشِيَّتِهِ وهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إِتْيَانِ أَقَلِّ شَيْءٍ فِي مَمْلَكَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وإِرَادَتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وربُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ سُبْحانَ اللَّهِ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ فَكُنْ لِلَّهِ عَبْدًا ذَاكِرًا بِالْقَوْلِ والدَّعْوَى وصِلْ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ سِرِّكَ فَإِنَّهُ خَلَقَكَ فَعَزَّ وجَلَّ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةٌ ومَشِيئَةٌ [لأَحَدٍ] إِلَّا بِسَابِقِ إِرَادَتِهِ ومَشِيَّتِهِ فَاسْتَعْمِلِ الْعُبُودِيَّةَ فِي الرِّضَا بِحِكْمَتِهِ وبِالْعِبَادَةِ فِي أَدَاءِ أَوَامِرِهِ وقَدْ أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ عَلَى حَبِيبِهِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَوْصِلْ صَلَاتَهُ بِصَلَوَاتِهِ وطَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وشَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ وانْظُرْ إِلَى أَنْ لَا يَفُوتَكَ بَرَكَاتِ مَعْرِفَةِ حُرْمَتِهِ فَتُحْرَمَ عَنْ فَائِدَةِ صَلَوَاتِهِ وأَمْرِهِ بِالاسْتِغْفَارِ لَكَ والشَّفَاعَةِ فِيكَ إِنْ أَتَيْتَ بِالْوَاجِبِ فِي الْأَمْرِ والنَّهْيِ والسُّنَنِ والْآدَابِ وتَعْلَمُ جَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وجَل)[1].

وإذا فرغ المصلي من التشهد فليحضر نفسه بحضرة سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين فيقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ثم يسلم على نفسه ومن معه من الملائكة والأئمة الطاهرين وجميع عباد الله الصالحين، ثم يسلم على جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والأئمة الهادين والحفظة الكرام الكاتبين وحاضري صلاة الجماعة إن صلى جماعة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا يطلق لسانه بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنه، فيكون من العابثين واللاعبين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص٩٣.

إذا عرفت هذا فاعلم أن إقامة الصلاة في المعنى هو ما أشرنا إليه من بعض أسرارها وغيرها مما يطول ذكره.

وأما إقامتها في الصورة، فبإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها وحدودها، وصيانتها عما يفسدها وينقصها، ومن جملة الأخبار الواردة هنا ما رواه حماد بن عيسى قال: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يَوْمًا: (يَا حَمَّادُ تُحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ قَالَ: فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي أَنَا أَحْفَظُ كِتَابَ حَرِيزٍ فِي الصَّلَاةِ. فَقَال: لَا عَلَيْكَ يَا حَمَّادُ قُمْ فَصَلِّ قَالَ فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْقِبْلَةِ فَاسْتَفْتَحْتُ الصَّلَاةَ فَرَكَعْتُ وسَجَدْتُ فَقَالَ يَا حَمَّادُ لَا تُحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ يَأْتِي عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً أَو سَبْعُونَ سَنَةً فَلَا يُقِيمُ صَلَاةً وَاحِدَةً بِحُدُودِهَا تَامَّةً قَالَ حَمَّادٌ فَأَصَابَنِي فِي نَفْسِي الذُّلُّ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَعَلِّمْنِي الصَّلَاةَ فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ مُنْتَصِبًا فَأَرْسَلَ يَدَيْهِ جَمِيعًا عَلَى فَخِذَيْهِ قَدْ ضَمَّ أَصَابِعَهُ وقَرَّبَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا قَدْرُ ثَلَاثِ أَصَابِعَ مُنْفَرِجَاتٍ واسْتَقْبَلَ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ جَمِيعًا الْقِبْلَةَ لَمْ يُحَرِّفْهُمَا عَنِ الْقِبْلَةِ وقَالَ بِخُشُوعِ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَرَأَ الْحَمْدَ بِتَرْتِيلٍ وقُلْ هُواللَّهُ أَحَدٌ ثُمَّ صَبَرَ هُنَيَّةً بِقَدْرِ مَا يَتَنَفَّسُ وهُو قَائِمٌ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ وقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ وهُو قَائِمٌ ثُمَّ رَكَعَ ومَلَأَ كَفَّيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ مُنْفَرِجَاتٍ ورَدَّ رُكْبَتَيْهِ إِلَى خَلْفِهِ حَتَّى اسْتَوَى ظَهْرُهُ حَتَّى لَو صُبَّ عَلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ أَو دُهْنٍ لَمْ تَزُلْ لِاسْتِوَاءِ ظَهْرِهِ ومَدَّ عُنُقَهُ وغَمَّضَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ سَبَّحَ ثَلَاثًا بِتَرْتِيلٍ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وبِحَمْدِهِ ثُمَّ اسْتَوَى قَائِمًا فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنَ الْقِيَامِ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ كَبَّرَ وهُو قَائِمٌ ورَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ ثُمَّ سَجَدَ وبَسَطَ كَفَّيْهِ مَضْمُومَتَي الْأَصَابِعِ بَيْنَ يَدَيْ رُكْبَتَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وبِحَمْدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

ولَمْ يَضَعْ شَيْئًا مِنْ جَسَدِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ وسَجَدَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَعْظُم الْكَفَّيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ وأَنَامِلِ إِبْهَامَيِ الرِّجْلَيْنِ والْجَبْهَةِ والْأَنْفِ وقَالَ سَبْعَةٌ مِنْهَا فَرْضٌ يُسْجَدُ عَلَيْهَا وهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ وأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وهِيَ الْجَبْهَةُ والْكَفَّانِ والرُّكْبَتَانِ والْإِبْهَامَانِ ووَضْعُ الْأَنْفِ عَلَى الْأَرْضِ سُنَّةٌ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ فَلَمَّا اسْتَوَى جَالِسًا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَعَدَ عَلَى فَخِذِهِ الْأَيْسَرِ وقَدْ وَضَعَ ظَاهِرَ قَدَمِهِ الْأَيْمَنِ عَلَى بَطْنِ قَدَمِهِ الْأَيْسَرِ وقَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي وأَتُوبُ إِلَيْهِ ثُمَّ كَبَّرَ وهُو جَالِسٌ وسَجَدَ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ وقَالَ كَمَا قَالَ فِي الْأُولَى ولَمْ يَضَعْ شَيْئًا مِنْ بَدَنِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ فِي رُكُوعٍ ولَا سُجُودٍ وكَانَ مُجَنِّحًا ولَمْ يَضَعْ ذِرَاعَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ عَلَى هَذَا ويَدَاهُ مَضْمُومَتَا الْأَصَابِعِ وهُو جَالِسٌ فِي التَّشَهُّدِ فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّشَهُّدِ سَلَّمَ فَقَالَ يَا حَمَّادُ هَكَذَا صَلِّ)[١].

---

(١) الكافي، ج٣ ص٣١٥.

[تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾]

[قوله عز وجل:] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: (يَعْنِي ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ، والْقُوَى فِي الْأَبْدَانِ والْجَاهِ، والْمِقْدَارِ ﴿يُنفِقُونَ﴾ يُؤَدُّونَ مِنَ الْأَمْوَالِ الزَّكَوَاتِ، ويَجُودُونَ بِالصَّدَقَاتِ، ويَحْتَمِلُونَ الْكَلَ يُؤَدُّونَ الْحُقُوقَ اللَّازِمَاتِ كَالنَّفَقَةِ فِي الْجِهَادِ إِذَا لَزِمَ وإِذَا اسْتُحِبَّ، وكَسَائِرِ النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْأَهْلِينَ وذَوِي الْأَرْحَامِ الْقَرِيبَاتِ والْآبَاءِ والْأُمَّهَاتِ وكَالنَّفَقَاتِ الْمُسْتَحَبَّاتِ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ فَرْضًا عَلَيْهِمُ النَّفَقَةُ مِنْ سَائِرِ الْقَرَابَاتِ، وكَالْمَعْرُوفِ بِالْإِسْعَافِ والْقَرْضِ، والْأَخْذِ بِأَيْدِي الضُّعَفَاءِ والضَّعِيفَاتِ.

ويُؤَدُّونَ مِنْ قُوَى الْأَبْدَانِ الْمَعُونَاتِ كَالرَّجُلِ يَقُودُ ضَرِيرًا، ويُنَجِّيهِ مِنْ مَهْلَكَةٍ أَو يُعِينُ مُسَافِرًا أَو غَيْرَ مُسَافِرٍ عَلَى حَمْلِ مَتَاعٍ عَلَى دَابَّةٍ قَدْ سَقَطَ عَنْهَا، أَو كَدَفْعٍ عَنْ مَظْلُومٍ قَصَدَهُ ظَالِمٌ بِالضَّرْبِ أَو بِالْأَذَى.

ويُؤَدُّونَ الْحُقُوقَ مِنَ الْجَاهِ بِأَنْ يَدْفَعُوا بِهِ عَنْ عِرْضِ مَنْ يُظْلَمُ بِالْوَقِيعَةِ فِيهِ، أَو يَطْلُبُوا حَاجَةً بِجَاهِهِمْ لِمَنْ قَدْ عَجَزَ عَنْهَا بِمِقْدَارِهِ، فَكُلُّ هَذَا إِنْفَاقٌ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: أَمَّا الزَّكَاةُ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَدَّى

الزَّكَاةَ إِلَى مُسْتَحِقِّهَا، وأقام الصَّلَاةَ عَلَى حُدُودِهَا، ولَمْ يُلْحِقْ بِهِمَا مِنَ الْمُوبِقَاتِ مَا يُبْطِلُهُمَا جاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَغْبِطُهُ كُلُّ مَنْ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ حَتَّى تَرْفَعَهُ نَسِيمُ الْجَنَّةِ إِلَى أَعْلَى غُرَفِهَا وعَلَالِيهَا بِحَضْرَةِ مَنْ كَانَ يُوَالِيهِ مِنْ مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

ومَنْ بَخِلَ بِزَكَاتِهِ وأَدَّى صَلَاتَهُ، فَصَلَاتُهُ مَحْبُوسَةٌ دُوَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى أَنْ يَجِيءَ حِينُ زَكَاتِهِ، فَإِنْ أَدَّاهَا جُعِلَتْ كَأَحْسَنِ الْأَفْرَاسِ مَطِيَّةً لِصَلَاتِهِ، فَحَمَلَتْهَا إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: سِرْ إِلَى الْجِنَانِ، وارْكُضْ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ رَكْضُكَ فَهُو كُلُّهُ بِسَائِرِ مَا تمنيته [تَمَسُّهُ] لِبَاعِثِكَ فَيَرْكُضُ فِيهَا عَلَى أَنَّ كُلَّ رَكْضَةٍ مَسِيرَةُ سَنَةٍ فِي قَدْرِ لَمْحَةِ بَصَرِهِ مِنْ يَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى حَيْثُ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ لَهُ، ومِثْلُهُ عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ، وأَمَامِهِ وخَلْفِهِ، وفَوْقِهِ وتَحْتِهِ.

وإِنْ بَخِلَ بِزَكَاتِهِ ولَمْ يُؤَدِّهَا، أُمِرَ بِالصَّلَاةِ فَرُدَّتْ إِلَيْهِ، ولُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ، ويُقَالُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا تَصْنَعُ بِهَذَا دُونَ هَذَا قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا أَسْوَأَ حَالَ هَذَا واللَّهِ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَولَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَنْ هُو أَسْوَأُ حَالًا مِنْ هَذَا.

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: رَجُلٌ حَضَرَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقُتِلَ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، والْحُورُ الْعِينُ يَتَطَلَّعْنَ إِلَيْهِ، وخُزَّانُ الْجِنَانِ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى وُرُودِ رُوحِهِ [عَلَيْهِمْ وأَمْلَاكُ السَّمَاءِ] وأَمْلَاكُ الْأَرْضِ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى نُزُولِ حُورِ الْعِينِ إِلَيْهِ، والْمَلَائِكَةُ خُزَّانُ الْجِنَانِ، فَلَا يَأْتُونَهُ.

فَتَقُولُ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ حَوَالَيْ ذَلِكَ الْمَقْتُولِ: مَا بَالُ الْحُورِ الْعِينِ لَا يَنْزِلْنَ إِلَيْهِ ومَا بَالُ خُزَّانِ الْجِنَانِ لَا يَرِدُونَ عَلَيْهِ فَيُنَادَوْنَ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: يَا أَيَّتُهَا الْمَلَائِكَةُ، انْظُرُوا إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ وَدُوَيْنِهَا فَيَنْظُرُونَ، فَإِذَا تَوْحِيدُ هَذَا الْعَبْدِ وإِيمَانُهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وصَلَاتُهُ وزَكَاتُهُ، وصَدَقَتُهُ، وأَعْمَالُ بِرِّهِ كُلُّهَا مَحْبُوسَاتٌ دُوَيْنَ السَّمَاءِ، وقَدْ طَبِقَتْ آفَاقُ السَّمَاءِ كُلُّهَا كَالْقَافِلَةِ الْعَظِيمَةِ قَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْمَشَارِقِ والْمَغَارِبِ، ومَهَابِّ الشَّمَالِ والْجَنُوبِ تُنَادِي أَمْلَاكُ تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْحَامِلُونَ لَهَا، الْوَارِدُونَ بِهَا مَا بَالُنَا لَا تُفْتَحُ لَنَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِنَدْخُلَ إِلَيْهَا بِأَعْمَالِ هَذَا الشَّهِيدِ فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِفَتْحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَتُفْتَحُ، ثُمَّ يُنَادَى هَؤُلَاءِ الْأَمْلَاكُ: ادْخُلُوهَا إِنْ قَدَرْتُمْ. فَلَا تُقِلُّهَا أَجْنِحَتُهُمْ، ولَا يَقْدِرُونَ عَلَى الِارْتِفَاعِ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ.

فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى الِارْتِفَاعِ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ.

فَيُنَادِيهِمْ مُنَادِي رَبِّنَا عَزَّ وجَلَّ: يَا أَيَّتُهَا الْمَلَائِكَةُ لَسْتُمْ حَمَّالِي هَذِهِ الْأَثْقَالِ الصَّاعِدِينَ بِهَا إِنَّ حَمَلَتَهَا الصَّاعِدِينَ بِهَا مَطَايَاهَا الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى دُوَيْنِ الْعَرْشِ، ثُمَّ تُقِرُّهَا فِي دَرَجَاتِ الْجِنَانِ.

فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا مَا مَطَايَاهَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ومَا الَّذِي حَمَلْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ فَيَقُولُونَ: تَوْحِيدَهُ لَكَ، وإِيمَانَهُ بِنَبِيِّكَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: فَمَطَايَاهَا مُوَالَاةُ عَلِيٍّ أَخِي نَبِيِّي، ومُوَالَاةُ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ، فَإِنْ أُتِيَتْ فَهِيَ الْحَامِلَةُ الرَّافِعَةُ الْوَاضِعَةُ لَهَا فِي الْجِنَانِ.

فَيَنْظُرُونَ فَإِذَا الرَّجُلُ مَعَ مَا لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، لَيْسَ لَهُ مُوَالَاةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ والطَّيِّبِينَ مِنْ آلِهِ، ومُعَادَاةُ أَعْدَائِهِمْ.

فَيقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لِلأَمْلَاكِ الَّذِينَ كَانُوا حَامِلِيهَا: اعْتَزِلُوهَا، والْحَقُوا بِمَرَاكِزِكُمْ مِنْ مَلَكُوتِي لِيأْتِهَا مَنْ هُو أَحَقُّ بِحَمْلِهَا، ووَضْعِهَا فِي مَوْضِعِ اسْتِحْقَاقِهَا.

فَتَلْحَقُ تِلْكَ الْأَمْلَاكُ بِمَرَاكِزِهَا الْمَجْعُولَةِ لَهَا.

ثُمَّ يُنَادِي مُنَادِي رَبِّنَا عَزَّ وجَلَّ: يَا أَيَّتُهَا الزَّبَانِيَةُ تَنَاوَلِيهَا وضعيها وحُطِّيهَا إِلى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا لَمْ يَجْعَلْ لَهَا مَطَايَا مِنْ مُوَالاةِ عَلِيٍّ والطَّيِّبِينَ مِنْ آلِهِ عليهم السلام.

قَالَ: فتنادي [فَتَنَاوَلَ] تِلْكَ الْأَمْلَاكُ، ويُقَلِّبُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ تِلْكَ الْأَثْقَالَ أَوْزَارًا وبَلَايَا عَلَى بَاعِثِهَا لِمَا فَارَقَتْهَا مَطَايَاهَا مِنْ مُوَالاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ونَادَتْ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى مُخَالَفَتِهِ لِعَلِيٍّ عليه السلام، ومُوَالاتِهِ لِأَعْدَائِهِ فَيُسَلِّطُهَا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ وهِيَ فِي صُورَةِ الْأَسْوَدِ عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ، وهِيَ كَالْغِرْبَانِ والْقَرَقَسِ فَتَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِ تِلْكَ الْأَسْوَدِ نِيرَانٌ تُحْرِقُهَا، ولَا يَبْقَى لَهُ عَمَلٌ إِلَّا أُحْبِطَ ويَبْقَى عَلَيْهِ مُوَالاتُهُ لِأَعْدَاءِ عَلِيٍّ عليه السلام وجَحْدُهُ وَلَايَتَهُ، فَيُقِرُّهُ ذَلِكَ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ فَإِذَا هُو قَدْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُ، وعَظُمَتْ أَوْزَارُهُ وأَثْقَالُهُ فَهَذَا أَسْوَأُ حَالًا مِنْ مَانِعِ الزَّكَاةِ الَّذِي يَحْفَظُ الصَّلَاةَ.

قَالَ: فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَمَنْ يَسْتَحِقُّ الزَّكَاةَ قَالَ: الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ شِيعَةِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ الَّذِينَ لَمْ تَقْوَ بَصَائِرُهُمْ، فَأَمَّا مَنْ قَوِيَتْ بَصِيرَتُهُ، وحَسُنَتْ بِالْوَلَايَةِ لِأَوْلِيَائِهِ والْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ مَعْرِفَتُهُ، فَذَاكَ أَخُوكُمْ فِي الدِّينِ، أَمَسُّ بِكُمْ رَحِمًا مِنَ الْآبَاءِ والْأُمَّهَاتِ الْمُخَالِفِينَ فَلَا تُعْطُوهُ زَكَاةً ولَا صَدَقَةً، فَإِنَّ مَوَالِينَا وشِيعَتَنَا مِنَّا، وكُلُّنَا كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ يَحْرُمُ عَلَى جَمَاعَتِنَا الزَّكَاةُ والصَّدَقَةُ، ولْيَكُنْ مَا تُعْطُونَهُ إِخْوَانَكُمُ الْمُسْتَبْصِرِينَ

الْبِرَّ، وارْفَعُوهُمْ عَنِ الزَّكَوَاتِ والصَّدَقَاتِ، ونَزِّهُوهُمْ عَنْ أَنْ تَصُبُّوا عَلَيْهِمْ أَوْسَاخَكُمْ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَغْسِلَ وَسَخَ بَدَنِهِ، ثُمَّ يَصُبَّهُ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ وَسَخَ الذُّنُوبِ أَعْظَمُ مِنْ وَسَخِ الْبَدَنِ، فَلَا تُوَسِّخُوا بِهَا إِخْوَانَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ.

ولَا تَقْصِدُوا أيضًا بِصَدَقَاتِكُمْ وزَكَوَاتِكُمُ [الْمُخَالِفِينَ] الْمُعَانِدِينَ لِآلِ مُحَمَّدٍ، الْمُحِبِّينَ لِأَعْدَائِهِمْ، فَإِنَّ الْمُتَصَدِّقَ عَلَى أَعْدَائِنَا كَالسَّارِقِ فِي حَرَمِ رَبِّنَا عَزَّ وجَلَّ وحَرَمِي.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الْمُخَالِفِينَ الْجَاهِلِينَ، لَا هُمْ فِي مُخَالَفَتِنَا مُسْتَبْصِرُونَ ولَا هُمْ لَنَا مُعَانِدُونَ.

قَالَ: فَيُعْطَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مِنَ الدَّرَاهِمِ مَا دُونَ الدِّرْهَمِ، ومِنَ الْخُبْزِ مَا دُونَ الرَّغِيفِ.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثُمَّ كُلُّ مَعْرُوفٍ بَعْدَ ذَلِكَ، ومَا وَقَيْتُمْ بِهِ أَعْرَاضَكُمْ وصُنْتُمُوهَا عَنْ أَلْسِنَةِ كِلَابِ النَّاسِ، كَالشُّعَرَاءِ الْوَقَّاعِينَ فِي الْأَعْرَاضِ، تكُفُّونَهُمْ فَهُو مَحْسُوبٌ لَكُمْ فِي الصَّدَقَاتِ.

وسُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ النَّفَقَةِ فِي الْجِهَادِ إِذَا لَزِمَ أَو اسْتُحِبَّ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا لَزِمَ الْجِهَادُ بِأَنْ لَا يَكُونَ بِإِزَاءِ الْكَافِرِينَ مَنْ يَنُوبُ عَنْ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ فَالنَّفَقَةُ هُنَاكَ: الدِّرْهَمُ بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ درهم.

فَأَمَّا الْمُسْتَحَبُّ الَّذِي هُو قصد الرَّجُلُ، وقَدْ نَابَ عَنْهُ مَنْ سَبَقَهُ واسْتَغْنَى عَنْهُ فَالدِّرْهَمُ بِسَبْعِمِائَةِ حَسَنَةٍ، كُلُّ حَسَنَةٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ.

وأَمَّا الْقَرْضُ، فَقَرْضُ دِرْهَمٍ كَصَدَقَةِ دِرْهَمَيْنِ، سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هُو الصَّدَقَةُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ.

وقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَادَ ضَرِيرًا أَرْبَعِينَ خُطْوَةً عَلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ، لَا خَوْفَ عَلَيْهِ، أُعْطِيَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي أَلْفِ سَنَةٍ لَا يَفِي بِقَدْرِ إِبْرَةٍ مِنْهَا جَمِيعُ طِلَاعِ الْأَرْضِ ذَهَبًا.

فَإِنْ كَانَ فِيمَا قَادَهُ مَهْلَكَةٌ جوَّزَهُ عَنْهَا، وَجَدَ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ، ورَجَحَ بِسَيِّئَاتِهِ كُلِّهَا ومَحَقَهَا، وأنزله فِي أَعَالِي الْجِنَانِ وغُرَفِهَا.

ومَا مِنْ رَجُلٍ رَأَى مَلْهُوفًا فِي طَرِيقٍ بِمَرْكُوبٍ لَهُ قَدْ سَقَطَ، وهُو يَسْتَغِيثُ ولَا يُغَاثُ فَأَغَاثَهُ وحَمَلَهُ عَلَى مَرْكُوبِهِ، وسَوَّى لَهُ إِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: كَدَدْتَ نَفْسَكَ، وبَذَلْتَ جُهْدَكَ فِي إِغَاثَةِ أَخِيكَ هَذَا الْمُؤْمِنِ، لَأَكُدَّنَّ مَلَائِكَةً هُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ خَلَائِقِ الْإِنْسِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ، وأَعْظَمُ قُوَّةً كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ يَسْهُلُ عَلَيْهِ حَمْلُ السَّمَاوَاتِ والْأَرَضِينَ لِيَبْنُوا لَكَ الْقُصُورَ والْمَسَاكِنَ ولِيَرْفَعُوا لَكَ الدَّرَجَاتِ، فَإِذَا أَنْتَ فِي جَنَّاتِي كَأَحَدِ مُلُوكِهَا الْفَاضِلِينَ.

ومَنْ دَفَعَ عَنْ مَظْلُومٍ قُصِدَ بِظُلْمٍ ضَرَرًا فِي مَالِهِ أَو بَدَنِهِ، خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ مِنْ حُرُوفِ أَقْوَالِهِ، وحَرَكَاتِ أَفْعَالِهِ، وسُكُونِهَا، أَمْلَاكًا بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا مِائَةَ أَلْفِ مَلَكٍ كُلُّ مَلَكٍ مِنْهُمْ يَقْصِدُونَ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ لِإِغْوَائِهِ فَيَشُجُّونَهُمْ ضَرْبًا بِالْأَحْجَارِ الدَّامِغَةِ وأَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِكُلِّ ذَرَّةِ ضَرَرٍ دَفَعَ عَنْهُ، وبِأَقَلَّ قَلِيلِ جُزْءِ أَلَمِ الضَّرَرِ الَّذِي كَفَّ عَنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ مِنْ خُدَّامِ الْجِنَانِ، ومِثْلَهُمْ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ الْحِسَانِ

يُدَلِّلُونَهُ هُنَاكَ ويُشَرِّفُونَهُ ويقُولُونَ: هَذَا بِدَفْعِكَ عَنْ فُلَانٍ ضَرَرًا فِي مَالِهِ أَو بَدَنِهِ.

ومَنْ حَضَرَ مَجْلِسًا وقَدْ حَضَرَ فِيهِ كَلْبٌ يَفْتَرِسُ عِرْضَ أَخِيهِ الْغَائِبِ واتَّسَعَ جَاهُهُ فَاسْتَخَفَّ بِهِ، ورَدَّ عَلَيْهِ، وذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْغَائِبِ، قَيَّضَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ الْمُجْتَمِعِينَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ لِحَجِّهِمْ، وهُمْ شَطْرُ مَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ، ومَلَائِكَةِ الْكُرْسِيِّ والْعَرْشِ ومَلَائِكَةِ الْحُجُبِ، فَأَحْسَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى مَحْضَرَهُ، يَمْدَحُونَهُ ويُقَرِّبُونَهُ ويَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ الرِّفْعَةَ والْجَلَالَةَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مَادِحِيكُمْ مِثْلَ عَدَدِ جَمِيعِكُمْ مِنْ دَرَجَاتٍ وقُصُورٍ، وجِنَانٍ، وبَسَاتِينَ، وأَشْجَارٍ، ومَا شِئْتُ، مِمَّا لَا يُحِيطُ بِهِ الْمَخْلُوقُونَ.

ولَقَدْ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا وقَدْ غَصَّ مَجْلِسُهُ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَنْفَقَ الْيَوْمَ مِنْ مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَكَتُوا.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَنَا خَرَجْتُ ومَعِي دِينَارٌ أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ بِهِ دَقِيقًا، فَرَأَيْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، وتَبَيَّنْتُ فِي وَجْهِهِ أَثَرَ الْجُوعِ، فَنَاوَلْتُهُ الدِّينَارَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَجَبَتْ ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: [يَا رَسُولَ اللَّهِ] قَدْ أَنْفَقْتُ الْيَوْمَ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَقَ عَلِيٌّ جَهَّزْتُ رَجُلًا وامْرَأَةً يُرِيدَانِ طَرِيقًا ولَا نَفَقَةَ لَهُمَا، فَأَعْطَيْتُهُمَا أَلْفَ دِرْهَمٍ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ قُلْتَ لِعَلِيٍّ: «وَجَبَتْ»، ولَمْ تَقُلْ لِهَذَا وهُو أَكْثَرُ صَدَقَةً!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا رَأَيْتُمْ مَلِكًا يُهْدِي خَادِمُهُ إِلَيْهِ هَدِيَّةً خَفِيفَةً، فَيُحْسِنُ مَوْقِعَهَا عِنْدَهُ، وَيَرْفَعُ مَحَلَّ صَاحِبِهَا، وَيُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِ خَادِمٍ آخَرَ هَدِيَّةٌ عَظِيمَةٌ فَيَرُدُّهَا، وَيَسْتَخِفُّ بِبَاعِثِهَا قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَكَذَلِكَ صَاحِبُكُمْ، عَلِيٌّ دَفَعَ دِينَارًا مُنْقَادًا لِلَّهِ سَادًّا خَلَّةَ فَقِيرٍ مُؤْمِنٍ، وَصَاحِبُكُمُ الْآخَرُ أَعْطَى مَا أَعْطَى نَظِيرًا لَهُ، مُعَانَدَةً عَلَى أَخِي رَسُولِ اللَّهِ، يُرِيدُ بِهِ الْعُلُو عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَأَحْبَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَمَلَهُ، وَصَيَّرَهُ وَبَالًا عَلَيْهِ.

أَمَا لَو تَصَدَّقَ بِهَذِهِ النِّيَّةِ مِنَ الثَّرَى إِلَى الْعَرْشِ ذَهَبًا [وَفِضَّةً] وَلُؤْلُؤًا لَمْ يَزْدَدْ بِذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بُعْدًا، وَإِلَى سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا قُرْبًا، وَفِيهِ وُلُوجًا وَاقْتِحَامًا.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَيُّكُمْ دَفَعَ الْيَوْمَ عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِقُوَّتِهِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : أَنَا مَرَرْتُ فِي طَرِيقِ كَذَا، فَرَأَيْتُ فَقِيرًا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَنَاوَلَهُ أَسَدٌ، فَوَضَعَهُ تَحْتَهُ وَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَالرَّجُلُ يَسْتَغِيثُ بِي مِنْ تَحْتِهِ، فَنَادَيْتُ الْأَسَدَ: خَلِّ عَنِ الْمُؤْمِنِ فَلَمْ يُخَلِّ، فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ فَرَكَلْتُهُ بِرِجْلِي فَدَخَلَتْ رِجْلِي فِي جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ وَخَرَجَتْ مِنْ جَنْبِهِ الْأَيْسَرِ، وَخَرَّ الْأَسَدُ صَرِيعًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَجَبَتْ هَكَذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُلِّ مَنْ آذَى لَكَ وَلِيًّا، يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَكَاكِينَ النَّارِ وَسُيُوفَهَا، يُبْعَجُ بِهَا بَطْنُهُ وَيُحْشَى نَارًا، ثُمَّ يُعَادُ خَلْقًا جَدِيدًا أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَيُّكُمُ الْيَوْمَ نَفَعَ بِجَاهِهِ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : أَنَا.

قَالَ: صَنَعْتَ مَاذَا؟

قَالَ: مَرَرْتُ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وقَدْ لَازَمَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ فِي ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ عَمَّارٌ: يَا أَخَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا يُلَازِمُنِي ولَا يُرِيدُ إِلَّا أَذَايَ وإِذْلَالِي لِمَحَبَّتِي لَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَخَلِّصْنِي مِنْهُ بِجَاهِكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أُكَلِّمَ لَهُ الْيَهُودِيَّ.

فَقَالَ: يَا أَخَا رَسُولِ اللَّهِ إِنَّكَ أَجَلُّ فِي قَلْبِي وعَيْنِي مِنْ أَنْ أَبْذُلَكَ لِهَذَا الْكَافِرِ ولَكِنْ اشْفَعْ لِي إِلَى مَنْ لَا يَرُدُّكَ عَنْ طَلِبَةٍ، ولَو أَرَدْتَ جَمِيعَ جَوَانِبِ الْعَالَمِ أَنْ يُصَيِّرَهَا كَأَطْرَافِ السُّفْرَةِ لَفَعَلَ فَاسْأَلْهُ أَنْ يُعِينَنِي عَلَى أَدَاءِ دَيْنِهِ، ويُغْنِيَنِي عَنِ الِاسْتِدَانَةِ.

فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ بِهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْرِبْ بِيَدِكَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ شَيْءٍ حَجَرٍ أَو مَدَرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُقَلِّبُهُ لَكَ ذَهَبًا إِبْرِيزًا فَضَرَبَ يَدَهُ، فَتَنَاوَلَ حَجَرًا فِيهِ أَمْنَانٌ فَتَحَوَّلَ فِي يَدِهِ ذَهَبًا.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْيَهُودِيِّ فَقَالَ: وكَمْ دَيْنُكَ قَالَ: ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا.

فَقَالَ: كَمْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ قَالَ: ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ.

قَالَ عَمَّارٌ: اللَّهُمَّ بِجَاهِ مَنْ بِجَاهِهِ قَلَّبْتَ هَذَا الْحَجَرَ ذَهَبًا، لَيِّنْ لِي هَذَا الذَّهَبَ لِأَفْصِلَ قَدْرَ حَقِّهِ.

فَأَلَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ، فَفَصَلَ لَهُ ثَلَاثَةَ مَثَاقِيلَ، وأَعْطَاهُ.

ثُمَّ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ولَا أُرِيدُ غِنًى يُطْغِينِي، اللَّهُمَّ فَأَعِدْ هَذَا الذَّهَبَ حَجَرًا بِجَاهِ مَنْ جَعَلْتَهُ ذَهَبًا بَعْدَ أَنْ كَانَ حَجَرًا، فَعَادَ حَجَرًا فَرَمَاهُ مِنْ

يَدِهِ، وقَالَ: حَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ مُوَالاتِي لَكَ يَا أَخَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَتَعَجَّبَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ مِنْ فِعْلِهِ، وعَجَّتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ تَتَوَالَى عَلَيْهِ.

قَالَ ﷺ : فَأَبْشِرْ يَا أَبَا الْيَقْظَانِ فَإِنَّكَ أَخُو عَلِيٍّ فِي دِيَانَتِهِ، ومِنْ أَفَاضِلِ أَهْلِ وَلَايَتِهِ ومِنَ الْمَقْتُولِينَ فِي مَحَبَّتِهِ، تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، وآخِرُ زَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا ضَيَاحٌ مِنْ لَبَنٍ وتَلْحَقُ رُوحُكَ بِأَرْوَاحِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ الْفَاضِلِينَ، فَأَنْتَ مِنْ خِيَارِ شِيعَتِي.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَيُّكُمْ أَدَّى زَكَاتَهُ الْيَوْمَ.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَسَرَّ الْمُنَافِقُونَ فِي أُخْرَيَاتِ الْمَجْلِسِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَقُولُونَ: وأَيُّ مَالٍ لِعَلِيٍّ عليه السلام حَتَّى يُؤَدِّيَ مِنْهُ الزَّكَاةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَلِيُّ أَتَدْرِي مَا يُسِرُّهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ فِي أُخْرَيَاتِ الْمَجْلِسِ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : بَلَى، قَدْ أَوْصَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أُذُنِي مَقَالَتَهُمْ، يَقُولُونَ: وأَيُّ مَالٍ لِعَلِيٍّ عليه السلام حَتَّى يُؤَدِّيَ زَكَاتَهُ كُلُّ مَالٍ يُغْتَنَمُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلِي خُمُسُهُ بَعْدَ وَفَاتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وحُكْمِي عَلَى الَّذِي مِنْهُ لَكَ فِي حَيَاتِكَ جَائِزٌ، فَإِنِّي نَفْسُكَ وأَنْتَ نَفْسِي.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كَذَلِكَ هُوَ يَا عَلِيُّ، ولَكِنْ كَيْفَ أَدَّيْتَ زَكَاةَ ذَلِكَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْتُ بِتَعْرِيفِ اللَّهِ إِيَّايَ عَلَى

لِسَانِكَ أَنَّ نُبُوَّتَكَ هَذِهِ سَيَكُونُ بَعْدَهَا لمُلْكٌ عَضُوضٌ، وحزبه فَيَسْتَوْلِي عَلَى خُمُسِي مِنَ السَّبْيِ والْغَنَائِمِ فَيَبِيعُونَهُ، فَلَا يَحِلُّ لِمُشْتَرِيهِ، لِأَنَّ نَصِيبِي فِيهِ، فَقَدْ وَهَبْتُ نَصِيبِي فِيهِ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مِنْ شِيعَتِي، لِتَحِلَّ لَهُمْ مِنْ مَنَافِعِهِمْ مِنْ مَأْكَلٍ ومَشْرَبٍ، ولِتَطِيبَ مَوَالِيدُهُمْ، ولَا يَكُونَ أَوْلَادُهُمْ أَوْلَادَ حَرَامٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: [مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْ صَدَقَتِكَ وقَدْ تَبِعَكَ رَسُولُ اللَّهِ فِي فِعْلِكَ] أَحَلَّ لِشِيعَتِكَ كُلَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ غَنِيمَتِهِ، وبَيْعٍ مِنْ نَصِيبِهِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ شِيعَتِي ولَا أَحَلَّهُ أَنَا ولَا أَنْتَ لِغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَيُّكُمْ دَفَعَ الْيَوْمَ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَرْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ وهُو يَتَنَاوَلُ عِرْضَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَقُلْتُ لَهُ: اسْكُتْ لَعَنَكَ اللَّهُ فَمَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ إِلَّا كَنَظَرِكَ إِلَى الشَّمْسِ، ولَا تَتَحَدَّثْ عَنْهُ إِلَّا كَتَحَدُّثِ أَهْلِ الدُّنْيَا عَنِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ زَادَكَ لَعَائِنَ إِلَى لَعَائِنَ بِوَقِيعَتِكَ فِيهِ.

فَخَجِلَ واغْتَاظَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنَّمَا كُنْتُ فِي قَوْلِي مَازِحًا.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ كُنْتَ جَادًّا فَأَنَا جَادٌّ، وإِنْ كُنْتَ هَازِلًا فَأَنَا هَازِلٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ لَعَنَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عِنْدَ لَعْنِكَ لَهُ، ولَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ والْأَرَضِينَ والْحُجُبِ والْكُرْسِيِّ والْعَرْشِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْضَبُ لِغَضَبِكَ، ويَرْضَى لِرِضَاكَ، ويَعْفُو عِنْدَ عَفْوِكَ، ويَسْطُو عِنْدَ سَطْوَتِكَ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ أَتَدْرِي مَا ذَا سَمِعْتُ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى فِيكَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي يَا عَلِيُّ سَمِعْتُهُمْ يُقْسِمُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكَ،

ويَسْتَقْضُونَهُ حَوائِجَهُمْ، ويَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَحَبَّتِكَ، ويَجْعَلُونَ أَشْرَفَ مَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ الصَّلَاةَ عَلَيَّ وعَلَيْكَ.

وسَمِعْتُ خَطِيبَهُمْ فِي أَعْظَمِ مَحَافِلِهِمْ وهُو يَقُولُ: عَلِيٌّ الْحَاوِي لِأَصْنَافِ الْخَيْرَاتِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى أَنْوَاعِ الْمَكْرُمَاتِ، الَّذِي قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ مَا قَدْ تَفَرَّقَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْبَرِيَّاتِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الصَّلَوَاتُ والْبَرَكَاتُ والتَّحِيَّاتُ.

وسَمِعْتُ الْأَمْلَاكَ بِحَضْرَتِهِ، والْأَمْلَاكَ فِي سَائِرِ السَّمَاوَاتِ والْحُجُبِ والْعَرْشِ والْكُرْسِيِّ والْجَنَّةِ والنَّارِ يَقُولُونَ بِأَجْمَعِهِمْ عِنْدَ فَرَاغِ الْخَطِيبِ مِنْ قَوْلِهِ: آمِينَ اللَّهُمَّ وطَهِّرْنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِين)[1] انتهى ما في تفسير الإمام عليه السلام.

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قَالَ: (مِمَّا عَلَّمْنَاهُمْ يبثون ومِمَّا عَلَّمْنَاهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ يَتْلُونَ)[2].

وفي مصباح الشريعة قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (عَلَى كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِكَ زَكَاةٌ وَاجِبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى بَلْ عَلَى كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرٍ مِنْ شَعْرِكَ بَلْ عَلَى كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِكَ زَكَاةٌ فَزَكَاةُ الْعَيْنِ النَّظْرَةُ بِالْعِبْرَةِ والْغَضُّ عَنِ الشَّهَوَاتِ ومَا يُضَاهِيهَا، وزَكَاةُ الْأُذُنِ اسْتِمَاعُ العلم والْحِكْمَةِ والْقُرْآنِ وفَوَائِدِ الدِّينِ مِنَ الْمَوْعِظَةِ والنَّصِيحَةِ ومَا فِيهِ نَجَاتُكَ والْإِعْرَاضُ عَمَّا هُو ضِدُّهُ مِنَ الْكَذِبِ والْغِيبَةِ وأَشْبَاهِهِمَا.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٩٦.

(٢) معاني الأخبار، ص١١٧.

وزَكَاةُ اللِّسَانِ النُّصْحُ لِلْمُسْلِمِينَ والتَّيَقُّظُ لِلْغَافِلِينَ وكَثْرَةُ التَّسْبِيحِ والذِّكْرِ وغَيْرِهَا.

وزَكَاةُ الْيَدِ الْبَذْلُ والْعَطَاءُ والسَّخَاءُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ وتَحْرِيكُهَا بِكِتَابَةِ العلوم ومَنَافِعَ يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى والْقَبْضُ عَنِ الشرور.

وزَكَاةُ الرِّجْلِ السَّعْيُ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ زِيَارَةِ الصَّالِحِينَ ومَجَالِسِ الذِّكْرِ وإِصْلَاحِ النَّاسِ وصِلَةِ الْأَرْحَامِ والْجِهَادِ ومَا فِيهِ صَلَاحُ قَلْبِكَ وسَلَامَةُ دِينِكَ، هَذَا مِمَّا تَحْتَمِلُ الْقُلُوبُ فَهْمَهُ والقوى [والنُّفُوسُ] اسْتِعْمَالَهُ ومَا لَا يُشْرِفُ عَلَيْهِ إِلَّا عِبَادُهُ الْمُخْلَصُونَ الْمُقَرَّبُونَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى وهُمْ أَرْبَابُهُ وهُو شِعَارُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ)[١].

المستفاد من هذه الروايات أن في كل ما أسبغ الله على عبده من نعمه الظاهرة والباطنة زكاة يجب عليه إنفاقها وإيصالها إلى المستحقين لها ولله عز وجل على عبده حجة بالغة فيما أنعم عليه، ففي الكافي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يُنْعِمْ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً إِلَّا وقَدْ أَلْزَمَهُ فِيهَا الْحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ قَوِيًّا فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِمَا كَلَّفَهُ واحْتِمَالُ مَنْ هُو دُونَهُ مِمَّنْ هُو أَضْعَفُ مِنْهُ ومَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ مُوَسَّعًا عَلَيْهِ فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ مَالُهُ ثُمَّ تَعَاهُدُهُ الْفُقَرَاءَ بَعْدُ بِنَوَافِلِهِ ومَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ شَرِيفًا فِي بَيْتِهِ جَمِيلًا فِي صُورَتِهِ فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وأَنْ لَا يَتَطَاوَلَ عَلَى غَيْرِهِ فَيَمْنَعَ حُقُوقَ الضُّعَفَاءِ لِحَالِ شَرَفِهِ وجَمَالِهِ)[٢]، انتهى.

---

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص٥١.
(٢) الكافي، ج١ص ٦٣٩.

تم بحمد الله

والصلاة على رسول الله وآل بيته الطيبين الطاهرين

الانتهاء من العمل على كتاب جوامع التفسير

في تاريخ ١٦جمادى الثاني ١٤٤٢هـ،

الموافق ٢٠٢١/١/٣٠م.

مصادر التحقيق

مصادر التحقيق

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الكلمات المكنونة.

٣ ـ الجواهر السنية.

٤ ـ وسائل الشيعة.

٥ ـ تراجم الرجال.

٦ ـ شمس هجر.

٧ ـ طبقات أعلام الشيعة.

٨ ـ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات.

٩ ـ الاحتجاج.

١٠ ـ إرشاد القلوب.

١١ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد.

١٢ ـ الأصول الستة عشر.

١٣ ـ إقبال الأعمال.

١٤ ـ الأمالي (للطوسي).

١٥ ـ أمالي المرتضى.

١٦ ـ الأمالي للشيخ الصدوق.
١٧ ـ الإنسان الكامل (الجيلي).
١٨ ـ بحار الأنوار.
١٩ ـ بصائر الدرجات.
٢٠ ـ تاج العروس.
٢١ ـ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة.
٢٢ ـ تحف العقول.
٢٣ ـ التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية.
٢٤ ـ تراث الشيخ الأوحد.
٢٥ ـ التعليقة على الفوائد الرضوية للقمي.
٢٦ ـ تفسير البيضاوي.
٢٧ ـ تفسير الصافي.
٢٨ ـ تفسير العياشي.
٢٩ ـ تفسير القمي.
٣٠ ـ تفسير المحيط الأعظم.
٣١ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام.
٣٢ ـ تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب.
٣٣ ـ تفسير مجمع البيان.
٣٤ ـ تهذيب الأحكام.
٣٥ ـ التوحيد.
٣٦ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار.

٣٧ ـ جمهرة اللغة.
٣٨ ـ حاشية الشهاب.
٣٩ ـ الحقائق في محاسن الأخلاق.
٤٠ ـ الخصال.
٤١ ـ الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة.
٤٢ ـ دعائم الإسلام.
٤٣ ـ ديوان أمير المؤمنين عليه السلام.
٤٤ ـ رجال الكشي.
٤٥ ـ روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه.
٤٦ ـ روضة الواعظين وبصيرة المتعظين.
٤٧ ـ رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين.
٤٨ ـ الزهد.
٤٩ ـ شرح الأربعين.
٥٠ ـ شرح الأسماء الحسنى.
٥١ ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.
٥٢ ـ شرح المشاعر.
٥٣ ـ شرح حياة الأرواح.
٥٤ ـ الصحيفة السجادية.
٥٥ ـ الطراز الأول.
٥٦ ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف.
٥٧ ـ علل الشرائع.

٥٨ ـ عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية.
٥٩ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام.
٦٠ ـ عيون المعجزات.
٦١ ـ غرر الحكم ودرر الكلم.
٦٢ ـ الغيبة للنعماني.
٦٣ ـ الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام.
٦٤ ـ فلاح السائل ونجاح المسائل.
٦٥ ـ القاموس المحيط.
٦٦ ـ قاموس قرآن.
٦٧ ـ الكافي.
٦٨ ـ كتاب العين.
٦٩ ـ كشاف اصطلاحات الفنون.
٧٠ ـ كمال الدين وتمام النعمة.
٧١ ـ لسان العرب.
٧٢ ـ متشابه القرآن ومختلفه (لابن شهر آشوب).
٧٣ ـ مجمع البحرين.
٧٤ ـ مجموعة ورام.
٧٥ ـ المحاسن.
٧٦ ـ المحجة البيضاء.
٧٧ ـ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول.
٧٨ ـ مستدرك الوسائل.

٧٩ ـ مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد.
٨٠ ـ مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه‌السلام.
٨١ ـ مشرق الشمسين.
٨٢ ـ مصباح الشريعة.
٨٣ ـ مصباح المتهجد وسلاح المتعبد.
٨٤ ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير.
٨٥ ـ المصباح للكفعمي (جنة الأمان الواقية).
٨٦ ـ مصطلحات علم المنطق عند العرب.
٨٧ ـ معاني الأخبار.
٨٨ ـ مفاتيح الغيب (ملا صدرا).
٨٩ ـ مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات.
٩٠ ـ المناقب (للعلوي).
٩١ ـ مناقب آل أبي طالب عليهم‌السلام.
٩٢ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر.
٩٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر.
٩٤ ـ نهج البلاغة.
٩٥ ـ الهداية الكبرى للخصيبي.
٩٦ ـ الوافي.
٩٧ ـ شرح أصول الكافي للمازندراني.

الفهرس

[تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾] ٥

[معاني الصراط المستقيم] ١١

[أنواع هداية الله تعالى] ٢٠

[الصراط ظاهرًا وباطنًا] ٢٨

[شرح قوله عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)] ٤٣

[زيادة بيان لمعرفة حقيقة النفس وبيان كيفية الوصول إلى ذلك الأنموذج
الفهواني والخطاب الشفاهي] ٥٤

[شرح حديث كميل مع أمير المؤمنين عليه السلام في الحقيقة] ٦١

[في بيان بعض أقوال الصوفية وردها] ٧٧

[مراتب التوحيد] ١٠٢

[شرح: (من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو مشرك،
ومن عرف التوحيد فهو ملحد، ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر)] ١٠٧

تنبيه ١١٣

[معنى تفسير الصراط برسول الله صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام] ١٢١

[بيان المعرفة النورانية إجمالًا] ١٢٦

[بيان المعرفة النورانية تفصيلًا] ١٣٥

فصل ١٤٦

فصل [في ذكر خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من قتل الخوارج] .. ١٤٧

فصل [في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يبين أسماءه الشريفة] ١٤٨

فصل [في خطبة الافتخار] ١٥٢

فصل [في الخطبة الطتنجية] ١٥٥

فصل [في خطبة عالية المضامين لأمير المؤمنين عليه السلام] ١٥٩

فصل ١٦٢

فصل [بيان المقامات الأربعة للمعصومين عليهم السلام] ١٦٢

فالباب الأول في بيان إثبات التوحيد، وأنه لا يكون إلّا فيهم وبهم وعنهم عليهم السلام،

ولهذا قال عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا)

وقالوا عليهم السلام: (بنا عرف الله ولولانا ما عرف الله) ١٦٥

الباب الثاني في بيان معرفة المعاني وهو المقام الثاني من مقاماتهم عليهم السلام،

وهو مقام حق الحق، وسر السر، وباطن الباطن ١٧٩

الباب الثالث في بيان معرفة الأبواب وهو المقام الثالث من مقاماتهم، وهو

مقام الحق والسر والباطن ١٨٤

الباب الرابع في بيان معرفة الإمام عليه السلام ١٩٣

توضيح ٢٠٠

الباب الخامس في بيان معرفة الأركان ٢٠١

توضيح ٢١٠

الباب السادس في بيان معرفة النقباء ٢١٨

الباب السابع في بيان معرفة النجباء ٢٢٥
[بعض فضائل وأسرار الأئمة الأطهار عليهم السلام] ٢٣٢
فصل ٢٣٢
فصل ٢٣٤
فصل في بعض أسرار علي أمير المؤمنين عليه السلام ٢٣٨
فصل في بعض أسرار فاطمة عليها السلام ٢٥٠
فصل في بعض أسرار الحسن بن علي صلوات الله عليهما ٢٥٢
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار الحسين عليه السلام ٢٥٧
توضيح ٢٦٠
فصل في ذكر بعض أسرار علي بن الحسين عليهما السلام روحنا فداه ٢٦١
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار أبي جعفر عليه السلام ٢٦٣
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار أبي عبد الله الصادق عليه السلام ٢٦٧
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام .. ٢٧٧
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام ٢٨١
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليهما السلام . ٢٨٥
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار أبي الحسن الهادي عليه السلام ٢٩٠
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ٢٩٢
فصل في الإشارة إلى بعض أسرار الإمام المهدي محمد بن الحسن عليهما السلام . ٢٩٧
فصل ٣٠١
[تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾] ٣٠٥
بيان صراط المغضوب عليهم والضالين ٣١٥

[تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾] ٣٢٣
[فضل سورة الفاتحة] ٣٣٨
[شرح الحديث القدسي الوارد أن فاتحة الكتاب قسمت بين الحق تعالى وعبده وبيان جملة من النكات والأسرار] ٣٣٨
[مسك الختام] ٣٥٥
تفسير سورة البقرة ٣٥٩
[معنى أن القرآن مأدبة الله تعالى] ٣٦١
[تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾] ٣٧٥
[توضيح وبيان حول الحروف المقطعة في القرآن الكريم] ٣٩٢
[تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾] ٤٠١
[تفسير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾] ٤٠٥
[وقفة مع قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾] ٤٠٧
[مراتب التقوى] ٤١٠
[بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾] .. ٤١٣
[صفات المتقين] ٤١٦
[تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾] ٤٢١
[الإشارة إلى منزلة سلمان الفارسي] ٤٣١
[تحقيق لطيف حول الفرق بين الإسلام والإيمان وبيان وجه كل منهما والجمع بين الروايات الواردة] ٤٣٢
[تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾] ٤٦٤
[معنى الصلاة لغة] ٤٦٧

[أصل اشتقاق الصلاة] ٤٦٩
[بيان باطن الصلاة] ٤٧٠
[بعض أسرار الصلاة] ٤٧٥
[تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾] ٤٩١
مصادر التحقيق ٥٠٥
الفهرس ٥١٣